

بغير عبادي الذين يستعزون أتول فينبون أحسن  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

# الفتح

١٣١٥

بوتنا الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتى  
خبراً كبيراً وما يكفر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و ٥ منارا ٥ كمنار الطريق

( مصر - الثلاثاء - ملخ الهرم ١٣٢٦ - ٣ مارس ( آذار ) سنة ١٩٠٨ )

## فاتحة السنة الحادية عشرة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الألباب ،  
والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، الذي بيث في الامين ليعلمهم الكتاب  
والحكمة ، محمد النبي الامي ، العربي الحجازي ، وعلى آله واصحابه خير الآل  
والاصحاب ، ومن تبعهم واهتدى بهديهم الى يوم المآب ، ٢٩ : ١٣ الذين  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ ٥  
أما بعد فان المنار بحمد الله وعنايته ، وتوفيقه وهدايته ، قد أتم عشر

سنين كاملة، وتجاوز الأعداد المفردة إلى الأعداد المركبة، وهو في نحو طبيعى، وارتقاء تدريجي، لم تظهر به مساعدة الكبراء، كما ظهرت بكثير من الماملين، ولم تظهر به مكيدة الرؤساء، كما ظهرت ببعض المصلحين، بل سار لطيفه على استقلاله، في جميع أحواله وأحواله، سلاحه تحري الحق، وعدته التزام الصدق، وجنته الاخلاص لله، وحصنه تقوى الله باتباع سنن الله،

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ الْمُتَّقِينَ لَحُسْنُ مَأْوَىٰ ، بَخَاتِ عَذَابٍ مُّتَّعَةً لَهُمْ  
الْأَبْوَابِ ،

جاهد في سبيل الاصلاح بقدر الامكان، وما اقتضيه حال الزمان والمكان، فهاجته السياسة بدسائسها فالت من قريبه وصديقه، ولكنها لم ترحضه عن طريقه، ووائبه الخرافات بوساوسها، فالت دون سرعة انتشاره، ولكنها لم تقو على صديتاره، وصادمته التكاليد بواجبها، فصدت الكثيرين من متقليها عنه، ولكنها لم تمل منه، بل عز مؤلأ مؤلأ في الخطاب،

٣٨ : ١٩ جُنْدًا مَا هُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ

نم قد انهزم من أمامه الدجالون فلا يجدون قوة ولا حولا، وانهمز كذلك المقلدون فلا يرجعون اليه قولا، وأنى للمتوكي على عكاز القال والقليل، ان ينافح منتفي سيف الدليل، تحت لواء السنة والتزليل، إلا أنهم لا يصدونه بل يصدون عنه، ولا يقولون له ولكن يقولون فيه، وكذلك كان يقول المقلدون، اذ دعوا الى غير ما كانوا يعتقدون، ٣٨ : ٥ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ - ٧ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي •

الحق أبلج، لا ينجل سبيله، ولا تمنحني على الناظر البصير غرته وحبجوله، فلا يضره ضعف الداعي وغرته، اذا قويت عارضته وعرفت حقيقته، والباطل للبلج، وان كثر قبيله، ودعمت فروعه واصوله، فلا تنفعه قوة الداعي وعصبته، اذا ضعف سريره ودحضت حجته، وانما يثبت المقلدون، حيث لا يوجد المستدلون، ويسود المتواكلون، ما سكت عن معارضتهم المستقلون ٩:٣٩

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَلْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَلْمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ \*

لا خوف على الحق الا من الاستبداد، بمنح حرية العلم والارشاد، فالحق لا يوجد الا حيث توجد الحرية والاستقلال، وتظهر آثار مواهب الناس في الاقوال والاعمال، لهذا لا نخاف على دعوة الاصلاح في هذه البلاد، أو تعود اليها سيطرة الاستبداد، نعم ان سيره قد يسرع وقد يبطن، وان الداعي اليه يصيب في رمية ويخطئ، ولكنه يستفيد من الخطأ كما يستفيد من الاصابة، وقد يزداد مضاء في الرفض والاجابة، حتى يعمل الاستعداد للاصلاح عمله، ويبلغ الكتاب أجله (١٣ : ٢٨ لكل اجل كتاب ٣٩ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٤٠ وَإِنَّمَا تُرِيكَ بُعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ \*

ان للاسلام ثلاث مظاهر أو مراتب التقليد وعليه أكثر المسلمين المبتدئين، والبصيرة وعليها نفر من العلماء المحققين، والجانسية وهي تشمل حتى المارقين من المتفرجين، وقد هوجم أولاً في تقاليدته لتحويل العامة عنه، وهوجم في كتابه وسنته لزال الخاصة فيه، وهوجم في جنسيته لحل رابطة المتصمين به،

على انه لا يخشى عليه من مهاجمة الاجانب عنه ، وانما يخشى عليه من مهاجمة  
الذين يعدون منه ، فالتفريجون منهم يقتون العامة عن تقليدهم باسم  
الدين ، وشبه العلوم والفنون العصرية ، ويحاولون جنسيتهم الاسلامية ،  
يدعونهم الى الجنسية الوطنية ، وهم لا يهتمون في ذلك بالايقاع بالدين ، لانهم  
ياتون العامة عن اليقين ، ويدعون الي ما يدعون ، معتقدين انهم مصالحون ،  
فتعين على اهل البصيرة والعرفان ، ان يناخروا عن هذا الدين بالبرهان ، واقفين  
عند حدود السنة والقرآن ، فان كلام من مسلمي التقليد والجنسية ، يعترفون  
بان مرتبة البصيرة هي المرتبة العلية ١٣ : ١٨ أفمن يعلم ان ما انزل إليك  
من ربك الحق كذب هو أعى ؛ انما يذكروا اولو الأئباب \*

ألا وان من الحال حفظ تقاليد المقلدين ، من غارة اخوانهم المتفريجين ،  
فانها من قبيل العادات ، التي يبروها ( كما نشاهد ) المحو والاثبات ، الأوان  
مصارعة الجنسية الوطنية ، للجنسية الاسلامية ، مجهولة العواقب ، الا حيث  
يساعدها الحكام مع الاجانب ، فهناك يرجح ان تكون آية الوطنية هي  
المرفوعة ، والراية الاسلامية هي الموضوع ، ويتبع ذلك سرعة تسلسل العوام ،  
من هذه التقاليد المعزوة الى الاسلام ، ويمود الاسلام في مثل هذه البلاد  
غزيبا كما بدأ ، لان اهل البصيرة هم الاقلون عددا ، والاضغفون ساعدوا وعضدا ،  
اذا غلبوا بالبرهان ، يُطلبون بالسلطان ، فهم امام اضطهدون جبراء ، وامام مهددون  
سرا ، على انهم لا يقنطون من رحمة الله ، ولا يأسون من روح الله ٣٩ : ١٠  
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّ كُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \*

ها اناذا أقول على رؤوس الاشهاد، ان طالب الاصلاح الديني مهده حتى في هذه البلاد ، ورب مقاومة خفية، شر من صدمة عنيفة ، ورب اصطدام أحدث ظهورا ، خير من اهل أوجب فقورا ، (٢: ٢١٦) وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، ) فما ظهر حق الا بعد اضطهاد، ولا خذل باطل الا بعد عناد ، فلا يفررك قلب الظالمين في البلاد ، ٣٩ : ٢١ ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زحاما مختلفا ألوانه ، ثم يهيج فتراه مضفرا ، ثم يجعله حطاما ؟ إن في ذلك لذكرى لأولى الاباب \*

فيا أيها الكائدون الظالمون ، انما كيدكم على ملتكم ان كنتم تسقون ، وبأيها المقلدون الجامدون ، ان تقاليدكم تتحول عنكم تحول الظل وانتم لا تشعرون ، وبأيها العابثون بالجنسية انكم لبنائكم تهدمون ، وتبنون لغيركم من حيث لا تعلمون ، وبأيها المصلحون المستبصرون ، اصبروا وواصبروا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، ٣ : ١٠٢ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون \* لا تترقنكم عوامل المدينة فان دينكم عون لكم عايها ان كنتم تقهرون ، ولا تقتنكم ساطة الامم الاوربية فتقلدوها فيما لا تعلمون ، فان روح المدينة والسلطة هو الدين والآداب ،

وقد انعم الله عليكم من ذلك باكل مما انعم به على أهل الكتاب ، ٢: ٢٠٠  
فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ  
٢٠١ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا

عذاب النار ٢٠٢ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب \*  
ان الفساد قد طرأ على جسم هذه الامة من زمن بعيد ، فهو يحتاج الى  
تكوين جديد ، ومن المبشرات ان ترى المسلمين ، قد تنهوا الى الحاجة الى هذا  
التكوين ، ولكن اختلفت فيه الآراء ، وعبئت به الاهواء ، ولا زعيم  
يرجع اليه ، ولا امام يقتدى به ، وما على طلاب الاصلاح الآن ، الا اقامة  
الحجة والبرهان ، وتربية استعداد الامة ، الى ان ينهض زعيم من الامة ، ولا  
بد من مسألة الفرق والاحزاب ، واحاطة استقلال الرأي بسياج الآداب ،  
٣٩ : ٨ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَبِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ \* منشي المنار و محرره  
محمد رشيد رضا الحسيني

## الدعوة الى انتقاد المنار

انا نكرر الدعوة الى انتقاد المنار في كل عام ونعد بنشر ما ينتقده  
على ما نشر من المسائل الدينية والعلمية لمدة امور  
(١) انا نحري في كل ما نكتب الحق والارشاد الى الخير ونعتقد  
انا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة ففرضنا الاول  
من دعوة العلماء الى انتقاد ما نكتبه هو تكميل نفسنا ومساعدتنا على ما توخاه  
من الارشاد

(٢) حرصنا على تكميل غيرنا من قراء المنار بما نحب ان نكمل به  
نفسنا من معرفة الحق والخير والمصلحة وكراهة ان يطق ما هسى ان تقع  
فيه من الخطأ بنفس بعض القراء فلا يجدوا عنه مصرفاً

(٣) اقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان كثير من  
اهل العلم يعتدرون عن تركهم لذلك بأن الناس لا يقبلون أمراً ولا نهياً  
بل يبادون من ينصح لهم ويرشدون الى الحق وربما آذوه بالقول او الفعل  
فها نحن أولاء نؤمنهم من العداة والايذاء ونعدهم بقبول النصح والارشاد

(٤) فتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المتناظرين ما لم يكن  
يعلم وتدفعه الى بذل الجهد والعناية في استكناه الحقائق والاحاطة بأطراف  
المسائل وترك الحكم للقراء

(٥) قطع السنة أهل الدعوى ، والمتبعين للهوى ، الذين يقولون هذا  
حق وهذا باطل ، وهذا حلال وهذا حرام ، وفلان مخطيء او ضال ، أو  
نافع او ضار ، وهم على غير بينة فيما يقولون ، أو على غير اخلاص فيما به  
يحكمون ، فالمنار يقول لمن يخوض فيه منهم ان كنتم تقولون الحق  
فأبرزوه للقارئ ، وهاتوا برهانكم ان صادقين ، والا فأنتم بأكل لحم  
أخيك بالغبية ، وبجسدكم الذي زين لكم هذه الوقعة ، تقولون ما لا تعملون ،  
أو تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعملون ،

هذا واننا نشترط على المنتقد الذي نعد بنشر انتقاده أن يوجه انتقاده  
الى ما كتبنا من المسائل العلمية دينية أو غير دينية مبينا موضع المسألة من  
المنار بأن يقول ذكرتم في صفحة كذا من مجلد كذا ما هو كيت وكيت

وهو خطأ: ويبين ذلك بالدليل. ولا نعد بنشر الانتقاد اليهم «نحو انتم تقولون كذا» مما لعلنا لم نقله ولم يخطر ببالنا وانما جاءه من وقية بعض الكاذبين او من سوء الفهم - ولا الانتقاد الففل من الدليل - ولا ما كان موجها الى الاعمال الادارية أو الشخصية أو اختيار الباحث والمسائل أو أسلوب الكتابة. فكل هذا مما تترك لنفسنا الخيارات، مع الشكر عليه، لان فائدته في الغالب خاصة بنا وعدم العلم بها الا ينشر القراء شيئاً

#### شروط الاشتراك

- (١) كل من قبل الجزء الأول من مشترك المنار السابقين يعد مشتركاً فيه الى آخر السنة ويجب عليه دفع ستين قرشاً ان كان من مصر أو السودان وثمانية عشر فرنكاً ان كان من سائر الاقطار وان ردت المجلة في اثناء السنة لان ضياع بعض أجزاء السنة علينا كضياع جميعها
- (٢) يجب على من يطلب الاشتراك ان يرسل القيمة سلفاً وان يكون اشتراكه من أول السنة (الحرم) أو من منتصفها (رجب)
- (٣) اذا لم يصل الى المشترك أحد الاجزاء فان الادارة ترسله اليه بنير ثمن اذا هو طلبه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد وصوله اليه في بلده. واذا طلبه بعد ذلك كان عليه ان يرسل ثمنه كمن فقد الجزء وطلب بدله وثمان الجزء الواحد ستة قروش مصرية

﴿ تنبيه ﴾

لم تنشر في هذا الجزء شيئاً من التفسير لسبب عارض



## القرآن ونجاح دعوة النبي

عليه الصلاة والسلام

وآراء علماء أوربا في ذلك

ألف القسيسون وأعاونهم من المتعصبين للنصرانية كتباً كثيرة في القرون المتوسطة يمثلون بها الإسلام في أقبح صورة ينزعها خيال الكاتب منهم على حسب تمكنه في الكذب والبهتان ولما ارتقت العلوم والفنون في أوربا وضمف التعصب الأعمى على المخالف بقدر ذلك كثر الباحثون من علماء الأفرنج في شؤون الشرق بالانصاف فتغير لذلك اعتقادهم في الإسلام والمسلمين وأنفوا في بيان مزايا هذا الدين التي كانت مجهولة وفضائل أهله التي كانت مبرومة كتباً كثيرة . ومن هؤلاء المؤلفين البرنس كاتاني الإيطالي فإنه ألف كتاباً في تاريخ الإسلام يقال به كتبه بحرية وانصاف بحسب ما وصل إليه علمه . وقد زار مصر في هذا الشتاء فاحتفى به نادي المدارس العليا واكرم مشواه واثنت عليه جرائد المسلمين ثناء حسناً . وقد ترجم المؤيد في أوائل هذا الشهر تقریظ جريدة التيمس لتاريخ البرنس كاتاني ومنه هذه العبارة :

« ومن رأي المؤلف على إعجابه الفائق بصاحب الشريعة الإسلامية ان مزية النبي هي كفاءته العجيبة كسياسي محنك اكثر منه كني موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق إهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن

سياسة افادنا في تأييد سلطته أكثر من إفادة القرآن أو أي حجة دينية» اه  
نص ترجمة المؤيد لمبارة التيمس  
وهذا الذي قاله كاتباتي هو اعتقاد الافرنج المارفين بنشأة الاسلام ،  
وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، أي انهم يستقدون ان النبي ( ص ) قام  
بما قام به بحنكته وسياسته ، لا بتأييد الله تعالى له بوحيه وعنايته، ولو لا هذا  
لما كان لهم مندوحة عن الدخول في الاسلام، ومثل الافرنج في هذا  
الرأي كل من لا يدين بالاسلام من علماء المشرق. فدعوى ان مجاح النبي  
( ص ) كان بسياسته وحنكته أي تجاربه هي أكبر شبههم على الاسلام  
ومن الشواهد على ذلك من كلام علماء بلادنا غير المسلمين الاسطر  
والايات الآتية التي كتبها اليّ الدكتور شمبل فيليب الفيلسوف المشهور  
بعدم التدين . جملة عليها قراءة المنار وهي :

« الي غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار  
« انت تنظر الي محمد كني وتجمله عظيمًا وانا أنظر اليك كرجل واجمله  
أعظم ، ونحن وان كنا في الاعتقاد ( الدين او المبدأ الديني ) على طرفي  
نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والإخلاص في القرب وذلك أوثق بيننا  
لمرى المودة من صديقك الدكتور شمبل

( الحق اولى أن يقال )

دع من محمد في سدى قرآه ما قد نجاه للهمة النيات (١)

« ١ » بربد بالهيات معناها القوي وهي المناد صديقي الدينيه ويعني بالامر بتوابعها  
تركه البحث فيها أي انه يبحث في القرآن من حيث هو كتاب اجتماعي لا من حيث  
هو كتاب ديني كما قال لنا مشافهة

اني وان الك قد كفرت بدينه      هل اكفرن بمحكم الآيات  
اوما حوت في اصم الالفاظ من      حكم روادع للهوى وعظات  
وشرائع لو أنهم عقلوا بها      ما قيدوا المعمران بالعادات  
نعم المدبر والحكيم وانه      رب الفصاحة مصطفى الكلمات  
رجل الحجار جل السياسة والدها      بطل<sup>(٢)</sup> حليف النصر في الغارات  
ببلاغة القرآن قد خلب النهي      وبسيفه أنحى على الهامات  
من دونه الابطال في كل الوري      من سابق او لاحق او آت



( المنار ) كتب الدكتور الي بهذا لا لينشر بل ليقرأ على انه خواطر  
جاشت في صدره ثم بعد ان نشر المؤيد ماشره عن التيمس ورددت  
عليه في الجريدة امتأذنت الدكتور بنشر ما كتبه فاذن وهو كما يرى  
التارىء اكثر من البرنس كاتباتي تعظيما للبي صلى الله عليه وسلم وكذا القرآن  
الحكيم الذي لم يدرك البرنس كاتباتي تأثيره لانه لا يفهمه كالدكتور شميل .  
ونحن - على كوننا نشكر لشميل ما اعترف به من مزايا نبينا وكتابنا  
ونسأل الله ان يهديه للباقي منها وهو المهم الاعظم - لا نقول انه اعترف  
بنبوته ولا بحقية كونه كتابه إلهياً . وننكر عليه اشد الانكار قوله ان النبي  
صلى الله عليه وسلم من حيث كونه رجلاً أعظم منه من حيث كونه نبيا على  
انهم لا يمتنون بمثل هذا التعبير الذي قاله شميل وكاتباتي انه نبي وسياسي  
وان نبوته اقوى من سياسته بل يمتنون انه نجح بسياحته لا بنبوته التي  
ادعاها ولكن المؤيد غفل عن هذا وادعى ان مقاله كاتباتي حق ولو كان  
حقا لكان هو وجميع علماء أوروبا وعلماء اهل الكتاب والوثنيين الطرفين

بتاريخ الاسلام كما هم على الحق واستنزم ذلك كون المسلمين على غير الحق فيما يتعلق بأصل دينهم لانهم يقولون بخلاف هذا القول ١١  
 نبت « الجريدة » المؤيد الى هذه الهفوة وقالت ان ما ترجمه عن التيس من قول كاتباتي كفر ما كان لصاحب جريدة تقتخر بأنها اسلامية ان ينقله ويقره . فرد عليها صاحب المؤيد بقوله الآتي نقلا عن عدده الذي صدر في « المحرم والعنوان منا فقط :

## رأي المؤيد في القرآن

« أما نحن فنقول للجريدة . انا نقلنا عبارة البرنس كاتباتي عن التيس ونحن نتقد انها ليست كفرا فلا نلام اذا لم ترد عليها وأما الجريدة فقد نقلتها وهي تتقدها كفرا ولم ترد عليها فهي المتصرة والملومة  
 « ان غرض البرنس كاتباتي من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له . والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلی خلق عظيم » فلم يرد البرنس كاتباتي بقوله هذا حطا من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيرا للقرآن الكريم وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على اخلاق غير الاخلاق العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم : بل القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفداؤهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من العيوب المنفرة . فلو كان فظا غليظ القلب ما نعمه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام بقوله كل مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام الذي

جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها  
البرنس كابتاني

«وليس المتام مقام مقارنته بين القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأيهما  
أفضل لان هذا لا يؤخذ من عبارة البرنس كابتاني ولا هو عرض مؤرخ  
كبير كهذا بل هذه المباحث العقيمة الآن تليق بجريدة مثل «الجريدة»  
لا يذوق محررها طمها لكلام مؤلف ولا يعرف وزناً قيمة رأي مؤرخ  
«أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله  
عليه وسلم حتى الآن ؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام  
الحقيقية كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهل لذلك  
سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه  
وسلم وهل اخلاقه الفائقة الا موهوبة من عند الله وهي معجزة من  
معجزاته فهل يكون كافراً بالله من قال ان قوة هذه المعجزة بخصوصه  
كان لها دخل في فتوحات الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من  
كل معجزة دينية أخرى

ان للقرآن الكريم وظيفة أخرى لا يشاركه فيها مشارك وهي كون  
شريعة الهية جمعت بين مصالح الدين والدنيا ففاق بهذه المزية كل الكتب  
الالهية الأخرى كما فاقها في الاسلوب والبيان فهل ينقص من فضل  
القرآن ومزنيته ان يقال ان أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كانت قوة  
تأثيراً في فتوحاته وبسطة سلطانه

«هذا ما أردنا بيانه ونترك للجريدة المشاغبة والنط والوثوب من

خطأ الى غلط» اه كلام المؤيد

(المنار) ان المؤيد جرى في الرد على الجريدة في هذه المسألة على طريقة المراء المتأد في المناقشات السياسية فحرف كلام كائتاني عن موضعه وجعله من باب الاعجاب بالاخلاق التي أكرم الله بها نبيه وتفضيل تأثيرها على تأثير القرآن وانما كلام كائتاني في غير ذلك اذ زعم ان جل نجاح النبي (ص) أو كنه بسياسته وحنكته أي تجاربه - لا اخلاقه الموهوبة من الله - كما قال فيه الدكتور شميل انه رب السياسة والدهاء . وكان للمؤيد مندوحة عن تأييد شبهة كائتاني وتقويتها بأن يقول للجريدة انه سكت عليها لانه لا يطالب غير المسلم بأن يقول في الاسلام أكثر من ذلك مع العلم بأن المسلمين لا يأخذون عقيدهم عن مؤرخ نصراني . ولكنه لم يوفق لذلك فاضطررنا الى كشف الشبهة بالمقالة الآتية في الجريدة

### رد شبهة المؤيد على القرآن \*

يقول المنكرون لنبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواء كانوا من الأوربيين أو غيرهم ان ماتم على يديه من جمع كلمة الرب وكذا وكذا مما هو ثابت في التاريخ انما كان بالدهاء والسياسة وسمو الافكار وعلو الاخلاق الذي يكون عادة لكثير من الرجال كالبرنس بهمارك ونابليون الاول . وان ما ادعاه من النبوة وما جاء به من القرآن لا تأثير لهما في نفسيهما وانما التأثير له هو بنفسه وبهما لانه استخدمهما في تنفيذ

(\*) كتبنا هذه المقالة في ادارة الجريدة على عجل ولم يكن في يدينا مصحف تراجع فيه عدد السور والآيات للشواهد التي أوردناها فيها فوضنا الاعداد الآن ولم نزد في المقالة شيئاً سواها بل نقلت عن الجريدة بحروفها

سياسته (٥:١٨) كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) ويمتقد المسلمون ان انبي (صلى الله عليه وسلم) بشر كسائر البشر لا يمتاز على غيره الا بالنبوة وما تستلزمه كما هو نص قوله تعالى (١٨:١١٠) قل انما انا بشر مثلكم يوحى إليّ) الآية. وقوله تعالى (١٢:١٠٩ و ١٦:٤٣) و٧:٢١ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم)

ويمتقدون ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى سن الشباب وبلغ الأربعين ولم يعمل عملا اجتماعياً ولا سياسياً وان ماتم على يديه بعد ذلك انما كان بالنبوة التي اختصه الله بها وبالقرآن الذي أوحاه اليه فكان روحاً أحياه به حياة جديدة وأحياه به من اتبعه فكان اهتداء الجميع بالقرآن لا بتأثير صفات النبي الشخصية كما قال تعالى (٤٢:٥٢) وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً يهدي به من نشاء من عبادنا) فالله تعالى هو الذي هدى المؤمنين بكتابه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي هداهم بصفاته البشرية وكفاءته الشخصية ولذلك أنزل الله عليه قوله (٢٨:٥٦) انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (٨:٦٣) لو أنفقت مافي الارض جميعاً ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

بل يعتقد المسلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتقي في أفكاره وأخلاقه بالقرآن نفسه فكما أنزل الله عليه شيئاً منه ازداد كمالاً به ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاقه كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما ومما هداه الله تعالى اليه بكتابه مشاورة أصحابه في الامر فكان

يستشيرهم ويعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد وكانوا يسألونه اذا أشار بأمر هل هو وحي فيطاع بلا بحث ولا تردد أم هو الرأي ليدكروا ما عندهم فاذا قال هو الرأي ذكروا ما عندهم كما كان يوم بدر وقد ترك صلى الله عليه وسلم رأيه الى رأيهم

فمن هذه المجالة يعلم ان القرآن هو الاصل في هداية الرسول صلى الله عليه وسلم بهداية أصحابه عليهم الرضوان الى كل ماتم على يديه وأيديهم معه وبعده مما أدهش التاريخ اذ لم يجد له نظيراً ولو شئنا لأتينا بأكثر مما أتينا به من الشواهد على ذلك من الآيات والأحاديث ووقائع السيرة النبوية وتاريخ الراشدين ولكن ما جئنا به كاف في التذكير بما يؤمن به كل مسلم

هذا هو اعتقادنا نحن المسلمين وذلك الذي ذكرنا في أول المقال هو اعتقاد من ينكر صحة ديننا ونبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ويزعمون ان الاسلام وما فيه من المزايا وما تم له من النجاح كان منشؤه سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته كما يعهد من الرجال المظام عادة ؟ وقد نقل المؤيد في يوم الاحد الماضي عن جريدة التيمس عبارة للبرنس كاتاني الايطالي مؤلف تاريخ الاسلام في ذلك الاعتقاد الذي يراد به هدم الاسلام وهي « ومن رأي المؤلف على اعجابه الفائق بصاحب الشريعة الاسلامية ان مزية النبي هي في كفاءته المعجبية كسياسي حناك اكثر منه كني موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق اهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن وأي حمية دينية ؟ »



نقل المؤيد هذه المباراة وأقرها فأنكرت عليه (الجريدة) ان  
 ينقل الكفر ويقره على نخره بكون جريدته اسلامية وكونه من أبناء  
 الازهر . فهاذا أجاب صاحب المؤيد على هذا الانكار : أجاب بأنه  
 يمتقد ان تلك المباراة ( التي تنيط نجاح عمل النبي صلى الله عليه وسلم  
 بالحكمة والسياسة لا بالنوة ) ليست كفراً وبين ذلك بما هو العجب  
 العجيب . قال في العدد الذي صدر أمس ( يوم الاربعاء ثالث المحرم ) مانصه :  
 « ان عرض البرنس كائتاني من عبارته ظاهر وهو الايجاب باخلاق  
 النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له  
 والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلي خلق عظيم » فلم يرد  
 البرنس كائتاني بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيراً  
 للقرآن الكريم . وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على أخلاق  
 غير الاخلاق المالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل  
 القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نقصوا من حولك »  
 فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم  
 اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من الميوب المنفرة فلو كان فظاً غليظ  
 القلب ما نفعه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل  
 يعرف ما هو الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه  
 الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كائتاني »

ونحن نقول له انه لا يوجد مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام يقول  
 ما يزعم صاحب المؤيد ان كل مسلم يقوله . وانما يقول كل مسلم ان روح

الإسلام هو القرآن الذي به بلغت اخلاق من أنزل عليه. تلك الدرجة العالية كما قالت عائشة وهذه هي العقيدة التي صرح بها القرآن في الآية التي أوردناها آنفا وهي «وكذلك أو صينا إليك روحاً من أمرنا» ولولا القرآن لما اجتمع حوله صلى الله عليه وسلم أحد ولما فعل شيئاً ولما فداء المؤمنون بالنفس المال فقد صرح الله تعالى بأن كل عمل له كان بالقرآن فهل تبعه أم تبع كما يتاني وأضرابه الذي يقولون ان كل ذلك كان بمزايا الشخصية البشرية

كاد يقع بين الاوس والخزرج المدوان وتصلي نار الحرب لمناظرة وقت فنزل قوله تعالى (١٠٣ ٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً) الآيات فرجموا وتابوا وأناجوا وحبل الله هو القرآن ولم يقل ان سياسة النبي وبنكته وأخلاقه هي التي الفت بين قلوبهم . على ان اخلاقه هي القرآن فهو أصل كل شيء

قال صاحب المؤيد بعد ذلك في الاستدلال على عدم كون القرآن هو منبع قوة المسلمين « أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهل لذلك سبب سوى الاخلاق المالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم» ونقول في دفع هذه الشبهة ان المسلمين كانوا في قوة وعزة ما كانوا عاملين بالقرآن في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا اشد استمسا كما يحبله المتين وعروته الوثقى لصفات النبي الشخصية البشرية بل لنبوته وما لها من المزايا والقدوة به في تمسكه بالقران التي عاتبه الله تعالى على مخالفتها فيها بمثل

قوله (١:٢٠) طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ثم كانوا في زمن أبي بكر وعمر مقربة من ذلك ثم صاروا يتدلون بترك القرآن . ويعتقد كل مسلم عاقل عارف بحقيقة الاسلام انهم اذا عادوا الى الاعتصام به تعود اليهم قوتهم وعزتهم فهم ليسوا حجة على الاسلام (يا صاحب السعادة ) بل القرآن حجة عليك وعليهم

فأدعوك الى التوبة والرجوع عما كتبت في أيدي أقوى الشبهات على الاسلام والقرآن والنبوة وأن تعلن توبتك في جريدتك وتصرح بأنك تؤمن بأن القرآن هو روح الاسلام وبوحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدائه به عمل بناية الله ماعمل، وورد قول كاتباتي ان حنكته وسياسته أكثر فائدة من القرآن ومن كل حمية دينية حباه الله هو ومن اتبعه اياها»  
فان ذلك كفر وهدم للاسلام

محمد رشيد رضا

صاحب المنار

وقد أجاب المؤيد عن هذه المقالة بما يأتي بنصه نقلا عن عدد المؤيد الذي صدر في سادس المحرم وهو :

ما عدا مما بدأ

قال اللورد كرومر أمس « ان الجامعة الاسلامية تسلم السمي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سننا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء ناقضة لآداب أهل هذا النصر ومنها ما يتضمن أمرا أهم من ذلك كله وهو افترانغ

القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تقييماً ولا تمويراً وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الإسلام «  
وقال البرنس كإتاني اليوم « ان مزية النبي هي في كفايته العجيبة  
كسياسي محنك أكثر منه كنبى موحى اليه - ان حنكته وحسن  
سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن أو أية حجة دينية»  
فإذا اتسع صدرنا لمبارة اللورد ورأينا من اللياقة وحسن الأدب  
تأويلها مع أنها كادت تكون صريحة في ان الدين الاسلامي دين وضي-  
ولم يتسع صدرنا لما قاله البرنس مع ان عبارته تشير بأنه معترف للنبي صلى  
الله عليه وسلم بأنه نبي موحى اليه وان قرآنه مفيد ؟  
إذا كانت هناك بواعث حملت الشيخ رشيد على التفرقة بين الاثنين  
وتشنيع احدي المبارتين - فان الحق الذي لا تتلاعب به البواعث يشهد  
بان عبارة البرنس لا توجب اللرم ولا التمييز بله الضليل والتكدير !!  
بل الانصاف يتقاضانا الشاء على جناب البرنس والاعجاب بحرية  
ضميره لا اعترافه بصدق النبوة كما أشرنا اليه آنفا .  
أما كون البرنس جعل التأثير في تأييد سلطة النبي صلى الله عليه  
وسلم للمزايا التي انطوت عليها نفسه الشريفة أو لاثم للقرآن أنانيا كما هو  
نص عبارته - فهذا لا يقدح في قوله ولا يجمله من باب الكفر . ثم اذا  
كان للبرنس رأي خاص في النبي صلى الله عليه وسلم كأراه بمض رجال  
أوروبا فيه على ما أشار اليه الشيخ رشيد في مقدمة كلامه فهذا لا يلزمنا  
مناقشة فيه ما دام انه مستور في نفسه بل نراء قد صرح بضده في  
عبارته حيث قال انه « نبي موحى اليه » فهل لا تكون تلك العبارة قرينة

على ان البرنس ليس على رأي أولئك المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم  
وإذا راجعنا ما قاله المفسرون في تفسير آية «ولو كنت فظا غليظ القلب  
لا نفضوا من حولك» رأيناهم يفسرونها بكلام يأتلف مع ما قاله البرنس  
كإيتاني . فلم تكن عبارة البرنس اذن كفراً بل هي الحقيقة الدينية التي علم  
بها القرآن الكريم .

«قال الطبري في تفسير هذه الآية احتملت (يا محمد) اذى من ذلك  
منهم اذاه وعتوت عن ذى الجرم منهم جرءه واغضبت عن كثير ممن لو  
جفوته واغلظت عليه لتترك فيفارقك ولم يتبعك . ولا (أي ولم يتبع) ما  
بمث به من الرحمة» فقوله الاخير نص في أن مزايا النبي الذاتية كانت  
السبب في أن يتبعه العرب ويصدقوا بالقرآن الذي أتى به . وقال الالوسي  
«لا نفضوا من حولك أي لتفرقوا عنك وتفرقوا منك ولم يسكنوا اليك  
وتردوا في مهاري الردى ولم ينتظم أمر ما بعث به من هدايتهم وارشادهم  
الى الصراط» فقدم فظاظته وغلاظته اللتين لو كانتا فيه لذهبتا بكفاءته  
وحنكته وسياسته هو السبب الاول في انتظام أمر بعثته . وقال بعض  
المفسرين ما هو أمرح من كل ذلك كله قال «وكن واحد من الامرين  
(أي الفظاظه والغلاظة) لا يليق بمنصب النبوة: لان المقصود من البعثة  
ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وذلك لا يتم الا بميل قلوبهم اليه  
وسكون نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان رحيماً بهم كريماً يتجاوز عن  
ذنوبهم ويماملهم بالبر والشفقة» فالولا كفاءته الذاتية التي هي عبارة عن  
مجموع مواهبه ومزاياه وخصاله الكريمة لما تم أمر البعثة فلم يلتفتوا حواله  
صلى الله عليه وسلم ولم يعوا القرآن الكريم الذي أنزل عليه فالكفاءة اذن

هي العامل الاول في تأييده أو تأييد سلطته الذي أراده البرنس  
 فهل تكون بمد هذا كاه عبارة البرنس كفرا وطننا في الدين الى  
 حد لا تسعه صدورنا كما وصفت كلام اللورد ويكون المصريون مخطفين  
 في اقامة الاحتفال له واعلان التناء عليه - أم لا يكون شيء من ذلك  
 وإنما للشيخ رشيد حكمة من وراء صنيعه هذا يعلمها هو والواقفون على  
 أطواره . وخفي أسراره اه كلام المؤيد  
 وقد ردنا هذا التمرية والمغالطة بمقالة أخرى نشرناها في عدد الجريدة  
 الذي صدر في اليوم السابع من المحرم وهي :

## جواب المؤيد عن شبهته ﴿ علي القرآن ﴾

لا يترك المؤيد شنشنته في الجدل فهو يشاغب ويكابر في أصول  
 الدين وعقائده كما يفعل في المناقشات السياسية والشخصية فقد انكرنا  
 عليه ما كتبه في قيام الاسلام وثبات سلطته وعزوه اياه الى المسلمين  
 وقوله انه اعتقادهم وهو ان السبب الاول والعمدة فيه هو كما يقول  
 البرنس كائتاني سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته أي ما أفادته اياه  
 التجارب . انكرنا عليه هذه الدعوى وبيننا له بالآيات البينات أن ذلك  
 كان بما آتاه الله من النبوة وانزل عليه من القرآن

فرد علينا أمس باتنا أولنا طعن لورد كرومر في الاسلام فلماذا  
 تنكر على البرنس كائتاني ونشنع عليه ونخطئ المصريين الذين قاموا له  
 بالاحتفال فحصل جواب الشيخ علي يوسف عما انكرناه عليه هو اننا

فعلنا فيما مضى فعلاً كان يجب علينا ان نعيده الآن واننا شنعنا على البرنس كاتاني وذلك يتضمن تخطئة المصريين الذين احتفلوا به .  
 وقد رأى القراء انه ليس في عبارتنا تشنيع على كاتاني واكثر ما يفهم من ردنا على صاحب المؤيد ان ما قرره عن البرنس كاتاني مخالف لمقيدة المسلمين في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وليس هذا بتشنيع عليه لانه ليس يعلم فيطالب بأن يكون كلامه مطابقاً لاعتقاد المسلمين . واما احتفال المصريين به فلم يأت له ذكر في كلامنا لاتصريحاً ولا لتلويحاً ولم يحتفلوا به لانه مسلم بل لانه كتب تاريخاً صرح فيه باعتقاده من غير تحامل ولا تعصب . وقد صرح لورد كرومر بانتقاده فرأيت كما رأى المؤيد ان كلامه كاد يكون طعناً في أصل الاسلام فكنت اليه كتابة كان أثرها انه كتب يبرئ القرآن والسنة من الطعن . وقد صرح صاحب المؤيد يومئذ بان ما كتبه لي اللورد هو رجوع عما كتب في تقريره . فانا الآن اطلب من صاحب المؤيد كما طلبت من اللورد تبرئة القرآن مما كتبه فمسي ان لا يكون لورد كرومر خيراً منه في الرجوع الى الحق بعد ما تبين له

وغرض صاحب المؤيد مما كتبه ظاهر وسببه بين وهو انه عجز عن رد الججج التي دمغنا به دعواه في القرآن وصعب عليه الاعتراف بالحق الذي طالبناه به فانتقم منا بتحريض من احتفلوا بالبرنس علينا وهم أعلى فيها واداباً من ان ينخدعوا بمثل ما كتب . ولم يذكروا انكارنا عليه حتى لا يدري به من يقرأ المؤيد ولم يكن اطاع على الجريدة يوم الخميس الماضي تلك شفشتته وذلك مبلغه من العلم ولولا انه عاد الى تأييد قوله

الاول - بأن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل قوة دينية كانت له أي فوق اصطفاؤه الله له بالنبوة وتأيدته بالقرآن وان العمدة في نفوذه هي السياسة والحكمة - واحتج بقوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» لما كتبنا اليوم شيئاً في إعادة دعوته الى التوبة مما كتب والرجوع عنه كتابة في المؤيد

أما الدليل في المقالة الاولى علي ما قلنا انه اعتقاد المسلمين وأيدناه بالآيات والاحاديث ومنه ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العليا وسياسته المثلى مستمدة من القرآن فصرف الشيخ علي نظره عن ذلك وتعاد ينقل انما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» ولم يذكر الآية بتامها لانها حجة لنا عليه فكان مثله كمثل من استدلل على تحريم الصلاة بقوله تعالى «يا أيها الذين امنوا اتقوا الله الصلوا» وسكت عن قوله «وانتم سكارى» الخ

هذا نص الآية (١٥٩:٣) فبارحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ) فهل تدل هذه الآية على ان تلك الاخلاق العالية والمعاملة الحسنة كانت بتأييد الله اياه وتأديبه له بالقرآن كما نعتقد نحن المسلمين أم كانت بسياسته وحنكته أي تجاربه صلى الله عليه وسلم كما يقول الشيخ علي يوسف تأييداً لكلام البرنس كإتاني ؟

ألم يصرح جهاينة المفسرين بان قوله تعالى «فبارحمة» يفيد ان هذا كان برحمة الله وتوفيقه اياه وان تأكيد السببية هنا بلفظ «ما»



يدل على الحصر كما في الكشف ومعنى هذا انه لم يكن ذلك بكسبه واجتهاده ولا سياسته وتجاربه وانما هو بتأييد الله وتوفيقه . وذلك من آثار النبوة التي هي غير مكتسبة بالتجارب والسياسة ؟؟ ويؤيد ذلك بقية الآية وبامثالها هي وامثالها مموثة تلك الرحمة كان رؤوفاً رحيماً لا فظاً ولا غليظاً. ويدعم ذلك قوله في اخرها « فاذا عزمت فتوكل على الله » ولم يقل توكل على سياستك وتجارتك

ومن أمثلة هذا في القرآن قول تعالى (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى) الآيات وسببها معروف لمن خصه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عطاء قريش الى الاسلام في اول الاسلام فجاءه عبس الله بن أم مكتوم الا عمى وهو من السابقين الاولين يسأله ان يعلمه فعبس (ص) وأعرض عنه لئلا ينفر من اقباله عليه أولئك الكبراء وكان من اجتراده (ص) يومئذ ان الكبراء اذ دخلوا في الاسلام أولاً لا يلبث ان يتبهمم الناس فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً ونهاه عن مثل ما فعل فقال (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى ٣ وما يدريك امله يزكى ٤ او يدكر فننقمه الذكرى ٥ اما من استغنى ٦ فانت له تصدى ٧ وما عليك الا يزكى ٨ واما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فانت عنه تلهي ١١ كلا» فعمل صلى الله عليه وسلم بهذا التأديب والتعليم الالهي من اول الاسلام فكان ذلك عوناً على استمرار دعوته التي كان روحها والمؤثر الاكبر فيها هو القرآن لا السياسة والحنكة كما يدعي الشيخ علي يوسف

اما الدلائل النقلية على تأثير القرآن في جذب العرب الى الاسلام

فهي كثيرة وأذكر لسعادة صاحب المؤيد منها اسلام عمر رضي الله عنه وهو الذي أعز الله به الاسلام كما ورد . كان عمر في الجاهلية فظاً غليظاً ولما سمع باسلام اخته وختنه (زوجها) عظم عليه الامر فجاءها وضربها حتى أدماها وكانت تقرأ هي وزوجها صحفاً من القرآن الكريم فأخفتها عنه فما زال حتى أخذها وقرأها فجذبتة الى الاسلام جذباً وكان بعد ذلك من رحمته أن كان يطوف بالليل يتفقد المحتاجين وقصته في جمل الدقيق ليلا الى موضع تلك المرأة البائسة وطبخه مشهورة

وحسبك من تأثير القرآن ان كان الغالون في العناد والجحود من كفار قريش يهربون من سماعه ثملا يجذبهم الى الاسلام بقوة تأثيره (٢٦:٤١) وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن وانفوا فيه لعلكم تغلبون

فأدعو سعادة الشيخ علي يوسف بعد هذا البيان الى الرجوع عما كتبه من قبل والتصريح بان قوة النبي الدينية ، كانت فوق كل قوة له بشرية ، وكل سياسة وحنكة عادية ، وان القرآن الحكيم هو منشأ آدابه واخلاقه وسياسته عليه الصلاة والسلام وان سيادته وبجاحه كنا بذلك قبل كل شيء وفوق كل شيء والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

وبعد ان نشرنا في الجريدة ما تقدم رأينا كثيرا من اهل العلم والغيرة صرنا حين مسرورين مما كتبناه وقالوا ان هذا الرد من فروض الكفاية تمت به فسقط الحرج عن كل عالم قادر عليه . وكتب الينا عبدالله افندي الانصاري مدرس العلوم العربية في المدرسة التوفيقية ما يأتي :

حضرة العلامة الفضال صديقنا الصادق في الله تعالى السيد محمد

رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فلقد اطلعت في صحيفة المؤيد  
على ما نشرته من رأي البرنس كاتاني في محمد صلى الله عليه وسلم  
ومجادلتها منه وعلى ما جاء في الجريدة عن ذلك وردكم هو الحق الصراح ،  
والنور الواضح ، والبيان الفصاح ، لدعائس الملحدين ، لنور رب العالمين ،  
فجزاكم الله خيرا عن الاسلام واهليه ، والشرع وحامله ، ولما رأيت  
مجادلة صاحب المؤيد عن ذلك الرأي ، واصراره على عدم رفق هذا الفتق ،  
والانصياع الى سلطان الحق ، محابة في الرد ، ومداراة للقصد ، اختلست  
ساعة من أوقاتي المملوءة بالاشغال المدرسية ، كما لا يخفى لتحرير هذه المقالة  
تأييدا لرأيكم الاصيل ، وتسديدا لقولكم النبيل ، فأرجو نشرها ان  
استحسنتم في مناركم الرفيع والسلام عليكم اولا وآخرا وباطنا وظاهرا  
من أخيك عبد الله الانصاري

وهذه هي مقالة الاستاذ الانصاري المفيدة بنصها

## لا هوانة في الدين

لقد جاء انتقاد الجريدة وردودها على ما نشرته صحيفة المؤيد من  
رأي البرنس كاتاني في مبلغ الرسالة الاسلامية واعجابها به مطلقا لما اتقد  
في صدور ذوي الفيرة على الدين بنفثات الذين يريدون المحاباة في الاسلام  
والتساهل الذي قد اتخذه كثير من دعاة المدينة المصرية من المسلمين  
وسيلة الى احداث شأن جديد في الدين عند من اكبرتهم نفوسهم عن

من لا تروج لديهم بضائع اهل الملل والاديان ولا يروق في نظرهم ان ينسبوا ما جاء في الشرائع الالهية، وعلم من آداب الاديان السماوية، الا الى مجرد فطنة ودهاء واضمها بصفة كونهم ساسة عقلاء لارسلا وأنبياء ذلك ما يقرع الاسماع كثيرا من بعض المخالفين في كنه العقيدة الاسلامية وما القصد من ذلك الا ان يفيض اعتقاد المسلمين في قرآنهم القائم بين أيديهم الى الآن وتنفصم عراه من قلوبهم فلا يتمسكون به حتى يضموا أيديهم في يد اهل المدينة الغربية، ولو آل الامر الى المجازاة في مثل ذلك الرأي ونبت عقيدة ان الدين وضع الهي وان الكتاب وحي سماوي لم يكن للرسول فيه ولا للالتفاف الناس حولهم الا التبليغ والتبيين « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتنون او يحدث لهم ذكرا » هوّن ذلك التساهل على سعادة صاحب المؤيد أن ينشر على ملا المسلمين ذلك الرأي بصورة راقية ويجادل عنه وكله كما لا يخفى على بصير مناسخ مخالفة لصرح القرآن، هادمة لبني الايمان، اذ يجمل نجاح الدعوة المحمدية، بما كان له صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق البشرية والحنكة - التي ربما يقولون بهد «انها كما تكون له تكون لغيره من البشر قبله وبعده من العقلاء والمجربين، والساسة المحنكين» -

اكثر من كونه نبيا مرسلا، وصاحب كتاب منزل

هكذا قال آية الحق من العرب ومكابروهم فيه وقد خصهم الله وألزمهم الحجة واتمى الامر باعتراف المؤمن وغير المؤمن بسمو مكانة القرآن الكريم عند من يدرك معناه ويتصور مبناه من حين نزوله الى اليوم . أما الآن وقد مضى على التنزيل اكثر من ثلاثة عشر قرنا فقد

اصبغنا بزوج هذه الدعوى ونرضاهما على لسان المسيو كائتاني ليقال انا متساهلون متسامحون، او متورون متمذنون

لست اقصد رمي سمادة صاحب المؤيد بما رمته به الجريدة من المروق لشعر هذا المعتقد وترووجه بين المسامين وانما اقول أولا لانصدق ان سعادته لا يصل ذهنه الى اعماق هذا الرأي وما وراءه ولا نسي، الظن فيه بكونه يرضاه عقيدة له فلم يكن هناك الا ذلك التساهل الذي ما ساق كثير من الناس اليه الآن إلا اعظام كل ما جاء على السنة متقصين من موافق ومخالف، والزهد فيما لدينا من تالد وطارف، وإلا فليس ما رضىه الشيخ اليوم عن كائتاني بأهون مسا ولا اخف وخزافي احشاء الاسلام من ذلك الرأي الغابر الذي ارهف له قلمه وجرده يقطر غيرة وحمية، ام هي الاهواء، تقبح وتحسن ما تشاء،

ما أخسرتنا واضيعنا في كل حال لو بذلنا في اغراضنا ومقاصدنا الدينوية اسلامنا وطوحنا بقراءتنا في مهاوي التساهل الماحي والتسامح المالحق لدرك كلمه تقال فينا أو جذب عاطفة تشهد لنا باننا رقيقنا وادر كناننا شأوا المتقدمين ما تشرئب اليه الأعناق وما نحن ببالني ذلك منهم ولو صرنا لعبادتهم خاضعين

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم أميا بين اميين ليسوا اهل ملك وسياسة حتى بلغ الاربعين ولم يكن له من شؤون دنياه في اكثر حالاته الا الاشتغال بعبادة ربه والانقطاع عما فيه الناس حينئذ فهو الى ذلك الحين أبعد عن مجاري السياسة، ومواج حيل الرئاسة، حتى صدمع بالدعوة بلا هوادة فيها وسار بها من أول امرها وفي جميع اطوارها برعاية ربه وعناية مرسله

سيراً حيثما كان له فيه القلب من أوله الى آخره بين جدال وجلاد، وبلاء واجتهاد، والقران لا غير مصدره ومورده، ومرشده ومعتده، في كل شيء . ولقد كان يرجي الامر حتى يتلقى فيه قرآناً ونحن نحاطب بذلك من يتصورون أطوار الرسالة المحمدية ويتخيّلون حالة الامة العربية حينئذ ويمضون في فهم كتاب الله ويقدرونه قدره وما كان عليه العرب من النزول على حكم البيان الذي بلغ في القرآن مبلغ الاعجاز فكان عليه وحده في الهداية ونجاح الدعوة المعول اكثر من كونه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم او ذا سياسة وحكمة

( وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهيدي به من نشاء من عبادنا وابك لتهدى الى صراط مستقيم \* صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور )

لم يذق أحد من نباء المسلمين اليوم ولا قبل اليوم بقرون فضلاً عن المسيو كائتاني حتى سعادة الشيخ علي يوسف ما ذاق أصحاب النبي في هده من القرآن وهم في حجور الوثنية، واحضان الهمجية، فانتشلهم وطهرهم فكان موقع القرآن منهم . وقع الزلال من ذي الغلة ، والدواء من ذي الغلة ، والا فما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم بدون تأييد الوحي المنزل الذي هو حجته الكبرى وآيته العظمى القائمة عند من له قلب أو ألقى السم وهو شهيد فلا يقال حينئذ « والا فالقرآن بين أيدينا ولم يعمل عمله فينا » (أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب بتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون )

لم يرتض اصحاب رسول الله ما قاله أبو سفيان وقد أقيمت جموع الفتح قبيلة قبيلة وهو قائم بين جمع من الصحابة وفيهم (العباس) أهدأ عمم النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل مع ابي بكر وعمر في كتيبه الخصراء يقولون الحمد لله وحده، صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فقال أبو سفيان (لثمان) صار لابن اخيك ملك عظيم . فقال له يا ابا سفيان - انما ذلك الوحي والرسالة . فكيف رضي او تقبل ان يكون ما وصل اليه - نبينا من الظفر والقلب في أمر دعوته الى الله بسياسته وحنكته ، أكثر من نبوته ورسالاته؟ اللهم انا نبرأ اليك من هذا براءة الحق من الباطل . فليصن سعادة صاحب المؤيد غيرته على الاسلام من ان يفض طرفه على اذى فيه فرب تالمح انكأ من تصریح ، ومدح آلم من تجرح ، وليحفظ مكاتته في قلوب أهل الله ، من ان يحابي في دينهم ، على مرأى ومسمع منهم ، فإنه لاهوادة في الدين

عبدالله الانصاري

(المنار) هذا وان الموضوع يتسع لإطالة القول وايراد الشواهد الكثيرة من الآيات الكريمة والسيرة النبوية وانما اکتفينا بما كتبناه على عجل في إدارة «الجريدة» لاننا نقصده تذكير المسلمين ، لا إقامة الحجة على المخالفين ، وقد سكت صاحب المؤيد بعد نشرنا المقالة الثانية ويغلب على ظننا انه ندم على ما فرط منه ولكن كان يجب عليه ان ينشر حقيقة العقيدة الاسلامية في ذلك بالمؤيد ليطلع عليها من قرأوا كتابته الأولى اذا ما كل من يقرأ المؤيد يقرأ الجريدة (وبالعكس) ولو فعل لما نشرنا شيئاً من هذا البحث في المنار .

## ماهي اللغة

خطبة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية  
في نادي دار العلوم

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص الذي يكون به الكلام . وعليه فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبثقة عن مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتمبير عن حركة من حركات النفس . ينتج من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعية وصناعية

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في المباديات الخارجة عنه وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الرسم والحفر والكتابة ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونه مفهوماً بذاته مع جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء واصوات الغضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانه عبارة عن مجموع



الالفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن الترا كيب والصيغ  
الناتجة من تأليف هذه الالفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الاذن او العين  
معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأني ان يكون الكلام الصناعي عاما اي ان كل الناس يدركون  
المراد منه كالرسم مثلا وعلى هذا يتضح خطأ تمرينهم اللفظ بأنها اصوات  
يمبر بها كل قوم عن اغراضهم

والصحيح ان اللفظ هي مجموعة العادات المخصوصة التي تجري عليها  
كل امة في التعبير عن اغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان  
معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللفظ على ذلك المجموع الا اذا كانت النسبة  
تامة بين اللفظ ومدلوله لان قوة اللفظ متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان  
الاذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارئ صورة المدلول كما هي  
ولا يتم ذلك الا باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول ان يكون لكل مدلول علامة خاصة به تدل عليه  
دائماً ولا تدل على غيره ابداً

الشرط الثاني ان تكون هذه العلامة قابلة للتعبير بتغير المدلول وتبعا له

الشرط الثالث ان تكون قابلة للاشتقاق لمدلولها فاذا اشتق منه

مدلول اشتق منها علامة دالة عليه بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللفظ الحقيقية بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول . ان يكون تعبيرها محكما وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين

الذال والمدلول ولا سبيل الي هذا الا اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجله وهذا الشرط صعب التوفر فما وقت لفة حتى الآن لنيل هذه المزية اللهم الا لفة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تنالها ابداً

الثاني الملابسه وهي الخاصة الموجودة في الالفاظ او التراكيب اي الصيغ . تلك الخاصة التي يدرك بها الفاعل نظائر المدلول ونفائضه والملابسه تقتضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الاصلية الا نادراً

الثالث الوضوح التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وترتيب الجمل ترتيباً وتركيباً يتقني معهما الابهام ويرفع الشك والالتباس ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاغراب في التعبير " ب في ظلمتها وتسر فهمها وكما كان القول طيميا اي بسيطاً " طرق الكلام على انها طريقة العلم

النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فاني

اعمل لغات امم اوروبا المعروفة بهذا

غيرها فاجدها لغات ممتازة تماما

هولا يعرف كلمة واحدة

تحتية هي لفة

اعن اصحابها

نه

على ذلك لا تحصى يعرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبية . هم يعملون ذلك حتى في العلوم قري الحكيم الفرنسي وهو يقرر مذهبه عند ما يأتي على ما يخالفه من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يعبر عنه بغير لفظه الالمانى وهكذا ثم يذكر بهامش كتابه معناه ما كان هذا لفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الخناز والاشفاق عليها بل ما زادت لغاتهم بهذا الاطلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربية عامة لتكون الالفاظ الغريبة عن لغتهم برهانا عن سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلا على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمته

قالوا ان ذلك جائز عند تمائل احرف هجائهم واحقاد صورها واشكالها واما نحن فلا قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست أرى في هذا الاعتراض الا انه دليل أحد امرين فاما شعور يعجزنا عن المجازاة فنثور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي أيضاً الى الاصلاح لتتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجملنا تنطق كلماتهم كما ينطقون وننقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حمتنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيه مصابحتنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا ليس لأحد ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فن له يسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد

في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم ومحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان اخذ العرب المعلوم عن اهلها ونقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها استمضاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الفريب عنها لاجرامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسبنا نحن ان زمانا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والازواء على انهم في عزم وبدو فخارهم وتمكنهم من انفسهم لم يعتزوا بلقنهم فينفروا من العجمة لانها عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكينا للقنهم وخذرا من ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجاراة تيار التقدم وهم اولو الرأي فيه وخوفا من ان يميقتهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تعاصرهم . أيجوز لنا ان نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقتهم بحجة انهم انقرضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نمخطوا بدمهم خطوة الى الامام الكن من الذي استأجرنا حراسا من الخرس على هذه الوديعة؟ وبأي قوة اخضعتنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال المزامم انقص في الافهام ، ام قصر في الاجسام ، ام جهل بنا من البشر لنا كل حقوق الانسان ؟ ؟

ليس لنا ان نتمسك بالقديم لقدمه وان اصبح عديم الجدوى ، والا فاولى بنا ان نكف عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا

عن الإباء لنبيش كما عاش الأولون . غير اني ارجوكم ان تعلموا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابكم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم، ولا تحزنوا اذا هصرتكم عوامل الرقي فنسيتم بن يقف متفرجا عليكم وانتم كالصود المتحركة الناطقة لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانه وتنطق لغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على السنة المنفرجين جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربية وحسبوها طعاماً سهل التناول والهضم في ممد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا انا لا نطبق اسماً عجيباً يدخل عليها

اليس هي تلك اللغة الحافظة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول الفصيح المصونة بكتاب الله تعالى و-نة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي لن تأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها ويشد أزرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطعم الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما أسد ما اجاب به عن هذا الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلاخوف على القرآن مادام في الوجود مسلم . الا ترون ان القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربية من المسلمين اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك اعم تعد خلقاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امته وهو مع ذلك يحرص على القرآن أشد من حرص الجبان على دمه

أيعجزكم ان تحافظوا على القرآن بيمينكم وتفسحوا المجال في لغتكم للتقدم باليسار لتناولوا السطادتين وتكونوا من الناجحين في الدارين؟

قالوا العلم نافع قالوا كثير منه يخالف للدين قالوا الحضارة تهددنا  
فلتقم بها قالوا هي يخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسورها قالوا  
حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جرائم هذا قال الفريج عنا انا قوم جامدون  
وما جودنا الا من الدين فصحنا مع هذا وقتنا لهم بل انتم قوم ظالمون .  
مالنا وللدين نجره في كل امر وتقيمه حاجزا في وجه كل باحث حتى في  
الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان نسير  
على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يعلم الله مقدار  
بعدها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابه المفتحة امامكم ولا تتأخروا فلستم  
وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الا بلفتكم فاعتنوا بها وأصلحوها  
وهيئوها لتكون آلة صالح . فيما يتفنون لكن لا تكثروا من الاشتقاق  
الخارج عن حد القياس المعقول ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك  
او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والمعجمة تهددها على السنة العامة  
وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل  
الجارف سدا من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند  
الضرورة لتكفوا من الناجحين اه

( المنار ) ألقى أحمد فتحي باشا هذه الخطبة في الاجتماع الثالث

لنادي دار العلوم وزاد عليها ما جادت به البديهة ارنجالا من الفوائد  
والنصائح . وخطب بعده حفي بك ناصف رئيس النادي خطبة مطولة  
في اللغة وفنونها . وافق الجمهور بمدد ذلك على وجوب التماس الالفاظ العربية  
للمستحدثات بالترجمة والتجوز والاشتقاق ثم يلجأ الى التعريب ان لم يتيسر ذلك

وقد كتب اليها النادي صورة هذا الاتفاق بالمباراة الآتية وأرسلها الى جميع الصحف المشهورة :

### ﴿ قرار نادي دار العلوم في الترجمة والتعريب ﴾

هذه صورة القرار الذي صدر بنادي دار العلوم في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة فقرر ان يكون العمل على النحو الآتي : يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضع على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمد عليه المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض رئيس النادي حفي ناصف

( المار ) قد تحامى رئيس النادي في عبارته اللفظ الذي اتفق عليه جمهور من حضروا الاجتماع الاخير من اعضاء النادي وغيرهم وهو لفظ ( التعريب ) فقال « يستعار اللفظ الاعجمي » وهو يرمي بذلك الى عدم تسمية ما يؤخذ من الكلام الاعجمي معرباً بحفاظة على اصطلاح المتقدمين . ولكنه عبر بلفظ اصطلاحى آخر من الاستعارة وهو لا يقصد به معنى الاستعارة في فن البيان وانما يقصد معناه اللغوي المرافق للاصطلاح الشرعي والمتبادر انه يرمي بذلك الى ان هذا الاخذ يجب ان يكون من قبيل المارية التي تستعمل زمنا ثم ترد ولكن هذا خلاف ماوافق عليه الجمهور كما تقدم ولسه قرار خاص لمجلس ادارة النادي . وعلي هذا يكون الخلاف في المسألة على حاله



## الدين الاسلامي والمدنية

رسالة لصاحب التوقيع اقتبس بها بعض شهادات علماء الأفرنج للإسلام والعرب  
نشرناها ترغيباً لئله في هذا الموضوع وإن سبق لنا نشر هذه الافكار في المآرام

(فهرس) حالة العالم قبل وجود الديانة الاسلامية - حقيقة الديانة  
الاسلامية - أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته - الدين الاسلامي دين  
الفضرة - الدين الاسلامي دين المدنية والترقي - سديو ودروي - اثبات  
نبوته صلى الله عليه وسلم - قول العمرانيين فيه - حكم المؤرخين عليه - الاسلام  
ليس بدين جديد - الدين الاسلامي ليس بالدين الضيق - كل رقي في  
العلوم الطبيعية يدعو الى التقرب من الديانة الاسلامية - الدين الاسلامي  
هو أنشودة الفلاسفة في المستقبل

\*\*\*

اني أكتب ما أكتب عالماً علم اليقين ان الديانة الاسلامية ليست  
بالشيء العويص الذي لا يمكن للانسان استكناه مجاهيله، أو استشفاف  
مساثيره، بل هي مما يمكن تحققها بالاختبار والتجربة اذا صمد الانسان  
بمنطاد بحته الى سماء الحقيقة غير متمصب لفريق دون آخر فهذا يطل  
الانسان على كبد حقيقتها ويعرف كنهها من سمو ترتيبها ومتانة قواعدها  
وإحكام نظامها فيحكم بأنها ليست بالديانة التي أوجدتها قريحة آدمي مهما  
حاز الصفات والكالات ولكنها هي هداية الآهية، يخالف جوهرها جوهر  
الافكار البشرية -

ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب وقد كانت قومه في هوة الأخطاط بميدان عن التمدن والرقى الفكري بذلك على ذلك وأدهم لبناتهم وهن على قيد الحياة وعبادة الاوثان وغير ذلك من الاخلاق الذميمة التي تقضي بمتبها الى الخسران والمهلك المبين وليست بلاد العرب فقط هي التي كانت في تلك الحالة بل ما جاورها ايضا من بلاد الرومان في الغرب وبلاد المجرم في الشرق فان هاتين الدولتين كانتا يتنازعا الحياة وناهيك بما حصل في شأن ذلك من الفتن والقتال التي لم تدع قلباً سليماً في البشرية يتمتع بالراحة الا واسقته مما هو أمر من الصاب والمقتم - كل هذه القلاقل المزعجة والكوارث المدممة جاء الاسلام ليجوها من على ظهور الوجود وليؤيد السلام العام والوثام التام وليكون واسطة بين التمدن الحديث وبين التمدن القديم فلم يمض غير قليل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الا ورأينا بلاد العرب في وقت واحد ترسل جيشين أحدهما لمحاربة القياصرة والثاني لمحاربة الاكاسرة ففتحوها وانها لت عليهم خيراتها وظلوا ناهجين في التقدم الى ان بلغوا في ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ظرف ثمانية قرون واستخرجوا كنوز اليونان والاعاجم والهنود في العلوم والمعارف وبلغوا الطبقة الثالثة من الرقي في العلوم الطبيعية وهي طبقة الامتحان والتجربة واليك شهادة عالم من كبار علماء الطبيعة قال: «يجب علينا معاشر الباحثين ان نهتم بالكنوز التي تركها العرب فان فيها حقائق وأفكاراً سامية تدعو الى الاكتشاف والاختراع لان العرب تقدموا في العلوم الطبيعية تقدماً مذهماً للغاية حتى بلغوا الطبقة الثالثة من الرقي فيها الا وهي طبقة الامتحان والتجربة وناهيك ان نظرية الانحراف في

نفس  
كتبه  
في الآلات  
النظر وانكاس  
والنظر كتاباً في  
ومقدار الاشياء الظاه  
عند الشروق أو الغروب  
وقال أيضاً دروي في  
لا يرون الضوء الا من سم  
الاسلامية من علوم ادب وفلسف  
كانت بغداد والبصرة وسمرقندودم  
مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومن  
أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات  
وهذه هي اقوال الفلاسفة وكبار النو

دانية على ان الدين الاسلامي دين الترقى والمدنية . هذه هي آثار الدين  
 وآثار امله الذين تمسكوا به واما حقيقة الدين فهي كما قال مسيو مسير  
 ورئيس الارشالية المصرية ردا على الفيلسوف ارنست رينان في خطبة له في  
 جمعية العلماء « نحن معاصر المحققين من الفلاسفة نقول ان من تأمل كلام  
 القرآن رأى ان محور الاسلام الوجدانية وقطبيه المؤاخاة وتحسين شؤون  
 العالم بالتدريج بواسطة العلم وهذه هي حقيقة اسباب نصره الاسلام »  
 وقال كاتب آخر من مشاهير كتاب الغرب في مجلة ( الكوارترلى ريفو )  
 في مقالة عنوانها ( الاسباب الحقيقية في ارتقاع وأنحطاط الامم الاسلامية )  
 « لما كان الدين الاسلامي جامعا بين الدين والدنيا كان ذلك من ام اسباب  
 كثرة الواردين اليه فان الرجل عند ما يسلم يصبح اخا لثلاث مئة مليون  
 من النفوس له مالم وعليه ما عليهم ولعمري ان ذلك مما يزيد علائق المحبة  
 ويربط الهبة الاجتماعية ثم استدل على ذلك بكلام كتبه بوسويرث سميث  
 في كتابه المسمى ( محمد والديانة المحمدية ) لا حاجة لنا بسرده في هذا المقام  
 يرى القارئ الكريم من خلال هذه السطور التي كتبناها عن  
 الديانة الاسلامية مستندين على أقوال الفلاسفة والحكام وكبار المؤرخين  
 والكتاب ان الديانة الاسلامية تزداد كل يوم في الحجج ويشهد العلماء  
 المحققون بروحانيتها حتى أن المسير ارنست رنان الذي حمل حملته على  
 الديانة الاسلامية والعلوم العربية كتب بمدان زجر وواعد، وبارق وارعده،  
 « ان في دين الاسلام اذكما رفيعة المقام وما دخلت جامعا الا وحصل  
 لي أنجذاب لدين الاسلام وتأسفت على عدم كوني مسلما لولا ان هذا  
 الدين أخر العقل البشري وحجبه عن التأمل في حقائق الاشياء » ولكن

عبارة مسيو رنان الاخيرة ليس لها ادنى نصيب من الصحة وقد علم من كلامنا الذي اسلفناه الجواب الشافي من علة المسيو رنان. والى هنا تمسك عنان اليراع عن الخوض في هذا الموضوع فان في ذلك القدر الكفاية، لارباب المتول والهداية،  
علي سيد يوسف

( المنار ) ان حكيمي الاسلام السيد جمال الدين والاستاذ الامام قد ردا في اوربا على رينان ، وقطعا ما جاء به من الزور والبهتان ، بسيف الحجة والبرهان ، حتى اضطر الى الاذعان ، فرحبها الله وحبها الروح والريحان



## كلمات عن العراق واهله

( لعالم غيور على الهدوة . ومذهب أهل السنة )

العراق ولا ازيدك به علما من افضل الاقطار تربة وطيب هواء  
وعذوبة ماء وبه أنهار عظيمة كدجلة والفرات ورياله وقارون تنساب فيه  
انسباب الافحوان ، وتخترق منه كل مكان ، غير ان اكثره خراب ، ينفق  
فيه اليوم والغراب ، لسر المواصلات وفقد الامن وحرمانه من نور  
المعارف والمدنية . والحكومة فيه كما هي في غيره : عبارة عن شركة  
سلب ونهب وفساد ، تعمل في خراب البلاد وهلاك العباد ، وهم في غمرتهم  
ساهون ، وعن الدسائس الاجنبية عمون ، حتى أصبح بر العراق كله



أجمع لفنون الفضل وصفات الكمال كشكري أفندي الآكوسي وابن عمه  
 الحاج علي أفندي فلقد رأيت من سعة اطلاعها وقوة دينها وسلامة  
 عقيدتها السلفية واستنارة عقولها ووقوفها على حكمة الدين وأسراره،  
 واطلاعها على أمراض الإسلام، واتهابها غيرة وحمية على الدين  
 ومجاهدتها في سبيله فريقا من الجامدين من المقلدة وعباد القبور ما بهرني  
 وعشقتني فيهما. ولقد اودوا في هذا السبيل وامتحنوا فما ضنقوا وما استكانوا  
 ولا يزالان يصدعان بالحق ويهتنان بضرورة الإصلاح مع منازعة اليأس  
 لهما. واعدائهما من عبدة القبور والأوهام وانصار التقليد والخرافات  
 يبتدونهم باسم الوهابية لينفروا منهم، ويمرضوا الحكومة على اضطهادهم  
 غير أن حزبه من ذوي العقول النيرة وطلاب الإصلاح أخذ ينمو عدده  
 ويكثر عضده، وكلهم أو جلهم من الأعيان، وذوي المكاة ورفعة  
 الشأن، ولم أر احدا يقدر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم قدرها مثلها ما  
 تمشق غريب فيها وقد سميا في طبع الكثير  
 تتبعها والسعي في ط. الأما

بالشيخ نعمان افندي الآكوسي رحمه الله لتأليفه كتاب (جلاء العينين في  
 محاكمة الاحمدين) وذمه وذم عائلته وذكر انهم أصيبوا بالحن فلم يبتبروا  
 ولا اتفظوا. ويزعم انه من مجددي الدين في هذا العصر. وهكذا بلغ به  
 الغرور الى هذا المبلغ والجنون فنون» اهـ ما أردنا نشره من هذه الرسالة  
 ويليهِ كلام حسن في الاستاذ الامام والمنار وصاحبه يتعلق بالاصلاح  
 أضربنا عن ذكره مع حمد كاتبه وشكره  
 ونقول قد ذكرنا هذه الرسالة بما كنا كتبناه في المجلد الثاني من  
 المنار (في رمضان سنة ١٣١٧) من نشر مذهب الشيعة في العراق وهذا نصه :  
 قرأنا في بعض الجرائد ان الدولة العلية قد عزمت على ارسال بعض  
 العلماء الى سناجق البصرة والمنتفك وكر بلا لارشاد القبائل الرحالة هناك  
 وقرأنا في بعضها انه قد صدرت الارادة السنية بذلك فملا ونحمد الله  
 تعالى ان الدولة العلية قد تبهت لهذا الامر قبل ان يخرج من يدها بالمره  
 فقد سبقها الشيعة وبنوا الوعاظ والمرشدين في هذه القبائل وغيرها من  
 العربان الضارين على ضفاف الدجلة والفرات فدخلوا معظمهم في مذهب  
 الشيعة. يذهب الملا الشيعي الى القبيلة فيمتزج بشيخها امتزاج الماء بالراح  
 بما يسهل عليه من أمر التكليف الشرعية ويحمله على هواه فيها كالباحه  
 التمتع بالعدد الكثير من النساء الذي له الشأن الاكبر عند أولئك الشيوخ  
 وغير ذلك حتى يكون وليجته وعيبه سره ومستشاره في أمره فيتمكن  
 الملا بذلك من بث مذهبه في القبيلة بأقرب وقت ويكتفي من السياسة  
 غالبا بإفهام القوم ان رئيس طائفة الشيعة المحقة شاه العجم ورئيس  
 الطائفة الاخرى المسماة بالسنية السلطان عبد الحميد ولا شك ان هؤلاء



يكونون عوناً لرئيس مذهبهم اذا وقع نزاع ( لا قدر الله ) بينه وبين  
رئيس المذهب الآخر وان كانوا في بلاد الآخر ويمكن للدولة العلية  
ان تتدارك الامر بمحض التدارك اذا كان الدين تحتارم للإرشاد والتعليم  
أهل حكمة وغيره حقيقة يهيمهم الاصلاح والارشاد بحيث يقدمونه على  
مناقضهم الشخصية على ان الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لا يحرم  
من أجر الدنيا بل ربما كان نجاحه أتم وقد استغنى جميع دعاة الشيعة في تلك  
القبائل مع حصولهم على غرضهم في نشر المذهب . وليبدأ دعاة الدولة العلية  
بمن على الفرات فان فيهم عدداً كبيراً لم يزل على مذهب أهل السنة ، والله  
الموفق اه ( من ص ٦٨٧ م ٢ )

هذا ما كتبناه من نحو تسع سنين . ونقول الآن ان اكثر من اجابوا  
دعوة علماء الشيعة هناك لم يكونوا على شيء من مذهب أهل السنة فاذا كان  
اولئك الدعاة يثبون فيهم الوعاظ يملونهم الفرائض واحكام الحلال  
والحرام فان ذلك يكون خيراً لهم في دينهم من الحالة التي كانوا عليها ،  
فنعن لا نعد الامر من الجهة الدينية بلاء نازلاً كما عده الاستاذ كاتب  
الرسالة ولكن الامر منهم من الجهة السياسية فان السياسة هي التي كانت ولا  
تزال مثار الخلاف بين أهل السنة والشيعة ولولاها لما كان خلاف وما  
أضاع الدين والدنيا علينا الا الخلاف . وقد كان طلاب الاصلاح بالوحدة  
الاسلامية منتبطين بما حصل في هذه السنين الاخيرة من التآلف والتعارف  
بين الفريقين حتى وقع أخيراً ما وقع من التمدي على الحدود فباتوا يخشون  
ان تهدم السياسة السوءى في سنة واحدة ما بناه دعاة الاصلاح في عشرات  
من السنين . فسأل الله ان يقي الاسلام شرها ويكفي المسلمين فتنها وضرها

## فتاوى المنار

هذه هي هذه الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وولده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً ورمزاً قد منما تخرأ لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا يخلط هذا ، وان يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاختلافه

### أسئلة من الحجاز

﴿ القطب والابدال والانجاب والخضر وسند أهل الطريق ﴾

(ص ١-٧)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين  
 حضرة الاستاذ الحكيم والمصلح العظيم علامة الزمان سيدي الزبير  
 السيد محمد رشيد رضا منشي المنار حفظه الرب المنان  
 أحييكم تحية تليق بمقامكم الكريم واسأل الله تعالى ان يحفظكم بحفظه  
 السرمدي وان يهدي الله بكم الضالين . وها أنا ذا مقدم لمقامكم الكريم  
 أسئلة ذات بال أرجوكم الجواب عنها على صفحات مناركم النير  
 ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص ١٠١)  
 أحاديث استدلل بها على وجود الاقطاب والابدال والانجاب والاوناد  
 والنقباء ووجود الخضر عليه السلام وهذا لفظها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ان لله تعالى في الارض ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم وله أربعين قلوبهم

على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قاب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله سبحانه وتعالى مكانه من الثلاثة . الخ  
عن علي رضي الله عنه انه قال البدلاء بالشام والنجباء بمصر والمصائب بالعراق والنفباء بخراسان والاولاد بسائر الارض والخضر عليه السلام سيد القوم الخ

ولم يذكر النهائي سنداً ولا من أي كتاب من كتب الحديث أخرجها فأرجوكم أن تفيدوني هل تصح هذه الاحاديث وهل الخضر عليه السلام حي الى هذا الزمان وما قولكم فيمن يكذب بوجود الخضر وغيره من الاقطاب نرجوكم الجواب الكافي الشافي

وفي كتاب النهائي شواهد الحق ص ١٣٢ يقول ان الشيخ الامير أجازته بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن معقول ومنقول وذكر سنده من الامير الى الحسن البصري عن سيدنا علي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الرب الجليل جل جلاله وتقدس صفاته وامماؤه

ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الاجازة بهذه الصيغة المذكورة هل هي معتبرة عند المحدثين ويعمل بها ام هي ضرب من الخرافات وما على من من انكرها وهل يصح اجتماع الحسن البصري بسيدنا علي ام لا أفيدوني ولكم الاجر سيدي

في كتاب النهائي صحيفه ١٣٥ قال ومن كتب الامام ابن تيمية

كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى  
يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان في النهي في قوله سبحانه وتعالى « وسع  
كرسيه السموات والارض » وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش  
لاحمد بن تيمية ماصورته بخطه : انتهت عبارة كشف الظنون ثم نقلها من  
طريق آخر عن السبكي وحط على الشيخ ابن تيمية ونسبه الى القول بالتجسيم  
وهو براء من ذلك . فلما رأيت هذه العبارة بحثت عن كتاب العرش  
ووجدته عند بعض الاصدقاء فقرأته مرارا ونسخته بيدي من النسخة  
وما وجدت لهذه العبارة رأثمة والنسخة التي قرأتها ونسختها هي بخط عماني  
بدون نقط الظاهر انها كتبت من عهد قديم وكادت ان تمزق من قدمها  
ولحقتها الارضة . فاقولكم في هذه العبارة ابجوز نسبتها الى هذا الامام  
بعد ان بحثنا عنها فما وجدناها في كتابه؟ افيدوني ولكم الاجر سيدي

محكم بالحجاز

م ح ن

### ﴿ أجوبة المنار ﴾

نقول قبل كل شيء ان الشيخ يوسف النبهاني لا يوثق بعلمه ولا بنقله،  
ولا ينبغي لكم ان تحفلوا بكتبه، وقد سئلنا غير مرة عن بعض الخرافات  
التي يثبتها في كتبه المنقطة فلم نجب السائلين بشيء، اذ كان يتوقف ذلك على  
مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها وأي عاقل يسمح باضاعة وقته  
في مراجعة تلك الكتب . اما وقد ذكرتم في هذا الرقم ما سألتكم عنه  
فاليكم الجواب والله الهادي الى الصواب

أما الجواب عن السؤال الأول فاعلم أنه قد ورد في الأبدال عدة روايات لا يصح منها شيء، وإن أشار في كثير العمال إلى تصحيح حديث علي عند أحمد، إلابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلمات رجل أيدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم القيث ويقتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» وفي رواية عنه أنهم ستون. وفي رواية عن عبادة عند أحمد وأخرى عن أبي هريرة أنهم ثلاثون أخرجه عنه ابن حبان في تاريخه. ولم أر أحداً من المحدثين الحفاظ خرج ما ذكره النبائي عن علي ولكن ذكره ابن حجر الميمني في الفتاوى الحديثية على أنه من كلام علي كرم الله وجهه لا من روايته المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك حديث ابن مسعود لم أر من أخرجه عنه باللفظ الذي ذكره. ولكن ابن حجر أورده في فتاواه بسدأثر علي ما زيا آياه إلى الياضي (وذكر في نسخة الفتاوى المطبوعة بمصر الياضي وهو غلط مطبعي) ولم يقل عن ابن مسعود ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم. وكان أبي ابن حجر نقل عن الياضي أن الأبدال سبعة على الأصح ولذلك قال بعد أن أورد حديثه «والحديث الذي ذكره أن صح فيه فوائد خفية (منها) أنه مخاف للعدد السابق قبله. (ومنها) أنه يقضي أن الملائكة أفضل من الأنبياء؟ يعني بخلاف الجمهور أهل السنة» إلى آخر ما قاله علي تقدير صحة الحديث وما هو بصحيح فلا حاجة إلى التنب في استنباط الفوائد والمباحث فيه. ثم قال ابن حجر بعد بحثه فيه «واعلم أن هذا الحديث لم أر من أخرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم ولكن وردت أحاديث تؤيد كثيراً مما ورد فيه وذكر ماورد وحاول تقويته بالحديث الصحيح الذي رواه الشيخان

وغيرها من طرق كثيرة وهو « لا تزال طائفة من امتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون على الناس » ثم نقل عن الامام احمد ان الابدال هم اهل الحديث وعبارته « ان لم يكونوا اهل الحديث فمن هم » واعتمد ابن حجر ان الخلاف في العدد من قبيل الاصطلاح

ثم ذكر واقعة له مع مشايخه في ذلك نذكرها هنا لما فيها من الدلالة على انهم كانوا يقلدون المتصوفة في هذه المسائل من غير ان يقوم عليها دليل من النقل قال

«واقفد وقع لي في هذا المبحث غريبة مع بعض مشايخي هي اني انما ربيت في حجور بعض اهل هذه الطائفة اعنى القوم السالمين من المحذور واللوم فوقر عندي كلامهم لانه صادف قلبا خاليا فتمكن . فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو اربعة عشر سنة ( كذا ) فقرأت مختصر ابي شجاع على شيخنا ابي عبد الله الامام المجمع على بر كته وتنسكه وعليه الشيخ محمد الجويني بالجامع الازهر بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فانجز الكلام في مجلسه يوما الى ذكر القطب والنجباء والقباء والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بنقطة وقال « هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم » فقلت له وكنت اصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا صرية فيه لان اولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب ومن نقل ذلك الامام الياضي وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة . فزاد انكار الشيخ واغلاظه عليّ فلم يسفني الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرتني عليه الا شيخنا

شيخ الاسلام والمسلمين وامام الفقهاء والعارفين ابو يحيى زكريا الانصاري وكان من عادي ابي اقود الشيخ محمد الجويني لانه كان ضريرا واذهب انا وهو الى شيخنا المذكور اعني شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه . فذهبت انا والشيخ محمد الجويني الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجويني لا بأس ان اذكر لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه وتنظر ما عنده فيها . فلما وصلنا اليه اقبل على الشيخ الجويني وبالغ في اكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لي بدعوات منها « اللهم فقهه في الدين » وكان كثيرا ما يدعو لي بذلك . فلما تم كلام الشيخ واراد الجويني الانصراف قلت لشيخ الاسلام يا سيدي القطب والاولاد والنجباء والابدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية هل هم موجودون حقيقة ؟ فقال نعم والله يا ولدي . فقلت له يا سيدي ان الشيخ - واشرت الى الشيخ الجويني - ينكر ذلك ويبالغ في الرد على من ذكره . فقال شيخ الاسلام هكذا فعل يا شيخ محمد ؟ وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الاسلام امنت بذلك وصدقت به وقد ثبت . فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد . ثم قلنا ولم يعاتبني الشيخ الجويني على ما صدر مني « اه

فيؤخذ من هذه الواقعة أمور ( منها ) ان ابن حجر الهيثمي تربي في حجر بعض أهل الطريق وصار تقليدهم وجداناه لا يقبل فيه قول مشايخه وان كانوا عنده من أئمة العلم والعمل والتسك كالشيخ الجويني وهذا هو السبب في انكاره الشديد على شيخ الاسلام ابن تيمية الذي كان لا يقبل في الدين شيئا الا اذا ثبت في الكتاب او السنة نصا أو دلالة . ومن اتبع وجد انه وشعوره النفسي في الأمر لا يقبل فيه دليلا وقد قال الاستاذ

الامام « ان غاية التصوف جعل الدين وجدانا للانسان الذي يتربى عليه لا يقبل فيه مناقشة ولا جدالاً » وهذا حسن اذا لم يدس في الدين ما ليس منه .  
(ومنها) بيان انه كان يوجد في علماء الازهر الاعلام الصالحين الى ذلك العصر من ينكر جهرا على من يقول بوجود القطب والابدال واضرابهم  
(ومنها) ان سؤال شيخ الاسلام زكريا عن المسألة كان مبني على ان ما يقوله الصوفية في القطب والابدال صحيح ام لا لا على ان ذلك هل صح في الاحاديث ام لا . وكذلك كان جواب ابن حجر شيخه الجونبي فقد قال له ان الاولياء اخبروا بذلك وحاشاهم من الكذب ولم يقل ان ذلك قد صح في الحديث . وهذا يوافق قوله الذي اشرنا اليه آنفا في الاختلاف في عدد الأبدال انه من الاصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح (ومنها) ان شيخ الاسلام لم يحتج على الشيخ الجونبي بحديث في ذلك . ونحن نقول أيضاً ان الصوفية اصطلمحوا على وضع هذه الاسماء لمسميات اعتبروا فيها صفات خاصة ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال ابن حجر  
وجملة القول ان حديث ابن مسعود الذي أورده النبي لم يروه الحفاظ عنه فهو مختلف عليه وان حديث علي لم يرد ايضاً بالنظ الذي أورده النبي بل ورد بالفاظ أخرى أقواها ما أخرجه الامام أحمد وقد تقدم . ومن هنا تعلم ان النبي لا علم له بالحديث وانما هو حاطب ليل لا يوثق بنقله كما لا يوثق برأيه ولا يمتد باختياره فانه مقلد للمقلدين الذين يروجون الخرافات وكل ما يحظى صاحبه عند العامة . فهذا هو  
الجواب عن السؤال الاول

وأما الجواب عن الثاني وهو هل الخضر في الاحياء الى اليوم ؟ فاعلم



ان العلماء قد اختلفوا فيه ففاه بعضهم وأثبته آخرون ولكن لم يقل أحد  
 إنه يجب على الناس الايمان به والنقي هو الاصل وليس عند المتبين دليل  
 من كتاب الله ولا من الاحاديث التي يحتج بها ولا من الاجماع الاصولي  
 ( كيف والمسألة خلافية ) والقياس لا مدخل له في المسألة فدعوى وجود  
 الخضر في الاحياء لا تقوم لها حجة شرعية وانما تبع القائلون بها الصوفية  
 لغتهم بهم في كل شيء حتى انهم لا ينكرون عليهم ما يخالف الشرع مخالفة  
 صريحة بل يؤولونه ان لم يؤولوا النص الشرعي . على أن بعض الصوفية  
 يقولون ان الخضرية مقام أو مرتبة لبعض الصالحين يطلق لفظ ( الخضر )  
 على كل من يصل اليها . فاذا ذكر من اجتماع بعض الصوفية بالخضر  
 يفسر بذلك . ومنهم الشيخ الاكبر صاحب الفتوحات المكية فانه يذكر  
 انه اجتمع بالخضر كثير أو يذهب بعضهم الى ان مراده بذلك الاجتماع الروحاني  
 كما يقول انه اجتمع بغلان وفلان من الانبياء وغيرهم من علم موتهم باليقين  
 كالسبتي ابن هارون الرشيد فاني قرأت له في الفتوحات انه رأى انسانا  
 يطوف بالبيت مع الطائفين فينفذ من بين الرجلين المتلاصقين من غير ان  
 يفصل بينهما او يشعر به فعلم انه روحاني فبعه حتى كلبه وعلم انه السبتي ابن هارون  
 الرشيد . وقد أطل السيد الآرمي الكلام في هذه المسألة في تفسيره روح  
 المعاني فكتب فيها عدة أوراق لعله أودعها كل ما قيل فيها وخرج منها  
 على انه لا دليل على وجود الخضر حيا لا من الشرع ولا من العقل  
 وأما الجواب عن الثالث وهو ما حكم من يكذب بوجود الخضر وغيره  
 من الاقطاب؟ فقد علم مما مر أنه لا يطالب مسلم بأن يؤمن بذلك ولم يقل  
 أحد من أئمة الاصول والكلام إن ذلك من عقائد المسلمين فلا شيء على

من كذب ذلك وقد رأيت ان الشيخ الجويني كان ينكر ذلك وهو ممدود من أئمة العلماء الصالحين بالازهر ولولا واقعة ابن حجر معه التي استتبعت مما تابة شيخ الازهر أو شيخ الاسلام زكريا لبقى على انكاره ككثير من العلماء وأما الجواب عن الرابع وهو هل إجازة اهل الطريق التي ذكرها النهائي معتبرة عند المحدثين وعن الخامس وهو هل أخذ الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه فجوابها «لا» قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: «حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة عند الصوفية باطل لأصل له. قال ابن حجر «لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحد من أصحابه ولا أمر أحد من أصحابه بفعل ذلك. وكل ما يروى في ذلك صريحا فهو باطل» وقال «من المفترى ان عليا ألبس الخرقه الحسن البصري فان أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقه» وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطي والذهبي وابن حبان والعلائي والعراقي وابن ناصر» اهـ

واما الجواب عن السادس - وهو «ما على من انكرها» اي اجازة الصوفيه بنحرتهم عن الحسن عن علي - فقد علم جوابه مما قبله وهو انه ليس على المنكر لذلك الا ما على كل من ينكر الاحاديث الموضوعة المعزوة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا واقتراء عليه وهل عليهم الا الثناء الحسن؟ واما الجواب عن السابع وهو أي يجوز نسبة تلك العبارة في التجسيم الى شيخ الاسلام ابن تيمية. بعد ما وجد كتاب العرش التي قيل انها فيه فتبين انها ليست

فيه فجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام الجليل أن يبرأ من مثل هذه العبارة وأن وجدت في كتاب معزو اليه، ويحكم بانها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشمراني في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لغيره . كيف لا وان بين ايدينا كتبا كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لمذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تمدوه قط

## باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد العثمانية وفي سائر البلاد)\*

أيها الاخوان : نخبكم بمزيد الاسف ان الدستور اليراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا اليرانية المستبدة لضيعة امام حزب المجاهدين اليرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد الفقراء واستئصال المطالبين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة العثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور اليراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديموقراطيين في ايران

ايها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فماذا يكون اذا نحن معاشر الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاشر حزب الاشتراكيين

الديموقراطيين الايرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد  
العثمانية وغيرها من البلاد باسم الانسانية والحرية والنصيحة للنوع البشري  
ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا امتعاضهم واستيائهم من الحكومتين  
الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الايراني  
بالتدخل في امور ايران الداخلية نحن معاصر المجاهدين نرفع اصواتنا  
على عتبة مجلس الشورى الايراني قائلين :

ليحي جميع الاحرار والناهجين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، لتحي  
الجمهورية الديموقراطية ولتسقط الحكومة المقلقة وليسقط الانبياء الظالمون  
حزب الديموقراطيين الاشر اكين الايراني ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

## فقيه الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى كامل باشا كامل ﴾

مانا لانتهى من نبي "الا الى نبي"، ولا تفرغ من ترجمة مبكي الاوتقجا  
بتأبين مبكي، وما بال أم لهم تلهم من المسلمين، أشهر الكتاب والسياسيين،  
فهاهي ذي قد اغتضرت اليوم أندى الصحافيين المصريين صوتاً، وأبعدم  
في عالم السياسة صميتاً، وأشددم في ذهاء بلده تأثيراً، وأكثرهم ولماً ونصيراً،  
مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء المصرية، ومدير جريدتي اللواء  
الفرنسية والانكليزية، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض مماته،  
واختاره رئيساً له مدة حياته،

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيعاً قضى نصفها في السياسة،  
ونصف هذا النصف في الصحافة، بإذلا فيما أخذ فيه جميع أوقاته، ومفرغاً

فيه انتهى وجدانه وشعوره ، وما زال الشعور والوجدان ، أقوى المؤثرات في الانسان ، وقد أعجب بخطته في اللواء جمهور القارئين ، ثم تحزبت له نابتة كبيرة من المتعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا ، وملك قلوبهم ملكا ، فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته ، بظهور غريب ، ماروني مثله من نسيب ولا قريب ، حتى أرت حالمهم في جميع المشيعين ، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استعبرت المقل الجامدة ، وسمرت الافئدة الخاملة ، بل كان لهم بعد ذلك ساطان على اكثر الجرائد المصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان بينه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو الجذع نائله ، ويخشى القارح عقابله ، ومشى في جنازته خلق كثير ، في مشهد لم يهد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يطوها السواد ، وقدر عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأى بعضهم انهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا بينا لقوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يحدث نفسه بالسياسة ، ويمنيها بالرياسة ، فيعدو به ذلك الى مثاقفة الكبراء ، ويرجيه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فتحت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزينت له بأن يكون طلابها ، فأثر لها التناوة ، على المذاكرة بمجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوذة وجرأة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة تولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى العالي ، جرى الجنان ، طلق اللسان ، قوي الشعور والوجدان ، متلافا للمال ، اذا اقتضت الحال ، فهذه هي الصفات

الفطرية ، التي أهلتها لتلك الغاية الكسبية ، باقتراض الحوادث ، ومواتاة  
الوقائع ، ومساعدة الزمان ، واستعداد البيئة والامكان ،

أما استعداد البيئة فنشؤه أنه كان قد سبق لهذا الشعب حركة ثيورية ،  
ونهمضة اجتماعية ادبية ، تلتها يقظة وطنية ، أتجت ثورة شعبية عسكرية ،  
وعقب ذلك احتلال الانكليز للبلاد ، وإيقاف حركة ذلك الاستعداد ، فسكنت  
الاسنة وسكنت الاقلام ، وغلت الايدي وقيدت الاقدام ، ولكن هذا  
الوقوف كان في الظاهر ، دون ما تنطوي عليه السرائر ، من ضغائن  
مضطربة ، وحفائظ مضطربة ، وأوهام منزعجة ، وأحلام منزعجة ، مع مجاراة  
الامير توفيق للاحتلال ، ومواتاته له في كل حال ،

فبعد ان قضى الامير توفيق وولي الامير عباس دخلت البلاد في عهد  
جديد من الحركة الوطنية ، تجلت فيه كتجليات الحقيقة الكاية ، فكان تجليها  
الاول هو التجلي العام ، الذي ظهر في الخواص والعوام ، وكان لسانه الناطق  
جريدا المؤيد والاهرام ، ثم قدر التجلي في جميع الطبقات ، ثم ظهر في طبقة  
الضباط وقتا من الاوقات ، ثم قتر طائفة من الزمان ، ثم ظهر في مظهره الذي  
هو عليه الآن ، بأن تفجرت روحه في الناشئين ، فعملت فعلها في غير أصحاب  
المام من المتعلمين ، لان هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين ، وقد كان  
مصطفى كامل (رحمه الله) هو المجلي ، في ميدان هذا الطور من الحوار التجلي ،  
ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها ، أوسائقها وحاديها ، وهي هي  
فوق المدعو والمهادي ، وامام المسوق والحادي ،  
وقد كنت احببت بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكشيت  
فيها مقالة في المؤيد عنوانها (الحياة الوطنية) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بعض أساتذة المدارس الاميرية ، ثم رأيت الدعوة موجهة الى  
 جمل الوطنية جنسية للمسلمين ، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين ، واكثرت  
 من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن ، ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الان ،  
 عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجرتي لهذه البلاد وكنت  
 اراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان  
 معجبا بالمنار حتى كان يهتني احيانا ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على  
 خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب  
 من الشيخ محمد عبده ان يجعلك خطيبا في أحد المساجد الكبيرة فان له  
 نفوذا يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به صحة لطلبت  
 لك منه ذلك ، ومن هذه العبارة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم اصدر جريدة اللواء - والمنار يومئذ في اصيل سنته الثانية - فنصحت له  
 في تعريفها بان يتبع ما يكتب في الجرائد الاوربية عن الاسلام ويترجمه لجريدته  
 ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه  
 من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفا فساء ذلك ولكنه علم  
 بعد التجربة انه لباب النصيحة . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة  
 العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسعى لها سعيها وبينت له وجه الضرر  
 في ذلك الارجاف . فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه  
 وانحى علينا بعد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه  
 ولو مهضوما ، ونصر من وافقه ظالما كان او مظلوما ، وكان الاول من اسباب  
 بطء انتشار اللواء ، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء ، كالمبالغة في  
 ذم المحتلين ، وانتقاد الحكومة ، ومدح الامم ، وتحامي الانتقاد عليها ، والتوبيخ

بالاستقلال ، والتعجل بطاب نحو الاحتلال ، ولكن اللواه صار في هذه  
 المدة الاخيرة من ام الجرائد المصرية واكثرها انتشارا . فرحم الله  
 مؤسسه وعفاه عنه ولعلنا نوفق بعد الى كتابة شيء عن العبرة بسيرته في  
 حياته وموته ،

## تاريخ العرب والاسلام

( في سلك القصص والروايات )

لاسلوب القصص المعروفة بالروايات تشويق للمطالعة لا يقال منه الملل ' ووجدت  
 الى القراءة لا يخشى منه السأم ' فاذا هي اودعت من الفوائد النافعة في التاريخ والآداب  
 والاخلاق والسياسة وشؤون الاجتماع ما يتفق مع اللذة كانت من أنوى ذرائع  
 تهذيب الجمهور ورفع طبقات العامة الى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى  
 تكون الامة كسلسلة اذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة الى الطرف الآخر . وانه  
 ليحزتنا ان نرى أكثر القصص او الروايات كما يقال خالية من هذه العوائد ، شتى  
 على كثير من المناسد ، تفرى الفتيان والفتيات بالغرام ' وتجري الحبي على ارتكاب  
 الحرام ' وتعلم الاعرار ' حيل الشطار ' .

هذا وانا نحن المسلمين قد أصبحنا وامسينا اجهل الامم بتاريخنا ' وكيفية تلك  
 النشأة الصالحة لملتنا ' وينايع تلك الآداب ' التي أخضعت أمم المدينة اشراذم من  
 الاعراب ' ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ' وانما بقي  
 روايات متفرقة كروايات الحديث ' لم يرزق من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ' .  
 كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط احكامه ' .

فنحن الان في حاجة الى وضع تاريخ الاسلام في اسلوب علمي لاجل الخواص ' .  
 والى ابداعه في اسلوب قصصي سهل تناوله حتى على العوام ' وقد كان الوضع الاول آخر  
 عمل توجهت اليه همه الاستاذ الامام ' وفي عزمنا ان نخلفه فيه ان شاء الله وامهاتنا  
 الايام ' وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي ' العالم الاسلامي  
 والكاتب الاجماعي ' وقد سمي الرواية الاولى ( خديجة ام الموه منين ) وسنشرها في  
 المنار بالتدرج ، وهالك مقدمتها في هذا الجزء



## خديجة أم المؤمنين

(مقدمة)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث  
عظيم جداً لم يحدث بعده مثله الى الآن ، وقد كان له دوي قوي وأثر  
كبير في آسيا وأوروبا وأفريقيا وخلفه انقلاب عظيم في ممالك الارض  
وتغير جسم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب  
بعقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً الى كلمة النبي الذي قام فيهم منهم وهو  
محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالهجوم على الممالك وفوزهم بهذا  
الهجوم وانتصارهم وغلبتهم على الأمم وانضمام أمم كثيرة الى عقيدتهم  
وتكون ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاطالنتيكي شرقاً وغرباً  
ومن سواحل البحر الأحمر الى سواحل بحر قزوين شمالاً وجنوباً في  
أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريعة  
هذا الحادث العظيم يتفاه بعض الناس بنير تفكر كأنه معتاد الحدوث  
كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سر حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من  
التدبر والتفكر بسر ذلك النجاح العظيم الذي أوتيته أولئك القوم بسرعة

جديرة أن نشبهها بلعح البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم انه حادث من أكبر الاحداث التي حدثت في الدنيا ويراه جديرا بالبحث والتأمل وامان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تمّ بهما هذا الحادث العظيم الاول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي ان أول مؤمن به هو صاحب الفضل الاول بعد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الامور التي يحق أن يفخر بها جنس النساء ان هذا الفضل الاول أي السبق بالايمان به والموافقة له كان نصيب سيدة من أشرف قوميه هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الاحجار الاولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداية من فوائد جسيمة أزممت ان أقدم في هذه الاوراق لمحي الفوائد الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جدا قبل دخولي بالقارئ على سيرتها ان أمرّ به مرة على قومها العرب عامة ثم قريش خاصة فان تعرفه بهم يساعد على معرفة هذه السيدة الجليلة

\* \* \*

## العرب

العرب كسائر الامم أو اللهم جهولة ، وأحواهم منذ عرفوا معروفته ،  
تقف الآن عند هاتين الكلمتين وتلفت قليلا الى مبحث لطيف مختصر  
فيه الكلام ثم نعود الى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام انهم يعرفون اصول امتهم الى ابي البشر الاول ومن الاقوام من يزعمون انهم يعرفون سلاسل اصول الامم كلها حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لا يستطيع أن يجزم بشيء مما يذكر عن تلك الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق ما يروى يتشابه عليه الامر فيعجز في تصديق المتناقضات ، والترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح الحريص على المعرفة الى الاستئناس بما يمكن قبوله من الحكايات في هذا الباب لا يستغني عن طرح كثير منها مما تقوم الادلة على بطلانه

لماذا حرص كل الشعوب على معرفة اسلافهم الى اول اصل ؟ لاندرى ولكن يلوح لنا انه لذت للا كثيرين دعوى هذه المعرفة فابتدع كل قوم اسطورة في بيان اصلهم ينقلها الآباء لابناء ويسطرونها في كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما يسوا من هذه المعرفة قنعوا بأن تكون لهم معرفة ما باصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات وغيرها من المميزات وقد اتسوا من كثرة البحث والاستئناس بالمنقول ان البشر المروفين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارياية و (٣) التورانية

وظاهر من هذا انهم لما أرادوا وضع اسماء الاصول القليلة التي قرعت منها هذه الشعوب المعروفة تساهلوا بقبول بعض ما تلقى في حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لا يروي في الحقيقة دليل المحققين ولا غليل الخياليين فيسطل المحققون صابرين على جهل مثل هذا ويبقى

الخياليون مستمسكين بما قد حكي لهم من قبل وربما تسلي محب الحقيقة  
عن احتجابها برؤية تماثيلها وما تماثلها الا أساطير الاولين  
اما نحن فنرى انه لا حاجة للتسلي بتلك الاساطير لانا اذا اشتبهنا  
المعرفة فأماننا مما قد نستطيع معرفته ما تنفذ مراحل أعمارنا من غير ان  
تقطع في ميدانه شوطاً بعيداً، وما الوصول الى غاية في هذا الميدان مما  
يجوز ان نطمع فيه

فاذا أردنا الآن ان نعرف العرب فعلىنا قبل كل شيء ان نريح أنفسنا  
عن الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية الى آدم أو الى نوح بالتفصيل كما فطنا  
طمعنا من معرفة ذلك في سائر الامم فلماذا لا حاجة الى ما يدكره  
علماء الانساب من كون هذا الجيل من الاجيال السامية اذ يقال اني لهم  
العلم بسام ابي الشعوب السامية وكيف بيني أهل الفن مبادئ على شيء غير  
معروف بالطرق التي تفيد العلم اليقيني؟ وما أغنى من يريد ان يعرف جيلاً  
كالعرب عن الاستعانة بأساطير الاولين

\* \* \*

يقول المؤرخون ان العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣)  
مستعربة اما البائدة فهم العرب الاول الذين ذهب عنا تفاصيل اخبارهم  
لتقدم عهدهم وهم عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وجرهم الاولى، واما  
العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان، والعرب المستعربة هم  
ولد اسماعيل بن ابراهيم  
هذا قولهم وهو لا يعجبني لان البائدة ليست موجودة حتى تمد  
وان كانوا يعدونها لان منها اشتق غيرها فهدده شهادة بأنها لم تبد. وقد

ذكروا في هذا التقسيم عرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلاً ولم يذكرنا من هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم قسماً مستقلاً ولم يأتوا بدليل قويم على انه تفرع من اسماعيل ذرية مستقلة هم العرب المستعربة . وجعل ما ذكروه ان اسماعيل الذي كان غريباً في جوار مكة المكرمة تزوج بامرأة عربية من تلك القبائل التي كانت حولها، فبطل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الغريب وحده حتى صار قسماً مستقلاً هو ثالث ثلثة أو ثاني اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندري ولكننا نعرف ان هذا من جملة الاقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون صبغة لا تزول فخر الاكثرين وهي في الحقيقة لا تصبر على النقد والحك فليت أولي الالباب يكتفون من حك هذه المشهورات

وانما يعجبني جداً في هذا الباب ما روي من ان النبي المرابي عليه السلام كان اذا اتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول «كذب للنسايون»<sup>(١)</sup> ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح اما الذي لا يغير النقد من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب يوم ظهر فيهم النبي الذي اعلی شأنهم كانوا متفرقين في اقطار جزيرة العرب ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف لديها وتمسك بما وراءه. والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلاً، ولقبائل اليمن أصلاً آخر، وللقبائل بهد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتمتته : قال الله تعالى

« وقرونا بين ذاك أكبراً »

وعرب العراق والشام ترجع الي أحد هذين الاصلين أيضا، فعدنان هو أبو عرب الحجاز غالبا، وقحطان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتتون متفرقون، متقاتلون متدابحون، لا ملك لهم جامع، ولا شرع فيهم وازع، ولا يد لهم في الاعمال الاجتماعية، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم، وتذكر فيه مآثرهم وآثارهم، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام، فالاسلام قد جمع الاوزاع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة الفزوة، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون لقبائلهم أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأسابهم ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا مجهولين ولا مجهولة أخبارهم فاذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأخبارهم المحفوظة المنقولة هي ديوان سيرهم، واذا لم نثق بنقل أخبارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين، وقوادا كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقوادا وولاة من العرب، والديانة الجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس، والكنايس تعرفت بهم لان منهم نصارى بل قيسيين ورهبانا، وبيع اليهود ما جهلتهم، والناسفة ما أنكرتهم، والحضارة قد ألمت بمساكنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم، فكيف يكون هذا الجليل مجهولا بعد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب واتصال الديار والمصيبة عند التناصر فإذا رجعوا الى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة الى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا . ولا يتعمد من أمة محتاجة الى التناصر وليس لها كسائر الامم كتاب يجمع أخبارها وسير أبطالها ان يعنى كثير من أفرادها بحفظ ذلك في أذهانهم وأية أمة ممن يرى يتناسى أفرادها سيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من العرب اذا عظم أسرته أو أكثر ماله انفرد بأهله وانتمت اليه الذرية ووضعوا لانفسهم نسبة جديدة من غير أن يضعوا حظهم من الارتباط بالنسبة الاولى لان لهم عند التناصر . ظا منها عظيما

يذكر أحد علماء هذا الشأن ان العرب كانت قبائلهم ارحاء وجماجم فالارحاء هي القبائل التي أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلها ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالارحاء على أقطابها الا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجذب . والجماجم هي القبائل التي يتفرع من كل واحدة منها قبائل ا كتفت باسمائها دون الانتساب اليها فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكثف باسم معروف بموضعه

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عنهم أهل الرواية أول كل شيء . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكره عن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك انه رأى في منى رجلا على راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم الحاجن ينحون الناس عنه ويوسعون له

فدنا منه وقال له: بمن الرجل؟ فقال «اني رجل من مهرة ممن يسكن الشجر» قال يزيد فكرهت ووليت عنه فناداني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحتي وقلت «اني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من مخر» قال «فمن القريسان أنت أم من الارحاء؟» فعلمت انه أراد بالقريسان قيسا وبالارحاء خندفا . فقلت «بل من الارحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الارومة أنت أم من الجماجم؟» فعلمت انه أراد بالارومة خزيمه وبالجماجم بني اد بن طابخة . قلت «بل من الجماجم» قال «فانت امرؤ من بني اد بن طابخة» قلت «أجل» قال «فمن الدواني أنت أم من الصميم؟» فعلمت انه أراد بالدواني الرباب ومزينة وبالصميم بني تميم . قلت «من الصميم» قال «فانت اذا من بني تميم» قلت «أجل» قال «فمن الاكثرين أنت أم من الاقلين أو من اخوانهم الآخرين؟» فعلمت انه أراد بالاكثرين ولد زيد وبالاقلين ولد الحارث وبأخوانهم الآخرين بني عمر وبنو تميم . قلت «من الاكثرين» قال «فانت اذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فمن البحور أنت أم الذرا أم من الثماد؟» فعلمت انه أراد بالبحور بني سعد وبالذرا بني مالك بن خنظلة وبالثماد امراً القيس ابن زيد . قلت «بل من الذرا» قال «فانت رجل من بني مالك بن خنظلة» قلت «أجل» قال «فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب؟» فعلمت انه أراد بالسحاب طيبة وبالشهاب نهملا وباللباب بني عبد الله بن دارم . فقلت له «من اللباب» قال «فانت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فمن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر



الاحلاف . قلت « من البيوت » قال « فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة  
ابن زرارة بن عدس وقد كان لا يك امرأتان فأيهما أمك ؟

\* \*

واقعد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا  
على شيء مما عليه الامم من الروابط كلاب كان لهم حضارات وملوكهم  
التابعة في اليمن معروف أمرهم عند المشتغين بالتاريخ . وملوك الحيرة  
( في العراق ) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم . ان سهل تاريخ  
العرب أولهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن سلالة الازد من ولد  
كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك  
الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعد عمرو  
ابن أخيه جذيمة الارش بن مالك بن فهم وجذيمة هذا هو صاحب الحديث  
المشهور مع الزباء ( زوييا ) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي  
مؤرخو العرب ان جذيمة قتل أباهما فحالت عليه الزباء وأطمعته في نفسها حتى  
اغتر وقدم اليها فقتلته وأخذت بثأر أبيها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد  
ابن اخته عمرو الاخوي جد الملوك المناذرة الغنميين .

والملوك الفسائون في الشام مشهورون أيضا لا يجهم من عرف تاريخ  
الرومان اذا جهل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الازد  
ابن النوث ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال  
له غسان فنسبوا اليه وكان قبيلهم بالشام عرب يقال لهم الضباعمة من  
سليح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بربعمائة سنة وقيل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليح دانه، له قضاة ومن بالشام من الروم، وبني بالشام عدة مصانع ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة، وبني بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أيوب ودير هند، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبني صرح القرير في أطراف حوران مما يلي البلقاء، ثم ملك الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبني القناطر وأدرح والقسطل، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبقاء فبني بها الحفير ومصنعه، ثم ملك بعده المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأول، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الأيهم بن الحارث وبني دير ضخم ودير النبوة، ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الأصغر ابن المنذر الأكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل معرق. ثم ملك بعده أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر، وبني قصر السويداء ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان، وهو الذي قابل المنذر الأخشي بن ماء السماء. ثم ملك بعده النعمان بن الأيهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه الحارث بن الأيهم، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث، وهو الذي أصابح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بمض

ملوك الحيرة اللخمين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوهما حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الإيهم بن جبلة ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسرو بنى له قصرًا بالبرية عظيمًا ومصانم . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة ثم ملك بعده أخوهما شراحيل بن جبلة ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن الإيهم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني عسان ، وهو الذي أسلم في خلافة عمر ثم عاد إلى الروم

\*  
\*  
\*

ومن ملوك العرب ملوك كنده الذين من سلالتهم امرؤ القيس الشاعر المشهور أولهم حجر آكل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه عمرو المقصور سمي بالمقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لأنه وافق كسرى قباد بن فيروز على الزدقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباد المنذر ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فعظم شأن الحارث المذكور فلما ملك انوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث المذكور فهرب وتبعته تغاب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وبأربعمائة نفساً من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني مرين وهرب الحارث إلى ديار كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حبر قد ملكه ابوه علي بن اسد بن خزيمه فبقي امره  
متاسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكر وا عليه فقاتلهم وقهرهم وودخلوا في طاعته ثم  
هجموا عليه بغته وقتلوه غيلة وفي ذلك يقول ابوه امرؤ القيس ابياتا منها  
بنو اسد قتلوا ربهم الا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد ابيه فاستنجد بيكر وتغاب  
علي بن اسد فأجده وهربت منهم بنو اسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم أخذت  
عنه بكر وتلب وتطله المنذر بن السماء فنفرقت جموع امرئ القيس  
خوفاً من المنذر ، وخاف امرؤ القيس من أيضاً فصار يدخل على  
قبائل العرب ، وينقل من أناس الى أناس حتى قصد السمائل بن عاديا  
اليهودي فأكرمه وأزله وأقام عنده ثم سار الى ملك الروم مستنجدا به  
وأودع أدراعه عند السمائل وكانت مئة وفي مسيره الى ملك الروم قال  
قصيدة تشير بلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا  
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن ان الاحقاف بقيصرا  
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا

وقد مات في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر  
فبالله كيف تكون مجهولة الامة التي فيها الملوك والاقبال، وقد وقعت  
أمام الامم والاجيال، سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، امرئ ان القول  
بأن هؤلاء القوم كانوا مجهولين وانهم كانوا متشتتين من غير ملك جامع،  
ولا شرع وازع، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكاف نفسه بخنا وهو  
لما يحط بذلك خبرا

ومتي كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا - ولدينا من يدين  
 كانوا هم أحق بمعرفة أنفسهم وحفظ مفاخرهم وعصبياتهم. وما نقل الينا عنهم  
 من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شاهدته،  
 وأمثاله امام أعيننا مشاهدة، وإذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار  
 لم يكن غيرها أحق بالثقة لمر الحق فان تزوير الاساطير لا يستبعد وقوعه  
 في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق  
 من القرائن الشاهدة والنظائر الناطقة

فمن شاء ان لا يثق بمنقول البتة لا يصرنى رأيه ولا ينس التاريخ والمنقول  
 ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيرا وانما يضره وحده . يقال  
 استفادته من المنقول، ويكثر وساوسه وغشوره، ثم يصل الى درجة لا يثق  
 معها أحد بمنقوله . ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب  
 لا أنافسه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية  
 ولا أزيدة شيئاً على ما أوضحته به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل  
 عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

\* \* \*

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي تروي هنا  
 سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجد النفس  
 حاجة للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفاً ان لهؤلاء العرب المعروفين أصلين معروفين عندهم  
 ومجهول ما وراءها وهما عدنان وقحطان، فلما قحطان فقد أخذت ذريته

محظها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته واما  
 عدنان فان حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان لهظمه متجاوز النسبة أي  
 انه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطق  
 مجدهم وحظ اخوانهم العدنانيين الذين أشرق منهم نور مبین بهر العالمين أجمعين  
 فلذلك نلم هنا بذكر الذرية العدنانية دون الذرية القحطانية لاتنا  
 نريد ان نعرف القاري، يقوم خديجة الخوصيين . ﴿فعدنان﴾ ولد له  
 ﴿معد﴾ ومعد ولد له ﴿نزار﴾ وأولا نزار أربعة ﴿مضر﴾ وإباد  
 وربيعة وأنار وقد فارق إباد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق .  
 ومن ذريته كعب بن مامة الايادي المشهور بالجود وقس بن ساعدة  
 الايادي المشهور بالفصاحة . ومن ذرية ربيعة بن نزار قبائل عنزة وبكر  
 ووائل وتغلب ومن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت  
 لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب . ومن بني بكر  
 ابن وائل بنو شيبان ومن مشهور بهم مرة وابنه جساس قاتل كليب وطرفة  
 ابن العبد الشاعر ومن بني بكر بنو حنيفة ومن مشهور بهم سيلمة الكذاب  
 وولد مضر بن نزار ﴿إلياس﴾ وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس  
 هذا فمن ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم  
 مرضعة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عامر وصدصمة  
 وخفاجة وبنو هلال وثقيف وبنو نيمر وباهلة ومازن وعظمان وبنو عبس  
 الذين منهم عنزة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فرارة وكان  
 بين بني عبس وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعين عاماً . ومن  
 بني ذبيان النابغة الذبياني الشاعر المشهور

وولد لالياس بن مضر ﴿ مدركة ﴾ وطابخة ومن ذرية طابخة  
 بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة  
 وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيمية ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنسب  
 جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور  
 وولد لخزيمية بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والهون وولد لكنانة  
 ابن خزيمية ﴿ النضر ﴾ وملكاز وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك فمن  
 ملكاز بنو ملكاز ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهور بهم أبو ذر ، وبنو  
 بكر. ومن بني بكر هؤلاء الدئل. ومن مشهور بهم أبو الاسود الدئلي وبنو  
 ليث وبنو الحارثة وبنو مدلج وبنو ضمرة  
 وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواه وولد للمالك  
 هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد لمالك غير فهر  
 وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ ومحارب والحارث فمن محارب بنو محارب ومن  
 الحارث بنو الخليج ومن مشهور بهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري  
 فهر يقال لهم قرشيون  
 وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وتيم الأدرم ومن تيم المذكور بنو  
 الأدرم ومعنى الأدرم ناقص الذنن  
 وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمية والحارث وعامر  
 وأسماء . ومن ذرية عامر بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله  
 علي بن أبي طالب  
 وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فمن هصيص

بنو جمع ومن مشهورهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا  
عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنوسهم ومن عدوي بنو عدوي  
ومن مشهورهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد  
وولد لمرّة بن كعب ﴿ كلاب ﴾ وتيم وبتظة فمن تيم بنو تيم ومن  
مشهورهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن يظظة بنو مخزوم ومن مشهورهم  
خالد بن الوليد وأبو جهل عمرو بن هشام  
وولد لكلاب بن مرّة ، قصي ﴿ وزهرة ومن ذرية زهرة سعد  
ابن أبي وقاص وأمنة أم النبي (ص) وعبدالرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا  
عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو  
الذي أثل مجدّم  
وولد لقصي بن كلاب ﴿ عبد مناف ﴾ وعبد الدار وعبد العزى  
فمن بني عبد الدار بنو شيبة حجاب الكعبة ومن مشهورهم النضر  
ابن الحارث كان من أشدّاء أعداء النبي ، ومن عبد العزى أيضاً سيدتنا  
خديجة بنت خويلد التي زوي سيرتها  
وولد لعبد مناف بن قصي ﴿ هاشم ﴾ وعبد شمس والمطلب ونوفل  
فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي  
سفيان مؤسس الملك الأموي . ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبون ومن  
ذريتهم الإمام الشافعي ومن نوفل النوفليون  
وولد لهاشم ﴿ عبد المطلب ﴾ ولم يعلم له ولد سواه . وولد لعبد  
المطلب ﴿ عبد الله ﴾ وحزرة والعباس جد الملوك العباسيين  
وولد لعبد الله بن عبد المطلب ﴿ محمد ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام



فقد هادى الدين بضمير القول فيسير أحيته  
أولئك الذين هم الله وأولئك هم أول الألباب

المجلد الحادي عشر  
١٣١٥

توزع الحسكة من يشاهد من بؤت الحسكة فقد واتى  
خبراً كبيراً وما يصدق إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كشار الطريق

( مصر الاوساء - ٢٩ صفر ١٣٢٦ - أول ابريل ( نيران ) سنة ١٩٠٨ )

## كتاب مصر الحديثة للورد كرومر

### نظرة إجمالية في الكتاب

أقام لورد كرومر في مصر نحو ربع قرن متصرفاً بنفوذ الحاكم المطلق فعرف من أحوال حكومتها وسيرها الاجتماعي ما يعز على غيره من حكام البلاد أو زلائها من الأوربيين ان يعرفوه ثم أودع زبدة ما عرفه في كتاب يدخل في ثلاثة مجلدات طبع اثنان منها وأوصى هو بطبع الثالث عقب موته لانه خاص بحال مصر في عهد الاميرالحال عباس باشا الثاني والظاهر أنه أشد الاجزاء وطأ وأثقل قيلا على مصر والمصريين على ان الجزء الثاني لا تستخف وطأه ، بل لا تطاق كلفه ، فهو قد حكم

لكل الشعوب التي تنبوا ارض مصر وعليها ولكنه حكم على المصريين  
لا لهم ولم يحكم عليهم بالمساواة بل فضل القبط على المسلمين تفضيلا من  
حيث دينهم وما فيه من المرونة التي تساعد على مجارة المدينة ما لا يساعد  
الاسلام أهله على زعمه

ولم يكف بالحكم في قضايا الشعوب من حيث هو حاكم سياسي  
اجتماعي بل حكم ايضا في قضايا الرجال المشهورين الذين عرفهم من بعض  
الوجوه وكان حكمه عليهم من غير الوجه الذي عرفهم به اذ حكم على مطويات  
العقائد ومكونات الضمائر وخطرات القلوب

ولم يرضه هذا حتى رفع نفسه الى مستوى الحكم على الاسلام من  
حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعي فحكم من الحيثية الاولى  
له وعليه ومن الحيثية الثانية عليه لا له واتقل من الحكم عليه الى الحكم على  
أهله عامة حتى في مستقبل أمرهم فكان حكمه هذا صاخة تصخ المسامح  
وقارعة تصدع القلوب بل هو عبرة للمعتبرين وموعظة للمصريين  
وسائر المسلمين

رأيت حديث الناس في هذا الكتاب يدور على قطبين ( أحدهما ) الحكم  
على شعور الكتاب حينما دون حكمه على المصريين وعلى الاسلام والمسلمين  
فأرايت بينهم خلافا في كونه كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام  
من المصريين بما فوقوا اليه من سهامهم ، وصوبوا اليه من اسنة اقلامهم ،  
في وقت مفارقتة لديارهم ، وهو وقت ضاق فيه ذلك الصدر الواسع  
عن احتمال الانتقاد ، بله الشبهة والازراء ، على أنه قد ظهر ضيق صدر  
اللورد قبل ذلك في تقريره الاخير ، ثم في خطبته التي خطبها قبيل الرحيل ،

هذا وأما القطب الثاني لحديث الناس في الكتاب فهو غرضه منه وقد رأيت أهل الفهم والذكاء يقولون من غير مواطاة ولا تقليد ان غاية اللورد من هذا الكتاب هي ان يستل من نفوس أحرار قومه فكرة توقيت الاحتلال، والخروج من مصر في يوم من الايام، ويشتمهم ويقنع أوربا معهم بأن لا ضمان لحفظ مصالح الاوربيين في مصر بل ولا مصالح المصريين الا بقاء الانكاز في مصر لان المصري شديد التمسك بدينه الذي لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع هذه المدينة كما يحب الاوربيون ويفنون كانت مدينته تقليدية لا حقيقية وكان بذلك شرا من المسلم المتدين وأشد عداوة للاوربي والمسيحي ولو غير أوربي

ويرون ان تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى املاك انكلترا وما أظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وذو الرماد في العيون وإلهاء المصريين بالاماني والاحلام. وأصحاب هذا القول غافلون عن طرق الاستعمار الجديدة ومنها حكم البلاد باسم أهلها والرضى بالسلطة الفعلية بديلا من السلطة القولية وقد سبق لنا بيان لهذه الطرق في السنة الاولى من المار وفي غيرها أيضاً

هذه صفوة الآراء التي دارت بين الناس في شعور مؤلف كتاب مصر الحديثة وفكره المستولي عليه عند الكتابة وفي غاية منه وذلك ضرب من ضروب انتقاد المصنفات مطروق الأبواب، معهود عند الكتاب، ومما ينتقد على هذا الكتاب وهو من أصول الانتقاد استنباط القواعد لسياسة، من شواذ الحوادث الجزئية، ولم يسلم اللورد من ذلك فانه في المقابلة بين عقل الغربي والشرقي اورد الامثلة لعقل الشرقي الضعيف

التنظيم والادراك « لاعتقاده بالقضاء والقدر ورضوخه لكل سلطة تتولى أموره » فانه بعد ان دعم الحكم على عقل الشرقي بهاتين العتبتين مثل الحكم الكلي العام بما نص ترجمته (قال الورد) « حدث أكثر من مرة ان المتعجبى فى مصلحة الحديد المصرية حول الخط والقطار عليه لم يمر الانصفه الى الخط الآخر فادى ذلك الى انقلاب القطار وحدث ايضا ان سائق قطار نسي احياا اي مفتاح يجب ان يحرك لكي يوقف القطار وحدث مرة ان عمال السكة الحديدية قتلوا لانهم ناموا بعد ان وضوا رؤوسهم على الخط الحديدي وانما فعلوا ذلك ليشقوا بأنهم يستيقظون على صوت القطار الآتى »

وتقول ان أمثال هذه الجزئيات تقع فى أوربا وفي جميع البلاد من جميع الشعوب وناهيك بالطبقة الدنيا من العمال فان ذكي الفطرة عالي النفس لا يرضى لنفسه بأن يكون من أحقر عمال سكة الحديد، وناهيك بالمتدين من أهل هذه المهنة بها والناب ان يكون أصحاب ذلك الشذوذ الذي ذكره منهم . فحال أمثال هؤلاء لا يصح ان يكون مناط المقابلة بين الشعوب فى ارتقاء المثل وملكة النظام فيه . وانما ينظر فى حالهم من جهة النشاط فى العمل والصبر عليه ولعله لو قابل بين فعلة الاوربيين وفعلة المصريين فى هذه المزايا لما قدر ان يخس المصريين حقهم، وان ظن ان القضاء والقدر قد فتك باستعدادهم لكل عمل اا ولسي ان أكثر المستخدمين فى سكة الحديد من القبط الذين هم على ما كنته فى عدم الايمان بالقضاء والقدر وانني أذكر له شيئا من بلادة بعض الاوربيين وغفلتهم هو أبعد عن العقل والنظام مما صدر عن صغار فعلة السكة الحديدية فى مصر ناقلا إياه عن

كتاب صفوة الاختبار لصديقه الشيخ محمد يرم القمّة الدمار رحمه الله تعالى  
فانه كتب في الفصل الذي عقده لبيان عادات أهل فرنسا وصفاتهم مانصه:  
« ومع ذلك (أي انتشار المارف) فلا يزال في فرنسا خلق كثير  
على السداجة والجهل . ودونك حكاية ظريفة تقيس عليها ما يقرب منها  
ففي سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل باليد مشتقلا جهة  
« باريس » وكان له ابن مشتغل جرة « بردو » فلم يوفو الابن من كسبه  
ما يشتري به حذاء فأرسل الى أبيه يشتكي له القل ويطلب منه شراء حذاء  
له فاشتراه له وجماه في الطريق وهو مفكر في كيفية إيصاله اليه فينماهو  
ماش اذ مر محاذيا للسلك الكهربائي فقال هذا أيسر طريق !! إني أحمله  
الحذاء وهو يوصله لابني . فجاء الى عود السلك وعلق فيه الحذاء وأسر  
الى العود بقوله « أوصل هذا لابني فلان في المكان القلاني » وذهب  
مسرورا باطلاعه على مسلك سهل بلا معروف . ثم مر من غد متفقدا  
ما فعل السلك بالحذاء فوجد في ذلك المكان حذاء عتيقا أفناه اللبس  
فمرح وقال « ان ابني لعاقل حيث أرسل لي القديم لاستعين به على ثمن  
الجديد » فانظر الى هذه البلاهة التي لو صدرت من أحد المشرقين  
لشنعوا بجميع الجنس بأنه وحشي يمد عن المعارف وتهذيب الاخلاق  
( وقد صدق ظنه صديقه لو رد كرومر فانه شنع على المشرقين كافة بما  
وقم من بعض فطة سكة الحديد بمصر )

( ثم قال يرم ) « واعلم ان مثل هذا الرجل كثير سياتي في القرى الصغيرة  
والجبال بل وفي أهل المدن كثير ممن يعتقد بالحرافات الباطلة ويعتقد  
التأثير لا جوار وجمادات، ويتشامم بالاوقات، فقدرات في كثير من بلادهم

وبلدان الطليان وكذا الانكيز طاقات في حيطان فيها منارات توعد ليلا  
بالزيت أو بالشمع السلي تقربا الى بعض اوليائهم أو الجن معتقدين حلول  
المتقرب اليه بتلك الطاقة . ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان  
القسوس يقولون لهم ان شمع الشحم أو الغاز من البدع التي لا يتقرب بها  
وكذلك يطلبون البخت وقضاء الحاجات من جمادات أو أما كن اعتقاد  
حلول ارواح فيها . وقد ذكر من هذا النوع في كشف الخبايا فنون أوروبا  
ما يتعجب منه السامع مما ترى الاورباويين ومن تشكل بشكاهم وتباهى  
بتقليد محمولون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها سخرية  
ويتزهون أوروبا عن مثلها مع أنها حاوية لشبهها ولا شد منها بل ربما أسند  
ذلك الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد  
لمثل ذلك بل انها هي المهدية والمنقذة من ضياع الجهل الى نور المعارف  
الحائنة على العلم وفتح البصائر « اه بحروفه

هذا ما قاله عن اهل فرنسا وهم أسبق الاوربيين الى العلم والمدنية  
واذ كان أذهانا . على أنه قال ان الانكيز كذلك بل قال في كلامه من عادات  
الانكيز وصفاتهم مانعه :

« وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في هيج  
الفرانسييس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات  
فيتطرون من أشياء كادت ان لا تحصى وينقادون الى السحرة والدجالين  
بما يخرج عن حد المقول وكاد التعلم ان يكون عندهم مجهول الاسم فضلا  
عن المسمى سوى ما يرطن لهم القسوس في الكنائس « الخ  
أقول اما خرافات القبور والاولياء التي قال انهم يميون الاسلام

بمثلا وهو منها بريء فقد أخذها المسلمون عنهم وهم أخذوها عن اجدادهم  
أو مجاورهم من الوثنيين فالاسلام والنصرانية الحقيقية بريتان منها وقد  
قال صلى الله عليه وسلم « لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبرا وذراعا بذراع »  
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما  
وان تجب فوجب مقارنته في هذا المقام بين الاوربي مطلقا والعامي  
المصري في الحساب فقد قال بعد ما تقدم ما ترجمته كما في المؤيد :  
« وقارن أيضا بين تقدير الاوربي للحساب وبين للمصري العامي  
الذي يشكل عليه إشكالا كاملا كل أمر يتعلق بالارقام أو الكمية فان عددا  
قليلًا من عامة المصريين يعرفون عمرهم . فاذا سألت المصري عن عمر  
رجل متقدم في السن يكون جوابه غالباً « ان عمر الرجل مئة سنة »  
ويقول في نفسه ماذا يهم التدقيق في هذا الامر أو أي أمر آخر علمي ،  
قلت ان هذا من مواطن العجب لان المقارنة فيه بين الاوربي  
المتعلم والمصري العامي ولماذا لم يقارن في الحساب والارقام بين المتعلم من  
الفرقيين ؟ لعله لانه يعلم ان المصريين من اقوى الشعوب استعداداً للبراعة  
في الحساب وسائر العلوم الرياضية وقد أراد الانكليز منذ بضع سنين ان  
يجعلوا ترقية المهندسين منهم على المهندسين من المصريين مبنيا على قاعدة  
عادلة لظنهم ان الانكليز اعلم وأبرع فامتحنوا الفرقيين فاسفر الامتحان عن  
فوز المصريين وتخلف الانكليز عنهم وسكت الفرقيان على ذلك الامتحان  
فلم يلموا به الجرائد . اما الانكليز فلما هو ظاهر واما المصريون فلخوفهم  
ان يحق عليهم رؤساؤهم وينتقموا منهم  
ومما يتقدم عليه في كتابه تقليده لغير واحد من كتاب الاوربيين في

آرائهم في الاسلام وكان أجدر من كثير من أولئك الكاتبين بعرفة حقيقة الاسلام لو أراد أن يعرفه وينصفه فإنه عاش في مصر عمراً طويلاً وعرف أشهر علماء أهل العالم المعروفين في العالم كله الآن وناهيك بالاستاذ الامام وطول باعه في علوم الدين ورسوخه في فهم القرآن وهو الذي لم يكن يحتاج في مخاطبته إياه وفهمه عنه الى ترجمان كما كان يحتاج في مخاطبة غيره من شيوخ الازهر . ولكنه لم يكن يسأله عن أصول الاسلام وحكمه وأحكامه ولا الاستاذ الامام كان يتدته بشيء من ذلك وإنما كان يقصد اليه لاجل الكلام في المسائل المصرية لاسباب المحاكم الشرعية . وماذا كرم لي عنه أنه كان يذاكره مرة في اصلاح هذه المحاكم ومعارضة قاضي مصر وبعض المشايخ ومقلديهم في ذلك كما حصل في مجلس شورى القوائين وذكر اللورد كثرة شكوى الاهالي من الظلم وضيق الحقوق في هذه المحاكم ولما بين له الاستاذ الامام انه ليس في اصل الشرع شيء ينافي الاصلاح العدل قال له اللورد هل تصدق بأستاذ انه يخطر في بالي ان شريعة قامت على أساسها مدنية عظيمة تكون غير عادلة ؟ كلا اني أعلم ان كل هذه المفاسد مسائل « اكليركية » اي من تقاليد المشايخ التي تشبه

تقاليد رجال « الاكليروس » عند النصارى

أنتقل هذا بالمعنى كما احتفظه عن الاستاذ الامام واستطرد من ذلك الى انتقاد ما كتبه اللورد عنه ثم أخلص كلامه في الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة وأبين خطأه وخطئه فيه وانتقل من ثم الى المقصد الاعظم وهو مستقبل الاسلام والمسلمين ومراد اللورد وامثاله من أساطين السياسة وامانيهم في ذلك وما يجب علينا من العبارة



والعمل في هذا المقام ، مع تعدد السبل واشتباه الاعلام ،

## قول اللورد في الشيخ محمد عبده

لم يسلك اللورد مسلك اصحاب التراجم من المؤرخين فيذكر ما للرجال الذين ترجمهم من الصفات والمزايا وما عليهم من التصير وإنما ألم بذكر بعض كبار الرجال المشهورين المأما ولم ينظر الى أحد من المسلمين بعين الرضى كما نظر الى الشيخ محمد بيرم التونسي على أنه مدحا بشي يراه هو مدحا ويراه جميع المسلمين ذمما إذ قال فيه «علمه ذكاؤه انطوي ان النظامات التي تعلق بها أسلافه ( يعني الشريعة التي جرى عليها المسلمون السابقون ) لا بد أن تتلاشى اذا قابلتها المبادئ السامية المرقومة على راية الانكليزي !! رأى كل هذه الامور بعين الناقد البصير » وقال بعد ذلك ان مثله اذا ناقش المسيحي في الامور العامة يكون من النتيجة المحزنة أنه «يكتفي بنذب مصير ذلك الدين الذي يحبه وذلك النظام المؤذي الذي اوجده دينه» ثم ذكر انه لا يوجد عند أمثال بيرم من خيار المسلمين طريقة قادرة على احياء الاسلام الذي هو في حالة الموت السياسي والاجتماعي !! ونحن نعلم فيما رأينا من مؤلفات الشيخ محمد بيرم وما صنعنا عنه ممن لقبه أنه كان متمسكا بهذا الفقه ويراه أحسن نظام ويعتقد انه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا كان مع ذلك يفضل عليه المبادئ والقوانين الانكليزية او يرى انه نظام مؤذ فكيف يكون راسخا ذلك الرسوخ في الاسلام ؟ أرى انه على اطرائه ليبرم في الدين قد ذمه من

حيث اراد مدحه ولم يعرف حقيقته الدينية كما هي ولا يرضي سر يدي الشيخ محمد عبده ان يكون مثله صريحا للورد في ذلك وان كانوا يطمون انه لا يعد جميع هذا الفقه ولا اكثره من الدين . وانا نذكر الآراء في الورد في الاستاذ الامام في تقريره لسنة ١٩٠٥ ثم نشفعه برأيه في مصر الحديثة ونبين سبب الاختلاف بينهما

قوله فيه بتقرير سنة ١٩٠٥

اختطفت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده فأجبت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة لما أتت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العراية . غير أن المنفور له الخديوي السابق صفع عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فبين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثلا على نفع عمله الفتوى التي أفتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تسيير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تسيير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء أما الفئة التي يتبعها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ

الجليل السيد أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً . والناية المظن التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح مادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشماز التي لا تخلو من أساس ديني . فمعلم شاق وقضاؤه عسير لانهم يستهدفون دائماً لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين أما سر يدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فوصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المليية بمنزلة الجير وندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتظمون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالخلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيروا بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين، وغرض اتقاد الفريقين عن الجانبين، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزين آخرين، غير ان معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المنفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبرها فلزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشده اليه المرحوم الشيخ

محمد عبده هو السبيل. الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبي  
متهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من  
الأوربيين . ولطهم يجمدون بعض التنشيط من نقلي قول الرجل من اهل دينهم  
وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة  
التي تطبوا بها على تلك المعارضة» وههنا ذكر عبارة عن كاتب هندي اسمه  
السيد محمود تضاوي عبارة في المتدار

ومما كتب في اواخر الفصل الذي يتكلم فيه عن المحاكم الشرعية ما ترجمته  
« هذا واني اوافق السر ملكولم مكاريث على ماقل عن الضربة  
الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بوت المرحوم الشيخ محمد  
عبده فقد أشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا  
التقرير وأعود فإسقط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا تخور  
عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم له كراه أحسن اظهار بترقية المقاصد  
التي كان يرمي اليها في حياته » اه

اما ما قاله السر ملكولم مكاريث وصرح به اللورد بموافقته عليه فهذا  
نصي ترجمته

قول المستشار القضاي في الشيخ محمد عبده

« ولا يسمني حتم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي  
بغير أن أنكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد  
عبده في شهر يولييه الفائت وان أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة  
التي أصابت هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق

بالشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع إليه كثيراً للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيراً ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها ، وفوق ذلك فقد قام لنا بخدم جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ما أحدثناه أخيراً من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية إذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وأنه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظراً لسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته إلى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد أن تكل إليه امر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فإنه يتعذر وجود احد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الأسباب اخشى ان نظارة الحفانية ستظل زمناً طويلاً تشر بخسارتها بفقدته ، اهـ كلام المستشار

قول اللورد فيه بكتاب مصر الحديثة

أما الشيخ محمد فكان عالماً من طراز يفضل كثيراً طراز اخوانه الذين أشرت اليهم (كالسادات والبكري) وكان أهدز عماء الفتنة العرابية فلما جئت مصر سنة ١٨٨٣ كان منضوباً عليه ولكن الخديوي توفيق عفا عنه بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واثباتاً تشبهداً لا نكاز عليه في ذلك وعينه قاضياً حسن العمل وأدى الامانة حقها . وكان متوسعاً في آرائه وعلى علم ونباهة فلم

ينكر المساوي الناشئة في الحكومات الشرقية وعرف انه لا بد من الاستماتة بالاوربيين للاصلاح الا انه لم يكن من عداد المصريين المتفرجين وكان يقول انهم لم يحسنوا تقليد ما حاولوا تقليده من الاخلاق الاوربية وكان عدوا للاخديويين والباشاوات وأريد بذلك انه لو عثر على باشاوات صالحين لما أعرض عنهم ولا عارضهم ولكنه لم يوفق الا الى عدد قليل من خيارهم مع اختباره الطويل . وحقبة الامر ان الرجل كان منطورا على الخيال ويرى آراء لا يمكن الجري عليها الا انه كان مع ذلك مصريا وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكون أمثاله كثيرا ولكن اذا نظرنا الى نسيج محمد عبده والذين يطمون تعاليمه من جهة امكان اتخاذهم ساسة للمستقبل نجد ان هناك بعض اوجه الضعف وقد قال المستر ستانلي لاين بول ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون أحد اثنين « اما متعصب او ملحد في سره » فمثل هذه الحيرة على شكل مختلف قد أوجدت عقبات في سبيل المسيحيين الذين يؤمنون بحرفية تعاليم المسيح دون معناها أنها عقبات أعظم للمسلم الاصيل الذي يبذل عناية كلية بحرفية تعاليم دينه دون معناها وأخشى ان يكون صديقي محمد عبده في حقيقة امره « لا أدريا » ولو انه يستاء من هذه النسبة لو نسبت اليه . وكان معاشره ومخالطوه يسلمون بمقدرته ولكنهم كانوا يرمقونه شزرا ويقولون انه « فيلسوف » وكل من يدرس الفلسفة اي كل من يدرك الفرق بين القرن السابع والقرن العشرين هو في أعين المتسكين بالقديم سائر الى الهلاك لاعماله . هذا وان أهمية محمد عبده السياسية هي في أنه أسس مدرسة فكرية في مصر على مثال ما أسس في الهند سيد احمد

منشئ كاية عليكرة وغاية الدين يتشرون الى تلك المدرسة هي تزكية طرق الاسلام في عين الانسان اوبالحرى في عين الرجل المسلم ولكن شدة اشتباه المسلم المحافظ فيهم واتهامه ايام بلروق من الدين يمنعه من المسير معهم طويلا وراهم من الجهة الاخرى غالباً غير متفرجين الى حد ان يجذبوا اليهم المصري المقلد للطرق الاوربية فهم أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم وادنى من المصري المنالي في تفرجه ولذلك ترى مهمتهم عميرة جدا ولكنهم جديرون بكل تشجيع ومساعدة يمكن امدادهم بها لانهم خلفاء المصلح الاوربي الطيبين وسيري كل مصري محب لوطنه ان في تقدم اتباع محمد عبده خير رجاء له في انقاذ برجرامه الا وهو جعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً»

وقد علق الورد في ذيل هذه الصحيفة قوله - اني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعت مدة سنين كثيرة ولكنه عمل شاق قفضلاً عن العناء الشديد الذي كان يلاقه من المسلمين المحافظين كان لسوء الحظ علي خلاف كبير مع الخديو ولم يتمكن من البقاء في منصب الاقناء لولا ان الانكيز ايدوه بقوة . وقد اثبتت عليه في تقاريرى السنوية ثناء عظيماً وأنا أعظم الناس أسفاً حقيقياً علي وفاته علي اني في الوقت نفسه لا أرى بدا من الاعتراف بما عراني من الدهشة عند ما طالعت بعض الابناء الجديدة في كتاب المستر ولغرد بلنت فيظهر ان المستر ولغرد بني آراءه في المسائل المصرية علي ما سمعه من محمد عبده فقال عنه في كتابه التاريخ السري انه فيلسوف كبير ووطني عظيم . وقد قرأت بدهشة وأسف ما ياتي بلسان محمد عبده .

« عرض على الشيخ جمال الدين الفتح باسماعيل يوما عند مروره  
مرته يوماعلي كوبري قصر النيل فاستحسنت رأيه وواقفته ولكن الامر  
اقتصر على الكلام بيننا ولم نوفق الى شخص يتولى تنفيذ هذا العمل »  
فكفاني أن أقول بعد هذا ان العالم المتمدن عموما ينظر شزرا الى الوطنيين  
ويعتبر بالآكثر اوثاك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم  
السياسية بمثل ارتكاب القتل » اه من ترجمة المؤيد

### المقابلة بين القولين

من قابل بين ما قاله اللورد في تقريره وما كتبه في كتابه مصر الحديثة  
يرى فرقا عظيما بين القولين فان عبارة التقرير لا ذم فيها ولا تعريض وعبارة  
التاريخ فيها ذم صريح ، وتعريض ظاهر بل المدح الذي فيها بمعنى ما في  
التقرير ضئيل مبهم يحتمل صرفه الى الذم في بعض المواضع فانه لما وصفه  
بالعلم فضله على السادات والبكري وهما ليسا من العلماء ولما ذكر انه منهم  
بالفلسفة فسرد ذلك بالتفرقة بين القرن السابع والقرن العشرين . وقد قال  
المؤيد في هذا التفاروت ما يأتي

« قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو  
صديق مخلص للورد كرومر وقضى هذا اللورد زهنة الذي صادق فيه  
هذا الشيخ وهو يساعده في الوظائف ويدافع عنه فيها . ويقول الآن  
بصريح العبارة انه لولاه ما بقي في منصب الافتاء طويلا . كان اللورد  
يطريه مدحا في حياته كلما ذكر اسمه في مجلسه وكما جاءت مناسبة لذكره



في تقاريره ويخيل لقارئ كتاب مصر الحديثة الآن ان اللورد يحاول ان يطمئن عليه أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه . فلم هذا ؟؟

### رأى المؤيد في صداقة اللورد للشيخ

« ان جواب هذا السؤال موجود بين سطور اللورد كرومر فيما كتب عن هذا الرجل في كتابه الاخير » .  
ثم ذكر المؤيد في بيان ذلك انه كان من زعماء الثورة العراقية وأوضح ذلك وأكده وذكر قول اللورد ان الخديوي السابق عفا عنه بتشديد الانكياز عليه في ذلك ، وانه كان على خلاف كبير مع الخديوي ثم بين صاحب المؤيد رأيه وأضاف اليه كلمة طالما حاكت في صدره ونوه بها حتى لفظها اليوم فأراحنا وراح الناس قال مانصه:

« من خلال هذا الكلام يظهر الجواب الحقيقي وهو أن اللورد كرومر لم يكن صديقا للمرحوم الشيخ محمد عبده كما كان هذا صديقا مخلصا له ولكنه كان متمسكا بصداقته الظاهرية لانه كان يريد أن يضع في يده رجلا قويا المارضة لدود الخصام عدواً لتوفيق باشا أولا وخلفه ثانيا ولا سماعيل باشا قبل ذلك . ولاصراء في أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان يكره طائفة الباشوات كما يقول عنه اللورد من جهة وكان وطنيا صادقا من جهة أخرى . فكان اللورد يحبه من الجهة الاولى ولا يستطيع أن يخلص له الحب من الجهة الثانية . لذلك كانت نظريته وهو ينتفع باطرائه . أما الآن وقد مات الشيخ محمد عبده وفارق اللورد كرومر

مصر فلم تكن تمت حاجة لان يداري اللورد فيه كل المداراة وانما لاحظ  
أن يداري نفسه لما كتب عنه أولا فيما كتب عنه انما فجاءت كتابته هكذا  
خليطا من المدح والقدح وثوب الرياء يشف عما تحته

قول المؤيد في الشيخ نفسه

«وعندنا ان المرحوم الشيخ محمد عبده كان رجلا عالما فاضلا ذا خلال  
محمودة كثيرة من صفات النجدة والوفاء والمروءة ولا نقول كما قال اللورد  
عنه انه كان ملحداً أو لا أدريا أو ضعيف الايمان لان الايمان من أعمال  
القلوب التي يستأثر الله بطلها وأما ظواهره فكانت مجال مقال كثير لا صدقائه  
من جهة ولا أعدائه من جهة أخرى ولكنه كان على كل حال عالما مصليا  
يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل  
لذلك بغيرة لا تفتر وفي آخر عهده من الدنيا كان يعتقد في نفسه اعتقادا  
ملا جوانحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك  
جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك . وأضف الجواب في  
أعمال وآراء الشيخ محمد عبده كان الجانب السياسي منه فكان فكره السياسي  
خياليا غالبا كما قال اللورد لانه كان في كثير من الظروف يخيل له أن  
يقبض بكتا يديه على اللورد كرومر من جهة وعلى الجانب الخديوي من  
جهة فيفشل في الامرين معا حتى يقول الجانب الخديوي من جهته ما يقول  
فيه وحتى يضحك اللورد من هذا الضعف السياسي فيه

« هذه كلمتا في المرحوم الشيخ محمد عبده قلناها بحرية تامة في هذه  
المناسبة لنقول : ان كان اللورد أصاب في بعض ما قاله عن المرحوم الشيخ

محمد عبده فقد أخطأ في حقه مرتين الأولى في حياته لانه لم يكن يعضده  
ويساعده الا لفرض واحد وهو أن يكون عدواً حقيقياً دائماً للخديو  
فكان يدفعه دائماً الى الامام في ذلك والثاني أنه تعرض الآن للطعن على  
عقيدته والعقيدة مسكنها القلب خصوصاً وان الطاعن مسيحي على عالم  
مسلم فيما هو مسلم به

ولكن اللورد أراد من هذا الطعن شيئاً آخر وهو ان المسلم ان صار  
مصلحاً يوماً ما لم يستطع أن يكون كذلك الا وهو مارق من الدين حتى  
انه لما مدح الشيخ يريم وذكر من صفاته انه كان يحاول أن يطبق أحكام  
الاسلام على المعلومات المصرية قال عنه انه كان يحاول أن يربح الدائرة»

#### قولنا فيما كتب المؤيد

اذا تنازع الكاتب فكران أو شعوران عند الكتابة في موضوع  
هو أصل في أحدهما والآخر فرع له فيوشك ان يذهله الفرع عن ام  
أركان الاصل كما وقع للمؤيد فوجب ان نبين ما نلظ به المؤيد هنا  
حتى خفي عليه به خطأ اللورد الحقيقي لنفي الموضوع حقه فنقول

(١) ان الاساس الذي بنى عليه المؤيد تفرقه بين كلاسي اللورد  
في هذا المقام غير صحيح وهو ان اللورد كان يطري الشيخ في حياته اذ  
كان ينتفع باطرائه في دفعه لمداء الخديو، ثم ذمه بمد موته وخروجه هو  
من مصر لزوال هذه الحاجة . فان هذا الثناء العظيم في تقريره الذي ليس  
عندنا مدح منه سواء قد كتبه بمد موته واذا كان عند صاحب  
المؤيد رواية لسانية عن اللورد فهي لا تقوم حجة عليه ولا يصح مقابلاتها  
بما كتبه اليوم الا ان يكون على سبيل التبص

(٢) ان كوز الاستاذ الامام كان من زعماء الثورة المرابية لا يصاح

سببا ولا جزء بسبب لمساعدة اللورد اياه والا لمساعد سائر زعمائها

(٣) ان اللورد فسر بفض الشيخ محمد عبده للباشوات بأنه قلم وجد

فيهم صالحا وانه متى وجد الصالح لا يمرض عنه ولا يعارضه لصدق وطنيته

فوافقه صاحب المؤيد على كونه كان يكره الباشوات وعلى كونه كان

صادق الوطنية . ثم مثل بفضه للباشوات بمداوة الخديو الحال وايه ووجهه

ونحن لا نوافقه على هذا التمثيل الذي يوم الحصر . أما كرهه لاسماعيل

فمومعقول مهما كانت سنه ومعارفه السياسية في ذلك العهد وسفزين ذلك .

واما توفيق فقد كان هو وأستاذه جمال الدين من حزبه وشيعته على أبيه وقد تقم

منه اخراج استاذه من البلاد ونفيه هو الى بلده وكان راضيا منه أتم الرضى

عند ما ساعد الوزارة الرياضية على الإصلاح في البلاد . ولما حدثت مبادي

الثورة المرابية كان الشيخ مقاوما للعرايين ولما استفحل الامر كان مرشداً

مقتدلاً بحسب علمه وقد ظهر له في اثناء ذلك استعانة توفيق باشا بالانكليز

على العرايين فكرهه في اثناء ذلك كراهة شديدة كما يعلم من مذكراته

في شأن تلك الحوادث ومنها ان مذبح الاسكندرية كانت بايعاز من الخديو

ليثبت لا نكلترا وسائر الاوربيين بحجز عرابي عن حمايتهم وقد كتب

برودلي المحامي عن العرايين شيئاً من هذا في كتابه نقلا عنه . وأما

العباس أيده الله بتوفيقه وعنايته فقد كان في اكثر مدة ولايته على مودة مع

المرحوم وهو الذي اقترح من نفسه جملة مستشاراً في الاستئناف وهو

هو الذي اختاره بنفسه منتبها للديار المصرية ولم يكن للورد دخل في ترقى

الشيخ محمد عبده في الوظائف الاعدم الممارسة والفضل الايجابي في ذلك

الامير وحده كما كان يصرح به الشيخ مراراً. ولكن حدث في السنين الاخيرة بينهما شيء من سوء التفاهم بسماية بعض المفسدين الذين يعرفهم صاحب المؤيداً كثر من غيره اذا كان يقاوم سعائتهم ومفاسدهم الى ان غضب هو أيضاً. وزاد سوء التفاهم تلك المسألة التي أشار اليها المؤيد في ترجمة حسن باشا عاصم فقال ما معناه انها مسألة كان يرى نفسه فيها قائماً بواجب تفرضه عليه الذمة وكان يراه مولاه فيها متفتناً. - وله ان يقول مثل ذلك في صديقه وشريكه فيها الشيخ محمد عبده -

فمن هذه الخلاصة الوجيزة يعلم ان اظهار اللورد الصداقة للشيخ بضع عشرة سنة لا يتأتى ان يكون المراد به دفعه في عداوة الخديو كما قال المؤيد. على انه كان أثبت من ان يدفع بيد اللورد أو غيره فقد كان في الذروة العليا من الاستقلال في فكره وارادته وناهيك أيضاً بوطنيته وديانته. حقا أقول اني كنت أراه حتى في المدة الاخيرة التي توفيت فيها سوء التفاهم بينه وبين الامير يمتنى لو يكون الامير موقفاً مؤيداً في كل شيء يرفع شأن البلاد ويفيدها مصنوعاً من كل شيء ضار وانني سمعته غير مرة يقول إننا كنا معلقون برجليه فاذا اهبطه الانكليز درجة هبطنا تحته لامعه، وانا كنا مرة نتحدث في استرضائه فأقسم بأنه لو أمره ان يخرج من البلد لا مثل. ولكنه كان ينكر على المصيبة امورا كثيرة ويتمنى الوفاق الممكن الذي لا يصحبه ضرر من جهة أخرى. على ان المؤيد استنبط من عبارة اللورد انه يحاول ان يطمئن على الشيخ أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه فهل يكفي ان يكون سبب هذا هو الاستفناء عنه بموته وخروجه هو من مصر ??

(٤) توجيه المؤيد قول اللورد في الاستاذ الامام انه كان خيالياً غير وجهه فانه جعل تأويل ذلك بعد التسليم به ان الاستاذ كان يخيل له ان يقبض بكتا يديه على اللورد من جهة وعلى الخديو من جهة فيفضل في الامرين . وهذا الاستنباط من خيال المؤيد ما أظن انه طاف بخيال اللورد اذا البعد بين الخياليين شاسع جداً . وخیال المؤيد وجه ودليل من الخارج فان الشيخ رحمه الله كان يقرب من الامير للاستماعة به قبل كل شيء على خدمة دينه في نحو اصلاح الازهر ثم ابداء النصيحة الواجبة اذا عرض موجبها وكثيراً ما كان يعرض ذلك وقد سمعت من فم الامير في قصره بالقبة انه يستشير الشيخ ويمجبه رأيه ويثق به . وكان أيضاً يختلف الى اللورد للاستماعة به على خدمة وطنه وما كان يطلب منها شيئاً لنفسه . ومن مصلحة البلاد ان يكون فيها رجل يثق أمير البلاد وعميد الاحتلال معا بكفائتهم وصدقهم وذلك من الحقيقة لامن الخيال

(٥) ذكر المؤيد في مواضع ان اللورد طعن في دين الشيخ محمد عبده وجعله لا أدرياً أو ملحداً حتى ان من قرأ عباراته ولم يكن عارفاً بكلمة اللورد يظن انه جزم بهذا الطعن واللورد لم يجزم بذلك وإنما قال « أخشى » كما في ترجمة المؤيد نفسه ، أو « أظن » كما في ترجمة بعض الجرائد فوجب علينا ان نبين ذلك

(٦) قال المؤيد انه لا يظن في ايمان الشيخ لان الايمان محله القلب وان ظواهره كانت مجال مقال كثير لاصدقائه ولاعدائه !! فتقول انا نحن نوافق المؤيد على قوله ان الايمان من أعمال القلوب التي يستأثر الله بعلمها ويؤيد هذا القول الحديث الصحيح « هل شققت عن قلبه » لمن

قال يارسول الله اعط فلانا فانه مؤمن . ولكن المؤيد وقع في الحكم على القلب الذي انكره على اللورد اذ قال « قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو صديق مخلص للورد كروبر » فلا خلاص كالايمان محله القلب ولا يمكن ان يطعم عليه الا الله تعالى فكيف أجاز المؤيد الحكم على القلب مرة ومنعه اخري ؟

أما الظواهر التي تدل على قوة ايمانه فهي اقوي من الظواهر التي تدل على اخلاصه في صداقة اللورد مع العلم بانه كان ابداً الناس عن النفاق والرياء فانه لم يعمل للورد عملاً خاصاً به أو بدولته ولكنه وقف حياته على خدمة مصر والاسلام ابتغاء مرضاة الله . والمؤيد وان كان قد ادخل في مسألة الظواهر كلمة محتملة ككلمة ابي سفيان لهرقل فقال انها كانت مجال مقال كثير - قد قال من نفسه مقالا جازماً هذا نصه :

« ولكنه كان على كل حال عالماً يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل لذلك بغيره لا فخر . وفي آخر عهده من الدنيا كان يعتقد في نفسه اعتقاداً ملاً بجوانحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك جهاداً حقيقياً وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك » فالذي يعتقد هذا الاعتقاد لا يمكن ان يكون ملحداً او لا ادرياً اي شاكا في وجود الله يقول لا أدري أهو موجود ام لا ؟

صدق المؤيد وان كان في تمبيره بلفظ « رسول اصلاح » غرابة لما لها من المعنى الشرعي الذي ليس بمراد هنا . فان الاستاذ الامام كان يعتقد ان دين الاسلام لا بد ان يسود اليه مجده ونوره الذي حال دونه

ظلام البدع والخرافات والتقاليد والمادات وانه هو عالم بحقيقته وبكيفية تسرب البدع اليه وقادر على بيان ذلك وازالته بالحجة وان هذا العمل فرض محتم عليه . وقد نمر هذا الاعتقاد عقله وقلبه وملك جنانه ووجدانه فبذلك كان يرى انه كان ملهم ومسخر من الله تعالى لهذا العمل ليس في استطاعته ان يتوانى فيه . وقد ذكر قاسم بك امين في تأينه ان بعض اصديقاته كآء ايلومونه على تهريطه في صحته وتعبه في بعض الاعمال التي قلما تأتي بما يتوخاه من الفائدة فيها فيهدم بالتخفيف ولاكنه يصبح في القدر اشدا هتما وعناية مما كان عليه بالامس . وصدق المؤيد في قوله انه لم ينل حظ الثقة العامة باصلاحه اذ لونا لهذا الحظ لما قال لورد كرومر في الاسلام ما قاله اليوم لأن الاصلاح العملي كان يمنعه من ذلك

### رأينا في سبب اختلاف قولي اللورد

قال المؤيد ان الجواب عن التفاوت بين كلامي اللورد المذكور في كتابه وقد صدق في هذه ولكن اخطأ اجتهاده فيما بينه به اذ لا اجتهاد في مورد النص . اما هذا النص فهو في موضعين ذكر أحدهما المؤيد فيما ترجمه من كلام اللورد في الشيخ وأهله في الرد وأغفل أحدهما في الموضوعين . اما الذي ذكره وأهمله فهو هامش اللورد<sup>(١)</sup> الذي يذكر فيه دهشته من استمداد مستر بلنت اخبار تاريخه السري للاحتلال من محمد عبده وفي هذا الكتاب من التشنيع على اللورد وسياسته ما فيه . واما الذي اغفله المؤيد فدونك ترجمته نقلا عن حاشية ص ٥٢٤ من المجلد الثاني في سياق الكلام عن المعارف : لقد دهشت بل اعترتني خيبة أمل عند ما قرأت في كتاب ألفه



مسيو جورفيل رسالة للشيخ محمد عبده أعطي فيها ذلك الرجل الشهير رجاحة اسمه «أوقرة اسمه» لثهم أو تمر يضات من هذا النوع ولا بد انه كان على يقين من انها لا أساس لها . وكنت أرجو منه افضل من هذا « اه علق هذا على هامش معناه هل نظر الانكيز الى انحطاط المصريين السياسي أو الاجتماعي نظر المتبطل فلم يحاولوا ترقيتهم كما يزعم بعض سنلة الناقدين ؟ ونحن نقول ان الرجل لم يبط اسمه لترويج التهم أو التمر يضات كما ظن اللورد وإنما أراد الموعدة والتبويه الى الصواب الذي يمتقده ولكن صاحب الكتاب استخدم اسمه لترويج كتابه وهو ما كان يقول الا ما يعلم تمام العلم ان أنه صحيح كل الصحة . واذا كان اللورد يرجو منه يوم كتب تلك الرسالة الى جورفيل أمرا أفضل من هذا فهو أيضا ربما كان يرجو من اللورد قبيل ذلك أمرا أفضل مما رأى منه عند الحاجة الى مساعدته في أهم وافضل غرض له من حياته . وانا نورد الآن ما جاء في رسالة الاستاذ الامام عن المعارف وهو :

ما كتبه الاستاذ الامام لجرفيل عن المعارف

( التعليم العام ) لا تنفق الحكومة المصرية على التعليم العام الا مبلغ مئتي ألف جنيه مع ان في وسعها اتقاق اكثر منه لان دخلها قد بلغ في الميزانية اثني عشر مليوناً من الجنيهات وهي لا تنفق عن زيادة اجور التعليم التي تتقاضاها من الناس على تعليم اولادهم من حين الى حين وقد بلغت من ذلك الى حد ان صارت تربية الاولاد عبأ ثقيلا حتى على أوساط الناس واذا استمر هذا التزايد أمسى التعليم زخرفا لا يتسنى التعلي به الا في بيوت

الاغناء فقط ومن المبادئ التي يجري عليها القابضون على ازمة امورنا ان  
لاحق لاولاد الفقراء في نوع ما من التعليم فهم يجاهرون به كل المجاهرة  
ويبدو منهم على الدوام في حديثهم وتقاريرهم وكتبهم .

نعم انه من المسلم الي حد محدود ان الوالد الذي يخصص جزءاً من دخله  
لتربية اولاده يهمل ان يحصل من التربية على مقابل هذا الجزء وانه يراقب  
ولده في التعلم مراقبة فعلية ليحماه على الاستفادة من تعليم يكفه كثيراً من  
النفقات ولكن الذي لا يسلم به أحد ولا دليل عليه من التجربة هو ان يستج  
من هذا ان كل تعليم مجاني يكون عقيماً فانه مما ينبغي ملاحظته ان التعليم  
في المدارس المصرية من عهد محمد علي ( باشا ) الى سنة ١٨٨٢ كان مجانياً في  
كل هذه المدة ولم يمنع هذا ان تنتج تلك المدارس عدداً من الرجال  
المتعلمين تعلماً حقيقياً ومعظمهم من الفقراء ولم يضر اوريا ان التعليم مجاني في  
كثير من البلدان ولكن أي فائدة لنا من الاستشهاد بما غير من الاختيار  
في مصر وما حضر من الاعتبار باوريا مادام الذين ييدم مقاييد حكومتنا  
مصممين على ان لا يقبلوا الا ما يهديهم اليه فكفرهم

يشق على الانسان ان يرى كل سنة مشهد توارد الآباء والامهات  
على نظارة المعارف يقودون صغارهم اليها سائلين التصديق عليهم بقبولهم  
مجانياً في مدارسها معتدزين بفقركم ومدلين بما يكون بعض افراد اهلهم قد  
أدوه الى الحكومة من الخدم مؤملين على الدوام ان العناية الالهية والرحمة  
القلبية تلين صلابه ذلك المبدأ ولو مرة واحدة ولكنهم يضطرون في آخر  
الامر الى الرجوع الى بيوتهم أو الى قرانهم خائبين خائري العزائم غير راضين  
لا يدرون ماذا يفعلون بهؤلاء الابناء الاعزاء الذين تمنوا لهم اماني كثيرة

ما حيلتنا؟ يقولون لنا «ان بنظر انيكم من أبناء وطنكم اغنياء في وسمهم  
إنشاء مدارس مجانية للفقراء»

آه وأسفاه! نعم ان أبناء وطننا في وسمهم القيام بهذا العمل وبأحسن  
منه ولكن مصر لما يوجد فيها محبوبون للانسانية وأخص من بينهم محبي  
الانسانية المستعيرين، قد يوجد احيانا بهن منهم يشيدون مساجد لا  
حاجة اليها لكثرتها عندنا وبعض آخر يقف جزءا من عقاره على ولي  
ولكن همة الناس وانبعاثها الى العمل لم توجه نحو التعليم فأمتنا أقامت  
زمننا طويلا تعتمد على الجماعة في كل شيء ومن أجل كل شيء

أما اذا نحن نظرنا الى هذا التعليم الذي تقوم به الحكومة المصرية  
من جهة قيمته فانا نضطر الى القول بأنه قليا يكون رجلا في قدرته ان يمارس  
حرفة تقوم بمعيشته ويستحيل ان ينشئ عالما أو كاتباً أو فيلسوفاً فكيف بالتواضع  
في شيء من هذا

وليس للتعليم العالي بمصر سوى مدرسة الحقوق ومدرسة الطب  
ومدرسة الهندسة خاتمة . اما جميع العلوم الاخرى التي تتألف منها معارف  
الانسان فالمصري قديماً أخذ منها بعض معلومات سطحية في المدارس التجهيزية  
ولكن يكاد يكون من المتمذر عليه ان يدرسها دراسة وافية بل يقضى عليه  
غالباً ان يجهلها - فلمل الاجتماع بفروعه التاريخية والاخلاقية والاقتصادية  
وعلم الفلاسفة القديمة والحديثة وعلم آداب اللغة العربية واللغات الاوربية  
وكذلك الفنون الجميلة لا تعلم بالكلية في مدرسة ما من المدارس المصرية  
فكان فينا القضاة والمحامون، والاطباء والمهندسون، ممن تختلف  
درجاتهم في العلم ولكننا لا نجد في طبقة منهم ذلك الباحث ولا ذلك المفكر

ولا ذلك الفيلسوف ولا ذلك العالم ولا ذلك الانسان الذي يمتاز بعمد  
الفكر والنظر وبشهادة الفؤاد وكرم السجايا الذي أوقف حياته كلها على  
السي وراه مطلب من مطالب الكمال

وصفوة القول ان خطة الحكومة التي رسمتها لنفسها ويظهر انها  
مصممة على ان لا تجرد عنها تلخص في أمور ثلاثة ( أولها ) مساعدة  
التعليم الابتدائي في المدارس الصغيرة المسماة بالكتاتيب حيث تعلم الكتابة  
والقراءة وقواعد الحساب الرابع ( ثانيا ) التقليل من نشر التعليم في الامة  
ما أمكن ( ثالثا ) حصر التعليم الثانوي والتعليم العالي في اضيق الدوائر  
المصريون موقنون بأن من ييدهم مقاليداء ورم العمومية لا يعملون  
كل ما في وسعهم لترقية الناشئين اخلاقا وعقولا وهذا الرأي مما يدعو  
الى الاسف والاسى من جميع الوجوه فانه سيحدث في الرأي العام تياراً  
من الاستياء ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وليت شعري ماذا يربح الانكيز  
من التبادي في ترك هذا الاعتقاد راسخا في النفوس ، واذا كان ثمة أمر  
يصح ان يتلاقى فيه الطرفان ويكون قاعدة للاتحاد فاما هو التعليم العام اذ لا يمكن  
ان يوجد تناقض بين مصلحة الانكيز ومصلحة المصريين في هذا المقصد  
فن أراد استدرا ما في مصر من المنافع والخيرات فسيبيله في ذلك  
ان يعنى بتعهد كل ما فيها من موارد الثروة وان يبدأ بالانسان بكل ما فيه  
من معاني الانسان فلا بد من امتزاج العنصرين الاوروبي والوطني واخذها  
على التكاتف في السير نحو هذه الغاية يدا بيد

ولعمري ان الانكيز ليسيون الى انفسهم اذا اوهنوا الاهلين وارخصوا  
من قيمتهم وصنروا من شأنهم فائمامصاحتهم في ان يكون ابناء هذا الوطن

اعزاء اغنياء احراراً فان موارد الثروة والخير للانكليز منوطة بما يصيبنا من ثراه ورخاءه

هذا ما جاء في رسالة الشيخ محمد عبده لجورفيل عن المعارف ويليها كلام عن الحقانية ومعاملة للانكليز للموظفين المصريين ملخصه انهم يتمسكون ضعيف الارادة الذي يخضع لهم في كل شيء ولا يناقشهم في عمل ما ويقصون المستقلين في الفكر والارادة . وان كل رئيس منهم يعد نفسه مشترعا فكما خطر له استبدال قانون بقانون وضع قانونا جديدا وأنفذه لان مجلس النظار لا استقلال له فيناش أو يمارض ومجلس شورى القوانين ليس له الا حق بيان الرأي والحكومة غير مكلفة الاخذ بقوله على ان فيه من الضعف ما فيه لان الافراد الذين يصاحون فيه للبحث قليلون

فأي شيء من هذه الرسالة ينكر اللورد لنسبته له ؟ اما انه لا ينكر منها شيئا ولكنه عز عليه ان يرى في كتاب أوربي كلاما في عيوب ادارة مصر لرجل معروف بالصدق وعلو المكارمة عند الاوربيين ولذلك قال انه أعطى رجاحة اسمه لجورفيل الخ

ان اللورد نفسه قد اعترف كتابة بأن المعتدلين الذين سماهم حزب أو أتباع محمد عبده لم يشجعوا كما ينبغي وقال في تقرير سنة ١٩٠٥ ان تعيين سعد باشا زغلول في الوزارة وهو أشهرهم انما هو تجربة . فهل له ان يقول مع ذلك ان ما كتبه الشيخ لموسيو جورفيل لا أساس له في اعتقاده ؟ لقد كان هو وجميع أهل الرأي في مصر يمتقدون حقيقة ما كتبه وهذا الاعتقاد لا يزول الا بعمل ينقضه فاذا كانت الحكومة الاحتلالية مخلصا فيما فعلت وتعمل لمصر وكان ما ذكره الشيخ من عيوب ادارتها غير متعمد

منها فلتتداركها بمساعدة المستقلين من المصريين ولا يسر عليها الا هتداء اليهم  
 أما ما قاله الشيخ في رسالة عن المعارف فانه ما هو حكاية عن  
 اعتقاد المصريين واستيائهم وهو مؤيد بما تذكره جميع الجرائد ان بعد ان  
 وبما ظهر في مجلس الشورى والجمعية العمومية فكيف يقول اللورد انه  
 لا أساس له؟ ألم ينبأ بما جرى في هذا العام - حتى بعد ان قام ناظر المعارف  
 بهذه النهضة الجديدة في ترقية التعليم من جهات متعددة - من قيام قيامة  
 التلاميذ والجرائد والناس على مستر دنلوب بما كان قد ازدحم في مراكز  
 الفكر والشعور من سوء حال الماضي . ان لم يكن قد ظهر به مصداق قول  
 الشيخ انه سيحدث في الرأي العام تيار استياء عام من حال التعليم عاجلاً أو  
 آجلاً فان ما ظهر قريب منه ولولا هذا الاصلاح الجديد لظهر اتم الظهور  
 اما باقي كلام الشيخ فهو حكاية عن سياسة المحتلين في التعليم وهو  
 مؤيد بما كتبه اللورد في تقرير تلك السنة فانه قال ( كما في ص ١٣٣ وما بعدها  
 من النسخة العربية لتقريره عن سنة ١٩٠٥ )

«يراد بهذه السياسة ابطال التعليم المجاني تدريجاً من المدارس الاميرية  
 التي هي فوق الكتائب وزيادة الاجور فيها .» ثم احتج على ذلك بكون  
 الفرض منها تعليم التلاميذ تعليماً أورياً لكي تعد جمهوراً من الشباب  
 المصريين لخدمة الحكومة ولتعاطي بعض الفنون . ثم ذكر ان محمد علي  
 انشأ هذه المدارس لفرجة البلاد وان عباساً الاول انماها بعد ان خرج  
 منها ما يزيد على عدد الوظائف وأعادها اسماعيل لفرجة البلاد كما كانت  
 وانها كانت مجانياً بل كان التلاميذ فيها يأكلون وياخذون مرتبات واطهر  
 استعسان ذلك من قبل والاستغناء عنه الآن ثم قال «ويجب على الحكومة

ان تتوخى جعل اجرة التعليم في كل مدارسها المتفرجة مقارنة للنفقات التي تنفعا عليه . والاموال التي تنفعا على هذه المدارس تصير تنفعا على التعليم الاهلي الا لزم حاجة الامة ، وينبغي بالازم لحاجات الامة تعليم الكتابيب والصنائع فقط وهذا ما لا يسلم به مصري قط

ثم ذكر ان الانكليز لما احتلوا البلاد وجدوا ان كل ما تنفقه المعارف العمومية « انما تنفقه على تعليم اولاد فئة صغيرة أكثرها من اغنياء السكان ولا تعلمهم الا تعليما اوريا فأخذوا في تغيير تلك الحال وبذلت الهممة منذ سنة ١٨٨٤ لاخذ الاجور من التلامذة ولا يبال التعليم المجاني تدريجا ولكن بقي النجاح في هذا السبيل بطيئا جدا الى عهد قريب » ثم استدل بذلك على « ان ابطال التعليم المجاني وازدياد اجرة التعليم ليسا من دلائل التأخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتياز » الخ فكيف يقول اللورد مع هذا ان الشيخ كتب ما يعلم انه لا أساس له ؟ سبحان الله كأن الشيخ كان يكتب سنة ١٩٠٥ لجورفيل في الوقت الذي كان اللورد يكتب فيه لناظر خارجتهم ما يؤيد قوله ألم تر ان الشيخ قد كتب انهم يعني ولاية الامور يقولون لنا ان فيكم اغنيا يجب ان ينشئوا المدارس المجانية للفقراء ، وان اللورد كتب في تقريره ( ص ١٣٥ و ١٣٦ ) « واذا أريد تمهيد السبل للتلامذة الذين تبدو عليهم مخايل النجابة الفائقة لكي يدخلوا المدارس العليا ووسائطهم المالية لا تكفي لذلك وجب ان يقف المحسنون اموال تلك المدارس التي يعلم بها من كان مثل أولئك التلامذة ووقف هذه الاموال لتعليم التلامذة الفقراء الذين يستحقون ان يساعدوا انفع جدا من تكثير المدارس الابتدائية المتفرجة » ( للكلام بقية )

وعاسليم افندي سر كيس السوريين بمصر وغيرها الى الاكتاب للاحتفال بحافظ افندي ابراهيم الذي ينوه بفضلهم ليكون هذا الاحتفال توددا من شعب الى شعب ما بمنزلة الشقيقين، فلبى الدعوة كثيرون وبعدا انتهاء مدة الاكتاب اقيمت الحفلة بفندق شبرد وحضرها مع جمهور المكتبتين كثيرون من وجهاء وادباء المصريين واصحاب الجرائد وكان ترتيبها هكذا افتتح الاحتفال سليم افندي سر كيس ببيان الفرض منه 'خطب سليمان افندي البستاني في الشعر والشعراء' انشد نقولا افندي رزق الله قصيدة «مصر وصوريا» خطب سليم بك باخوس في اكرام الرجال للرجال: تليت قصيدة الأمير شكيب ارسلان، خطب اسما عيل بك عاصم انشدا من افندي البستاني قصيدة له خطب رفيق بك العظم تليت قصيدة لاسعد افندي رستم قرىه كتاب في تحية الصحافة للشعراء المرسل من ادارة جريدة صرآة العرب بفيو يورك انشد الدكتور ابراهيم افندي شادودي قصيدة له وقدم سليم افندي سر كيس لحافظ افندي هدية رواق المرعي في البرازيل وهي قلم من الذهب بشكل الريشة ثم الهدية الاكرامية من مجموع السوريين وهي دواة ومقلمة من الفضة، وختمت الحفلة بقصيدة الشكر من حافظ وهي

لمصر ام لربوع الشام تنسبُ هنا العلى وهناك المجد والحسبُ  
 وكنان للشرق لا زالت ربوعها قلبُ الهلال عليها خافقٌ يجب  
 خدران (الضاد) لم تهتك ستورها ولا تحوّل عن معناها الادب  
 أم اللغات غداة الفخر أمها وان سألت عن الآباء فالعرب  
 ايرغيات عن الحسنى وبينهما في راثات المعالي ذلك النسب  
 ولا يمتان بالقربى وبينهما تلك القرابة لم يقطع لها سبب  
 إذا ألت بوادي النيل نازلة بات له راسيات الشام تضطرب  
 وان دعا في رى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان متعجب  
 لو أخلص النيل والأردنُ ودّها تصاحفت منهما الأمواه والفُشب  
 بالواديين تمشى الفخر مشيته يحنُّ ناحيته الجود والدأب  
 فسال هذا سخاء دونه ديمٌ وسال ذلك مضاء دونه القضب  
 نسيمَ لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكب



في الشرق والغرب انفس مسمرة  
 لو لا طلاب العلام يتفقو بدلاً  
 كم غادة برنوع الشام باكية  
 عفي ولا حية إلا عزيمته  
 يكره صرف الليالي عنه منقلباً  
 بارض (كواب) ابطال غطارفة  
 لم يحمم علم فيها ولا عدد  
 اسطولهم امل في البحر مرتحل  
 لهم بكل خضم مسرب نهج  
 لم تبد بارقة في أفق منتجع  
 ما عيهم انهم في الارض قد ثروا  
 ولم يضرهم سراء في مناكبها  
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا  
 أو قيل في الشمس للراجلين منتجع  
 سمو الى الكسب محموداً وما فتئت  
 فأن كان الشأميون كان لها  
 هذي يدي عن نبي مصر تصافح  
 فما الكناة إلا الشام عاج على  
 لولا رجال تفالوا في سياستهم  
 ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم

تهفو اليك واكبادها لهب  
 من طيب ريك اكن العلام  
 على أليف لها يرمي به الطلب  
 وينثني وحمله المجد والذهب  
 وعزمه ليس يدري كيف ينقلب  
 اسد جياح اذا ما ووثبوا وثبوا  
 سوى مضاء تحامى ورده النوب  
 وجيشهم عمل في البر معترب  
 وفي ذرى كل طود مسلك عجب  
 الأ وكان لها بالشام مرتقب  
 فالشهب مشورة مذ كانت الشهب  
 فكل حي له في الكون مضطرب  
 الى الحجر ركباً صاعداً ركبوا  
 مدوا لها سببا في الجوا واتدبوا  
 أم اللغات بذاك السعي تكتسب  
 عيش جديد وفضل ليس يحتجب  
 فصافحوها تصافح نفسها العرب  
 ربوعها من بنيا سادة ب  
 منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا  
 فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا

## إنجيل برنابا - مقدماتنا

قد تم طبع إنجيل برنابا كما قلنا في الجزء الثاني عشر من السنة الماضية وقد كتب له مترجمه الدكتور خليل سعادة مقدمة ذكر فيها ملخص ما قاله علماء الأفرنج فيه ورأيه في ذلك فنشرناها وقفينا عليها بمقدمة منا هذا نصها :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى عيسى المرشد بروح الله ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين

أما بعد فاننا نرى مؤرخي النصرانية قد أجمعوا على انه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي . فالقدون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث وسيكون ذلك شأن أمثالهم الى ما شاء الله

وأما من يجب العلم ويجتنب التقليد من كل أمة فهو يود اذا اراد الوقوف على أصل هذا الدين وتاريخه لو يطلع على جميع تلك الاناجيل المرفوضة ويقف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أمرها ويبنى رجب بعضها على بعض بمدا المقابلة والتظهير على الدلائل المرجحة التي تظهر له هو وان لم تظهر لرجال الكنيسة

لوقية تلك الاناجيل كلها لكانت اغزر بنايم التاريخ في بابها ما قبل منها أصلا الدين وما لم يقبل ولرأيت لعلماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطرق العلم الحديثة المصونة بسياج الحرية والاستقلال في الرأي والارادة ما لا يأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلك الأربعة ورفضوا ما سواها

إنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحدهو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجيء بعده ليم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الانبياء من قبله فكان كل منهم يبين للناس منه ما يقتضيه استعدادهم وإنما كثرت الاناجيل

لان كل من كتب سيرته عليه السلام سبها إنجيلا لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس

من تلك الانجيل (إنجيل برنابا) و برنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلتبهم رجال الكنيسة بالرسول صحبه بواس زمانا بل كان « هو الذي عرف التلاميذ يواص بعد ما اهتدى ( يواص ) ورجع الى اورشليم » (١) فلمل تلاميذ المسيح ما كانوا ليتقوا بإيمان يواص بعد ما كان من شدة عداوته لدينهم لولا برنابا الذي عرفه أولا وعرفهم به بعد ان وثق به . ومقدمة هذا الانجيل الذي تقدم ترجمته لقراء العربية اليوم ناطقة بأن يواص انفراد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح . ولكن تعاليمه هي التي غلبت وانتشرت واشهرت وصارت عماد النصرانية . ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية . فلا عرو اذا عدت الكنيسة إنجيل برنابا إنجيلا غير قانوني أو غير صحيح

لم نقف على ذكر لانجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي محرم قراءتها فقد جاء في ضمنها إنجيل برنابا . وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم على ان بعض علماء أوروبا يرتابون اليوم في ذلك المنشور كما ذكر الله كتور سعادة في مقدمته والمثبت مقدم على النافي صرت القرون وتعاقت الاجيال ولم يسمع أحد ذكراً لهذا الانجيل حتى عثروا في أوروبا على نسخة منه مندمثة سنة فهدوها كنزاً ثميناً ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات التعصب والجهل لما ظهرت وانى يظهر الشيء في الظلمة والنور شرط الظهور ؟

ظهرت هذه النسخة في نور الحرية المتألق في تلك البلاد وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم وموضوع بحثهم واجتهادهم وانبرى بعض فضلاء الانكليز في العام الماضي لترجمتها بالانكليزية وتعمم نشرها وقد أهدت اليها نسخة منها

عند نشرها فرأينا أنه يجب ان لا يكون حظ قراء العربية منها أقل من حظ قراء الانكليزية فكشفنا بذلك صديقنا الدكتور خليل سمادة فوافقت وغبته رغبتنا وترجم النسخة بالعربية ترجمة حرفية وبأشرنا طبعا بعد مآرضتها على الاصل لاجل الدقة في تصحيحها

بحث علماء أوروبا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولاً طويلة لحصنها الدكتور سمادة في مقدمته فن مباحثهم ما هو علمي دقيق ككلامهم في نوع ورقها وتجليدها وانتمها ومنها ما هو من قبيل الخوض والتخمين كأقولهم في الكتاب الأول لها والزمن الذي كتبت فيه وتبهم في مثل هذا البحث أصعب مجلي المتكاتف والهلل

ويجب ان ننبه في هذا المقام على قاعدة من قواعد البحث الفلسفية ، وأصل من أصوله العقلية ، وهي قاعدة إطلاق البحث أو بناءه على أمره ولو مفروضاً . فان كثيراً من الباحثين يبنون أبحاثهم على فرض يتخذونه قاعدة مسلمة وربما كان فاسداً فيجبي كل ما بني عليه مثله لأن ما بني على الفاسد فاسد حتماً . مثال هذا ما اتعن به بعض الفلاسفة تلاميذه وهو انه عمد الى جرة كانت في الشمس فقلبها من غير ان يروه ودعاهم فقال اني أرى وجه هذه الجرة المقابل للشمس بارداً ثم قلبها ولمس الجانب الآخر منهم فاذا هو سخن فطالبهم بعله ذلك فظنقوا ينشعلون الملل وهو يرددها ولما سألوه عن رأيه في ذلك قال انه يجب أن يثبت من صحة الشيء أولاً ثم يبحث عن علته . وكون الجانب المقابل للشمس من هذه الجرة بارداً والجانب المقابل الارض سخناً غير صحيح بل قلبها انالاخبر فظنقكم وكذلك فعل بعض الباحثين في أنجيل برنابا فرضوا أنه من وضع بعض المسلمين ثم حاروا في حزر تعيين واضمه هل هو غربي أم شرقي عربي أم عجمي قديم ام حادث . وما قال أحد فيه قولاً الا وجد من الباحثين من يفسده حتى رأى الدكتور سمادة بعد الاطلاع على تلك الأقوال ان الاقرب الى التصور أن يكون كاتبه يهودياً أندلسياً من أهل القرون الوسطى تنهر ثم دخل في الاسلام وأتقن

اللغة العربية وعرف القرآن والسنة حتى المعرفة بعد الاحاطة بكتب العهد القديم والجديد . واستدل على هذا الفرض بلمحه الواسع بأسفار العهد القديم وموافقة التورود واحاطته بالعهد الجديد وغفل عن عزوه الى كتب العهدين ما لا يوجد في نسخها التي عرفت في القرون الوسطي وهي التي بين أيدينا الآن كقصة هوشع ودهبي الى كتاب دانيال ، وعن مخالفته لها احيانا في مسائل أخرى ولو كان من أهل القرون الوسطي وما بعدها لما وقع في هذا القلط الظاهر مع علمه الواسع واستدل أيضا بموافقة بعض مباحثه للقرآن والاحاديث وما كمل ما وافق شيئاً في بعض مباحثه يكون مأخوذاً منه والا لزم ان تكون التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي لاوحيا من الله لومسي عليه السلام . على أن معظم مباحث هذا الانجيل لم تكن معروفة عند أحد من المسلمين وأصوله في التعبير بعيد جداً من أساليب المسلمين عامة والعرب منهم خاصة كما بين ذلك بعض القسيسين في مجلة دينية وأي مسلم يذكر الله ولا يثني عليه والانبياء ولا يصلي عليهم ويسمي الملائكة بغير الاسماء الواردة في الكتاب والسنة

وقد كانت مسألة اليو بيل أقوى الشبهات عندي على كون كاتبه من أهل القرون المتوسطة لا من قرن المسيح حتى بين الدكتور سعاده ضعفها بدقة نظره فلم يبق للباحثين دليل يعول عليه في هذا المقام فان موافقة بعض ما فيه لبعض ما ورد في شعر دائي يمكن ان يدل بأن دائي اطلع عليه وأخذ منه ان لم يكن ذلك من قبيل توارد الخواطر

أما الهوامش العربية التي وجدت على النسخة فيحتمل ان تكون للراهب فرمينو الذي اكتشف هذا الانجيل في مكتبة البابا بأن يكون دخوله في الاسلام حمله على تعلم العربية حتى كان يبلغ علمه فيها ان يترجم بعض الجمل ببارة متقنة تطلب عليها العجزة وما فيه من العبارات الصحيحة على قائمها لا ينافي ذلك فان كل من يتعلم لغة اجنبية في سن الكبر تكون كتابته فيها لا اول العهد من هذا القبيل : صواب قليل ، وخطأ كثير ، على ان اكثر العبارات الصحيحة في هذه الهوامش منقول من القرآن أو بعض الكتب العربية التي يمكن ان يكون قد اطلع عليها الكاتب . ويحتمل

أن يكون بعض القسوس أو من هم على شاكلتهم قد تعلم العربية ليتبين هل فيها مصادر لهذا الأنجيل يمكن الرجوع إليها . ويرجع هذا الاحتمال تسميته الفصول سوراً تشبيهاً له بالقرآن أما عزو هذه الهوامش إلى مسلم عربي في الإسلام فخطأ لا يحتمل الصواب إذ لا يوجد مسلم عربي ولا أعجمي بطابق لفظ السور على غير سور القرآن أو يقول « الله سبحانه » كما جاء في مواضع منها هاشم ص ١٤١ و ١٦ لان كلمة « سبحانه الله » ما يحفظه كل مسلم من اذكار دينه ، أو يقول ميخائيل بدل ميكايل وأنجيل اسم اسرافيل فيسميه اوريل أورفائيل ، أو يقول ان السموات اكثر من سبع وان العدد لا مفهوم له كما قال علماء الاصول . ولذلك أمثلة أخرى أضف إليها عدم اطلاع علماء المسلمين في الاندلس وغيرها على هذا الأنجيل كما حققه الدكتور مرجليوث مؤيداً بحقيقته بخلو كتب المسلمين الذين ردوا على النصارى من ذكره ، وناهيك بابن حزم الاندلسي وابن تيمية المشرقي فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعا كما يعلم من كتبهما ولم يذكرهما على النصارى هذا الأنجيل بقي أمر يستنكره الباحثون في هذا الأنجيل بحثاً علمياً لا دينياً أشد الاستنكار وهو نصر محمياً باسمه النبي محمد عليه الصلاة والسلام قائلين لا يعقل ان يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام اذا المعبود في البشارات ان تكون بالكنايات والاشارات والعريقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكراً في خبر الوحي وقد نقل الشيخ محمد يرم عن رحالة انكليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الأنجيل مكتوبة بالقلم الحيري قبل بعثة النبي (ص) وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وذلك موافق لنص القرآن بالحرف ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الاناجيل التي فيها البشارات الصريحة فيظهر ان في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الاناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن أنجيل برنابا وغيره .

على انه لا يبعد ان يكون مترجم برنابا باللغة الايطالية قد ذكر اسم « محمد » ترجمة وأنه في الاصل الذي ترجم هو عنه قد ذكر بلفظ يفيد معناه كاللفظ البار تليط

ومثل هذا الساهل معروف عند المسيحيين في الترجمة كما بينه الشيخ رحمة الله  
الشواهد الكثيرة من كتبهم في الأمر السابع من الملوك السادس من الباب  
باساس من كتابه اظهر الحق وزاده بعد ذلك بياناً في البشارة الثامنة عشرة  
ولا يحسن القارى المسلم ان علماء أوروبا وبعض علماء بلادنا كالدكتور  
سماعة وأصحاب المقتطف والملال يظهرون الرب في هذا الانجيل الموافق في  
أصول تعاليمه للاسلام تعصباً لنصرانية فان الزمن الذي كان التعصب فيه يحمل العلماء على  
طمس الحقائق التاريخية وغيرها قدمضى . وقد بحث علماء أوروبا مثل هذه المباحث  
في الانجيل الأربعة فبينوا انه لا يعرف متى كتبت ولا بأي لغة ألفت وقال بعضهم  
ان مؤلفيها غير معروفين وأتهم بعضهم بولص بوضع أكثرها كآري في دائرة المعارف  
الفرنسية وغيرها بل منهم من جهل أصول تعاليمها مأخوذة من الأديان الوثنية  
أكثر العلماء في هذا العصر أحرار مستقلون في مباحثهم الا من غلب  
عليه التقليد الديني أو مصانعة المتدينين الأتري ان الدكتور مرجليوث  
الانكايزي هو الذي دحض شبهة من قال ان لهذا الانجيل أصلاً عربياً وأنه من  
وضع المسلمين ، وان الدكتور سماعة هو الذي فند رأي المسائل على كونه من  
وضع النرون الوسطى بما فيه من ذكر تون اليوبيل كل مئة سنة ، وان أصحاب المقتطف  
يجوزون أن يكون له أصل ترجمت عنه النسخة الإيطالية ويحشون على البحث عنها  
فأمثال أولئك العلماء يجب احترام رأيهم وان لم يكن دليله واضحاً وتعليقه ظاهراً  
ومن لاحظ ان بعض القسيسين يجعلون العمدة في اثبات الانجيل الأربعة  
ما فيها من التعاليم الادبية العالية ثم قرأ تعاليم أنجيل برنابا يظهر له مكانه العالي في  
تعاليمه الالهية والأدبية . فاذا صرفنا النظر عن فائدته التاريخية وعن حكمه لنا  
في المسائل الثلاث الخلافية - التوحيد وعدم صلب المسيح ونبوته محمد (ص) -  
فحسبنا باعاً على طبعه وراء قيمته التاريخية ما فيه من المواعظ والحكم والآداب  
وأحاسن التعاليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

محمد رشيد رضا الحسيني

القاهرة في ٢١ صفر سنة ١٣٢٦





## خطبة حنفي بك ناصف

﴿ رئيس نادي دارالعلوم في مسألة التعريب ﴾

أكثر القائلون بتطبيق «سياسة الباب المفتوح» على اللغة العربية من ذكر جهود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالأعراض ووقوفها موقف المستضعفين أمام الأمم الغربية ونموا علينا تخرجنا قبول التخيل في لغتنا ورمونا «بالرجوع إلى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند ماأمامه الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدروا أهلها أن ينتفعوا بكل ما خلقه الله» إلى آخر ما أتوا به من القضايا الخطايا بقصد التأثير في أفكار السامعين حتى تخيلوا أن الكلام الأعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصا على الزمن أن يضيع في انتقاء ألفاظ عربية تسد مسدها وإن قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفه في اختراع آلة حريرية أو معمل صناعي أو مصرف مالي ولقد كدت من شدة التأثير أمسك عن الكلام خيفة أن أضيع عليكم ساعة يمكنكم فيها اختراع بدقية جديدة أو آلة للطيران أو علاج للسرطان

مسكينة الأمة المستضعفة لا تدري من أين تأتي ولا تعرف لتأخرها علة

فتذهب مع كل ذاهب وتعيش وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فمدلنا عنه إلى الآبار فاشتطنا، وخلصنا الأزياء

الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبد لناها أزياء ضيقة فما عدونا، وحسبنا اقتعاد السيارات والدراجات يوصلنا الى المدينة فاقعدنا وما استقدنا، وزعمنا ملاهي التمثيل، أقرب سبيل، فأبعدتنا، وعددنا النفاذج (البالو) ممارج فاعر جناه، وغيرنا العائم بالقلانس والدور بالقصور وظهور الصافيات يطون العربات فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضعاف ولا سبنا الى راقى الامان، والانكليز واليابان

ان لارتفاع الامم وانحطاطها أسبابا خاض فيها الحكماء وأفاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددتها مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان أو يقتصر فيها على مجرد الاستباح والاستحسان فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يظب الكبير لا يجوز في العربية أن تصبوا الفاعل وتقدموا خبران على اسمها احتجاجا بأن المعنى لا يتغير ولا ان قولوا «ما الفرق بيننا وبين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع ألقاظ مقتضبة وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا ايسوار جالا ونحن رجال؟» ليس لاحد ان يقول ذلك الا اذا خرج من الرقعة وخلع المدار ورضي بان يكون طليقا لا يتقيد بشيء. المسألة منصوصة في الاسفار فن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شيئا على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ماشا فليس عندنا ما يرغمه على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدل معه واذا شاء ان يتبع المنصوص فيها هو يانه.

اتفق العلماء على أن اللغة العربية كانت لسان عاد وثمود وأميم وعييل

وطسم وجديس وعمليق وجرهم ووبار من أولاد إرم بن سام  
وأول تنقيح دخلها كان بعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة  
وجرى أولاده على لفته في أنحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد  
والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما أصهر اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى قبيلة جرهم أدخل  
تنقيحا ثانيا في اللغة وجرى على أثره القبائل من أولاده كربيعة ومضر  
وكنانة ونزار وخزاعة وقيس وضبة

والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج اتخذها من لغات قبائل العرب  
التي كانت تفقد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوما منها  
ثلاثة أيام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة  
في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة (نقطة  
اللغة في عصر الأمويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل  
من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل وبعض  
تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لحم وجدام لمخالطتهم القبط أهل  
مصر، ولا عن قضاة وغانا وأباد لمخالطتهم أهل الشام والروم وأكثرهم  
نصارى يقرءون بالبرانية، ولا عن تغلب لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين  
لليونان ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا عن عبد القيس وازد  
عماز لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنديين والفرس، ولا عن أهل اليمن  
(حمير وهمدان وخولان والازد) لمخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين ولا  
عن بني حنيفة وسكان الجامة وثميف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم

ولا عن حاضرة الحجاز وقت ثقل اللغة لفساد لغتها بالاختلاط  
 وعدوا لغة قريش أفصح اللغات العربية لأنها غالية من عنمة تميم  
 وهي إبدال الهمزة عينا نحو عَمَّتْ وَعِنَتْ أَي أَنْتِ وَأَنْتِ ، وعن ثلثة يهراء  
 وهي كسر أول المضارع نحو تَلَبَّ وَتَلَبُّ ، وعن كسكسة ربيعة ومضر  
 وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطب وَأَيْتَكُنْ ، وعن كشكشة هوازن  
 وهي إلحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو وَأَيْتَكُنْ وعن فحفة هذيل وهي  
 قلب الهاء عينا نحو عَتَى أَي حَتَى ، وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب  
 بمد الياء الساكنة أو الكسرة نحو عَلَيْكُمْ وَبِكُمْ ، وعن وههم بني كلب وهي  
 كسر هاء الغيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عَنْهُمْ وَيَنْهَمُ  
 وعن جبجة قضاة وهي قلب الياء الأخيرة جيا نحو الساعج يدعج أي  
 الساعي يدعي وعن وَتَمَّ أَهْلُ الْيَمَنِ وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو  
 التات أي الناس ، وعن الاستنطاء في لغة سعد والازد وقيس وهو قلب  
 السين الساكنة نونا قبل الطاء نحو أَنْطَى أَي أَعْطَى ، وعن شنشة اليمن  
 وهي قلب الكاف شينا نحو لَيْشُ الْهَمِّ لَيْشُ ، وعن لطنخانية الشهر  
 وعمان وهي حذف الألف في نحو مَشَاءَ اللَّهُ أَي مَاشَاءَ ، وعن طمطانية حمير وهي  
 جعل أل « أم » نحو ، وعن طاب امهواء أي الهواء وعنمة قضاة وهي  
 اخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر ثقل اللغة الى لغة كل قبيلة على حدتها بل جموا الاقفاط  
 التي يتكلم بها كل القبائل التي حولوا على الاخذ عنها وجعلوها لغة واحدة  
 مقابل اللغة الاعجمية لا يخطئ التكلم الا اذا خرج عنها كلها فلفظ الندية  
 لغة دوس ( بطن من الازد ) ولفظ السكبين لغة قريش فنقل الائمة اللغتين

وأباحوا لكل انسان أن يتكلم بأيهما شاء ولو لم يوجد في العرب من  
تكلم بهما معا ومن هنا جاء الترانف في اللفظة والاشتراك اللفظي ولو  
جمعوا لغة كل حي من العرب على حديثها لتكرر العمل وطال الزمن  
ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة  
العرب عدوه غريباً ووحشياً بعد استعماله بخلا بالفصاحة ولو كان معروفاً  
عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق بأحوال أو اخر  
الكلم وقواعد تتعلق بباقي أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا  
لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير  
مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل  
من العربي ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فاذا لم يكن اللفظ  
( مادة أو هيئه ) قد سمع من العرب منعه بتاتا وشنعوا على مستعمله  
ولا جل أن يعرف السامع مقدار عنيتهم بالسموع من العرب ومقدار  
الانحطاط الذي كان يلحق بمن يختلئ منهم أروي لك قصة وفود سيديويه  
على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلساً جمع فيه بين سيديويه  
رئيس نخاعة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نخاعة الكوفة فقال له الكسائي:  
تسائي أو أسالك؟ فقال سيديويه سل أنت فسأله الكسائي عن قول العرب  
« قد كنت أظن ان العقرب أشد لسمة من الزنبور فاذا هو هي » أيجوز  
« فاذا هو ايها » فقال سيديويه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع  
ذلك وتنصبه فقال يحيى لقد اختلفت فيهما وإنما رئيسا بلديكما فن يحكم بينكما فقال

له الكسائي هذه العرب يبابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون  
ويُسالون فقال يحيى وجعفر أنصفت وأمرنا باحضار أعرابي من أهل  
البادية وسألوه فقال «القول قول الكسائي» فقال سيديويه ليحيى «مره أن  
ينطق بذلك فإن لسانه لا يطاوعه» فاكتفى المجلس بحكم الأعرابي وخجل  
سيديويه وسافر بعد ذلك إلى فارس فأقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة  
سبب علته وكانت وفاته في سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء  
البلدين متى اختلفوا في أمر تلمسوه عند البدو وتسمّوه منهم

وعرفوا العرب بأنه الاسم الأعجمي الذي فاهت به العرب الموثوق  
بعريبتهم فاذا فاه به غير العربي سمي مولداً وقد تبعمهم في ذلك كل من  
كتب في اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والعياب وأجمع  
العلماء على أن لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو إلا بكلام العرب ولا  
يجوز الاستشهاد بكلام المولدين إلا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلام في غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة  
بين المعنى الأصلي والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الأصلي  
وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة نحو فاه الخطيب بالدرر أي الكلمات الحسان

والسببية - نحو رعبنا الفيت أي الكلاء

والمسببية - نحو أمطرت السماء نباتاً أي ماء

والكناية - نحو «يجملون أصابعهم في آذانهم

والجزئية - نحو بث الأمير العيون أي الجواسيس

والطالية - نحو «ففي رحمة الله هم فيها خالدون» أي الجنة

والحلية - نحو سال الوادي وجري الميزاب أي ماؤه  
واللازمة - كاطلاق الحرارة على النار  
والمزومية نحو دخلت الشمس من الكوة أي ضوءها  
والاطلاق - نحو « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » أي  
لا صلاة كاملة

والتقييد كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر للبعير كالشفة للانسان  
والمعوم - كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرحم والداية  
على ذات الاربع

والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة  
والبديلة - نحو في ملك فلان الف دينار أي متاع يساوي الف  
والمبدلية - نحو « أكلت دما ان لم أركب بضره » أي أكلت دية  
واعتبار ما كان - نحو « وآتوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى  
واعتبار ما يكون - نحو « أراي أعصر خرا » أي عبا  
الداية - نحو فهمت الكتاب أي معناه

والمدلولة - نحو « قرأت معناه مشفوعا بتقبيل » أي قرأت لفظه  
والمجاورة - نحو شربت من الراوية أي الزادة المجاورة للجمل وقد  
تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبة وقمصا  
والآية - نحو « واجمل لي لسان صدق » أي ذكراً حسناً صادقاً  
والتعلق - كاطلاق لفظ المصدر على الناعل أو المفعول كشاهد

عدل « وهذا خلق الله »

والشرطية - نحو « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي صلاتكم

والمصدرية - نحو «فرجمو الى أنفسهم» أي آرائهم

والمظهرية - نحو «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته

والتضاد - كاطلاق البصير على الاعمي

ومتى اشهر اللفظ في معناه المجازي صار حقيقة عرفية له حكم

الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التفتيح الاخير لغة العرب عامة لالغة قبيلة

بمينا فأى لفظ نطقت به فانت مصيب وأي استعمال جريت عليه فانت

بمخطيء ما دمت لم تخرج عن المنقول وأية علاقة صادقتك من العلاقات

السالفة الذكر توصلك الى تسمية مالم تسمه العرب فانت مقيداً بلفظ

أعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطأ واسع المجال

في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتهم

وتتجدد حسبما يسمو اليه استعدادك وتصل اليه درجتك من الاطلاع

وتمكنك منه بضاعتك فلك ان تقول المدينة كما تقول دوس وان تقول

السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة «حيث» بتسع لغات ولفظ «ياربي»

بست لغات وتركيب (بادئ بدء) بثمانية عشر وجهاً وان ترفع الخبر

وتنصبه في نحو ما هذا بشراً وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والمين

على الباصرة والذهب والياسوس وتصرح وتهمي حيث تحتاج لذلك

وتنقل الى العربية كل ما فهمته من اللغات الأخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد العدو فحبسوه وأزموه أن يكتب

كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم وعددهم

غشاً وتفريراً فكتب الى الملك كتاباً قال فيه:



« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم ، وأصبحت مستريحا من السعي في تعرف احوالهم ، واني قد استضفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في المناقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله ، ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحتُ فدع ربك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى المدو فأرسلوه الى الملك بعدما اطلعوا عليه فنظن الملك لما أراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا من السعي وانه رآهم أضما فانا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية « كم من فئة قليلة » ولفتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون « كاهم عدو كبيرٌ عدٍ فتحصن »

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقواينها وأبرح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت له عند الاحتياج . بشرط العلاقة والقرينة وانتهت أدوار التنقيح فيها فلم يبق الاستظهارها والعمل بها . وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بها قرونا قضت فيها ابانة للمسلم والسياسة وתרغت للفتوح والاستعمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فأنارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا . ولما ضعف أمرهم ورثهم الغربيون في حكمتهم وأخذوها عنهم وأضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج يداؤون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسابنا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب، المتضافر  
دليها من أئمة الأدب، فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين  
الرشد من النفي

ولما تعدت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق  
من الناس أن يكفوننا مؤنة التحصيل فهبوا إلى فتح ثغور اللغة العربية  
للدخيل من الالتقاط وطفقوا يحسنون صنيعهم بأقيسة خطابية وجدلية  
لا نفي من الحق شيئاً

فقالوا أولاً: إن العرب أخذوا ألفاظاً من الأعراب في أطوار تنقيح  
العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والأحاديث فإلنا  
لا ننشئ مذهبا خامسا في التنقيح وفانهم أن ما أخذ العرب قليل جداً  
بالنسبة إلى ما نبذوه ونادر بالإضافة إلى مادة لغتهم الأصلية والقليل النادر  
لا يقاس عليه فإذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحه غداً بالآولى  
في هيئتها أي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب  
إذ ليست المادة بأقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بأدنى احتراماً من  
العرض فننصب خبر المبتدا وخبر أن ونشتق من الجوامد كلها ونميل  
الألف حينما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل  
الزيادة لكل المماني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافها ونحدث فيها  
الاحداث الهائلة فتبليبل فيها اللسان وتفقد بمسد قليل من الزمن مع أن  
« أصحاب اللغات الحية » الذين يريدون أن يتشبهوا بهم لم يرضوا أن  
يتروا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأ فلا يزالون يقولون  
في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٩١ أربع عشريات وثمانية عشر ولا يزالون

يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانيا: انه يجب ان يكون لكل مدلول دال خاص به لا يدل على غيره أبدا وتكون دلالة بنفسه لا بملاقة أخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مها كانت علاقته يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاما الى آلامنا: وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرّة أو عدم زيادته وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لا محالة في جميع اللغات لان ألفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الألفاظ على المعاني وجب المصير الى الاشتراك حتما وانه لا ضرر من استعماله مع القرينة، ففي الهندسة مثلا تستعمل الزاوية والعمود والسطح والمهرم والكرة والضاغ ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة، وفي الطبيعة والكيمياء تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس بأصل معناها، وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجي في الخاطر معناه الاصيل والذي يسمع جملة «سيارة الامير سبقت القطار» لا يتوهم القافلة ولا الجمال فأين هي الآلام التي تخشون من زيادتها؟ ومن منكم يمكنه ان يتكلم كلاما خاليا من المشترك والمجاز؟ أنا أراهمكم على كتابة عشرة أسطر بأي لغة شتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشارك فله مني عشرة دنانير وأمرتكم شهرا، والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند ما يريد أن يتألم منها

وقالوا ثالثا: ان دلالة الكلام الاعمجية أصرح لانها تدل على صنف

مخصوص بخلاف الكلام العربية فانها في الغالب تكون عامة: وفاتهم ان

الاصطلاح يجعل العام خاصا والمطلق مقيدا فالنسافة والبارجة والدارعة والمنطاد لاعموم فيها بعد الاصطلاح عاينها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديما وحديثا فيقولون في السيف أبيض ومرهف وهندي ويمني وفي الرمح أسمر ولدن وسمرري وورديني وكلها أوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رايما : ان التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي أخف على السمع فاذا قلت للبدال « أعطني قدحا من الجمعة » اشماز منك وسخر السامعون بخلاف « اليرا » : وفاتهم أن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والالحاق في استعمالها لنظا وكتابة على أن هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص المكلفين باستخراج الكلام بخلاف الذين يتعاملون بها جديدا فانهم يجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس بمناه حائكه وخائطه وقارىء الصحيفة لا يحس بمناه محررها وجامع حروفها وطابعها . ولا بد من قوم يعانون الاعمال وآخرون ينتمون بها ونحن لانكاف أفراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتم منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في أعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني أما استهزاء العامة فلا يوقنا عن العمل لانا لانعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس ، وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليه سواء كان اللفظ الذي يحفظه عربيا أو أعجميا ، واني اذكر كم أتناكنا نستعمل كلمة قومسيون وقوميتيه وجرنال وغازيته وأفوكاتو وكوليرا وواپور وقنصل جنرال ولما ابتداء الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة وحم

ووباء وقطار وممتمد كنا نتقززها فلما ألحوا في استعمالها زال التقزز شيئا فشيئا حتى عفا الكلمات الأولى فجازاهم الله عن العربية خيرا . فلم لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحذو مترجمو اليوم حذو مترجمي أمس ؟ ولم لا يساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامسا : ليس لنا أن تمسك بالقديم لمجرد قدمه : فنقول لهم وليس لنا أن نفيذ القديم لمجرد قدمه فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه مالم تقم الادلة على أصلاحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نر لآن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فيهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

وبعد فاني لم أفهم لآن وجه التشبث بحب الاعجمي فاما أن نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل العجم على العرب واما أن نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون ، واما ان يكون في طبائنا اخلاذ الى الراحة والسكون فلا نريد أن نماني أعمالا جديدة لم تعودها فتخذعنا هذه الطباع الى تحسين ما نحن عليه ونقول بالتعريب لانا يمكننا أن نمر ب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا أن ما وصل اليه هو منتهى الكمال وأن ما يزيد عن ذلك يحسب من التقر والتفريق ولا يريد ان يعترف بكمال بعد الحد الذي وقف عنده فيسجل

على نفسه النقص ، ان لم يكن هذا ولا ذلك فما سبب هذا التثبيث يا ترى؟  
لقد وعيت كل ماسبق من الادلة فلم أجد فيها برهانا فلعل جمود قريحتي  
ضرب بني وبين الحقيقة حجبا مستورا

وقد نشأ من التساهل في حياة اللسان العربي أن تطرق الفساد الى مادته  
وهيئته وتولد عنه لسان آخر لاهو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماه الناس  
باللغة العامية أو الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق  
وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيره وان كانوا  
لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

وزي الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في أقل  
من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انه في أول أمره لا يسمع غير  
العامية ولا يتكلم بغيرها فهو إنما سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في  
ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان أطفال الفرنسيين والانكليزية في  
أذهان أطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابلان تعلم لغة الكتابة  
ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد  
سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لانمكس  
معه الحال وتعلم العامية في أقل من عشر ، فليس من طبيعة اللسان العربي  
الصحيح شي من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة  
كان يعني عنها خمس لو اقتصر المعلم على احدها ووضع على كل متعلم  
عشر سنين من عمره فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجباريا فكم تخسر  
الامة كل سنة من أعمار افرادها . فاذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو

٧٠٠٠٠٠؛ وطرحنا منه معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة ( ونفرض أنه النصف ) ٣٥٠٠٠٠٠ يكون عدد الباقين ٣٥٠٠٠٠٠ نضربه في عشرة أعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في ٢٣٥٠٠٠٠٠ سنة وبعبارة أخرى يفوتها ربح زراعة ٢٧٥٠٠٠٠٠ ر فدان على فرض ان الفدان يزرعه اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها \* فياضيمة الاعمار تمشي سهلا \*

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدي اللغتين واختلفوا في تمييزها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشهير ويلكوكس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب أرئين ( باشا ) بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول ( ١ ) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكما منا نكون قد ازمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى اسهل لان كل شيء فيها قد ضبط ونقح ووضعت له كتب متعددة ( ٢ ) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل المصور فلذلك زمان الفاظ تدخل مع اصحاب القوة ولذلك ترى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركسية والفرنسية والانكليزية ( ٣ ) وان التزام العامية يحدث حجابا كثيفا دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب أعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من

بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما أشرق على أوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الأزمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار أفكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من أبناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويلسكسي والاختذ بالذهب الارتيني

وخلاصة هذا المذهب أن تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدرّب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويجب اليهم التماور بها كلما اجتمع لفيف منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتملك ألسنتهم دربتها ويكون أخذهم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوه ويكملون محاورتهم بالعامة فيما لم يعرفوه وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق الى أن تهجر العامة وتحل الفصحى محلها

فاذا ضمّ الى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب الطيبة في النوادي العربية والتردد على معاهد اللغات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتسليم الفتايات واختداء أساليب المنشئين وطبع كتب البرزين فان اللغة العامة تنقرض في أقل من عشرين عاماً وتختلفها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي الى عصر مجده وأيام سمده

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم وأخذ يهد هذا الأمر عدته وخطاه وسأني رأبي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت له ان الامر ميسور والخطب سهل فطلب اليّ تجربة ذلك قبل أن يصدر الاوامر فقلت نعم وكرامة ولم يمض شهر حتى دعوته لشهود التجربة مع



من شاء من المفتشين فأسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر  
فصمم على امضاء عزمته لولا احتجاج فريق من المعلمين، بل نفر من  
الماجرين، بان التطبيق متمذر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤ  
على هذه المغالطة لكانت العامية الآن، في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان،  
والذي يسمع كلام الباحثين الاصليين والمنتصرين لهما يخال ان بين  
الفريقين حربا عوانا وخلافا ما بعده اتفاق . ومنشأ هذا الاقتراق الذي  
حمي وطيسه واحتدم أوراه ان أدلة الفريق الاول تنتج أكثر من المدعى  
ويجر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك  
لكان الخلاف نظريا لا يترتب عليه أثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع  
النزاع وحصرناه في الدائرة التي يجب حصره فيها، واحسن طريق  
للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى تحامها اذا التقي الجمعان واليكم البيان  
(١) تقسم أولا اللغة العربية الى لغتين لغة عامية ولغة فصحية  
فالعامية لا يمكن أن تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل  
اللفظ الاعجمي ووضعه في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج  
عما ورد فحل النزاع اذا اللغة الفصحى

(٢) ثم تقسم اللغة الفصحى الى اجزائها حرف وفعل واسم فالحرف  
لا يمكن أن يكون محل النزاع لان ما وجد منه كاف واف بحاجة اللغة فلا  
ضرورة لزيادة نحو «يس» و«نو» و«آند» لوجود نعم ولا وحرف العطف  
والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو «جون» و«كم»  
لوجود ما يماثلها في العربية وقد وقع في كلام الباحث الاول<sup>(١)</sup> ما يفهم منه

رغبته في زيادة أفعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأترم وتبمل وأمبس ولعل ذلك فرط منه أثناء احتدام الجدل والافماوجه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل أحد بجواز أنفل وأحمر وأفرس والبفل والجمار والفرس أعرق في العربية من الترام اللهم الا أن يكون وجه التفضيل شدة السرعة وعندنا قاعدة مذهبة بنبي عليها وهي أنه لا يصار الى التريب الا اذا ألجأت الحاجة اليه ولا حاجة الى اترم كالا حاجة الى أنفل لا مكان التمييز بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام فمحل النزاع اذاً الاسم

(٣) ثم نقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى ما لا ينوب عن الفعل والاول كالنفل لا حاجة الى الزيادة فيه فمحل النزاع اذا الثاني

(٤) ثم نقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد فالمشتقات في العربية كافية وهي أصرح من نظائرها في اللغات الاخرى فالنزاع في الجامد (٥) ثم نقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات فاسماء المعاني كثيرة جداً في العربية حتى عدّها الباحث الاول ثروة واسمة فالنزاع في اسم الذات (٦) ثم نقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول والى ما وضع لنير معين وهو اسم الجنس

فالعلم يشمل أسامي الاناسي والبلاد والجيال والانهار والبحار والامم والاقاليم وماله شأن خاص من غيرها، والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الا باعتبار معناها الاصل قبل العلمية وانها تبقى على ما وضعه لها واضحا الا لضرورة والفرورة اما أن تكون بوجود حروف أعجمية

لا نظير لها في العربية كالحرف الذي بين الباء والفاء والحرف الذي بين الفاء والواو والحرف الذي بين الجيم والقاف والكاف والفين وبعبارة أخرى كجيم القاهرة أو قاف الصعيد وهي قاف تيم والحرف الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة أخرى كجيم المقاربة والحرف الالماني الذي بين الخاء والشين فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربه

واما أن تكون بوجود حركات أعجمية لا نظير لها في العربية كالحركة التي بين الفتحة والضمة كما تقول أهل القاهرة خوخ والحركة التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيين فتبدل بحركة عربية تقاربها أما الحركة التي بين الفتحة والكسرة فلمها نظير في العربية في لغة نجد وتيس وأسد كما تسمع من القراء فتبقى كما هي أو تبدل بفتحة خالصة والمدبدها بألف خالصة

واما باشتمال العلم على ما لا يتميزه أصول العربية كالأبتداء بساكن وكالانتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالانتهاء بواو أو ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن أو يتوصل اليه بهمزة وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة أو تحذف وتقلب الواو أو الياء المتطرفة بعد مدة همزة وهذا التغيير هو الذي يسمى صقلا أو وضما في القوالب العربية فالعلم موضع اتفاق بين الباحثين أيضاً

والضمانر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وإنما النزاع في اسم الجنس كما درج الباحث الاول مرارا

(٧) ثم تقسم اسم الجنس الي ما استعملت له العرب لفظاً سواء

وضعت له من عندها أو عربته من لغة غيرها والى ما لم تستعمل له لفظا  
والاول يقبل ولا ينظر الى أصل اللفظ قبل التعريب لان التعريب جملة  
في حكم العربي فليس موضع نزاع والنزاع فيما لم تستعمل له العرب لفظا  
(٨) ثم تقسم ما لم تستعمل له العرب لفظا الى ما اصطلح المولدون  
على اطلاق لفظ عربي عليه بأي مناسبة كانت كمنسافة وغواصة ودارعة  
وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبوله ، والى ما لم يصطلحوا على اطلاق  
لفظ عليه الآن ولا خلاف بين الباحثين في انه يجب البحث والتنقيب في  
كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن اطلاقه عليه بأي مناسبة من المناسبات  
الجاززة في اللغة العربية ويصطلح على دلالة عليه كما اصطلح من قبلنا على  
لفظ منسافة وغواصة

ولم يقل أحد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الانشاء  
وصحف الاخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ  
أعجمي واستعماله موقتا للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجا  
من لغة العامة الى اللغة الفصحى

فاذا انقضى دور البحث ولم يثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها  
وهو ما لا يكون الا نادرا تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذ يراها الباحث  
الاول بالمنظار الذي يرى به المعربات التي صفتها العرب ويقول قد احتطت  
وما فرطت فرحبا بالدخيل المتيد ، وبعدها للاصيل الشريد ، ومالي أشغل  
آمالي بنشد ضالة ان جاءت فلا كرامة ، وان ذهبت فلا شيمتها غمامة ،  
ويراها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى به المعربات فيحسبها كالرقعة

في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة أحكام ، وحبذا لو صحت الاحلام ، ووجدت طلبتي في يوم من الايام ،  
هذا هو الخلاف الطويل العريض ضيق البحث حلقاته رويداً حتى  
تضائل وانتهى الى تقدير النظر الى الكرامة المحتملة واستقبالها اما بالترحيب ،  
واما بالتقطيب ، وهو خلاف غريب ، حفي ناصف



## باب المناظرة والمراسلة

### السنن والاحاديث النبوية

جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح بن علي الياضي أحد العلماء الفيورين في حيدرآباد الذي يرد فيها على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فيما كتبه في النسخ وكون الاحاديث ليست من أصول الدين ولطولها ننشرها بالتدريج مبتدئين بمقدمتها التمهيديّة وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ، وجعل له لسان الصدق ،  
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ومتبعيه وأنصاره واحزابه ،  
أما بعد فاني قد وقفت على رسائل حفرة العالم الباحث الدكتور  
محمد توفيق افندي صدقي كان يرمي فيها أولاً الى أن الاسلام بعد وفاة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن مجرداً عن بيان الرسول (ص)  
وتعاليمه غير معتبر لما زاده الله على ما في القرآن من أحكامه ولازم قوله  
بل صراحتة دالة على نحو صورة الاسلام الموجودة وجواز تشكيله .

شاء بأي صورة شاء وكأنه استشعر شناعة ذلك فأعلن رجوعه عن اطلاق القول في رد جميع السنن وخص منها قبول السنن القطعية التي نقلتها الامة بالاجماع او بالتواتر . ورد جميع السنة القولية زاعما أنها آحاد وما تواتر منها ليس فيه شيء من الاحكام

وقوله هذا - وان كان أهون من قوله السابق ظاهرا - ما له وحقيقته بمد التزامه ثم تطبيقه على ما في نفس الامر الواقع هو حقيقة قوله الاول من رد اكثر السنن القطعية بل لا يبعد اذا قلنا كلها لانه مامن فعل نقل الينا من تلك الافعال الا وقد اختلفت في هياتها واحكامه المقومة لحقيقته . والمسلمون الناقلون لتلك الاعمال انما كان مستند اختلافهم في ذلك اما السنن القولية واما اجتهاد من يتأني له الاجتهاد منهم فاذا لم يجب أن تكون سنن الرسول (ص) القولية من الدين فلا أن لا تكون مجهودات غيره من الدين أولى وأحرى

واذا كان كل فعل من السنن القطعية قد اختلفت في صفاته وهياتها الطوائف والمذاهب بحيث يكون حقيقة هذا الفعل عند هؤلاء غير حقيقته عند أولئك - واذا كان المستند السنن القولية أو الاجتهاد وسلمنا أن كلامهما ليس من الدين - لزم أن لا يعلم المتعين أخذه وأن لا يجب عمل مخصوص للزوم انتفاء المدلول بانتفاء دليله والمسبب بانتفاء سببه اذ لا دليل ولا سبب لوجوب أو حرمة أو نذب أو كراهة الا السنن القولية المفسرة للقرآن والاصح على أحكام الاعمال فاذا انتفت انتفى كل ذلك وجاز لمن شاء أن يقول ان الواجب من الاعمال كذا وكذا وان معنى القرآن ومراده ذا او ذا كيت شاء فماد الامر في جميع أمور الدين

الى الاجمال والابهام ولزم الانسلاخ عن دين الاسلام وهذا هو ما يتحاشا  
 عنه كل من يؤمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم  
 والحقير قد نبه حضرة الدكتور في رسالة ارسلتها الى حضرة سيدنا  
 منشى المنار الاغر ولكنه ارسل الي مكتوب ايد كر فيه ان بعض تلك الرسالة  
 ضاع عنه ويطلب ارسال ذلك اليه لطبع الرسالة ولكني اعتذرت حيث  
 لم يبق لدي منها شيء لاني ارسلت الى حضرة المسودة. ولما كتب حضرة  
 الدكتور رسالته الاخرى التي طبعت في المنار ( الجزء التاسع من المجلد  
 العاشر ) بعنوان ( النسخ في الشرائع الالهية ) رأيت صدر رسالته بالكلام  
 على حقيقة النسخ واختار القول بجوازه عقلا وشرعا ووقوعه في الشرائع  
 الالهية والقوانين الوضعية البشرية وهذا شيء لا تنازعه فيه لكنه انكر  
 وقوعه في القرآن فلا وخص ذلك بالسنة النبوية ثم تدرج من مسألة  
 النسخ الى تقسيم السنة الى قسميها فعلية وقولية وكل منهما الى متواتر  
 وآحاد تمهيدا لما خلاصته ان القولية لا سيما الآحاد منها لا يجب العمل  
 به بعد زمن رسول الله (ص) وزعم ان السنن القولية مطلقا انما هي شريعة  
 وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية وعل ذلك بالنهي عن كتابتها  
 وزعم ان النبي (ص) واصحابه لم يعاملوها بالناية التي عومل بها القرآن  
 قصدا منهم لان تندثر وتزول من بين المسلمين فلا يعملون بها  
 هذه خلاصة قوله لكنه يظهر من تناقض كلامه وجوب العمل  
 وقبول ما كان متواترا من ذلك لا ما نقل آحادا سواء كان سنناً أو  
 صحيحاً أو مشهوراً أو مستفيضاً  
 وحيث كان ذلك مخالفا لدين الاسلام فيما أعتقد به

الآحاد الصحيح بجميع اقسامه مستلزم للطعن في القرآن وتكذيبه ومخالف  
لجماهير المسلمين بل لجميعهم بل لجميع الاديان والملل وسائر متبمها بل  
مخالف لما عليه مدار الاجماع البشري كل ذلك على ما أعتقد ولا احسب  
ان احدا من عرف بالعلم والمقل كحضرة الدكتور يخالفني وينازعني في  
ذلك بعد التفكير وبشرط الانصاف - حيث كان الامر كذلك فيما أعتقد  
بعثني حب اظهار الحق والتعاون على البر والنصيحة الى مناقشة حضرة الاخ  
الدكتور فيما كتبه في رسالته مما رأته خلاف الصواب لما عرفت من حسن  
نيته ورجوعه الى الحق كما هي عادته

والتمس من مولانا المرشد وسيدنا العلامة القدوة داعي الانام ،  
لا تباع حقيقة الاسلام ، منشي المنار مولانا حضرة السيد محمد وشيدرضا  
وأرجوه أن يدرج هذه البضاعة المزجاة في مناره، وان يسقط ما فيها من  
الغلط بصائب أفكاره ، وان يشر كفا في صالح دعواته، ولنعلم ما كنا بصدده  
من الشروع في المقصود فنقول : (سيأتي المقصد)

### ﴿ تذية للمستفتين ﴾

اذا أراد المستفتي ان لا يتأخر نشر سؤاله والاجابة عنه فليكتبه على ورقة  
مستقلة ولا يجعله في غمرة كتاب آخر فيكلفنا استخراج منه اذ ربما تمر الشهور  
ولا نجد ورقاً لنسخه . ومن سأل في ورقة واحدة عدة أسئلة فيفصل بينها في الكتابة  
فيبتدىء كل سؤال بسطر جديد . وليكن الخط واضحاً . ومن علم ان في عبارته  
غلطاً فليأذن لنا بتصحيحها ان شاء والا نشرناها على علائها أو أهملناها



## الفصل الأول (\*)

( مكة وحالة قريش الاجتماعية عند البعثة )

نشأت خديجة في بلد شأنه عجيب ، قصي عن العمران ، في واد غير  
زرع ، لا تنساب فيه الأمواه ، ولا تكتشفه الحدائق ، ولا تقوم الصناعات  
فيه دولة ، ولا يجد مبتني الزخارف لديه مجالا ، ولكن أبداه الله جمالا  
معنويا ، وكساه جلالا روحانيا ، فالفدة تهوى اليه ، والاطايا تزجي له من  
كل فج عميق ،

هذه البلدة المقصودة هي « مكة » المكرمة الشهيرة التي لا يجزل  
اسمها وشهرتها أحد ، هي أم البلاد العربية واقعة في القطعة المسماة الحجاز  
من شبه جزيرة العرب ، قائمة بيوتها في سهوح جبال محيطتها بها  
لم نقف على مقدار عدد نفوسها في تلك الايام التي نشأت فيها خديجة  
ولكن عدد مقاتلتها لم يكن يتجاوز الالفين في الغالب فيمكننا ان نحزر  
أهلها اذ ذاك بنحو خمسة عشر ألفا كلهم أولاد أب واحد قد ورثوا  
باستعدادهم لا ينسبهم هذا المقام الكريم والبلد الشريف ممن كان قبلهم  
من القبائل . وذلك أن قصي بن كلاب استطاع ان يجمع جميع ذراري  
فهر بن مالك الى مكة ويزاحم بهم من كان فيها من القبائل فلم تلبث ان  
صارت لهم خاصة

(\*) من رواية خديجة أم المؤمنين

وفي مكة هذه بيت مقدس قديم العهد يكاد يكون أول أمره  
مجهولاً عند المشتغلين بالتاريخ اسمه بيت الله أو الكعبة . وكان جميع  
عرب الحجاز يعظمون هذا البيت أكثر من كل البيوت التي شرفوها  
ويحجون إليه ، ويتمارفون ويتعاطفون لديه

كانت هذه البلدة المشرفة تضم بين تلك الجبال المهيبة أمة صالحة  
الاستعداد للرقى متى أريت طريقه كما تضم الصدفة جوهرة لا يظهر بهاؤها  
ورواؤها حتى تعالج بمض المعالجة وتزال عنها القشور أما من حيث  
الحضارة فلم تكن كما ينتظر ابن حضارة هذا المصر من البلدان وإنما  
هي بيوت ساذجة مبنية بالحجارة واللبن ومستوفة بمجدوع النخل خالية  
من الزخرف

وهذا البلد الأمين باق الى يومنا هذا لم يزد على طول القرون  
الا تشریفاً وتكريماً ولم يتغير فيه الا أشكال الابنية وازدياد التجارة  
والبيت المشرف لم يتغير وضعه ولا وضع الشعائر التي حوله وإنما بني  
هناك زيادات ومحسينات اقتضتها الدواعي

ومكة معدودة اليوم من جملة بلاد الدولة العلية العثمانية بيدانها لم تحرم  
حتى الآن من أمير عربي يتصل نسبه بسيدتنا خديجة هذه ، وتقوده  
فيها وفيما حولها تقود تام يستمد من السلطان العثماني ومن احترام العرب  
لهذه السلالة

ومن الآثار المشهورة الباقية في مكة بئر زمزم ويقولون ان قبيلة  
جرم كانت دفنتها ثم احفرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ص)  
وكان ذلك من مناخر عبد المطلب لأنه لم يكن بمكة من ماء الا في آبار

بعيدة عن البيت المشرف فلما أخرج عبد المطلب زمزم في جوار البيت  
انصرف الحاج إليها . ولحفر زمزم حديث طويل خلاصته تدل على شرف  
عبد المطلب بتسهيل الماء على الحجاج فإذا تأملنا في حرص القوم على مثل  
هذه العناية بالفناء وابتناء السبيل نعلم شيئاً من روح تربية الهمم وترقية  
العواطف في ذلك المجتمع الذي نشأت فيه «خديجة»

وكان من جيد أمر أهلها في مجتمعهم ذلك أنهم اقتسموا النظر في الأمور  
العمومية فيما بينهم فكانهم كوّنوا حكومة جمهورية من غير رئيس عام  
وكان أمر هذه الجمهورية الغربية الوضع سائراً على منتهى النظام ولكن لم يكن  
هذا النظام لسراً في ترتيب هذه الجمهورية فإنها لا يؤمل منها في حدوداتها  
ان تشر نظاماً بالفأ منتهى الجودة والقوة وإنما ذلك أثر من آثار تربيتهم  
العمومية فلاخبار كلها دالة على ان القوم بالجملة كانوا كأنهم مقطورون  
على التضامن التام فلذلك كان من مزايا ذلك الاجتماع الذي لا نمده له  
نظيراً ان كل فرد من أفراده تام الحرية لا يشعر بقهر حاكم ولا يخشى  
سطوة جبار وكل منهم في أمن من فوات الحقوق واعتداء الحدود .  
الجنايات قليلة ، وكرامة الناس محفوظة ، والآداب سليمة ، والحدود  
غير متجاوزة ، والحقوق مصونة ، وذرائع الفساد مسدودة ، وسلامة  
الفطر غالبية ، والمزايا التي بها كمال الانسانية راجحة .

فاذا أضفنا الى كل ذلك احترام الغريب وتوقيره اياهم وتوقيه أذاهم  
نجد ان ذلك المجتمع لا يكاد يوجد نظيره ولكن مع كل هذا الجمال والحسن  
والصلاح في هذا المجتمع كان فيه عيوب فاذا أزيلت يصبح اول مجتمع

راق في الدنيا وخليتها ان يفيض على جيرانه من بركات العقول التي اشربت  
 بديع جماله، واشرايت، الى عظيم كماله، ثم تانت الى تعريف العالم بما اكنت  
 تلك البقعة التي لم تكن شيئاً مذكوراً من العقول المنيرة والارواح العالية  
 وقد وقع ذلك فن الذي منه تنشأ الاسباب واليه ترجع الامور قد  
 اتاح لهذا البلد الجمهوري، من نظفه من تلك الميوب التي اشربنا اليها فكان  
 بمد ذلك كما هو المنتظر منه أي تم ظهوره فصار مشرقاً لنور عظيم بلغ مشارق  
 الارض ومغاربها فأخذ كل قوم منه بقدر استعدادهم

اما الجمهورية التي اشربنا الى انها كانت في هذا البلد فقد أقاموها على  
 على أساس يأمنون معه من الزلزال وذلك انهم رأوا الشرف انتهى الى  
 عشرة رهط من عشرة بلون لاشتهارهم بأعمال مجيدة، ثم اجتمعوا اصروا  
 على ان يكون النظر في الاءور العمومية من خصائص هذه البيوت  
 المشرة وراضوا على ان يكون لكل بيت من هذه المشرة وظيفة يختص  
 بها تعد من مناخره فهم بهذا الصنيع قد أخذوا بشيء من أصول حكم  
 الاشراف وبذلك أعطوا الالمال التي يجذبها الفرد أو الاسرة حقها من  
 التكریم والتشريف ليزداد نشاط أربابها وحرص غيرهم على التشبه بهم  
 وأخذوا أيضاً بشيء من أصول الحكم النيابي وهو أعظم الآيات على  
 وجود التضامن الذي هو أحد الاركان التي تحفظ بها سعادة الامم .

أما الشورى فقد وفروا منهم حظها، وعظموا في أنفسهم حقها، وبها  
 كانوا يشرعون ما يشرعون من الاحكام والحدود، ويفصلون ما يفصلون  
 في بعض القضايا والحقوق

وقد ألفوا الرئاسة العامة من بينهم كأنهم عدوها لنوا إذا صدقوا

في تضامنهم وصلحوا في تشاورهم وارانتهم الحق وقليلة الجدوى اذا مرض تضامنهم ووهي نظامهم . أو أنهم خشوا أن يكون حب الرئاسة اذا وجدت مدعاة لكثرة تنازعهم وتنافسهم فلا يأمنون بعد ذلك كثرة الفشل والشقاق وسقوط الهيبة من نفوس الغرباء ووقوع الفتور في نفوس الأقربين . أو أنهم أنفوا أن يملكوا عليهم أحداً لأنهم كلهم يحملون بين أضالمتهم نفوس الملوك وجمهوريتهم هذه لم يكن لها رئيس عام ولكن كانوا يقيمون واحداً في وظيفة رئيس عام مؤقتاً

أهل هذا المجتمع اللطيف لم يكونوا أولي شغف بالمحاربات فعلاقتهم الخارجية مع جيرانهم من القبائل وأهل القرى والبلاد كانت حسنة ولكن هذا لم يقدمهم عن أن يكون استمدادهم تاماً لما ينزل بهم فان نزل بهم ما يطيقونه كشفوا اللثم عن قوتهم وبرزوا من غير ريب وان نزل بهم ما لا قبل لهم به تريثوا وعمدوا الى الاناة وفتقوا من الحيلة أوابا يخرجون منها الى السمعة من الضيق ومن فلّ الجيوش بالحسام الى فلها بالبيان وقد أعطوا من هذا حظاً عظيماً . ومن أشهر حوادثهم الخارجية التي ضاقوا بها ذرعا هجوم القائد الحبشي أبرهة الذي كان ثاب على بعض بلاد اليمن فقددهمهم بجيش عظيم لم يروا لانفسهم طاقة به فقاتله تبعد المطالب جد النبي (ص) وكان يومئذ رئيس قريش فأحسن مقابله ولطف ببعض الشيء من حديثه التي كان بها مسوقاً لهدم « بيت الله » على زعمه لاسباب فصلها رواية الاخبار ثم أصابته داهية سماوية فتقل بجيشه ثانياً عزمه لانه رأى في أهل هذا البلد ما لم يكن يخطر له في بال

نعم رأى في مقدمه هذا على هؤلاء القوم عجيباً من الأمر وذلك

انه لما أتاهم أرسل اليهم رجلاً حميراً كان معه اسمه حناطة وأوصاه ان يسأل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها فيبلغه ان الملك لا يريد الحرب وانما جاء لهدم هذا البيت فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فدلوه على عبد المطلب بن هاشم فجاءه وبلغه ما أمره به ابرهة فكان جواب عبد المطلب اننا لا نريد حرباً به قال حناطة انه أوصاني ان يريد مواجعتك ان لم تردوا الحرب فانطلق عبد المطلب مع حناطة اليه فلما رآه ابرهة رأى الوسامة والجلال فأعظمه واكرمه وأخذه الى جانبه وقال للترجمان سله ان يقول ما يبدو له فلم يكن من عبد المطلب الا أنه صرف لسانه عن الخوض في عزم القائد على هدم البيت وجداله فيه بل أظهر الاقتناع بضرورة المسألة وعدم معارضة القائد في أمر هذا المبد وقال له اذا لم يكن لك غير هذا الأرب فرد علينا ابناً قال ابرهة للترجمان قل له قد كنت أعجبتي حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمني أتكلمني في الاموال وتترك بيتا هو دينك ودين آباءك فأجابه عبد المطلب اننا نحن أرباب المال وأما البيت فله رب هو سيمنعه فقال له انه ما كان ليمتع مني فأجابه أنت وذلك ورد ابرهة الابل على عبد المطلب وبقى مصرّاً على عزمه ورجع عبد المطلب على قريش فأمرهم ان يقتصموا بالجبال، ولا يأتوا أصراً حتى يروا ماذا يكون وقد أتى من لدن العناية الغيبية ما لم يكن في الحساب فان ابرهة لما أصبح وتهباً لدخول مكة برك الفيل الذي كان يركبه وحرز واتوا كل باب من أبواب الحيل ليقوم ويمشي تلقاء مكة فلم يتم ثم رأوا حجارة تسقط عليهم من أرجل صنف من الطير فتشاهم ابرهة وتدكر ما اندره به ذلك الرجل الجليل السني

الطلحة عبد المطلب من حماية هذا البيت بطريقة لا يلبسها عقله تخمدت في صدره جذوة الحدة والتهور وخذل أمام هؤلاء القوم الذين حاربوه بالسلم ورموا عقله بسهم نافذ من بيان عبد المطلب مع رمي الطير جيشه بحجارة من سجيل

وهذه أكبر حوادثهم الخارجية وأشهرها ، وفي عام هذه الحادثة ولد النبي (ص) وقد سموه عام الفيل لما ذكرنا من قصته ورجال هذه الحملة قد عرفوا بعدها باسم أصحاب الفيل وقد أشير إلى مجمل هذه الحادثة في القرآن المحيد

## الفصل الثاني

### (بيوتات قريش وخصائصها)

أما بيوت شرفهم العشرة فهي :

هاشم ، وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ،  
وعدي ، وجمع ، وسهم ،

وأما الأمور التي كان توليها من خصائص هؤلاء فهي : السقاية ،  
والعمارة ، والمعقاب ، والرفادة ، والحجابة ، والسدانة ، والندوة ، والمشورة ،  
والاشناق ، والقبعة ، والاعنة ، والسفارة ، والايثار ، والأموال المحجرة ،  
هذه الأسماء أكثرها اصطلاحية يحتاج إلى تفسير يوافق العصر  
الذي نحن فيه حتى نفهم شكل ذلك المجتمع الذي سميناه جمهورياً على  
حسب اصطلاح عصرنا

فأما السقاية فقد تفهم من اللفظ نفسه أي سقاية الحجاج الذين كانوا  
يأتون « بيت الله » من كل جانب ولا يخفى على أحد ان العناية بهؤلاء  
الغرياء وتوزيع المياه عليهم من أهم الامور العمومية في ذلك الظرف وكان  
بنو هاشم هم أهل هذه الوظيفة

وأما المارة فهي منع من يتكلم في « بيت الله » بكلام سفيه فيسبح  
أو يرفع فيه صوته وكانت هذه الوظيفة أيضاً في بني هاشم الذين منهم  
العباس صاحبها

وأما المعقاب فهي راية قریش كان من شأنهم فيها انهم يحفظونها في  
بيت من البيوت المشرفة فاذا وقعت حرب أخرجوها فان اتفقوا على  
أحد منهم اعطوه راية المعقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها  
فقدموه وقد كانت هذه الوظيفة أي حفظ هذه الاية من خصائص بني  
أمية الذين منهم أبو سفيان صاحبها

واما الرفادة فمعناها الاسعاف وكانوا يجمعون من أنفسهم أموالا  
لرفد المنقطعين من الحجاج وكانت الرفادة في بني نوفل الذين منهم الحارث  
بن عاصم صاحبها

واما السدانة والحجاجة فمضاهما خدمة « بيت الله » وحفظ مفتاحه  
والظاهر من هذه الوظيفة انها دينية ولكن متولي هذه الوظيفة الدينية  
مشترك مع عشيرته بتدبير الشؤون الاجتماعية وهذا العمل الديني نفسه  
قد كان عند القوم من أهم الامور العمومية في مدينتهم وجمهوريتهم  
وقد نستطيع ان نشبهها من بعض الوجوه بوظائف كبار رؤساء الدين  
في الامم المتقدمة اليوم ولا يخفى ان وظائفهم من منتهى مدينتهم، ولان



يتولونها شأن يذكر عندهم . وقد كانت الحجابة والسدانة في بني عبد الدار  
الذين منهم عثمان بن طلحة صاحبها  
واما الندوة فمعناها ظاهر من اللفظ نفسه وكانت دار الندوة في  
بني عبد الدار ايضاً

واما المشورة فيريدون بها رئاسة الشورى وليس بعيد عن الصواب  
اذا شبهناها من بعض الوجوه برآسة الوزراء أو رآسة مجلس الاعيان وكانت  
هذه الوظيفة من خصائص بني أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمعة  
ابن الاسود وكان من شأنهم في هذا الوظيفة ان رؤساء قريش كانوا لا  
يجتمعون على امر حتى يعرضوه على صاحب هذه الوظيفة فان أعجبه  
واقفهم عليه والأتخير وكانوا له أعواناً

واما الاشناق فهي الديات والمغارم فقد كانوا يساعدون من يستحق  
المساعدة ممن حمل مفرماً اودية وكان النهوض مع صاحب المفرم لجمع  
المطلوب من خصائص بني تيم الذين منهم أبو بكر الصديق فكان أبو بكر  
اذا نهض مع أحد صدقه قريش واعانوا من نهض معه وان نهض غيره خذلوه  
واما القبة فأشبه شيء بنظارة الحربية ولكن كانوا يمدون اليها  
وقت الحرب فقط وامل ذلك لسداجة الحرب اذ ذاك أو لاستمدادهم  
لها كل وقت اذا تأججت نيرانها وقد كانوا يضربون قبة فيجمعون اليها  
ما يجزون به الجيش وكان ذلك من خصائص بني مخزوم الذين منهم  
خالد بن الوليد صاحبها

واما الاعنة فمعناها رئاسة الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومي  
ايضاً وخالد صاحب هذه الوظيفة هو ذلك الفاتح العظيم القائد العام في

الاسلام لجيوش أبي بكر خليفة النبي عليه الصلاة والسلام وما أظن تاريخ فنّ التعبئة اليوم يخلو من الاستناس بذكر تلك التدابير المخزومية التي كان لها شأن عظيم في الاسلام كما هو شأنها في الجاهلية (أو الجمهورية) وأما السفارة فالمراد بها ظاهر، وقد كانوا يحتاجون الى السفارة في الحروب أي في أوائلها أو بمد شوب نارها وتماظم أوزارها ويحتاجون اليها اذا نافرهم حي للمفاخرة . وقد كانت هذه الوظيفة من خصائص بني عدي الذين منهم عمر بن الخطاب صاحبها وناهيك بذلك الخليفة الثاني الشير بكل منقبة صالحة اذا كان سفير قوم

وأما الايسار فهي الأزلام والقдах كانوا يضربون بها اذا أرادوا أصراً وكان هذا من خرافاتهم وعيوبهم ويحق لنا أن نبالغ في استهجان هذه الخرافة التي كاتواعليها الا أن يكون لهم شيء من النظر من وراء الخرافة كما هو الحال في كثير من الامور الباطلة التي تروج في الامم بسماح من العقلاء أو بترويج منهم لها وقد كانت هذه الوظيفة لبني جمع الذين منهم صفوان بن أمية صاحبها

واما الاموال المحجرة فهي الاموال التي سموها لآلتهم ويصح أن تسمى هذه الاموال أم الاوقاف الخيرية اي ان يندما تشابهاً . وقد كانت هذه الوظيفة أي تولى النظر في الاموال المحجرة من خصائص بني سهم الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها

هذا ما كان من حيث ترتيب التضامن واقتسام الاعمال المهمة .  
واما الامور الجزئية التي كان الافراد يختلفون فيها فتفصل فيها كبار أسرم وعشائرم في الغالب على طريقة التحكيم ولم يكن للقوم من شريمة مكتوبة

وانما كانوا يتصرفون في الامر كما يبدو لهم الصواب فيه وقيسون الامور باشباهها

وهنا يختر في بال القارئ أن يسأل عن الضيف الذي لا يأوي الى ركن شديد من رهطه كيف كان حاله اذا أهين أو ظلم في ذلك المجتمع الذي لا شريعة فيه مكتوبة ولا قوة صهيوية من شأنها وخصائصها دفع القوي عن الضيف . وقد بحثنا في هذه المسألة المهمة فوجدنا القوم لم ينسوها ولم يهملوا شأنها وذلك انهم قرروا في مؤتمر لهم حماية الضيف والذود عنه وكان من حديث ذلك المؤتمر ان قبائل من قريش اجتمعت في دار عبد الله بن جدعان الشهير وتماهدوا وتماقدوا على أن لا يجذوا في مكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك حلف الفضول وكانت الارهاط المتماقدة بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزي وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة

نعم كان من النقص في نظامهم أن لا تكون حماية الضيف من خصائص الجمهور ولكن يظهر انهم كانوا يكتفون في الضيف بأن يجيره واحد من بيوت العزة والقوة فانه يصير مثل مجيره في نظر الجمهور فلا يجسراً حدان يبني عليه

ويمكننا ان نستخلص من كل ما تقدم ان القوم كان لهم شبه قانون اساسي الا انه غير مكتوب ولم يكن لهم قوانين مدنية أو جنائية قط . والامر في الامور المدنية سهل في المجتمعات البسيطة الصغيرة فكل انسان يستطيع فيها ان يحتفظ بحقوقه أو يستعين عليها بالتحكيم وما أشبهه . واما الحوادث

الجناية فلا يجوز اهلها وتركها من غير ان يتولى الفصل فيها أناس مقيدون بقوة تنفيذية مخافة ان تكثر الجنايات ولكن تكافؤ القوى في العسائر والبطون المتساكنين في بلد واحد قد يكون مانعاً من كثرة الجنايات واذا اضيف الى ذلك صلاح الاخلاق والتربية العمومية كان هذا نم الظهير على قليل العدوان وقد كان القوم يتواصون باجتنااب الظلم ولا سيما في البلد الامين ومن وصاياهم في ذلك قول اخذى نسائهم توصي ابناؤها:

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بني ولا يغرنك الفرور

أبني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه ويلح بخديه السعير

أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما بنيت بعرضها قصور

والله آمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وتواصوهم بالهني عن الظلم يعرفنا بتعرف فلسفة القوم التي كانت

تحتمهم على مثل هذا

### الفصل الثالث

ديانة أهل مكة عند البعثة

ويظهر لنا أنهم طرقتوا كسائر الأمم باب الضالة المنشودة وهي معرفة ما هي نفوسنا ومن أين مبادئها وإلى أين متنها وماذا يزكيا وماذا يدسبها نعم طرقتوا هذا الباب ولكن يفتح لهم عن الطريق الموصل إلى

هذه الحقائق المكنونة بل كانت نصيبهم كنصيب الاكثرين ظنوناً  
ورجماً بالغيب

أدرك القوم ان العالم خالقاً ومدبراً هو الذي خلق السموات والارض  
وما فيهن ، وهو الذي خلق السمع والابصار والافئدة ، وقالوا كما يقول  
سوام انه تستحب الرغبة اليه والرغبة منه ولكن في هذا السبيل تاهوا  
فتركوا ههنا العقل والتفكر وقلدوا الامم واتخذوا من الحجارة أوثاناً  
وقالوا ان تعظيم هذه الاوثان يقرب الى الله لان هذه الاوثان تماثيل أو  
كتماثيل لأناس صالحين محبوبين عند الله فتعظيمهم الى درجة العبادة  
يقرب الى الله

لقد غلطوا في ظنهم ان الله يجب هذه الحجارة . وأخطأوا بزعمهم  
ان تنزيل العقول الى تعظيم هذا الجماد ( بهذه الصورة ) تعظيماً قلبياً يرضي  
الله تعالى . وحادوا عن الحق بتخليهم ان هؤلاء يشفعون لهم عند الله تعالى  
وقد كان الواجب ان لا يكون في قلوبهم حب وعبودية الا للحي القيوم  
ولم يكن جائزاً ان يشركو به الجماد ،

وكان لهم أغلاط أخرى كثيرة في ذات الله سبحانه وصفاته وأفعاله  
فقد زعم بعضهم ان الملائكة بناته ، وزعم بعضهم ان الجن شركاؤه في الملك  
وظنوا جميعهم ان لن يبعث الله بشراً يعلمهم ويزكيهم ،

غلطوا في كل هذا وتسفت فيه عقولهم ولكن اعتقادهم بأن للمعلم  
صانماً مدبراً عظيماً هورب الكل وانه يجب ان يتقرب اليه العميد قدر تق  
على ما فيه من الذم والبعد عن الطريق القويم قلوب كثير منهم وكأنه  
أعدّها لقبول حق سيظهر نوره فيمحق خطيئاتهم الاغتدادية

والمشهور ان القوم لم يكونوا يقولون بالمعاد والجزاء الاخروي ولكن الحقيقة أنهم كانوا في ريب وشك أي لم يكونوا جازمين بشيء في هذا الباب وكان أناس منهم تذهب بهم عقولهم الى وجوب المعاد والجزاء الاخروي ولكن عدم اعتقادهم بالجزاء الاخروي لم يكن مانعاً من ان تكون قلوبهم منجذبة الى الاخلاق والاعمال الطيبة التي تحث على مثلها الديانات من البر والإحسان والعدل والصدق والكرم وحماية الضعيف وترك العدوان والابتعاد عن الخيانة والبغي وما أشبه هذه المناقب وعقولهم انما طرأ عليها التسفل الى تعظيم الجماد لان الوثنية هي الغالبة في عصرهم ولا يبعد عن الصواب من يقول ان الوثنية هي الغالبة على طباع البشر كلهم الا قليلاً

فاذا صرفنا نظراً عن تلوث عقولهم بنزغات الوثنية لا نجد من بعدها هذه العقول مظلمة وهي التي اضاءت لهم فمرفوا بها الاخلاق الصالحة والفاصلة ولم يكن يموزم الا ان يقوم فيهم مرشد يهديهم التي هي أقوم من طرائق الاعتقاد بالله وصفاته والتقرب اليه بتوجيه الوجه واسلام القلب اليه ولولا ان للقوم عقولا صافية لما رجي لمحي المرشد من فائدة لانه لا يظهر نور الارشاد الا في اللوح النقي ولكن الرجاء بالتوم في محله فانه لما جاء المرشد لتي أراضى في منتهى الاستمداد لما أراد أن يلقي البذار والى جانبها أراض أخرى فيها من أعشاب التمسك بالقديم ما يحتاج الى زمن في معالجة ازالته وقليل من الاراضي كانت سبخة ليس في الامكان أن ينتج فيها البذار

لا يهولك من القوم سقم عقولهم فيما كانوا يمتقدون فان البشر

كلهم الا قليلاً كانوا ولا يزالون يمتقدون أمثال معتقدات القوم فوا أسفاهان هذا العيب عام وراسخ في البشر ومن أصعب الاشياء استئصال جذوره ولا ندري السر في هذا . ولكن انظر الى هذه الجماعة القليلة كيف أقامت لها شأنًا رفيعاً في العرب كلهم اذ غلبتهم على التوطن في جوار البيت المشرف وأحسنن المقام في هذا الجوار الشريف فقامت بحقوق حجاجه من سقائهم ورفادتهم ، وقامت بحقوق المستضعفين فيه من حمايتهم وتأمينهم ، وقامت بسنن التضامن والتعاون والتواصي بالعدل والاحسان حتى رضي العرب بتقديعهم عليهم اذا تقدموا واياهم لأمر عظيم وشرف جسيم على انهم ليسوا في العرب أكثر عدداً ، ولا أقوى ناصراً . لا جرم قد خصهم الله بأفراد كانوا في نقاء القلوب آية ، وبلغوا في صفاء العقول الغاية ، والأمة والشعوب تحيي بأفراد وعموت بأفراد

وإذا سخر الإله سميحاً  
لأناس فأنهم سعداء

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد حريتهم التي كانوا عليها فأنهم لما خاصوا من تملك أحد عليهم خلصوا من شرور كثيرة تتبع التملك فكانت معاشراتهم ساذجة خالية من عبارات الملق والخنوع وكانت مكاسبهم لا تقسم لا يشاركون فيها مشارك ولا يعرفون المغارم المرتبة والاتاوات المنسوبة

وهم في أمن من حيف القضاة لانهم انهم يتحاضرون يوم يشاءون الى من يرضونه من كبارهم ولا قانون لهم في المسائل الجزئية ترتعد من أحكامه فرائضهم وانما يخشون بأس بعضهم فيرتدعون عن الشر الذي يثار له السوم أو يثار له من أصابهم خاصة

وكان جائزاً لا حدم ان يتدين كما يريد بشرط ان لا يعيب دينهم الذي كانوا عليه ولا يدعو الى ابطاله وقد كان لبعضهم فلسفة في النشور والجزاء الاخرى وبعضهم انصرف عن عبادة الاوثان وبعضهم ميل الى تقليد أهل الكتاب فلم يكونوا يحاسبون أحداً على مثل هذا ولم يكن لديهم نوع من المبايعات حراماً بل يبيعون ويشترون كما يشاءون وكل منهم عارف بمصالحته ولهم همه في التجارة والرحلة فيها الى الشام وغيرها في الصيف والشتاء

أما أهل الصنعة فيهم فلم يكن لهم من قيمة والغالب ان يكون الصناع غرباء

ولهم ازاء حسنة الحرية سيئة كبيرة وهي امتنان الرقيق واحتقاره وتكليفه الشاق من الامور ولم يكن بعضهم يأنف من إكراه امائه على البناء ليأخذ ما يطمئن في سبيله

أما نساؤهم الحرائر فلم يكن جائزاً لمن الزنا ولا سيما اذا كان لمن بعمولة ييدانه لم ينقل لنا انهم رتبوا على الزواني عقاباً بل كان عقابهن الى رأي أهليهن اذا شاءوا

وكان لنسائهم كثير من الحقوق ولهن ان يواجهن الرجال ويبرزن أمامهم حاسرات ويمكن ان يقال بالاجمال ان حرية الرجال والنساء كانت تامة ولذلك نجب من قوم هذا شأنهم اذا رأيناهم لم يرثوا لحال الرقيق ولم يذكروا انه يستحق الرحمة لانه مسلوب أفضل كسائه كساهموه ربهم الأعلى، الذي خلق فسوى،



فبشر مبادئ الدين يستعمل القول فيقولوا بحسب  
أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

# المعجم

١٣١٥

بوقفي الحكمة من يشاء من يؤمن الحكمة فقد آتت  
خبراً كبيراً ولم يذكر الا اولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر الجمعة ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٦ - اول مايو (أيار) سنة ١٩٠٨

## باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس في الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه )  
(١١٨ : ١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ  
لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَصَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا  
تُخْفِ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ  
(١١٩ : ١١٥) هَاءِ تُنَّمُ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ  
بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَإِذْ لَقَرْنَا لَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذْ اٰخَلَوْا غَضُوبًا عَلَيْكُمْ الْآفَالِ  
مِنَ الْفَيْضِ، قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ أَلَّهَ عَلِيمٌ بَدَتِ الصُّدُورِ (١٢٠ : ١١٦)  
إِنْ تَسْتَكْبِرُوا فَتَسَكَّرُوا مِن لَّؤْلُؤِهِمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن لَّؤْلُؤِهِمْ  
تَصَبُّرًا وَمَنْعًا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَمْسَلُونَ مُعِيطٌ

قال الاستاذ الامام ان الآيات السابقة من اول السورة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب وكذا مع المشركين بالتبع والمناسبة وان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة في بيان احوال المؤمنين ومعاملة بعضهم لبعض وارشادهم في أمرهم يعني ان أكثر الآيات السابقة واللاحقة في ذلك

ثم ذكر لبيان اتصال هذه الآيات بما قبلها ثلاث مقدمات ( ١ ) انه كان بين المؤمنين وغيرهم صلوات كانت مدعاة الى الثقة بهم والإيفاء اليهم بالسر واطلاعهم على كل امر منها المخالفة والعهد ومنها النسب والمصاهرة ومنها الرضاة ( ٢ ) ان الغرة من طباع المؤمن فانه يبي أمره على اليسر والأمانة والصدق ولا يبحث عن العيوب ولذلك يظهر لغيره من العيوب وان كان بليدا مالا يظهر له هو وان كان ذكيا ( ٣ ) ان المناصين للمؤمنين من اهل الكتاب والمشركين كان همهم الا كبر اطفاء نور الدعوة وابطال ماجاء به الاسلام وكان هم المؤمنين الا كبر نشر الدعوة وتأييد الحق . فكان الهمان متباينين ، والقصدان متناقضين ، ( ثم قال ) فاذا كانت حالة الفريقين على ما ذكر فهي لا شك مقتضية لان يفضي النسب من المؤمنين الى نسيبه من اهل الكتاب والمشركين وكذا المخالف منهم لمخالفه من غيرهم بشي مما في نفسه وان كان من أسرار الملة التي هي موضوع التباين والخلاف بينهم وفي ذلك تعريض مصلحة الملة للخبال . لذلك جعل الله تعالى للصلوات بين المؤمنين وغيرهم حدا لا يتعدونه فقال

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم

قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ الى آخر الآيات

« بطانة » الرجل وليجته وخاصته الذين يستنبطون أمره ويتولون سره مأخوذ من بطانة الثوب وهو الوجه الباطن منه كما يسمى الوجه الظاهر ظهارة . و « من دونكم » معناه من غيركم و « يألونكم » من الألو وهو التقصير والضعف و « الخبال » في الاصل الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالأمرض التي تؤثر في المنخ فيختل ادراك المصاب بها أي لا يقصرون ولا ينون في إفساد أمرهم . والأصل في استعمال فعل « لا » ان يقال فيه نحو « لا آلو في نصحك » وسمع مثل « لا آلوك نصحاً »

على معنى لا أمنحك نصيحاً وهو ما يسمونه التضمين . و « عثم » من العنت وهو المشقة  
الشديدة و « البغضاء » شدة البغض

اما سبب النزول فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس قال « كان رجال من  
الاسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والخلق في الجاهلية فأنزل  
الله فيهم نبيهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم هذه الآية » وأخرج عبد بن حميد  
انها نزلت في المنافقين . وروى ابن جرير القولين عن ابن عباس . وذكر الرازي  
وجهاً ثالثاً انها في الكافرين والمنافقين عامة قال « واما ما تمسكوا به من أن ما بعد  
الآية مختص بالمنافقين فهذا لا يمنع عموم أول الآية فانه ثبت في أصول الفقه ان  
أول الآية اذا كان عاماً وآخرها اذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً  
من عموم أولها » وسيأتي عن ابن جرير ترجيح الأول

واما المعنى فهو نهي المؤمنين ان يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين الموصوفين  
بتلك الأوصاف على القول بأن قوله « لا يألونكم » الخ نعوت للبطانة هي قيود  
للنهي كذا على القول بأنه كلام مستأنف مسوق للتعليل فالمراد واحد وهو ان النهي خاص  
بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر وهو انهم لا يألونهم خيالاً وإفساداً لأمرهم  
ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً فهذا هو القيد الأول . والثاني قوله عز وجل « ودوا ما عثم » أي  
تمنوا عثم أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة . والثالث والرابع قوله « قد بدت  
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » أي قد ظهرت علامات بغضائهم  
لكم من كلامهم . فهي لشدة ما يعوزهم كتمانها ويعز عليهم اخفاؤها على أن  
ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها . وهذا النوع  
من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح ممن يدعونهم  
اليه وما كان المسلمون الأولون يعرفون سنة البشر في ذلك اذ لم يكونوا على علم  
بطبائع الملل وقوانين الاجتماع وحوادث التاريخ حتى أعلمهم الله بذلك ولذلك قال

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ يعني بالآيات هنا العلامات الفارقة بين  
من يصح ان يتخذ بطانة ومن لا يصح ان يتخذ لخباته وسوء عاقبة مباطنته . أي

ان كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والفصول الفارقة بين الاعداء والاولياء فاعتبروا  
بها ولا تتخذوا أولئك بطانة

وانت ترى ان هذه الصفات التي وصف بها من نهى عن اتخاذهم بطانة لو  
فرض ان اتصف بها من هو موافق لك في الدين والجنس والنسب لما جاز لك ان  
تتخذ بطانة لك ان كنت تعقل فما أعدل هذا القرآن الحكيم وما أعلى هديه  
وأسمى إرشاده؟ لقد خفي على بعض الناس هذه التعليلات والقيود فظنوا أن  
النهي عن المخالف في الدين مطلقاً ولو جاء هذا النهي مطلقاً لما كان أمراً غريباً  
ونحن نعلم ان الكافرين كانوا إلباً على المؤمنين في أول ظهور الاسلام إذ نزلت  
هذه الآيات لاسما اليهود الذين نزلت فيهم على رأي المحققين . ولكن  
الآيات جاءت مقيدة بتلك القيود لان الله تعالى - وهو منزلها - يعلم ما يعتري  
الأمم وأهل الملل من التغير في الموالاة والمعاداة كما وقع من هؤلاء اليهود فانهم  
بعد ان كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا في أول ظهور الاسلام قد انقلبوا  
فصاروا عوناً للمسلمين في بعض فتوحاتهم ( كفتح الاندلس ) وكذلك كان القبط  
عوناً للمسلمين على الروم في مصر فكيف يجعل عالم الغيب والشهادة الحكم على هؤلاء  
واحداً في كل زمان ومكان أبد الأبد؟ ألا إن هذا مما تنبذه الدراية ولا تروي  
غلبه الرواية . فأن أرجح التفسير المأثور يؤيد ما قلنا .

قال ابن جرير يرد على قتادة القائل بأن الآية في المناقنين ويؤيد رأيه الموافق لما  
اخرناه من نصه: «ان الله تعالى ذكره إيمانهم ان يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه  
بالفئس للاسلام وأهلهم والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على ان ذلك من صفتهم . وإما  
بإظهار الموصوفين بتلك العداوة والشئان والمناسبة لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه  
الذي نهى الله عز وجل عن مخالته ومباطته فغير جائز ان يكونوا نهوا عن مخالته  
ومصادقته إلا بعد تعريفهم إياهم إما بأعيانهم وأسمائهم وإما بصفات قد عرفوهم بها .  
وإذا كان ذلك كذلك وكان إبداء المناقنين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين  
الى إخوانهم الكفار ( أي كما قال قتادة ) غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه  
لهم مع إظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذين نهى الله عن

اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعمت الله بها وأنهم هم الذين وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون من كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المناقين لكان الأمر منهم على ما بينا ولو كانوا الكفار من ناصب المسلمين الحرب لم يكن المؤمنون متخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم واقتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله (ص) عهد وعقد من يهود بني إسرائيل « اهـ

فهذا شيخ المفسرين وأشهرهم يجعل هذا النهي فيمن ظهرت عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه ممن كان لهم عهد فخانوا فيه كبنى النضير الذين حاولوا قتل النبي (ص) في أثناء ائتمانه لهم لمكان الصهد والمخالفة ويمنع ان يكون مراداً به جميع الكافرين أو المناقين

فهذا حكم من احكام الاسلام في المخالفين أيام كان جميع الناس حرباً للمسلمين فهل ينكر أحده مسكة من الانصاف انه في هذه القيود التي قيد بها يعد متساهل والتسامح مع المخالفين ، إذ لم يمنع اتخاذ البطانة الا من ظهرت عداوتهم و بغضاؤهم للمسلمين ، فهم لا يقصرون في إفساد أمرهم ويتمنون لهم من الشر فوق ذلك . لو كانت هذه القيود للنهي عن استعمال المخالفين في كل شيء ومشاركتهم في كل عمل لكان وجه العدل فيها ازهر ، وطريق الصذر فيها أظهر ، فكيف وهي قيود لاتخاذهم بطانة يستودعون الاسرار ويستعان برأيهم وعملهم على شؤون الدفاع عن الملة وصون حقوقها ومقاومة أعدائها ؟ ؟

ما أشبه هذا النهي في قيوده بالنهي عن اتخاذ الكفار انصاراً وأولياء إذ قيد بقوله عز وجل ( ٦٥ : ٨ ) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبرؤهم وتسقطوا إليهم ان الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم

ومن يتوهم فأولئك هم الظالمون) وقد شرحنا هذا البحث في تفسير قوله تعالى (٣ : ٢٨ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله) (١)  
هذا التساهل الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد عمر بن الخطاب الى جعل رجال دواوينه من الروم وجرى الخليفتان الآخران وملوك بني أمية من بعده على ذلك الى ان نقل الدواوين عبد الملك بن مروان من الرومية الى العربية . وبهذه السيرة وذلك الارشاد عمل العباسيون وغيرهم من ملوك المسلمين في إناطة أعمال الدولة باليهود والنصارى والصابئين ومن ذلك جعل الدولة العثمانية أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الاجانب من النصارى . ومع هذا كله يقول متعصبو أوربا ان الاسلام لا تساهل فيه !! « رميتي بدائها وانسلت » ألا ان التساهل قد خرج عند المسلمين عن حده حتى كتب الاستاذ الامام في ذلك مقالة في العروة الوثقى صدرها بالآية التي نفسرها نوردناها برمتها لانها تدخل في باب تفسير الآية والاعتبار بها على أكمل وجه وهذا نصها ( تقلا من الجزء الثاني من تاريخه ) :

\*\*\*

« قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة والقلع المنيعه والجيش العاملة والاهب الوافرة والأسلحة الجيدة . قلنا نعم هي أحرار وآلات لا بد منها للعمل فيما بقي البلاد ولكنها لا تعمل بنفسها ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها ولا حراسة الا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولورأي وحكمة يتعهدونها بالأصلاح زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الحنق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة يوظفون طرق الامن ويسيطون بساط الراحة ويرفعون بناء الملك على قواعد العدل ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بينها بل يحملوها على أجنحة السياسة القويمة الى أسمى مكانة تمكن لها . ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بحجة البلاد طافحة بالمرحمة والشفقة على سكانها وحتى تكون

الحمية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم يجدون في أنفسهم منها على ما يجب عليهم  
وزاجرا عمالاً يليق بهم وغضاضة وألماً موجهاً عند ما يمس مصلحة المملكة ضرر  
ويوجس عليها من خطر ليتيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا  
أعمال وظائفهم كما ينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليلاً الى فساد كبير  
في الملك . فهؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنعة الواقية والقوة الغالبة .

«يسهل على أي حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتاب ويجمع الجنود ويوفر  
العدد من كل نوع بتقد النفود وبذل النفقات ولكن من أين يصيب بطانة من  
أولئك الذين أشرفنا اليهم : عقلاء رحماء أباة أصفياء تهمهم حاجات الملك كما تهمهم  
ضرورات حياتهم . لا بدان يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة ويراعي ناموس  
الطبيعة فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق  
وقلما يخطئ في رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلاً وجعل له من هديه مرشداً  
وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلية وجزئية وطب  
أسبابها لا يجد لها من سلة سوى الميل من قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه .

«من أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والمرحمة والحمية والنعرة على الملك  
والرعية انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ ووشيح يشد صلته بها . هذه فطرة  
فطر الله الناس عليها . ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس والمشرب بزاعي نسبتها اليها  
ونسبتها اليه ويراها لا تخرج عن سائر نسبة الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين  
معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحرمة ( راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى  
بين العامة عند ما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسوري  
ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين ) هذا الى ما يعلمه كل واحد من الأمة  
أن ماتت أمة من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الأرزاء يصيبه سهم منه  
خصوصاً ان كان بيده هامات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظه  
( حينئذ ) من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم وسهمه من العار الذي يلحق الأمة  
أكبر فيكون اهتمامه بشؤون الأمة التي هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمنه  
من المنفعة أو يخشاه من المضرة

فعل ولي الأمر في مملكة أن لا يكل شيئاً من عمله الا الى أحد رجلين إما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتزيق موقرة في نفوس المتظنين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التغالي في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والاديان وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالدين الاسلامي الذي حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلاً من الجامعتين (الجنسية على النحو السابق والدينية) مبدآن للحمية على الملك ومنشآن للغيرة عليه .

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تقوم رابطة مقام الجنس فثلهم في المملكة كمثل الأجير في بناء بيت لا يهجمه الاستيلاء أجرته ثم لا يبالي أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل هذا اذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر واقفين فيها عند الرسم الظاهر فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يمس شيء مما يمسها من الضعة لانه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقها وارتد الى منبته الذي ينتسب اليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنبته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم بدهاهة العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه على الخذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلي شأنه بل لا يجد باعثاً على الفكر فيما يقوم مصلحته من أي وجه . هذه حالم هي لهم بمقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبراءتهم من أغراض آخرها ظنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والفاقة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأهمهم يهدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التي يتولون الوظائف فيها ( كما هو حال الأجانب في الممالك الاسلامية لا يجدون في أنفسهم حاملاً على الصدق والأمانة ولكن يجدون منها الباعث على النفس والحياة ) ومن تتبع التواريخ التي



تمثل لنا احوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خليقته وتصريفه لشؤون عباده رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصنوعة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها بيد أجنبي عنها وان تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول الضرر الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء الى الوظائف السامية في أعمالها، فان ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً اذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طينتهم من أزمان طويلة « نعم كما يحصل الفساد في بعض الاخلاق والسجايا الطبيعية بسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمة أبناء الدين أو الأمة ويطرأ النقص على شفقتهم ومرحمهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك اذا كان ولي الأمر لا يقدر أعمالهم حتى قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافعهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضرره أخف وأقرب الى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الأجنبي لها من الأمور في البلاد لان صاحب اللحمة في الأمة وان مرضت أخلاقه واعتلت صفاته الا ان ما أودعته الفطرة وثبت في الجبل لا يمكن محوه بالكلية فاذا أساء في عمله مرة أزعجه من نفسه صاح الوشيجة الدينية أو الجنسية فيرجع الى الاحسان مرة أخرى وان ماشد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والاتفات اليها ويميله الى المتصلين معه بتلك العلائق وان بعدوا .

« لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الاسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمر المسلمين حيث سلموا أمورهم ووكلوا أعمالهم من كتابة وادارة وحماية للاجانب عنهم بل زادوا في موالة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم في بطون بيوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم في ممالكهم بهدماراً وكثرة المطامع فيها لهذا الزمان وأحسوا بالضغائن والاحقاد الموروثة من اجيال بعيدة بعد ما علمتهم التجارب انهم اذا ائتمنوا خانوا ، واذا عزروا أهانوا ، يقابلون الاحسان بالاساءة ، والتوقير

بالتحقير ، والنفمة بالكفران ، ويجازون على اللقمة باللحمة ، والركون اليهم بالجفوة ،  
والصلة بالقطيعة ، والثقة فيهم بالخدعة ،

« اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لاتنقض ؟ ألم يأن لهم ان  
يرجعوا الى حسمهم ووجدانهم ؟ ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدتهم  
الحوادث ودينهم عليه الرزايا والمصائب ؟ ألم يحزن لهم ان يكفوا عن تخريب  
بيوتهم بايديهم وايدي اعدائهم ، ألا أيها الامراء العظام مالكم وللأجانب  
عنكم ؟ «هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم» قد علمتم شأنهم ، ولم تبق ريبة في أمرهم ،  
« ان تمسككم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » سارعوا الى ابناء أوطانكم  
واخوان دينكم وملتكم وأقبلوا عليهم ببعض ماتقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير  
عون وأفضل نصير ، اتبعوا سنة الله فيما أهلككم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين ،  
وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخطل الى أسفل  
سافلين ، ألم تروا ألم تعلموا ألم تحسوا ألم تجربوا ؟؟ الى متى الى متى إن الله وإنا اليه راجعون » اه

\*\*\*

هذا بيان يريك بالحجج الاجتماعية الناهضة ان الغريب عن الملة لا يتخذ بطانة  
للقائمين بأمر الملة ، والغريب عن الدولة لا يتخذ بطانة لرجال الدولة ، وان لم يكن هؤلاء  
الغرائب متصفين بما ذكر في الآية من العدوان والبغضاء فكيف اذا كانوا كذلك  
بينت لنا الآية التي فسرناها بعض حال اولئك الذين نهى المؤمنون عن اتخاذ  
البطانة منهم مع المؤمنين فدونك هذه الآية التي تبين حال المؤمنين معهم :  
﴿ هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ فالقرآن ينطق بأفصح عبارة وأصرحها واصفا  
المسلمين بهذا الوصف الذي هو من آثار الاسلام وهو انهم يحبون اشد الناس عداوة لهم  
الذين لا يقصرون في افساد أمرهم وتبني عنهم على ان بغضاءهم لهم ظاهرة وما خفي  
منها اكبر مما ظهر . اولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم اوفي طائفة منهم ( ٥ : ٨٢ )  
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ( الخ يعني اولئك اليهود المجاورين لهم في  
الحجاز . أليس حب المؤمنين لا اولئك اليهود الغادرين الكائدين واقرار القرآن  
اياهم على ذلك لانه اثر من آثار الاسلام في نفوسهم هو أقوى البراهين على ان هذا

الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح لا يمكن ان يصوب العقل نظره الى اعلى منه في ذلك؟ بلى ولكن وجد في الناس من ينكر عليه ذلك ويصفه بضده زورا وبهتاناً بل تعصبا خروا عليه صما وعمياناً

من هم الذين يرمون الاسلام بانه دين بغض وعدوان؟ لا اقول انهم النصارى الذين كانوا أجدر بحبنا وودنا من اليهود لقوله تعالى في تمة الآية التي استشهدنا بها آنفاً ( ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ) بل هم قسوس اوربا المتعصبون على الاسلام من حيث هو دين، وساستها المتعصبون على الاسلام من حيث هو شرع ونظام قامت به دول وممالك . فاوروبا التي تهتم الاسلام — والشرق الأدنى كله لاجل الاسلام — بالتعصب والبغضاء للمخالف هي التي ابادت من بلادها كل مخالف لدينها الا الترك فانها لم تقو على ابادتهم حتى الآن ولولا ما بين دولها من التنازع السياسي لتقضت عليهم . فنصارى الشرق ومسلموه وكذا وثنيوه إنما اغترفوا غرفة من بحر تعصب أوروبا وولكنهم لا قوة لهم على الدفاع عن انفسهم أمام اولئك المعتدين أما قوله تعالى ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ فمعناه أنكم تؤمنون بجميع ما نزل الله من كتاب سواء منه ما نزل عليكم وما نزل عليهم فليس في نفوسكم من الكفر ببعض الكتب الالهية او النبيين الذين جاؤا بها ما يحملكم على بغض اهل الكتاب فأنتم تحبونهم بمقتضى ايمانكم هذا . وذكر بعضهم ان جملة « وتؤمنون » حالية من قوله « ولا يحبونكم » والمعنى انهم لا يحبونكم مع انكم تؤمنون بكتابهم وكتابكم فكيف لو كنتم لا تؤمنون بكتابهم كما أنهم لا يؤمنون بكتابكم؟ فأنتم أحق بغضهم أي ومع ذلك تحبونهم ولا يحبونكم

قال ابن جرير : « في هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان وراقهم بأهل الخلاف لهم » وقساوة قلوب أولئك وغلظتهم على أهل الايمان، كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة : قوله « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المنافق منه لأباد خضراءه . » حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني

حجاج عن ابن جريج قال « المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن برحمته ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه » اهـ  
فهؤلاء أئمة التفسير من سلف الأمة يقولون إن المسلم خير للكافر وللمنافق منها له حياً ورحمة ومعاملة . وكذلك قالوا في السني مع المبتدع كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قالوا ان من سلامة أهل السنة ان يرحموا المخالف لهم ولا يتطهروا أخوته في الدين . ولذلك يذكرون في كتب العقائد « لا نكفر أحداً من أهل القبلة » بل كان رواية الحديث من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن يروون عن الشيعة والمعتزلة لا يلتفتون الى مذهب الراوي بل الى عدالته في نفسه .

ونتيجة هذا كله ان الانسان يكون في التساهل والمحبة والرحمة لاخوانه البشر على قدر تمسكه بالآيمان الصحيح وقربه من الحق والصواب فيه . وكيف لا يكون كذلك والله يقول لخيار المؤمنين « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » فهنا نحتاج على من يزعم أن ديننا يفرينا بغض المخالف لنا كما نحتاج على بعض الجاهلين منا بدينهم الذين يطغنون ببعض علمائهم وفضلائهم ، لمخالفتهم إياهم في مذاهبهم وآرائهم ، أو في ظنونهم وأهوائهم ، والذين سرت اليهم عدوى المتعصين ، فاستحلوا هضم حقوق المخالفين لهم في الدين .

ثم قال تعالى شأنه مبدئ الشأن طائفة منهم اسندها اليهم في الجملة على قاعدة تكافل الامة وكونها كشخص واحد ﴿واذا لقوكم قالوا آمنا واذخلو اعضاء عليكم الا نامل من الفيظ﴾ كان بعض اليهود يظهرون الايمان للنبي (ص) والمؤمنين نفاقاً وخداعاً ومنهم من كان يظنه ثم يرجع عنه ليشكك المسلمين كما تقدم في آية (٧٢) من هذه السورة (\*)  
واذا خلا بعضهم الى بعض اظهروا ما في نفوسهم من الفيظ والحقد الذي لا يستطيعون معه الى التشفي سبيلاً . وعرض الا نامل كناية عن شدة الفيظ ويكنى به ايضا عن الندم ﴿قل موتوا بفيظكم﴾ فان الاسلام الذي هو سبب غيظكم لا يزداد باعتصام أهله به الاعزة وقوة وانتشاره وقال ابن جرير «موتوا بفيظكم الذي على المؤمنين لاجتماع كلمتهم واتلاف

جماعتهم» فليعتبر المسلمون اليوم بهذا اللهم تذكرون انه ما حل بهم ما حل من الأرزاء  
الابزوال هذا الاجتماع والاتلاف وبالتفرق بعد الاعتصام ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾  
فهو يعلم ما تضم صدوركم من شعور النفيظ والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف  
يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يبيديه بعضكم لبعض من ذلك: ويعلم كذلك  
ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم

ثم قال مينا حسدكم وسوء طويتهم ﴿ان تمسككم حسنة تسوؤهم وان تصبكم سيئة  
يفرحوا بها﴾ المس في الاصل كالمس والمراد بتمسككم هنا تصبكم ولعل اختيار لفظ المس  
في جانب الحسنة والاصابة في جانب السيئة للاشعار بان اولئك الكافرين يسوؤهم  
ما يصيب المسلمين من خير وان قل بان كان لا يزيد على ما عس باليد وانما يفرحون  
بالسيئة اذا اصابت المسلمين اصابة يشق احتمالها . هذا ما كان يتبادر الى فحبي ولكن  
رأيت صاحب الكشف يجعلها هنا بمعنى واحد ويستدل باستعمال القرآن لكل  
منها في موضع الآخر ويقول ان المس مستعار للاصابة . ثم خطر لي ان اراجع  
تفسير أبي السعود فاذا هو يقول « وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة  
للايدان بان مدار مساتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة  
السيئة . وإما لأن اليأس مستعار لمعنى الاصابة » والاول هو الوجه وهو من دقائق  
البلاغة العليا . والحسنة المنفعة سواء كانت حسية او معنوية وأعظمها انتشار الاسلام  
ودخول الناس فيه واتصار المسلمين على المعتدين عليهم المقاومين لدعوتهم . قال  
قتادة في بيان ذلك كما رواه عنه ابن جرير « فاذا رأوا من اهل الاسلام الفة  
وحماية وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك وساءهم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة  
واختلافا واصيب طرف من اطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به »  
فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدهم وأوطأ محلته وأبطل حجته وأظفر  
عورته» فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة »

ثم أرشد الله المسلمين الى ما إن تمسكوا به سلموا من كيدهم الذي

يلدغهم اليه الحسد والبغضاء، فقال ﴿وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا﴾

ذهب بعضهم الى ان المراد وان تصبروا على عدواتهم وتثقوا اتخاذهم بطانة ومواليتهم من دون المؤمنين لا يضركم كيدهم لكم وهم بمنزل عنكم . وذهب آخرون الى أن المراد وان تصبروا على مشاق التكاليف وامثال الأوامر عامة وتثقوا ما نهيتهم عنه وحظر عليكم - ومنه اتخاذ البطانة منهم - لا يضركم كيدهم . و « يضركم » بتشديد الراء من الضرر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب « يضركم » بكسر الضاد وسكون الراء الخفيفة من ضاره يضيره والضير بمعنى المضرة . وقال الأستاذ الإمام ان الصبر يذكر في القرآن في مقام ما يشق على النفس ، وحبس الإنسان سره عن وديده وعشيرته ومعامله وقريبه مما يشق عليه فان من لذات النفوس ان تفضي بما في الضمير الى من تسكن اليه وتأنس به فلما نهوا عن اتخاذ بطانة ممن دونهم من خلطائهم وعشرائهم وحلفائهم وعلل بما علل به من بيان بفضائهم وكيدهم حسن ان يذكروا بالصبر على هذا التكليف الشاق عليهم وابتقاء ما يجب اتقاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم . ويصح ان يراد بالتقوى الأخذ بوصاياه وامثال أمره تعالى في البطانة وغيرها .

أقول ومن الاعتبار في الآية انه تعالى أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين وابتقاء شرهم ولم يأمرهم بمقاولة كيدهم وشرهم بمثله وهكذا شأن القرآن لا يأمر إلا بالحب والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة ان أمكن كما قال ( ٤١ : ٤٣ ) ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) فان لم يمكن تحويل العدو إلى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها فانه يجوز دفع السيئة بمثلها من غير بغي ولا اعتداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة بني النضير الذين نزلت الآية فيهم أولاً بالذات فإنه حالفهم ووادهم فسكرثوا وخانوا غير مرة أعانوا عليه قريشاً يوم بدر وادعوا انهم نسوا العهد ثم اعانوا الاحزاب الذين تحزبوا للإبادة المسلمين ثم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فتعدرت موادتهم واستمالتهم بالحب وحسن المعاملة فكان اللجأ الى قتالهم وإجلالهم ضربة لازب

ثم قال ﴿ ان الله بما يعملون محيط ﴾ قال الاستاذ الامام مأمثاله: المحيط بالعمل هو الواقف على دقائقه فهو اذا دل على طريق النجاة لعامل من كيد الكائدين والوسيلة

للخلاص من ضررهم فأنما يدل على الطريق الموصل للنجاة حتماً ، والوسيلة المؤدية الى النجاح قطعاً ، قال كلام كالتعليل لكون الاستعانة بالصبر والتمسك بالقوى شرطين للنجاح . وهناك وجه آخر وهو أن الخطاب بتعلمون عام للمؤمنين والكافرين جميعاً - يعني على قراءة الحسن وابي حاتم «تعملون» بالمشاة الفوقية او على الالتفات - ومن كان عالماً بعمل فريقين متحادين محيطاً بأسباب ما يصدر عن كل منهما ومقدماته ، ونتائج وغاياته ، فهو الذي يعتمد على ارشاده في معاملة احدهما للآخر ولا يمكن أن يعرف أحدهما من نفسه في حاضرها وآتيها ما يعرفه ذلك المحيط بعمله وعمل من يناهضه ويناصبه فهداية الله تعالى للمؤمنين خير ما يلفون به المآرب ، وينتهون به إلى أحسن العواقب

وأقول ان الإحاطة إحاطتان إحاطة علم وإحاطة قدرة ومنع وهذا التفسير مبني على ان الإحاطة هنا إحاطة علم لتعلقها بالعمل وذلك من الجاز الذي ورد في التنزيل كقوله تعالى (٦٥: ١٢) احاط بكل شيء علماً ) وقوله (١٠: ٣٩) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ) واما الإحاطة بالشخص أو بالشيء ، قدرة فهي تأتي بمعنى منعه مما يراد به وهذا ليس بمراد هنا وبمعنى منعه مما يريد به وبمعنى التمكن منه ومنه الإحاطة بالعدو اي اخذه من جميع جوانبه بالفعل او التمكن من ذلك ومنه قوله تعالى (٢: ٨١) واحاطت به خطيئته ) وقوله ( ١١ : ٩٢ ) إن ربي بما تعملون محيط ) وقوله ( ١٠ : ٢٢ ) وظنوا أنهم احيط بهم ) كل هذا من باب واحد وان فسر كل قول بما يليق به . فيصح ان يكون منه ما نحن فيه والمعنى حينئذ ان الله قد دللكم يامعشر المؤمنين على ما ينجيكم من كيد عدوكم فعليكم بعد الامثال ان تعلموا انه محيط بأعمالهم إحاطة قدرة تمنعهم مما يريدون منكم معونة منه لكم كقوله ( ٤٨ : ٢١ ) واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها ) فعليكم بعد القيام بما يجب عليكم ان تثقوا به وتوكلوا عليه

ومن مباحث اللفظ في الآيات قوله «ها أتم أولاً» أصله اتم هو أولاً فقد مشت أداة التنبية التي تلحق اسم الإشارة «أولاً» على الضمير . ويقال في المفرد «ها أناذا» وعلى ذلك فقس . واغرابه : ها التنبية وأتم مبتدأ وأولاً خبره وتجبونهم في موضع النصب على الحال أو خبر بعد خبر . وجوز بعضهم ان تكون أولاً اسم موصول وتجبونهم صفة

## اليمن

## سبب قننتها وامام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تترصد بها الدوائر وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود وهم على بقاء مميزاتهم الجنسية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الغابرة لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الأستانة ومصر والشام والأناطول وغيرها من الأقطار الإسلامية : لا تزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن لم تعلمهم المدنية الأوربية التعصب للجنس كما علمت الأتراك ولا لالقبعة كما علمت المصريين فهم يتمنون لو يجدون من الترك حكماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك

ولكن الذي لا يطيقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والفدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين

وقد بينت في المنار من قبل أن فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين العدول العارفين بالشرع المهتدين به يكفون الدولة في اليمن امر هذه الحروب التي طالت عليها السنين فخربت البلاد واضاعت على الدولة من الأموال والرجال ما هي في أشد الحاجة إليه لصيانة استقلالها من عبث أوربا التي تواتبها المرة بعد المرة ، وأضرت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجود إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بعلم الخضوع للدولة العثمانية ولسكنهم مع ذلك يتمنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ويكون لها منهم ما يريدون فما بالك بغيرهم حاولت الدولة غير مرة أن تقيم المحجة الشرعية على هؤلاء بوجود طاعة



السلطان ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي بغير الحق حجج عملية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تفيد معها شيئاً وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه اليه الشيخ محمد الحريري مقي حماه المندوب الذي أرسله اليه السلطان منذ سنين ومنه يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

### حجج المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين

( عصمتي بالله وما توفيقى إلا بالله )

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف بركتهم جهل الجاهلين ، وارفع بحميد سعيهم غفله الغافلين ، فهم ببحور العلم الزاخرة ، وبمجوم الهدى الزاهرة ، وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد الشامخ المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب المشر روضه الوريث ، السيد محمد الحريري الرفاعي الحسيني الحموي ، ألبسه الله جلباب التقوى ، وقاده إلى التمسك بالحبل الأقوى ، واعاد على محياه السلام الأسنى ، والأكرام الأهنى ، وصلى الله على محمد خاتم أنبياء ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى صحابه الذين اتبعوه بهدياته وفي محياه ،

أما بعد فانا محمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وانهوا فانا منك أيها السيد كتاب كريم ، ومستور رائق نفيم ، افاد معرفة بحق العترة النبوية ، والسبالة العلوية ، بماورد فيهم من الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة المروية ، ودوان دواعي المحبة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت الى المكاتبة والمواصلة ، وان من لوازم المحبة والايمان ، بذل النصيحة للإخوان ، لا سيما ولالة الأمور ، الذين ناط الله

بهم صلاح الجمهور ، وافاد الله الله انه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والاثتلاف ، وانه يرى الخير في إصلاح ذات الين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والحين ، وانه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وانه مناط الرضالرب الأرباب ، وان السلطان الأعظم ممن أقام الله به الدين ، وانتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهاد الكفار ، ومناذرة الاشرار ، وان رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقع الفجار المعتدين ، وان القطر اليماني المحروس بالله محل الايمان ، كما ورد عن سيد ولد عدنان ، وان سعيه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة ايمانية

فقول نعم الامر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة اعز الله بها الاسلام ، وقع بها ذوي الاتحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نعول على جمع المال ووفرة المكسب ، ولا مزيد على ما نحن فيه من الحسب والنسب ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقهم لله ، ولا رعوا حرمة ما حرمه الله ، ولا غضبوا يوما على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، و« شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا اليها الناس باطراف النواصي ، وجأهروا الله بشرب الخمر ، وارتكاب الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، واهانوا كل شريف ، حتى فسدت الذرية ، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية ، وصارت الأكراد والمجوس تحكم في البرية . « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة » . ولا تأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بدا ، استعنا وتوكلنا عليه وبدلنا في الجهاد جهدا ، امثالاً لقول الله عز وجل « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وقوله عز وجل « وتكن منكم يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » وقوله « كنتم خيرا ما أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وخوفا مما خوفنا الله به من نحو قوله تعالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « لتأمرنّ بالمعروف وتنهين عن المنكر او ليلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » حتى اذا بلغ الكتاب أجله كان هو الله المتصرف لنفسه ولم نزل نتوخى ان السلطة القاهرة أعز الله بها الاسلام ، اذا رفعت اليها تلك القبائح التي لا يختلف في وقوعها اثنان ، أن تأخذها حمية الدين والايمان ، على تلافي ما فرط من الاضاعة ، وتستدرك ما فات من حق عترة رسول الله الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفاعة ، فلم يزدادوا مع طول المدة الا انسلاخا من الدين ، وتوسعا من تأمر الفجرة المعتدين ،

فان قلت ايها السيد ان تلك القبائح مباحة في الاسلام ، وان فعلها مستحل من أتباع شريعة سيد الانام ، فهايت الدليل ، ولا يقول بذلك الا ضليل ، وان انكرت ايها السيد أن ذرية الرسول ، هم الحجّة في الفروع والاصول ، صاح بك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن ذلك هو الفضل الكبير » وقوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدأ كتاب الله وعتري اهل بيتي ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن عند كل بدعة تكون من بعدي وليا من ذريتي » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي امان لاهل الارض » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي كسفينة نوح » وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور آيين للحجة ، واوضح للمحجة ، لا ما خوفتنا به من القتل والنكال ، فاننا اهل بيت لا تزغنا كواذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله إلا من اشرف الخصال ، ولا نفرع الى غير ذي الجلال ، ولا ندعو سواه في البكور والآصال

على ان قومي تحسب الموت مغنما وان فرار الزحف عار ومغرم  
« آمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون  
الآفي غرور » ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم

من بعده « ان تصبروا لله ينصركم ويثبت اقدامكم » ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » فنحن من وعد ربنا على يقين « والعاقبة للمتقين » وانك لا تجد في خطتنا المنصورة إلا قائما لعبادة ربه اذا اسدل الليل جناحه « او تاليا كتاب الله وذا كرا اذا أطلع الفجر صباحه « ومساجدنا معمورة بالعلم والعمل « وقلوبنا ضالة عن الجبن والفشل « ولا نفتخر كثيرا بالآلات الحرب الفاخرة « ولا بالسيوف المتكاثرة « التي تحت امرنا عائرة « بل تبرا من الحول والقوة « وتمسك باذيال سيرة الامامة والنبوة ممارس طابت في ربا الفضل فالتقت على انبياء الله والخلفاء اذا حمل الناس اللواء علامة كفافهم مشار القمع كل لواء فقد اوضحنا لك ايها السيد طريقتنا « وأبلغنا اليك أفعال أعادينا « فاي الفريقين استقى بالامن ان كنتم تعلمون « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون » ولو يعلم السلطان الاعظم حقيقة الحال « لسارع الى اعانتنا في الحال والمآل « ورفع جميع المأمورين من الخطة اليمانية « وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية « ولنهم عن محاربة العترة النبوية « التي هي بضعة من الذات الشريفة المحمدية « ولأوفي جدنا الاعظم اجر تبليغ الانباء المشار اليه « بقل لا اسألكم عليه « الآية .

ولتباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين « من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال » وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته « انا حرب لمن حاربتم سلم لمن سلمتم » وقد امر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وثبتهم بقوله « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله واولئك هم الصادقون » قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين « يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء « ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار فاذا وجدت ايها السيد خلاصا من اوامر

الله افدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخريف بالمخلوقين كما قد قيل  
جاء شقيق عارضا ربحه ان نبى عمك فيهم رباح  
واما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، والأفوه عندنا من اعظم  
المسالك ، حقتل الدماء ، ورفما للدهماء ، ونسأل الله ان يرفع عن الامة المحمدية السوء والخمن ،  
ويجعلها على اتباع الكتاب وقرنائه اهل بيت النبي المؤمن ، وان يعيدنا من نزغات  
الشیطان الرجيم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .  
وكان اللاتق بحال اركان السلطان الاعظم ان يجعل القطعة اليمانية من جملة الممالك  
التي بأيدي الكفار وقد اضر بها عنها صنفعا ، وطوا عنها كشحا ، وما سارعوا لغير  
مملكة اليمين التي بأيدي اولاد رسول الله ، يحكمون فيها بما انزل الله ، ويمنعون محارم  
الله ، فلا جعلوا آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم ؛ اللهم اشهد وكفى  
بك شهيدا ، اه

( المنار ) تسمع الدولة هذه الاخبار وتقرأ مثل هذا الجواب ثم هي توالي ارسال  
الجيش الى اليمن فاذا توالى انكسارهم ارسلت من الرسل السلميين من يقيم الحجة  
على امام الزيدية ؛ لم نعتبر باخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فارسلت في  
العام الماضي وفدا من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت  
كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت واليا عادلا حكيما وعمالا من اهل الدين  
والاستقامة فبذلك لا بسواه تنظفي نار الفتنة ، وتخضع اليمين للدولة ، فاذا اعوز  
الدولة هذا العلاج ، فلتعلم ان جميع بلاد العرب ستبغ اليمين في الخروج عليها ، او  
الخروج من سلطتها ،

## المؤتمر الاسلامي

سبق لنا قول في المؤتمر الإسلامي الذي اقترحه اسماعيل بك غصبرنسكي  
القريني وتقول الآن ان اللجنة التي تألفت للبحث في ذلك وسمت نفسها اللجنة  
التأسيسية قد وضعت لهذا المؤتمر قانوناً طبعته وأرسلته مع دعوة عامة مطبوعة بالعربية

والتركية والفارسية الى الجرائد الإسلامية في القطر المصري وغيره من الأقطار الإسلامية والى من عرفت من أهل الفضل والرأي من المسلمين، وقد جمعت الباب الثاني من القانون خاصاً ببيان موضوع المؤتمر وفيه ثلاث « مواد » نذكرها بنصها وهي :

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ وظيفة المؤتمر هي البحث في الأسباب التي أوجبت تأخر المسلمين من الوجهة الاجتماعية ومما دخل الدين من البدع والنظر في إزالة تلك الأسباب وفيما يؤدي الى رفاههم

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾ لا تقبل الآراء التي تعرض من الوجهة الدينية إلا إذا كان لها سند من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾ لا يجوز التعرض في مناقشات المؤتمر وأبحاثه للمسائل السياسية أيما كان نوعها اهـ

وقد سرنا موافقة الشيخ سليم البشري رئيس اللجنة على المادة الخامسة عشرة سروراً عظيماً وعددناها من بشارت الإصلاح، وأمارات النجاح، ذلك بأن الإصلاح الإسلامي مع التزام المذاهب المعروفة والجود على كتب متبعيها محال ولذلك جرينا في المنار على اتباع الدليل في المسائل الدينية وترك التقليد وإقامة الحجج على المقلدين، لان المنار كالمؤتمر علم لجميع المسلمين .

وقد قلنا في مقالة طويلة عنوانها ( بحث في المؤتمر الإسلامي ) نشرناها في الجزء التاسع من السنة الماضية ما نصه ( ص ٦٨٠ م ١٠ )

« ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الأساسية الاولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على الجمع عليه عند المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن المجيد وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة — ونفي بالسنة معناها اللغوي الذي كان يفهمه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً، ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في ركعة مرة ويسجد مرتين ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف

« ذلك ان المؤتمر الإسلامي عام لجميع المسلمين وفيهم السني والسلفي وغير

السلفي والشيبي والأباضي . ومن السنة الحنفي والمالكي الخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي ، فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنة العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم . وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به . كتبنا هذا لتنيه لجنة المؤتمر قبل الابتداء بعملها الى هذا الاساس الذي لا يفيد المؤتمر بدونه شيئاً وكنا نحاف أن يحاول من دخل في اللجنة من علماء الأزهر تقيد المباحث الدينية في المؤتمر بنصوص كتب المذاهب وكان أخوف من نخاف في ذلك رئيس اللجنة الشيخ سليم البشري لأنه كان يلقنا عنه انه ممن ينكرون على المنار الإنحاء على التقليد والاعتماد في مباحثه على الأدلة الشرعية فلما رأينا الآن ، وافق على قانون المؤتمر الذي جعل أساس مباحثه الدينية الاجتهاد دون التقليد حل الرجاء محل الخوف ووجب علينا ان نثني على الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري أجمل الثناء فحياء الله تحية مباركة طيبة .

انما قصرنا الثناء على الشيخ سليم من دون سائر أعضاء اللجنة الواضحة لهذا القانون لان معارضة مثل الشيخ سليم من كبار العلماء أصحاب الشهرة والصفة الرسمية في مسألة اجازة الاجتهاد ومنع التقليد تعد عقبة في سبيل الاصلاح وموافقته عليها تعد تمهيدا عظيما لهذه السبيل التي هي سبيل الله وعونا كبيرا للسالكين فيها ، ولا نبخس احدا من أعضاء اللجنة حقه ، ولا نعلمه شيئاً من فضله ، بل نرجو ان يكثر فينا من أمثالهم الجاهرون بهذه الدعوة كما كثر المعتقدون لها وان لم يصرحوا بها ان في علماء الأزهر كثيرين يعتقدون بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل ولكن يقل فيهم من يجهر بذلك قولاً ويندر من يتجرأ منهم على كتابة ذلك في الصحف المنشرة والدعوة اليه على رءوس الاشهاد . ذلك بان كبار الشيوخ ذوي المكانة عند الامراء والشهرة عند العامة ينكرون ذلك على قائله ويضطهدونه ان استطاعوا ويبالغون في ذلك مبالغة هي عندي من مشارات العجب . افلا يحق لنا اذاً أن نكبر اجازة الشيخ سليم البشري جعل قبول ما يقدم للمؤتمر من الآراء والمباحث

الدينية مشروطا بأن تكون مؤيدة بدليل من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس ونحن نعلم أنه من أولئك الشيوخ الكبراء بل هو في ناصيتهم وذروتهم اذ هو شيخ المالكية وكبيرهم الآن وكان بالامس شيخ الازهر؟ وقد اشتهر بأنه اعلم اهل الازهر الآن بالحديث ولعل الخبير جاء من هذه الناحية فأهل الحديث ما زالوا أبعدا الناس عن التقليد. ونعود الى مباحث المؤتمر فنقول ان المباحث الدينية قد اشترط فيها هذا الشرط الذي سررنا به على اجماله واما المباحث الاجتماعية فلم يشترط فيها شيء واذا يسر الله واجتمع المؤتمر فاننا سنحتاج الى تحديد ما هو اجتماعي غير ديني وفي ذلك من العسر ما فيه لا سيما في المسائل العائلية والمالية بل أقول ان المسألة الجنسية لها علاقة عند المسلمين بالدين وقد كان السيد جمال والشيخ محمد عبده يقولان ان المسلمين لا جنسية لهم في غير دينهم ولكن كثيراً من الاتراك والمصريين يقولون اليوم بجنسية النسب وجنسية الوطن ولا يعدون هذا مما يتعلق بالدين وهذه المسألة من اكبر المسائل التي نتظر من المؤتمر - ان اجتمع - حل عقدها

ذكر اسماعيل بك غصبرنسكي في احد اعداد جريدته « ترجمان احوال زمان » ان أحداً ذكياً الترك يريد ان يلقى في المؤتمر خطاباً يبين فيه أن ارتقاء امة الترك يتوقف على انفصالها من العربية لغة ودينا وسياسة !!! وربما يسمع المصري وغير المصري ممن لا يعرفون الغاية التي وصلت اليها نابتة الترك من التفرنج هذا القول فيروونه عجبياً غريباً ولكن لا يجب منه من يعلم ان كبار كتاب الترك قد دارت بينهم منافسات طويلة في هذه المباحث استمرت عدة سنين وكان فيهم من كتب مثل هذا الرأي حتى غلا بعضهم فقال انه يجب تطهير التركية مما فيها من مفردات اللغة العربية نحن نمد هذا شذوذاً وغلوياً ويوافقنا على رأينا كثير من فضلاء الترك لاسيما المتدينين منهم . واذا انعقد المؤتمر فان جمهور المسلمين من جميع الشعوب سيستمعون من اخبار امراض المسلمين الاجتماعية والدينية مالا يخطر لهم الآن في بال ، ونسأل الله ان يحسن العاقبة والمآل



## الرد على اللورد كرومر

(تمة الكلام في مسألة المعارف)

ان اللورد يعلم انه استعمال المغالطة في هذا الفصل فعمل محمد علي وعباس واسماعيل ليس حجة على ما يجب اتباعه الآن من حصر تعليم الحكومة في فرجة عدد معين للوظائف ، والاتفاق في وقت كانت الحكومة فيه على شفا الافلاس لا يجعل مقياس الوقت زيد فيه دخلها على خرجها زيادة عظيمة . ولو كان عمل محمد علي وعباس واسماعيل مما يصح ان يتبع في هذا المصلح كان الواجب على الناس ان يرجعوا القهقري دائما ولما ساع لانكرا ان تدعي ان هذه البلاد محتاجة اليها في تقدمها وارتقائها فانها تقدر بنفسها ان تكون على احسن من زمن اسماعيل فما بال اللورد يمثل ظلمات الماضي الخالكه كشر تمثيل هو يجعلها اساسا يبنى عليه سياسته في التعليم ؟ اللورد قد ذم المتفرجين في كتابه ذما يلبغاوين انهم لا قيمة لهم في نظر الشيخ محمد عبده فكيف لا يذمهم اذا طلب لبلادهم تعليما اتفع من هذا التعليم الذي لا يقصد منه الا تكوين المتفرجين ؟

ومن المغالطة في تقرير اللورد قوله ان ابطال التعليم المجاني كان إلغاء لامتياز جائر لان الذين كانوا ابلدون مجانهم في الغالب اولاد الاغنياء ، فان العدل في ازالة هذا الامتياز بما يوافق المصلحة انما يكون بتحويل الامتياز عن الاغنياء وتخصيصه بالفقراء وما أسهل ذلك على الحكومة لو أرادها القابضون على أزمتهما

او كانت الطريقة التي أزيل بها امتياز أولاد الاغنياء على أولاد الفقراء في التعليم المجاني عادلة لكاتب من العدل ان يمنع الماء عن الاراضي التي كان الاغنياء يميزون فيها على الفقراء في الري حتى لاتزرع منها أرض فقير ولا غني فان العلم حياة النفوس كما ان الماء حياة الارض . لم يكن الشيخ محمد عبده راضيا عن سياسة التعليم بمصر في وقت من الاوقات . ففي زمن توفيق باشا حمل على نظارة المعارف حملة قلمية منكرة في جريدة الحكومة الرسمية ومقالاته في ذلك مثبتة في الجزء الثاني من التاريخ الذي وضعناه له . وقد حمل ذلك الحكومة على الشروع في إصلاح التعليم والتربية ولكن جاءت الثورة العراقية فأوقفت كل عمل وتلاها الاحتمال ونفي الشيخ من البلاد . وبمدهودته رأى سياسة التعليم غير سديدة فقدم لمسيد الدولة المحتلة - واياك اعني ايها اللورد - لائحة <sup>(١)</sup> فيما يجب اتباعه في التربية والتعليم فوضعت في زوايا الاهمال ، لعل اللورد لم ينس ان الشيخ كتب في هذه اللائحة ما نصه «المدارس الاميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة» <sup>(٢)</sup> ثم ذكر غرض محمد علي باشا من انشائه لها وما كان حظها من خلفه الى عهد اسماعيل باشا . ولكن الشيخ ذكر ذلك حجة على فقد التربية والمعارف الحقيقية منها فجاء اللورد يذكرة من بمده في تقرير ١٩٠٥ ويجمله حجة على بقاء ما كان على ما كان الا المجانية فانه يري ابطالها بمد انتظام مالية الحكومة وامتلاء خزائنها . مسرت الايام على موت هذه اللائحة والشيخ محمد عبده قاض في المحاكم ليس له طريق رسمي الى دعوة الحكومة الى اصلاح التربية والتعليم وقد

جرب طريق النصيحة فلم يجده موصلا الى المطلوب فلما صار مفتيا وعضوا  
في مجلس الشورى حاول ان يجعل مجلس الشورى وسيلة الى غرضه  
وبرأيه طلب بعض اعضاء الجمعية العمومية سنة ١٩٠٢ ان تعرض قوانين  
ولوائح التعليم في نظارة المعارف ( بروجراماتها ومنشوراتها ) علي المجلس  
ولم ينس اللورد تلك المناقشة التي دارت في ذلك بين الشيخ محمد عبده  
وفخري باشا ناظر المعارف في الجمعية العمومية ( وقد بينا ضعف اقوال  
الناظر يومئذ في المناظر ص ١١٠ و ١٤٩ م ٥ )

ثم ان الشيخ محمد عبده اقترح باسم المجلس في سنة ١٩٠٤ ان يعلم  
تاريخ الاسلام باللغة العربية في المدارس التجهيزية . وقد ذكر في آخر  
تقرير له بشأن امتحان مدرسة دار المعلمين الناصرية ( دار العلوم ) ضعف  
تعليم التوحيد والتفسير والحديث فيها فاذا كان تعلم المعلمين للدين ضعيفا  
فكيف يكون تعليم هؤلاء المعلمين له ؟

نكتفي بهذه المذكرات في بيان غلط اللورد في قوله ان ما كتب  
الشيخ محمد عبده لمسيو جرفيل كان يعلم انه لا أصل له فهي تذكرة ان  
كان ناسيا - ان لها أصلا أصيلا مؤيدا بالبرهان والدليل ، ومن المعجائب  
ان يكابر اللورد في هذا مع ما يعلمه من مؤيداته الرسمية وغير الرسمية:  
فن ذا كتب ما يعلم انه لا أصل له ؟ الشيخ ام اللورد؟ اللورد يعرف ذلك  
اذا لم يكن المسخط قد انساها تلك اللائحة التي قدمت اليه وتلك الحجج  
المدونة في الحاضر والدواوين الرسمية وكما ناطقة بأن الشيخ محمد عبده  
لم يكن راضيا من التعليم والتربية في مدارس الحكومة . فهذا ما نقول  
في السبب الاول لمسخط اللورد علي الاستاذ الامام وتغيير كلامه فيه

افضاء الامتياز الامام مستر بلنت بسبب الاحتلال

اما السبب الثاني لسخط اللورد على الشيخ وهو ما ظهر له من انه هو الذي لقم مستر بلنت جل ما في كتابه ( التاريخ السري للاحتلال ) من عيوب ادارة المحتلين بمصر<sup>(١)</sup> فهو مما يندر فيه فان هذا مما يفيض السياسي والحاكم المطلق حقيقة . واي شيء يؤلم الانسان اكثر من بيان عيوبه واظهار سيئاته؟ ولكن يجب على المؤرخ ان يعذر حافظي الوقائع التاريخية ورواياتها ومدونيهاء واللورد في كتابه «مصر الحديثة» مؤرخ لحاكم فكان يجب ان يتذكر ذلك . ثم اذا كان هو في تدوينه لتاريخ مصر لم يتعام القبح في اسرائها وعلماؤها وعمالها وجميع اهلها بناء على انه مؤرخ يجب عليه اظهار الحقائق . اذا فرضنا ان كل ما كتبه حقائق فكيف يسخط على من سلك طريقته ومن اعانه على ذلك؟ اليس من العدل العام ، أن يدين المرء كما يدين؟ هذا ما يقال من الجهة العامة . ويقال من الجهة الخاصة ان مستر بلنت كان صديقا للشيخ محمد عبده وكان كل منهما يثق بأمانة الآخر وإخلاصه فبأي حق يحجر اللورد على صديقين متجاوزين ان يقضي كل منهما الى الآخر بما في نفسه من المسائل العامة او الخاصة ويكاشفه بشعوره لا سيما اذا كان مؤملا له والشاعر الحكيم يقول

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع  
الآن انتهى الاستبداد ، واحتقار حرية الافراد ، أن يؤاخذ الناس  
بما يتناجون به في زوايا بيوتهم ، وما يسرونه لاصدقاتهم ومحبيهم ،  
ثم ان اللورد يعلم كما يعلم كل عاقل انه لا يخطر في بال الانسان عند

ما يحدث صديقه ان كل ما يقوله سيحفظ ويدون وينشر بين الناس ولذلك  
ينتقد بعض أهل الرأي على مستر بلنت ذكر مسائل وخواطر حدثه بها  
الشيخ محمد عبده فنشرها وهي مما لا ينبغي نشره كتفني جمال الدين لويقتل  
اسماعيل باشا واستحسان محمد عبده لرأيه . على ان هذه المسألة اصغر من  
القالب الذي وضعا لورد كرومرفيه كاسنييه

بقي علينا وقد بينا اختلاف قولي اللورد في الاستاذ الامام وسبب  
هذا الاختلاف ان بين الحق فيما لمزه به فنقول انه ينحصر بحسب  
ما اطلعنا عليه من ترجمة الجرائد في ثلاث مسائل

#### الاولى وصفه أنه خيالي

قول اللورد في الشيخ انه كان منطورا على الخيال<sup>(١)</sup> لا يتفق مع قوله فيه من  
الجهة العملية في الحكومة وغيرها انه كان مصلحا . ومن الجهة السياسية  
والاجتماعية انه أنشأ في مصر مدرسة فكرية وان اتباعه اذا نجحوا وسعدوا  
على ما اختطه لهم من المبادئ المعتدلة فيهم تصل البلاد الى الاستقلال وانهم  
كالجير ونديين في أحزاب الثورة الفرنسية أي في الاعتدال والعقل ، كما  
لا يتفق مع قول المستشار القضائي الذي وافقه هو عليه . ومن الجهة العلمية  
والشرعية انه كان متضلعا من علوم الشرع مع ما به من سعة العقل  
واستنارة الذهن

ما هي الآراء الخيالية التي كان يبديها اللورد فيتمدر عليها تنفيذها لانه  
خيالية لاعملية لعله يعني بها تلك الالامحة<sup>(٢)</sup> التي اقترح بها عليه جعل التربية  
الدينية أساس التعليم في المدارس والكتاتيب وبين له فيها انه لا يصلح حال

(١) راجع ص ٩٤ من الجزء الماضي (٢) تقدمت الاشارة الي هذه الالامحة

البلاد المصرية وتكون بأمن حتى من التعصب وقتنه الا بالتربية الدينية الصحيحة لان الدين الاسلامي رائد الالفه ورسول المحبة . ان كان يعني اللورد باتباع الاستاذ الامام للخيال هذا الرأي الذي أوضحه أتم الايضاح في تلك اللائحة وكان يظهر على لسانه شيء منه في كل فرصة ( كاقتراحه في مجلس شورى القوائين لتعليم تاريخ الاسلام في المدارس التجريبية ) فلماذا يبني الظن بدينه وهل تكون هذه القيرة على الدين لضعاف الايمان اولاد ادرين؟

للورد ان يعد طلب التربية الدينية والتعليم الاسلامي امرا خياليا لان سياسته في ذلك مناقضة لاعتقاد الاستاذ الامام فان أحدهما يرى ان الاسلام الحقيقي هو منتهى الكمال البشري كما عرف ذلك عنه القريب والبعيد وصرحت به المجلة الفرنسية<sup>(١)</sup> ، والآخر يمثل الاسلام بأنه آفة المدينة ومقيد البشر بالقيود التي لا يرتقون مالم يتركوها ويتركوه معرا . ويمكن ان يقال ان تقديم تلك اللائحة لمفيدا كثيرا وأمله بأن يقنع بما فيها هو الامر الخيالي فانه قد بالغ في تحسين الظن بهذا المفيد وبدولته حتى أراد ان يستعين بهم على اصلاح شأن الاسلام ، وتخيّل انه ربما يصل الى ذلك بالبرهان ، على اننا نحن نعرف السبب في محاولته ذلك وهو انه لما كان منتهى غرضه من حياته اصلاح الدين بالتربية والتعالم كان يتوسل الى ذلك بكل ما يخطر في البال انه ممكن قائلا « اذالم ينفع لا يضر »

اذا كانت تلك اللائحة هي دليل اللورد على ان الرجل كان خياليا فلا يبعد ان يكون تقريره في اصلاح المحاكم الشرعية خياليا أيضا في نظر اللورد

(١) جاء ذلك في بعض اعداد سنة ١٩٠٥ منها - راجع ص ٢٢٨ من مجلد

فان لم يكن التقرير نفسه خياليا فالجاح كاتبه على اللورد بالسماح بالمال من خزينة الحكومة لتنفيذه هو الخيالي فانه انما سكت عن هذه المطالبة حين قال له اللورد « لاني لا أعطي قرشا واحدا للمحاكم الآن » كما اخبرني بذلك الاستاذ الامام في وقته وقال « انه هكذا قال لا أعطي بضير المتكلم وهكذا يقول » فليقل لنا اللورد أي شيء في ذلك التقرير يعد من الخياليات أو من الاماني والاحلام التي هي غير ممكنة في ذاتها؟ ولكن يمكن لمن أساء الظن باللورد وحكومته ان يقول انهم لا ينفذون تقرير آفيه اصلاح للمحاكم شرعية وراه اصلاحها لاصلاح كبير للبيوت الاسلامية لان من سياسة انكزرا موت الشرع في مصر وابطال ثقة المسلمين به حتى ان لورد كرومر الذي يعد من خيارهم يرى مطالبته باصلاح المحاكم الشرعية من الخيالات والاهام، أو من الاماني والاحلام،؟ اذا قال من يسيئون الظن باللورد وحكومته مثل هذا القول أفلا يكون رمي الشيخ محمد عبده بأنه خيالي رميا للورد وحكومته بما هو شر من ذلك؟ نعم انه كان للاستاذ الامام، آمال في حسن مستقبل الاسلام، قد قد يعدها حتى بعض المسلمين من الاماني والاحلام، فان منها أنه سينتشر في اوروبانفسها في يوم من الايام، ولكن هذه الآمال مما لا أظن ان لورد كرومر قد علمها اذ لو علم بها لما ظن او خشي ان يكون الشيخ «لا أدريا» فانها امال مبنية على الايمان بصدق وعود القرآن اولا، وعلى فلسفة دقيقة في طبيعة الاديان وطبائع البشر ثانيا، فهو قد كان يقول على رموس الاشهاد في قوله تعالى « ٥٥: ٢٤ » وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم ، الآية « ان هذه الآية لم يأت أولها بعد ولا بدان يأتي ولو بعد حين وان كان يميدا » فهل تكون هذه الثقة بوعده في القرآن كهذا ( قيل انه قد حصل ) من رجل لا أدري ؟؟

نحن اعرف بالاستاذ الامام من لوود كرومر فانت اعرف منه كل شيء واللورد لا يعرف منه الا اشياء معدودة منها بعض الآراء في مصلحة مصر وكان صاحب هذه المجلة من بطائنه ومواضع سره ولا أعرف عنه شيئا يمكن اللورد ان يستدل به على كونه كان ، فطورا على الخيال غير ما ذكرت من مطالبة اللورد بالمساعدة على التربية الاسلامية وإصلاح المحاكم الشرعية الا ان يكون ذلك توجه همته الى اصلاح الازهر ولكن كل ما ثبت به من الاصلاح كان عمليا وقد نفذ شيء كثير منه كما هو مبدون بالتفصيل في كتاب ( أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين ) وما لم يتم منه لم يكن المانع من تمامه كونه خياليا وانما كان له مانع آخر يعرفه اللورد وكثير من الناس وليس هذا المقام يحل لذكره

نعم انه كان للاستاذ الامام آمال في الازهر هي أعلى وأسمى مما ثبت به من مبادئ الاصلاح التدريجية - آمال لها ارتباط قوي بآماله في الاسلام وهي تربية رجال يعرفون حقيقة الاسلام ويقدرون على يانها والدفاع عنها بالكتابة والخطابة ليكون منهم دعاة يدعون جميع الامم اليه ، وهداة يهدون جميع طبقات أهله الى ما جهلوا منه ، ولكن العوائق التي اعترضته في طريق الاصلاح حالت دون الدعوة الى هذا المقصد أو الى مقدماته الاولية ، وما أظن ان اللورد كان مطلعا على هذا والا لما خطر في باله ان يكون الرجل لا أدريا



أما المسائل المتطرفة بالقضاء أو الإدارة فمبدي ان آراء الاستاذ الامام فيها كانت تعجب اللورد سواء عمل بها كمدوله عن إلغاء النيابة العمومية عملاً برأيه أو لم يعمل بها كمشروع الجنايات الاخير الذي طالت فيه المناقشة بينهما ولكن بمد ان كان اللورد قد أشرب المشروع في قلبه وان أكثر النابغين من رجال القضاء كانوا على رأي الاستاذ الامام في معارضة المشروع

وما ذهب اليه المؤيد في تأويل كلمة اللورد من أن الشيخ كان يحاول القبض على السلطين فيجعل الامير وعميد الاحتلال مما في يديه فهذا من آراء صاحب المؤيد التي لم تخطر للورد على بال فيما يغلب على ظني

#### الثانية ظن اللورد انه لا ادري

نزالورد الاستاذ الامام بلقب « اللأدري » (\*) وهو قد أخذ من ستانلي على أنه لم يجزم به فقد ترجم المؤيد عبارته فيه بكلمة « واخشي » ان يكون كذا وترجمها بعض الجرائد « وأظن » ان يكون كذا . وهذا من الظن الذي قال الله فيه « إن بعض الظن اثم » وقد قال بعض العلماء النابغين من مریدی الاستاذ الامام ان اللورد قال هذه الكلمة لينفرنا من طريقة المرحوم الدينية ولكننا لا نترك ما عندنا من اليقين فيه لاجل ظن لورد كرومر

اما أنا فأقول ان قاعدة ستانلي التي استنبط منها اللورد كلمته هي من المسلمات عندهم فينا وهي « ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون احد

اثنين متصبا او ملحدان في سره ، وعندنا قاعدة مثلها كنت اسمعها واتا  
تليد مبتدي هو هي ، ان النصراني التلم ملحد لا دين له فان تعصب لقومه  
وأهل دينه فانما يتعصب لهم تعصبا جنسيا ، وما كنا نسمعه من آبائنا  
وبعض مشايخنا : ان مما يمتاز به الاسلام على النصرانية المبروكة ان المسلم  
يزداد قوة في الاسلام كلما ازداد سعة في العلم وان النصراني اذا تعلم  
العلوم سرق من الدين ولذلك كانت مدينة المسلمين وعلومهم في حياة  
ونمو أيام كان الاسلام حيا في قوسهم في أول نشأتهم ولم يصر للنصارى  
علم ولا مدينة الا بعد ضعف الدين وزعزعة فقدم ، فالامم والملل تشابه  
في حكم بعضها على بعض

قد ذكرنا دليل المسلمين على قاعدتهم من الجهة النظرية ويؤيدونه  
من الجهة الحسية بحال من يعرفون من النصارى الجاهرين بالأحاد وكثير ما هم .  
ولما كان النصراني يعتمد بطلان الاسلام اعتقادا تقليديا ان كان متدينا  
واعتمادا نظريا ان كان ملحدا كان للملحد منهم ان يظن بهذا الدليل النظري  
ان المسلم الطافل المطلع على العلوم والفلسفة لا بد ان يكون ملحدا  
ولا يدمون من المسلمين المتفرجين من مجاهرون امامهم بالكفر ويسكرون  
معهم في نهاره مضان فيؤيدون دليلهم بالحس ولا يظنون ان هؤلاء الذين يظنون  
انهم قد أخذوا بعد اسلام لم يعرفوا يوما ما من الاسلام شيئا

قد عرفت رجلا من فضلاء الانكارى ذوي التربية العالية فيهم وجرى  
بينى وبينه مناظرات كثيرة في المسائل الدينية فكان كلما سمع منى جوابا  
من شبهة من الشبه التي يوردها على الدين مطلقا أو على الاسلام خاصة  
يقول ان ما تقوله معتول ولكنه فلسفة لا دين وما أظن ان علماء الازهر

يقولون به لو سئوا هذا السؤال . وقال لي مرة « ان كنت الاسلام  
ما تقرره فانا مسلم » . وقال لي مرة بعد كلام قلته في الاسلام « انني  
أنا اعتقد هذا فاما ان اكون مسلما واما ان تكون كافرا » وقال لي مرة  
« ما اظن ان احدا يوافقك على هذا الاعتقاد في الدين الا الشيخ محمد عبده »  
ولا يبعد ان يكون ظنه فينا كظن اللورد في الاستاذ الامام . وقد ذكرت  
في المنار سؤاله اياي في رمضان : هل تصوم ؟ وعن جوابي له وما ذكرته  
له من حكمة الصيام واعجابه به

وقد دعاني غير واحد من فضلاء النصارى لفداء في رمضان وعرضوا  
عليّ القهوة سرايا كثيرة فكنيت أقول متجبا أو نسيت انسا في رمضان؟  
فيقولون او أنت تصوم أيضا؟ فاقول : أي شيء يبيع لي الفطر ولست  
سريضا ولا على سفر ؟

ولكن اذا كان الملحد من النصارى هو الذي يظن ان المسلم العاقل  
لا بد ان يكون اسلامه ظاهريا وهو يسرّ الإلحاد في قلبه فهل اللورد  
ملحد ام هو مقلد لسائلي في قاعدته من غير دليل ولا فكر ؟ وكيف  
يتفق هذا مع شهادته للشيخ محمد يريم بالايمان والمقل جميعا ؟

قال اللورد بعدما ذكر أنه يخشى ان يكون الشيخ محمد عبده لا أدريا « وان كان  
يستاء من هذه النسبة » فقوله هذا يشعر بأنه ذكر امامه ما يدل على انه يظن فيه  
هذا الظن تصریحا او تلويحا فاستاء وامتهن وتبرا من ذلك وأنكره وكيف  
لا ينكره على اللورد مستاء وقد كان دينه اعز شيء عليه وهو الذي جعله لا يخاف  
في الحق لومة لائم وهو الذي جعل السياسة مأیوسا منها عنده فكان جل  
قصده من معرفة رجالها ومداراهم الاستمالة بهم على خدمة العلم والدين

من جهة وخدمة مصر من جهة أخرى فكان يتردد على الأمير ليستين به على اصلاح الأزهر ويختلف الى اللورد ليستين به على اصلاح الحاكم والمعارف وغير ذلك من المصالح التي شهد له اللورد بالوطنية الصادقة لسميه لديه فيها . كان يستجديها مما لمصر وللإسلام وقد اعطى كل منهما قليلا وأكدى . فلا عجب اذا جاءت كلمة اللورد في دين الاستاذ الامام غثة باردة تضاهل في طبر بال فانها عبارة عن ظن لم يستيقنه ، في موضوع لم يعرفه ،

#### الثالثة استحقاق قتل اسماعيل باشا

نقل اللورد عن كتاب التاريخ السري للاحتلال ان السيد جمال الدين كاشف الشيخ محمد عبده بفكرة خطرت له وهي قتل اسماعيل باشا عند سرروه على « الكبري » اذا كان يمر كل يوم عليه وان الشيخ محمدا استحسن ذلك ولكن الامر لم يتجاوز الكلام بينهما<sup>(١)</sup> اي لم يكشفها به أحدا لا اعتقادها انهما لا يجدان من يتجرأ على ذلك

كبر اللورد هذه المسألة وعظما ووجه قوة عقله المنطقي الاوربي الانكليزي للاستنتاج منها فكانت نتيجة « ان العالم المتمدن كله ينظر بعد هذا الى الوطنيين شررا ١١١ ويحتقر بالاكثرا أولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم السياسية بمثل ارتكاب القتل »

ربما يسهل على اضعف الشرقيين الذين يقول اللورد عنهم ان عقولهم غير منطقية فهي ضئيفة الاستنتاج والاستنباط بل على اضعف المصريين الذين يمدهم من اضعف الشرقيين عقولا واستنتاجا ان يفتدوا امثال هذه النتائج التي استخرجها ذلك العقل الغربي المنطقي الكبير . فلو سألتنا أحد

لابسي الجلايب الزرقاء من فلاحى مصر والفيلسوف سبنسر والفيلسوف  
أرسطو: هل تقولون ان تفكر رجل غريب كاسيد جمال الدين الافغانى في قتل  
أمير ظالم كاسماعيل باشا واستعمار تلميذه كمحمد عبده المصرى لفكرته  
وهو شاب في سن الطلب والتحصيل ينتج وجوب احتقار العالم المتقدم لها  
ولوطنيين المصريين داتها لان تلميذاتهم استعص من زهاء ثلاثين سنة قتل  
أمير خرب بلاده ومهدللابان احتلالها؟؟ - لو سئل الثلاثة هذا السؤال  
لاجاب الفلاح المصرى واشهر الفلاسفة المتقدمين وهو أرسطو مؤسس  
علم المنطق واشهر الفلاسفة المتأخرين وهو سبنسر بجواب واحد وهو  
ان الوطنيين لا يلحقهم ذنب ولا لوم من تلك الفكرة ان فرضنا انها فكرة  
تنافى المدنية، وان المنطق يتبرأ ممن يقول بمثل هذه النتيجة

وفد السيد جمال الدين علي مصر في سنة ١٢٨٦ وكان الشيخ محمد  
عبده في سن العشرين (لانه ولد سنة ١٢٦٦) وكان همه من حياته ايجاد  
حكومة اسلامية عزيزة قوية فاستمال الناس اليه بالعلم والفلسفة حتى اذا  
ما اجتمعوا حوله بث فيهم افكاره السياسية بطريق تعليم الكتابة والخطابة  
حتى كون لنفسه حزبا له ارتباط بولي عهد الخديوية (توفيق باشا) وكان  
اسماعيل باشا هو العقبة الكؤود في طريق الاصلاح المطلوب له فهل يعد  
من الغريب عند الامم الممدنة ان يتنى ازالها او يفكر فيها فينظر العالم  
المدن الى جميع الوطنيين المصريين الآن النظر الشرر لان من علمهم  
السياسة وطلب الاصلاح فكر في ذلك منذ ثلاثين سنة؟؟

يا لله من هذا العالم المدني الذي لم يفكر في مثل هذا قط؟ ما هو  
واين هو؟ أليس هو العالم الاوربي الذي قتل من الملوك والرؤساء في بلاده

واحدًا وعشرين ملكًا ورئيسًا في مدة لا تتجاوز قرنان من الزمان (٥) ونفي بالروساء رؤساء الجمهوريات الذين تبخروا أقل من تبعة الملوك إن خطور الذنب بالبال ومكاشفة بعض البطالة به قد يكون تخيلاً لا يصل إلى درجة العزم، وقد يرمي الإنسان على الشيء حتى إذا ما تم مباشرة راجع نفسه وثى عزيمته فرجع عنه نادماً، فليت شعري ماذا كان يكون حكم لورد كرومر على جمال الدين ومحمد عبده وجميع الوطنيين المصريين الذين يودون استقلال بلادهم لو وفق السيد جمال الدين يومئذ في تنفيذ ذلك الخاطر؟ أما كون السيد جمال الدين كان يعمل في مصر عملاً سياسياً فهذا مما لا يجهله لورد كرومر ولا أحد من ساسة انكلترا وفرنسا الواقفين على أحوال مصر الأخيرة، وهم يعلمون أنه إذا ترك السعي لقتل اسماعيل باشا فإنه قد سعى لغزله

قال الأستاذ الامام في كتاب تاريخ الثورة المرابية الذي عهد إليه تأليفه الأمير عباس حلمي الثاني في سياق الكلام على السعي في عزل اسماعيل باشا وذكر إرسال فرنسا موسيو تريكو مأموراً فوق العادة ليتعهد مع وكيل انكلترا بمصر على ذلك ما نصه

«ولكن كان الناس كافة في شوق إلى رؤيته (أي اسماعيل) ببدأً من كرسي الخديوية، وطلاب الحرية من الاهالي كانوا يترددون على رئيس الوزارة المصرية يظهرون له الميل إلى جناب الخديو السابق توفيق باشا رحمه الله وكانت بينه وبين السيد جمال الدين مكالمات ومخاطبات في هذا الامر فسمى هو والكثير من الاعيان عند شريف باشا حتى يقنع الخديو

الاسبق بوجود التنازل ( عن الخديوية ) وقد فعل فأشار عليه بأن رفض الطلب لا يفيد وان الدولتين لا بد ان تتالاما تظليان ماجلا او أجلا والفكر في الحرب رأي طاشي فان الناس عموما في انحراف عنه فاذا حصل حرب خذاه الجيش في أول واقعة وكانت عاقبة ذلك أشنع ، وان أمس شيء بالصواب أن يحول الامر على السلطان

« ثم ذهب وفد من المصريين ومعهم السيد جمال الدين الى وكيل دولة فرنسا وأبناوا له أن في مصر حزبا وطنيا يطلب الإصلاح ويسمى اليه وأن الإصلاح المطلوب لمصر لا يتم الا على يد ولي العهد توفيق باشا وانتشر ذلك في القاهرة وغيرها وتناقلته الجرائد وهي أول مرة عرف فيها اسم الحزب الوطني الحر ، اه المراد منه

ان لورد كرومر يعلم هذا ويعلم ان اسماعيل باشا لم يكن امثله من اولئك الملوك الذين قتلهم العالم المتحضرين وآخروهم ملك البرتغال بل ولا من اولئك الذين أاروا عليهم وقتلهم ، كما كتمه او بنير معاكمة ومنهم شارل الاول ملك الانكيزا الذي قامت في وجهه الثورة الاهلية المشهورة وانتهت بقتله ، وان اغتيال ملك او أمير مخرب للبلاد ، نظام للبلاد ، مضيق للملك ، مهلك للحرث والنسل ، أهون في نظر الفيلسوف من القيام بشورة عليه تسفك فيها دماء الالوف الكثيرة من الشعب ، ثم يقتل الملك بعد ذلك بمحاكمة صورية او حقيقية ان لم يقتل اغتيالا

ان ما شرحه لورد كرومر في تاريخ «مصر الحديثة» من فظائع اسماعيل باشا كاف في بيان كونه أسوأ حالا من الملوك الاوربيين الذين تارت عليهم رعبتهم بتدبير فلاسفتهم وعقلائهم فأين من اسماعيل باشا لويس السادس عشر وشارل الاول

قد مثل الاستاذ الامام في تاريخ الثورة العرابية حالة مصر التي زكها عليها اسماعيل باشا تمثيلا لطف فيه واستعمل الرأفة التامة في الحكم لانه كتب ذلك لحفيده الامير الحال كتابة حاول فيها الاعلام مع توقي الايلام فقال:

### شؤون البلاد المصرية في شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ

« تولى الجناب الخديو السابق توفيق باشا بعد ان تداخل دوكتا فرنسا وانجلترا في شؤون البلاد المالية وارتبطت الحكومة معهما بمقود ووعود عدت قوانين وأصولا يجب احترامها

— وبعد أن كان قد أفضى الامر الى تعيين وزيرين أحدهما انكليزي للمالية والآخر فرنساوي للاشغال العمومية في أواخر عهد اسماعيل باشا — وبعد ان كادت أحكام الحاكم المختلطة تؤدي بتنفيذها الى اشهار افلاس الحكومة ، وأدت بالنقل الى انزاع املاك كثير من ذوي الثروة من الاهلين

— وبعد أن كان موظفو الحكومة من أية طبقة كانوا في اضطراب من حالتهم المعاشية لتعود الحكومة على تأخير دفع المرتبات لاربابها اشهرا — وبعد ان صار رجال الحكومة في درجة من الغفلة عن مصالح البلاد الى حد انهم كانوا لا يفهمون للوظائف معني الا انها وسيلة لتحصيل النقود من الاهالي بأية طريقة يئس منها شيء في جيوب المباشرين للتحصيل ويرسل الباقي الى خزائن الخديو او الى صناديق بعض المحتفين به والمقربين اليه

وبعد ان صارت الجندية في البلاد صورة لا يقدرها دفاع ولا حماية



وانما يراد بها الظهور بمظنة الملك فلم يكن فيها تربية عسكرية ولا تدريب حربي وكثيرا ما كانت تبتمل في حفر الترع واقامة الجسور للمنافع العامة او الخاصة وكان المرجع في بعض الحروب الى ضباط من الاجانب كانوا أركان حربها، وعليهم المول في أغلب شؤونها

— وبعد ان فتح على الاهالي انفسهم باب الاسراف والرفه في الميشة نقيدا للمقربين من مسند الخديوية ومن يليهم وذلك قبل ان يعرفوا لنفقاتهم ميزانا صحيحا يبادلون به بين ما بأيديهم من الاموال وما يتفقون في اللذات

— وبعد ان نشأ عن هذا وعن شره الحكام في التحصيل وعدم رعيتهم لما عليه الاهالي من غنى وفقر واستعمالهم اشد العقوبات في سلب ما بأيديهم ان اضطر الاهالي الى التداين بالربا الفاحش حتى كان صاحب الارض يأخذ من المراي المئة بمئة في ثلاثة أشهر ولم يكن يرى في ذلك عيبا ولا يخشى عاقبة فان امامه القدوة العظمى وهي الحكومة تستلف النقود بمبالغ من الفائدة لا يمكن لعقل عاقل تصديقها لو نسبت الى حكومة ما لو لم يرها بينه

— وبعد ان صار للربويين بذلك سلطة على الاهلين وطمع في اموالهم يفوقان سلطة الحكام وطمعهم

وبعد ان تعود كثير من الذين يسمونهم اكابر البلاد وأعيانها، أو ذوات الحكومة وأمرائها، على أن ينالوا من الحكومة ما يشتهون في الوقت الذي يريدون متى صادفوا مكانا من رضى الخديو او بعض

القرين اليه فكانوا يسخرون الاهالي في أعمالهم الخاصة ويتصرفون فيهم كما يتصرف الراعي في ماشيته بدون ان يراعي أحد منهم في ذلك نظاما ولا عدلا ولا استبقاء منفعة من يوم الى آخر وتعود الاهالي على الشكوى الى الله وحده من ضيق الحال وخمود الزمام وانقطاع مصابيح الرشدي في جميع الطبقات

- وبعد ان صار كل واحد من الناس في خوف دائم واضطراب لا يهدأ على نفسه وما بيده ، اذا تكلم تتع في كلامه ، واذا تصد امرأ خطأ اليه على غير هدى ، يتلفت وراءه خوف مفاجأة بما يكره .

- وبعد ان كانت الناقة قد شملت جميع الطبقات الدنيا والوسطى حتى خيف القحط العام لو استمرت الحكومة على سيرها الماضي سنة اخرى من الزمان

- وبعد ان صارت عيون الناس بأمرهم شاخصة الى ما عساه ينزل من السماء ليهدم بالعبوة على الخروج مما هم فيه

- هذه كانت حالة البلاد عند ما تولى الرحوم توفيق باشا مسند الخديوية فيها . هذه كانت شدائد مملكة ، وظلمات حالكة ، يضل فيها الرشيد ، ويتعثر فيها العزم الشديد ، اه المراد مما كتبه هناك

وقد استطرده منه الى بيان اعتقاد أهل مصر في حكومتهم الى ذلك العهد ثم الى بيان ما أحدثه السيد جمال الدين من الانقلاب في الافكار وقد سبقته الاشارة اليه . وكان كل ذلك من مبادئ الحوادث العرابية ومقدماتها ، وان شئت قلت من ظلمات أسبابها ، فكل ما كتبه عن سوء حال البلاد في حكم اسماعيل لم يكتب على سبيل التصيد ولم يرد منه الاستقصاء في بيان الحال ، فضلا

عن المبالغة في التبسيط والتفجير، فهل يلام من له عقل يفكر، وقلب يشعر، اذا  
مقت ذلك الأمير، وتغنى لو بقائه احدهم اولئك المظلومين المهورين او  
استحسن نبي من نبي ذلك؟

الشيخ محمد عبده وموقف حزبه بمصر

وهناك مسألة أخرى عدها بعض الناس قدحا من اللورد في الشيخ  
محمد عبده وحزبه وهي قوله فيهم أنهم «أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم  
وأدنى من المصري المثالي في تربيته» (١) والحق ان هذه العبارة لا  
يقتد منها الا لفظها فهي مدح كتب في حال استيائه واستعاض فجاء شيئا  
بالدم اذ تورم انهم دون الفريقين في علم او فضل ومنهاها الحقيقي ان هؤلاء  
القوم وسط بين طرفين مذمومين طرف المتشددين في المحافظة على الرسوم  
والتقاليد القديمة باسم الدين وطرف المتغالبين في تقليد الافرنج الذين اضعوا  
دينهم وروثهم في ذلك وقد بالغ اللورد في ذمهم . ولم يرد اللورد بهذه  
العبارة الا ما اوضحه في تقرير سنة ١٩٠٥ من ان حزب الشيخ محمد عبده  
هو الحزب المعتدل في مصر الذي يناط بنجاحه استقلال هذه البلاد  
الاستقلال الحقيقي فلا فرق بين عبارته في التقرير وعبارته في التاريخ  
في بيان المراد الا ان احدهما كتبت في حال رضى فثلت المنى مضيا  
واضحا والثانية كتبت في حال السخط فنشي المنى فيها غاشية من  
ظلمة الايام

وقد زلّ فلم اللورد بسوء تأثير وجدان السخط زلة اشنع من هذه لعله  
اذا ذكرها يبرق من الخجل وهي انه ذكر في التقرير ان توفيق باشا صرح

عن الشيخ محمد عبده « طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق »<sup>(١)</sup> وقال في كتاب مصر الحديثة انه عفا عنه « بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واتقياداً لتشديد الانكياز عليه في ذلك »<sup>(٢)</sup> فزيادة اتقياده لتشديد الانكياز تقضت ما قبلها الموافق لما ذكر في التقرير فان العفو اذا كان عن اتقياد لتشديد الانكياز لا يكون عن حلم وكرم خلق والا فلا أثر لتشديد الانكياز بل لم يكن هناك حاجة اليه

فالورد جدير بأن يجعل من هذه العبارة اذا قابلها بعبارة تقريره في المسألة لانها جطت كلامه متناقضا او متعارضا وأبانت ان يجابي في المدح عند الرضى فانه جعل عفو توفيق باشا عن الشيخ محمد عبده عند رضاه عنهما مما كرمنا وحلمنا وكرم خلق فلما سخط من الثاني جعل ذلك العفو ناشئا عن تشديد من الانكياز في طلبه لا عن مجرد الطلب فيقال انه طلب وافق حلم توفيق وكرم خلقه وانما أراد الورد بذلك أن يظهر فضله عليه ، ليثبت أنه أساء الى من أحسن اليه ، بما أظهر عن عيوب سياسة الاحتلال وادارته لمستر بلنت . والمؤرخ المحابي متهم لا يوثق بمدحه لمن يرضى عنه ، ولا بذمه لمن يسخط عليه ، وبناء على هذه القاعدة نقول ان ثناء الورد على الشيخ محمد عبده في كتاب مصر الحديثة يعد بما فيه من الشوائب منتهى الفضل وشهادة الورد به شهادة جديرة بالاعتبار والا يثار وهو يلخص في هذه الكلمات

(١) انه احسن العمل في القضاء وأدى الامانة حقها

(٢) كان واسع الرأي

- (٣) كان على علم ونباهة
  - (٤) كان عدوا للخدويين والباشوات غير الصالحين
  - (٥) كان وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكثر امثاله
  - (٦) انه أسس في مصر مدرسة فكرية
  - (٧) ان له في مصر حزبا مستقلا يجمع بين أصول الاسلام والمدنية
  - (٨) ان أتباعه هم حلفاء المصلح الاوربي الطبيعيون الجديرون بمساعدته
  - (٩) ان له برجراما لجعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً
  - (١٠) ان تقدم أتباعه خير رجاء له في تنفيذ برجرامه هذا
- فحسبنا من اللورد الشهادة بهذه العشر ولا يضرنا مما ظنه انه كان لا أدرياً، ولا جزمه بأنه كان خيالياً، ولا إيهام عبارته أن حزبه الوسط دون كل من الطرفين الذي هو وسط بينهما
- نم كان حزب الشيخ محمد عبده معه ولا يزال من بعده وسطاً بين المحافظين الجامدين، والمتفرجين المقلدين، ومنهم من هو أقرب الى هؤلاء ومن هو أقرب الى أولئك، اما الشيخ نفسه فقد كان من آياته أن أذكياه كل فريق من المتفرجين والجامدين يجلونه مع احتقار كل منهما للآخر. وقد عرف أصحاب المقطم والمقطف من كنه هذه المزية ما لم يعرفه اللورد او صرحوا به لم يصرح هو به اذ قالوا في تأييده بالمقطم (ع ٤٩٥٢) مانصه<sup>(١)</sup>:
- « فأول منزلة امتاز بها الفقيه انه كان في مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون في هذا العصر : فقد كان علما مهتدي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروقههم غير ما جرى عليه

المتقدمون كالماء والائمة وطبقة العلوم الدينية والنوعية ومن جرى مجراهم ، وكان قائدا للآراء ومديرا للأفكار عند الفريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون ان القديم لا ينفي عن الحديث وان من لا يتقدم يتأخر والسكون المطلق محال ، ونقول ولا نحشى في الحق لومة لائم ان التقيد فاق الاقران كلهم في هذه المزية حتى اقرده فيها او كاده الخ

وكتبوا في الجزء الثامن من الجهاد الثلاثين لجملة المقطف ما نصه (١٠) :

« وكان ذكي الفؤاد بالطبع قوي الحجة حسن الحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يتيبب الكبرياء والنظام لجرد مام فيه او ما أدركوه من رغبة التمام فاستطاع ان يكون علما يهندي بنور علمه المحافظون الذين لا يرونهم الا ما جرى عليه المتقدمون كما كثروا العلماء وطبقة العلوم الدينية والنوعية ومن جرى مجراهم لانه كان ثقة فيهم - وعضدا قويا لآبناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة ، ومرشدا صادقا للذين يطلبون الاستنارة بها والسير في سبيلها » الخ

هذا رأي أصحاب المقطم والمقطف سقناه الى اللورد لان منيته

غير متهمين عند اللورد بقلة المعرفة ولا بالتشيع للشيخ محمد عبده  
واذا أراد اللورد ان يعرف مكان الاستاذ الامام من نفوس أرقى الطائفتين ( المحافظين والتمرنجين ) فليقرأ ما أتته به الشيخ احمد ابو خطوبة أرقى الازهريين علما وفهما وتاسم بك أمين أرقى المتعلمين في أوروبوا اللورد يشهد ببونته وقد أتني عليه في خطبته التي ودع بها مصر ذلك الوداع المشهور

قال القاضي الشرعي الشيخ أبو خطورة في ابتداء كلامه «اجتمعنا اليوم هنا  
حوالي هذا القبر الجمال الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاساذ الشيخ  
محمد عبده» الخ ثم فعل اصلاحه للازهر والمعالم الشرعية تفصيلا  
وقال القاضي الاهلي قاسم بك في ابتداء كلامه «مهما قلبنا النظر ودققنا في  
البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يهون علينا ما خسرناه بنقد استاذنا  
الشيخ محمد عبده» وقال انه «وصل الى أسى مقام يمكن ان يناله انسان في  
هذه الحياة... مقام الامة بأوسع معناها تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد  
في مصر واحد يجرأ على ان يدعي فيه استحقاقا بعده» ثم قال:  
«سادتي: ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح، والجمال  
الطاق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس المتأززة تقرب من الكمال  
أكثر من غيرها فتزهو زهرة الجمال فيها نموا عجيبا وتكاثروا فروعا وتمتد  
طولا وعرضا ولا تترك محلا لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث  
بجانها، ومن هذا القسم المتأززة كانت نفس امامنا العزيز، نفس خلقت على  
أحسن شكل، زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالا في الجمال يجب ان  
نضمه دائما أمامنا لنعلم منه «كنا وكنا» وذكر بعض من ايا الامام ثم قال  
«وتعلم منها أيضا مبالغ ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسه وورباها حتى أرسلها  
الى اقصى ما اتصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال»  
وبهذا نكتفي في هذه المسألة التي يعرف منها طريق الورد في الكلام  
عن رجالنا ونقتل منها الى المقصد الام وهو كلامه في الاسلام  
والمسلمين فنقول

## القرآن والعلم

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشتهر بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفاسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبعهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للظعن في الكتاب العزيز ناسين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في ( مقالات الدين في نظر العقل الصحيح ) بما يشفي العلة ، ويروي الغلة ، ولكن فاتني ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتني خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظريه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواهيته ، وقد رايت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به علي حتى يتضح الدليل ، وتستبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين :

### ﴿ المسألة الاولى ﴾

﴿ الحجر ﴾

قال الله تعالى ( ١٥ : ٨٠ ) ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا يخفون من الجبال ييوتاً آمنين ) . اعلم



انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شهيرة عند السائحين تدعى باللغة اليونانية (بئرا) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة «سالع» كما في سفر الملوك الثاني (٧: ١٤) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين «بئرا» و«سالع» بمعنى واحد لكنهما بلقطين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن بيوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من اعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الافرنج هذه المدينة وسمع ذكر «الحجر» في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ «بئرا» اليوناني لئوهم انها بفتح الحاء والجيم «الحجر» ونبي على ذلك ان «الحجر» في القرآن هو «سالع» في العهد القديم . ولما كانت مدينة سالع هذه معروف عنها ما ينافي ان أهلها اهلكهم الله بالصيحة وما يدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه انططاً والجهل بالتاريخ والله يعلم انهم كاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحمقى وجهلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بئرا او سالع وان احدهما تمدد عن الاخرى بعدا عظيماً فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتنزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى أهلها «ثمود» ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة «أثالب» كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالع ليرى بعيني راسه أنهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالع . ومعنى الحجر المسكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى «سالع» أي الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع ما نراه فيها من البيوت كانت قبوراً لا مساكن لم يقد دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة

(المنارج ٣) (٢٧) (المجلد الحادي عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبنى على الارض والبعض الآخر  
 ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تتخذون من  
 سهولها قصورا وتتحنون الجبال بيوتا - الى قوله - ٧٨ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في  
 دارهم جاثمين) فكانت لهم قبورا بعد اهلاكهم وان لم تكن جميعها كذلك في اول  
 أمرهم ومن ذلك تعلم خطأ ما قاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسي  
 (محمد) في هذه المسألة

### المسألة الثانية

(الإسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام  
 إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)  
 المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت  
 كان خر به تيطس الروماني سنة سبعين للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في  
 زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف  
 إن النبي أسرى به إليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا  
 يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك  
 مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدأ الإسلام إلا أمكنة  
 بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه  
 يسمونه مسجداً لهم بل سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً  
 لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا  
 يلزم من قول القرآن إن النبي أسرى به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنيّاً  
 مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى أورشليم  
 وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع  
 ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

فمهما أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خراباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) أي إن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه ومثل هذا الاطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذبح (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) مع أن الذبح لا يعمل في نفس البيت وإنما يعمل في « منى » بالقرب منه

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تدمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكذابين فلم يعرفوا أن ما يشاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال أننا فيما قلنا ملفقون أو أننا لاجل دفاعنا عن القرآن ننسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الاسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧: ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلنن علواً كبيراً ٥ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا) هم يختصرون وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) اليهودية أي

جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير ( وكان وعداً مفعولاً ٦ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر مملكتهم وفتح بابل واتخذ اليهود من أسرهم وأكرم مشواهم وأحسن اليهم ورددهم إلى بلادهم فصاروا فيها أعزاء وسادوا على أعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فعاد إلى اليهود شيء كبير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه مختصراً وأحرقه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل ( واعدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ) فرجموا من الأسرى أشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأمتعة وبيهاثم وتحف وغيرها حكماً في سفر عزرا ( ١ : ٤ - ١١ ) ( ٧ إن أحستهم أحستهم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ) العقوبة الثانية ( بعثنا عليكم عباد لنا ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد ) أي بيت المقدس ( كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تديراً ) فدخله تيطس الروماني بجيشه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تديراً كما فعل الكلدانيون من قبل وتشتت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع أن الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فإنه قال في أول القصة « بعثنا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأوريون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون إنكليزاً وفي الأولى فرنسأويين ولاشترأكم في الوصف ( وهو كونهم أوريين ) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً لليهود العرب ( ٥٥ : ٢ ) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني إسرائيل في زمن موسى ولاشترأك يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات فما تقدم تعلم أن القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما أوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود

وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان  
وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها نشأت اليهود في أنحاء  
العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليهما  
يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأبي العالمي الناشئ بين الوثنيين  
أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده  
كتب يرجع اليها بل لا يتيسر له اذا أراد ولم يتم على تربيته معلم وليس له مدارس  
ومع ذلك قد نلخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الأعجاز وعبرة  
العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي  
يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود الى بابل من اكبر ما حل بهم من المصائب حتي  
كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس  
المخلص الاكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (اشعيا ٤٥ : ١) فلذا  
كبر الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه اياهم من الحن والبلايا والرزايا التي  
حلت بهم في بابل التي اطبت كتبهم في وصفها وتعيدها وانذرهم الانبياء بها قبل  
وقوعها ثم صاروا يشرونهم بالخلاص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص  
ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب اشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون  
انه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة انه لا علاقة لأكثره به ولكنهم  
ولعوا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتي انهم كانوا ينسبون للمسيح  
عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها بعبارات في العهد القديم  
كاستشهاد متى (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر  
(اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح  
٩ : ٢٧ بكلام يزعم ان أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب  
زكريا بعض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله  
متى في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعاويهم العريضة ورداً لكيدهم وتحاملهم

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما بيناه ونبينه  
ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانيين صاروا يترقبون مجيء  
مخلص لهم ككورثس وهم إلى الآن ينتظرون ذلك !  
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة  
الاسراء ومنه تعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين  
فلا يقال إنه أخطأ وجهل التاريخ كما يدعي جهلة المسيحيين افتياتاً عليه ورغبة منهم  
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم  
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من  
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل  
بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً أو  
روياً منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم ( لها بقية )

## باب المناظرة والمراسلة

### السنن والاحاديث النبوية

٢

#### ببحث النسخ

قال حضرة الدكتور «النسخ هو ابطال حكم لبدل او لغير بدل» واقول ما ذكره  
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا نطيل بالمناقشة  
فيما يتعلق بالعبارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو  
صريح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين - اما هو في عرف السلف فهو  
زيادة على ما ذكره بهم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او تقيد او

حمل على مقيد وتفسيره وتبيينه قال شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله حتى انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه وبذلك نزول اشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر انتهى ملخصا - وهل الإساء والنسخ شيء واحد أم هما شيان؟ ذهب بعض السلف الى الاول والظاهر انه اعم من النسخ اما على قول من قال ان معناه التأخير والإرجاء فهو قبل نزوله واوان ظهوره للتكليف لا يوصف بنسخ ولا عدمه

واعلم ايها القاري انه يتفرع على النسخ بمعناه عند الخلف خلاف بينهم هل يجوز نسخه بالأحاد الصحيحة ام ببعضها دون البعض؟ اما السلف فلا نعلم عنهم خلافا في جوازه

قال حضرة الدكتور فالنسخ عندنا لا يقع الا في الاحكام (الوامر والنواهي) ولا يقع في القصص او في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك واقول اذا سلمنا ان معنى النسخ هو ما ذكره المتأخرون حيث قالوا في تعريفه «هو ان يدل على خلاف حكم شرعي دليل شرعي متراخ» فلا شك ان المنسوخ لا يجوز ان يكون من الاخبار عن الامور الماضية او الواقعة في الحال او الاستقبال مما يؤدي نسخه الى كذب او جهل - بخلاف الاخبار عن حل الشيء او حرمة ونحوها فانه يجوز النسخ في هذا الاخير وكذلك القضايا العقلية لا يجوز النسخ فيها لا قضاء ذلك الى الجهل وكذلك اذا قيد نصا بتأييد او توقيت فلا يجوز نسخه لاستحالة العبث والجهالة اما اذا فسر النسخ بمعناه عند السلف فلا مانع من وقوعه في كل ما ذكرناه لانهم لم يشترطوا في النسخ منافية المنسوخ . ودونك ما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عنهم بهد قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها » الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ما ننسخ من آية قال ابن جريج عن مجاهد ما نمحو من آية وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد « ما ننسخ من آية » قال ثبت خطها ونؤيد حكمها . حدث به عن اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن ابي حاتم وروى عن ابي العالية ومحمد بن كعب القورظي

نحو ذلك وقال الضحاك ما ننسخ من آية ما ننسك وقال عطاء اما ما ننسخ فما  
تترك من القرآن وقال ابن ابي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم  
وقال السدي ما ننسخ من آية نسخها قبضها قال ابن ابي حاتم يعني قبضها رفعها مثل  
قوله « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان  
من ذهب لا بقی لهما ثالثا » وذكر عن ابن جرير ما مواده اختيار مذهب المتأخرين  
في تفسير معنى النسخ وانت ترى بعدا بين ما فهموه وما فهمه المتأخرون الا ما نقل  
عن اصحاب عبد الله بن مسعود لكنه محمول على ما هو معروف عن السلف من  
انهم كثيرا ما يفسرون الشيء ببعض معانيه نظرا لحال السامع تارة ولما يقتضيه المقام  
تارة ولظهوره في باقي معانيه الأخرى ولم يكونوا ليحدوا الأشياء بالحدود والتعاريف  
التي اصطلح عليها المتأخرون فاذا كان النسخ عندهم مفسرا بالرفع والقبض الذي  
هو أعم منه عند المتأخرين فالله جل شأنه ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الاحكام  
في جميع انواع الموضوعات والقصص والايثار للاذعان والاعتبار وردا على  
المعاندين الكفار فاذا قامت الحججة وحصل لرسوله صلى الله عليه وسلم الفلج وعليهم  
الثبته فالحقل لا يوجب إبقاء الحججة مسطوره مكتوبة كما انه لا يجب ولا يلزم حبس  
وابقاء الجيش العظيم على البلد بعد فتحها وكما ان الاحكام تختلف باختلاف حال  
المكلفين كذلك التعاليم الاخلاقية ونحوها تختلف باختلاف أحوالهم أيضا - فاذا  
أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء من اخبار أو غيرها لقتض ولصالحه  
ثم رفعها على ما لها من الاجلال فائزة بالنص وقر الأعداء غير متقوضة بريب أو تكذيب  
لا سيما اذا أحل محلها وأنزل بدلها ما هو أنسب وخير منها لنا فياترى أيّ جهل  
وعبت يلزم فسبحان ربك رب العزة عما يصفون

ثم قال حضرة الدكتور: فلسنا من يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون أو  
بنسخ لفظ وابقاء حكمه كما يزعمون. واستدل على ذلك باستزامه الجهل أو العت  
وأقول هذا الاستبعاد من حضرة الدكتور منشؤه عدم الامعان في معاني القرآن لأن الله  
جل شأنه وعظم سلطانه ذوالكمال وخالق الكمال النسبي وكلتا يديه يمين فهو يعبر لرسوله  
صلى الله عليه وسلم عن شؤونه بما شاء مما هو كاف في اعجاز مخلوقه القاصر والمعاد



الكافر ولا محذور في ان يرفع عبارة قد اعتبر وابدلها ثم يكررها ثانياً لقتض في قلب  
عبارة وألفاظ أكل من الأولى أو أنسب بالحال منها فانه ما من كمال نراه الا وعند الله  
أكل منه والكل بالنسبة اليها معجز وكال كما قال تعالى « نأت بخير منها »

وما يوضح ذلك ويقر به ماهو واقع في المحكم بين دفتي المصحف من ذكر القصة  
الواحدة في مواضع متعددة بألفاظ وعبارات متغايرة لفظاً متحدة معنى وقد تراها بزيادة  
وتقص وما ذلك الا لاختلاف ما يقتضيه الحال لسوقها في الاستشهاد بها ولاختلاف  
أحوال المتلقين عن رسوله صلى الله عليه وسلم لان منهم من يميل الى التطويل وحفظه  
ومنهم من يميل الى الاقتصار على الاختصار اما لعدم الفرص أو غير ذلك — فاذ  
حسن ذكر القصة الواحدة بعبارات وألفاظ متغايرة لفظاً مع بقاء الكل فجوازه  
كذلك بعد رفع الاول ونسخه أولى واحرى وهذا ظاهر لا غبار عليه — على انه  
قد يقال لم لا تسلم وتحمل ذلك على ما نزل قبل التحدي بالاعجاز؟

واذا رفع بالنسخ أو الإساء ما هو كذا فقد قدمنا الحكمة فيه وسببه واذا بقي  
محفوظاً لأفراد لا يصح ان يثبت بروايتهم آيات قرآنية فما ذلك الا ليتحقق صدق  
قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية ويعرف ان البديل خير من المبدل فيشكروا  
الله على ما أعطاهم وانظر الى ما روي في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من  
ذهب لمتى لها ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » .  
فانه كان قرآناً يتلى أي ثم رفع وانسي لفظه وإنما بقي محفوظاً لدى من لا يثبت  
بروايته آيات قرآنية والعلة التي أدركناها في ذلك ما ذكرناه فاذا تتبعنا المصحف  
وجدنا ما هو أولى وأظهر مثل قوله تعالى « ويحبون المال حابجاً » الآية — اما ما يذكر  
في آية « الشيخ والشيخة » الى آخره كما في الصحيح وان ذلك كان قرآناً يتلى ثم نسخ  
لفظه كذا قالوا فلا يبعد ان يقال ان هذا مما نسخ لفظه وحكه لان الرجم أول ما نزل  
في أول الإسلام ثم نسخ بنزول حد الزاني وحينئذ قال صلى الله عليه وسلم —  
في حديث عبادة رضي الله عنه « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً اللّيب بالّيب  
جلد مائة والرجم منسوخ — ثم شرع الرجم مرة أخرى لأنه رجم ما عزا والغامدية

بعد ان قال ذلك . انظر ذلك في زاد المعاد اشيوخ الإسلام ابن القيم رحمه الله  
ولنعدي الى ما كنا بصددده فنقول: اذا لم يشترط في النسخ المنافاة والمناقضة بين الناسخ  
والمسوخ وهو ما يدل عليه كلام عامة السلف وهو ظاهر القرآن حيث جعل متعلق  
النسخ والانساء — الآية — ولم يخص بذلك حكما واذا جاز الانساء فالنسخ كذلك  
قال تعالى « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله »

فلا عيب ولا نقص في نسخ ما شاء كيف شاء وسواء في ذلك رفع لفظ بلفظ  
ورفع لفظ وابقاء حكمه لما تقدم ولأنه اذا تفضل بالبدل فهو لا شك يبدله بما هو  
خير منه لانه اذا وعد باعطاء احد خيرين فكرمه وكرامته لرسوله صلى الله عليه  
وسلم تقتضي ان يمتن عليه صلى الله عليه وسلم بأفضلها واكملها « ولسوف يعطيك  
ربك قرضي » او يقال نأت بخير منها او مثلها أي المنسية والله اعلم بمراده

فان قيل ما الحكمة في رفع ألفاظ وابدالها بالفاظ او رفع لفظ بعد نزوله؟ قلت قد  
بيننا ذلك فيما تقدم ولكن نحن مها جهدنا فلا نستطيع ان نعلل ذلك باصح واحكم  
مما اجاب الله به منكري النسخ بقوله تعالى « نأت بخير منها او مثلها » اي لما كان  
المسوخ قبل نسخه مناسبة للمصلحة ومطابقا للحكمة فاذا نسخناه لمقتض فاما هو لنا في  
بخير منه اي اكثر مناسبة واشد مطابقة للحكمة

اما ما استدل به حضرة الدكتور وعلل به جواز وقوع النسخ حيث قال والسبب  
في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان فما يلائم البشر في  
زمن طفوليتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم او شيخوختهم ومثل ذلك باختلاف  
حالة الانسان بالصحة والمرض — فهذا التعليل للنسخ انما اخذه حضرة عن  
المتكلمين الذين ادعوا لانفسهم الكمال فوق كل احد حتى انهم قد يدعون لانفسهم  
انهم يعرفون من الدين ما لم يعرفه السلف وانهم قد يصلحون منه ما يزعم بعضهم انه  
ناقص منه وما درى المساكين ان النقص وصفهم اللازم الذاتي والله در الشاعر

وكم من عائب قولا صحيحا واقفه من الفهم السقيم  
ولو كان لا يكون النسخ في الشرائع الا اذا صار المسوخ بمنزلة ما لا يلائم حالة  
البشر بحيث يكون نسبه اليهم كنسبة ما لا يناسب حالة المريض لكان ذلك اي النسخ

لا يكون الا بعد احراجهم غاية الاحراج بحيث يكونون قد عانوا ما قرب ان يكون  
خرج عن حد استطاعتهم وهذا لا يجوز من واسع الرحمة فكيف يستقيم قول حضرة  
الدكتور؟ قدما ذلك لتعلم ان النسخ لمقتضى او الحكمة لا عيب فيه عند العقل الخ  
لانه يفهم منه ان ابقاء التكليف وعدم النسخ والحالة هذه جائز عقلا وشرعا والذي  
يقال ان تأخير النسخ الى تلك الحالة ممتنع عقلا وشرعا لقوله تعالى « لا يكلف الله  
نفسا الا وسعها » والنسخ شرعا هو الذي دل القرآن دلالة الكريمة عليه وهو تبديل  
ذي الخير مما اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هو اكثر خيرا منه — وهو  
من باب التوسيع فيما كثرت فوائده وعمت عوائده وفيه تنبيه هذه الامة لفتح  
ابواب المعارف والرفي الى مدارج الكمال والاستعداد لكل ما عسى ان ينجم  
من خير يقدم او بلاء يهجم

فما ذكره حضرة الدكتور من الحكمة في النسخ ليس هو حكمته نعم هو يقرب  
ويضارع ما نصبه الشارع مسوغا لترخص في المحكم لانه ألزم عباده بامثال ما شرعه  
محكما بشروط واسباب مالم تعارض ذلك موانع ومخصصات فاذا عرض مانع او  
مخصص فقد رفع عن العباد الائم وجاز لهم فعل او ترك ما اقتضاه الحال وبذلك قد  
يتقلب الواجب محرما والمحرّم واجبا او جائزا في حق من قام به مانع والحكم يختلف  
باختلاف المكاف وتارة يعتبر مع ذلك المكان وتارة الزمان وقد يختلف الحكم بالنسبة  
الى شخص أو أشخاص باختلاف حال ما اختلف به من البشر، وبجأله من صغر وكبر، واقامة  
وسفر، وضعف وقوة، وامن وخوف، وقد يختلف بالمواسم تبعال لضرورات، او توقعها ولو  
ظنا في بعض الحالات، وللضرورات احكام تخصها ولهذا صح المثل « عند الضرورات  
تباح المحظورات » قال تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وألحق  
بذلك ما صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رفع عن امتي الخطأ والنسيان  
وما استكروا عليه »

فاختلاف الحكم باختلاف حال المكاف او المكلفين — بحيث لا يبقى ملائما  
لطبائهم بان تكون نسبتهم اليهم كنسبة مالا يلائم حالة المريض — لا يصلح ان يكون  
علة النسخ وحكمته كما عرفت بل هو باق ومعتبر لترخص في الشريعة المحكمة

الثابتة الباقية فكيف يجعل مناطا وسببا للنسخ وقت التشريع لاسيا وقد نص الله في كتابه على سبب النسخ كما قد قدمنا ذلك  
ومن تأمل وأمعن النظر فيما ذكرناه اتضح له الحق وعرف منشأ اللفظ الذي ارتكبه كثير من جهابذة النقاد والنظار في استبعاد جواز النسخ والتردد فيه وعرف ان منشأ ما أصلوه واصطلحوا عليه مما اوجب لهم الخيرة «وعلى نفسها جنت براقش» وماضيقوه مما وسعه الله فعليهم «لأعلينا»  
و بما ذكرناه من التيسير والتوسعة في هذا الدين تظهر بعض حكمة بقاء هذا الدين الى آخر الابد ولزوم انه دين عامة البشر وانه وحي يوحى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شرع على لسان من لا ينطق عن الهوى. اللهم احينا عليه وبه وامتنا متمسكين به يا رحم الراحمين  
(الكلام بقية)

## الجامعة المصرية

### ﴿ هبة حسن بك زايد ﴾

نام مشروع هذه المدرسة زمناً طويلاً وشغل الناس عنها ما أصيبت به البلاد من الصعرة المالية. ثم اختير اللجنة التأسيسية الامير أحمد فؤاد باشا رئيساً عاملاً فجد واجتهد مع اللجنة فهب المشروع من نومه حتى تقرر ان تفتح أبواب الجامعة في أواخر هذا العام لتدريس آداب اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وتاريخ مدينة الإسلام

وكان احياء هذا العمل بأمرين لولاها ما تيسر المشروع فيه (أحدهما) أمر الأمير بأن يخصص للجامعة خمسة آلاف جنيه ككل سنة من الأوقاف الخيرية (ثانيهما) تبرع حسن بك زايد من أهل الثراء في مديرية المنوفية بوقف خمسين فداناً وكسور من أطيانه الجيدة على الجامعة

وقد احتفل في السادس عشر من هذا الشهر بتلاوة الوقفية في داره ببلده فأجاب الدعوة إلى هذا الاحتفال كثير من الوجهاء وأصحاب الصحف العربية والأجنبية يتقدمهم الأمير أحمد فؤاد وأعضاء لجنة الجامعة وبعد أن افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلا حسين رشدي باشا مدير الأوقاف خطبة للأمر فؤاد باشا رئيس لجنة الجامعة بالنيابة عنه وهي تتضمن الثناء على حسن بك زايد وبيان ان الجامعة صارت قادرة بعد هبته هذه على الظهور في عالم الوجود .

ثم تلا حفي بك ناصف ناموس لجنة الجامعة (سكرتيرها) الوقفية . وقام بعده الدكتور علوي باشا فألقى خطبة في تقدم الأمم بالعلم والحث على التبرع للجامعة . ولا غرو فقد كان الدكتور ممن اكتب لها بألف جنيه فهو ما قال الا وقد فعل . ثم قام من بعده قاسم بك أمين نائب رئيس اللجنة العامل وألقى خطبة نفيسة أودعها من الفوائد الاجتماعية ما يقتضيه المقام ، وما يناسب الحال العامة بمصر في هذه الأيام ، ولعلها آخر ما دونه بقلمه من المنشآت الجميلة فقد واقته منيته بعدها بأيام معدودات ، وانا ننشرها لما فيها من الفائدة وهذا نصها :

أيها السادة

في هذه الايام (١) التي كثرت فيها الاكتابات للجمعية الخيرية والمكاتب والمستشفيات وغير ذلك ولا يمديديه لمساعدتها وتحمل جزء من مزارها الاعدد قليل من سكان العاصمة أرى ان عمد البلاد وأعيان الاقاليم هؤلاء الذين يصح أن أسميهم منكموبي المشروعات الخيرية هم أحسن أبناء وطننا ويستحقون ثناء الأمة واعجابها .

وفي الحقيقة ان كل مشروع قام به الافراد في بلادنا كان الفضل في نجاحه راجعا على الاكثر الى سكان الارياف فانهم وهبوا من الحياء الطبيعي ما يجعلهم ينجحون من رفض أي مساعدة تطلب منهم وعندهم من كرم الاخلاق ما يدفعهم

(١) الظرف متعلق بقوله « أرى ان عمد البلاد » الخ وقوله ولا يمد يديه الخ

اعتراض ويوشك ان يكون في الكلام تحريف

الى بذل المال حتى اذا لم يكن في حيازتهم لتعظيم الاعمال النافعة  
 طبيعة شريفة وكرم جميل وسهولة أخلاق محبوبة ولكن أستسمحكم اذا قلت  
 ان هذه الصفات كانت تفيد أكثر مما أفادت لو كانت الادارة التي تدبرها أكثر  
 اعتدالا في حركتها وأكثر تميزاً في تأدية وظيفتها واذا أردت التوسع أقول ان  
 أهل البر في بلادنا على العموم لا يعرفون كيف يصرفون أموالهم  
 أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير  
 في محله .

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء أمتهم وتعظيم وطنهم أكثر من  
 اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحه — لو كانوا يجدون للاعمال  
 بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلاد الاخرى  
 أغنى جمعية في هذا القطر . ولكنها أقفرها جميعاً  
 من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة أو وقف  
 من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب  
 الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا أن عناية الجناب الخديوي أدركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة  
 آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعده الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة

الوطنية وتتغني فيه بمدح الشهور الوطني على نعمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم  
 وجيوبهم أيضاً — في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا  
 ونطلب أن تتحقق فيه أمانينا العزيزة — في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية  
 العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان أنفع مشروع ظهر في مصر ولد فيها ميتاً .

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا يستطيع ان امنع نفسي من التصريح  
 بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة أن يخفيه لشدة تواضعه وهو  
 انه من اليوم الذي قبل فيه أن يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة  
 العاملين فيها تحققنا ان النجاح صار مضموناً .

أيها السادة : إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها  
عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا  
البلاد ولم نسمع أنهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن نقندي بهم ونهجر  
القول ونقتصد على العمل

إذا أردنا أن نفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء أن ننظر إلى انفسنا ونعرف  
قيمتنا ووزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا  
يجب علينا ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة او يتغير  
بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات  
الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة  
وطرق التربية فغير الحال الاجتماعية انما يكون بتغير الاسباب التي اشركت  
في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه  
فهو تعب ضائع

أيها السادة : إن من أهم اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية  
وإذا نظرنا إلى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الا لاعداد  
موظفين او اصحاب فنّ يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب  
والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد  
عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصية  
والحكومة تعترف بأن هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم  
التوسع فيه للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال  
وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع أن تتولى بنفسها أمر التعليم  
العام بجميع فروع ودرجاته وإذا نظرنا إلى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد ان القسم  
الاعظم من التعليم في يدي جمعيات علمية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة  
فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا أيضا الى ان نطالب من أبناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكامل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الأمة

أيها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول . فئة يكون مبدؤها التعلم للتعليم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الأخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أثنى فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الامام بجميع ما يتعلق به . وفليسوا اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الأمم الأخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ « اكسب كثيراً واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمه أو فنه والعاشق الذي يحتل شهوة العمل في قلبه وتمدد فيه وتملؤه برعته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها . وانما نجد افراداً قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً من حين إلى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء إلى المراتب السامية

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لإحساسه وان أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهتز أعصابهم المتوترة بلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الأول مخاطرين بأنفسهم يتنافسون في



مصادمة كل صغوبة . من بينهم تنتخب القدرة المسكية خيرهم وتوحي إليه أسرارها  
فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً  
أيها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا  
يجب ان نفكر في إزالته وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية  
إحساننا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحتنا ماديين لا نهتم إلا بالتأنيج في جميع  
أمورنا حتى في الأشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات  
الأقارب والأصحاب . وليس من المتظر أن تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغييراً  
محسوساً إلا إذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز أن يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى أن الجامعة المصرية إذا فتحت  
أبوابها لا تجذب طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل .  
نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك  
أنه مفقود في بلادنا . حب التعليم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا  
يزول عن أرضنا أبداً ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين أن حب  
التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس أمتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا إلى الآن  
ولي أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيهة هذا الجيل  
وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا  
انذار مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لستمع  
بالتوازن الملازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب أن الأمة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً  
خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرفي الأدبي  
فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمة أجل خدمة . فشكراً للسابقين  
وشكراً للأحقيين في هذا العمل الصالح . واني أرى في الصف الأول من صفوف  
المحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون أموالهم في سبيل الخير رجالين  
قاما بما يجب عليهما وهما حضرة أحمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة اه

# بنايب الحكمة والبر

## مصائب مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كثير فيختلفون مثلهم ففسي الأمة وتصبح وكأنها لم تقدر أحداً . ولكن في الناس أفراداً أمتازوا بالمزايا النادرة في قومهم فأولئك إذا مات الواحد منهم يشعر أهل البصيرة من أمتهم بأنهم فقدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا يعمل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من فقدته مصر اليوم ألا وهو قاسم بك أمين القاضي بحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس إنشاء الجامعة المصرية ومؤلف كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتاله النية فجأة (في ٢٩ من هذا الشهر) فلم تذكره بمرض ولا سقم بل لم تذكر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخطب عدته ، ويأخذوا للمصائب أهيته ، بتوطين النفس على الصبر ، وتوجيه قواها الى الجلد أو التجلد ، امتاز قاسم بك أمين بمعظم المزايا التي تعوز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية التي ولوا وجوههم شطرها

امتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة والعدل في الحكم والوفاء في الصداقة والإخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء الحقوق والأخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجه همهته في السنين الأخيرة الى فرع من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (العائلات) بتعليم النساء وتثقيبهن فلم يكتب بكتابه فيه بل جعله همه الأكبر الى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب النساء وتثقيبهن وتبني مشاركة الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب. قال ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين

كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة يعد رجالها على الأنازل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم ففكر

أكرمهم على أثره : مات الأستاذ الإمام فتلاه صديقه علي بك فخري أحد أركان النهضة الوطنية العاملين في ترقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في القضاء وفي المية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرزاق الذي كان في مجلس الشورى هو الثيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ، وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو إذا تقام بالزينة به الخطب ، وعظم على البلاد به الكرب ، فانه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة بالعمى وقطط الرجال ، فلأمة ان تمثل اليوم بقول ابن النبيه :

والموت قواد على صكفه جواهر يختار منها الجياد

فقد كنا نقول ان هذا البيت من الشعر يات ، وصرفنا نقول اليوم انه من الشهادات ، ولا نفي ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نابغة الأزهر وبرايم بك اللقاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لحيلولة المرض بينه وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطبتها ومن أركان النهضة الجمالية الأولى فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشام فقده على هذه البلاد فقد ذكرني بما تتابع بعده من فقد خيار الرجال قتل عمر بن الخطاب إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة فقتل بعده عثمان وعلي ( رضي الله عنهم أجمعين )

كامل للأستاذ الامام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمرانة على القول والعمل ، وكان حسن عاصم أقوى في العمل ، منه ( اي من نفسه ) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان نظرياً ، أكثر مما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لحي من الفكر ، ويطير في جو واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخيلات الشعرية ، فلماذا كان لكتوبه من التأثير وقوة الجاذبية ، ما جعله في مقدمة كتاب العربية ، على قلة اشتغاله ببنونها ، وتحصيلها ، وما ذاك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ، ومعناه يفيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً مجرداً ، أو خيلاً متوهماً ، كان قاسم من الهامين في رياض الجمال المعنوي فكان ذلك يرفعه أحياناً عن عالم المادة وما فيه النصب واللغوب والمصائب في المال والوارد والصديق فيهمون عليه

ما أصابه من ذلك ويفيض عليه الجلد والصبر ، ويخيل لي ان لو طال عمره ، وقل عمله ، واستراخ باله ، لانتهى أمره بفلسفة عالية تظهر على لسانه ، وتفيض من قلبه ، فتروي أرض مصر بالحكم الجليلة ، في غلائل من الثمرات الجميلة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على ان ماني هذه الطريقة من الخطأ في الحكم قديسرا تزاغه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، اتحاداً يقل أن يفيد منه البرهان ، لذلك كان لقاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الانسان ، تعد عند المنطقي من الخياليات ، وهو يراها من الحدسيات أو الوجدانيات ،

كان قييد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولين ولكن خدمته لها كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسر له ، فهو ان يؤسس ولو بماله — ان وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يجب ويرى انه يرقى هذه البلاد ،

كان قاسم كذا مخفياً لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتاباً باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كمباراة كتاب فرنسا للقاء . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق غيرة وحماسة وقد بين فيه ماله حجاب من الفائدة وشنع على ماني اوروبا من التبذل والتهتك ونجاسة الاعراض وانخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر فانه ذلك النقد والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبعد ان شفى غيظه وارضى غيرته بذلك عاد الى نفسه وفكر في الامر فرأى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قائلًا في نفسه انه لا ينبغي ان اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعينا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيوبنا ونسعى في ازالته . وطفق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء

وانتهى به البحث والتنقيب الى تصنيف ( كتاب تحرير المرأة ) الذي هز مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تريفله وبقده زمتا طويلا وبهت همة غير واحد من حملة العلم والطرايش جميعا الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صوت قاسم بك أمين في الآفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وعند من المصالحين الاجتماعيين ثم ألف كتابه ( المرأة الجديدة ) لتعزيز رأيه وتفنيد آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة ونحريراً وتأثيراً على انه فوقه صراحة في المقصد وحرية في القول المخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في الستين الأخيرتين من عمره الاشتغال بتأسيس «الجامعة المصرية» فلم يدخر وسماً ولم يأل جهداً ، وكان مناط الأمل ، في إنجاح هذا العمل ، وأي مصاب ترواً به البلاد أشد من فقد رجالها عند ما يتم استعدادهم ، وبكل رشادهم ، وتعرف الناس قيمتهم ، ويشرعون في الاعمال الكيرة ، التي يرجى نهوضهم بها ، وينتظر نجاحهم فيها ؟ فهذا ما ضاعف الحزن على فقيد مصر اليوم حزن العقلاء على قاسم لذاته وما تحلت به ذاته من المزايا العالية ، وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب العهد بمصاحبها بأصدقائه من رجال الاستقلال ، وما يرقى الأمة من الأعمال ، وضاعفه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم ، وأنشأت النابتة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الأهل ويندبه النساء ولكن قامها بكى عطاء الرجال ، وأقدرهم على التعجد والاحتمال ، وندبه مثل سعد باشا زغول وفتحي باشا زغول وإنما ارادا ان يؤنباها فكان تأييدهما ندبا وتعدادا ، وبكاء ونشيجا ، أبكى معها جميع من بلغ القبر من المشيعين ، وذلك ما لم يهد لسواه من الميتين

وجملة القول فيه انه يصدق عليه ما قاله هو في تأيين الأستاذ الامام من أنه لا يوجد في الأمة من يملأ الفراغ الذي كان يشغله ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه ،

## مصافحة السوريين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي الخ والأمريكي والهندي  
والفارسي والارمني والمغربي من تونسي وجزائري ومراكشي والمهاجر من تركي  
وكردية وعربي ومن العرب الحضرمي والنجفي والحجازي والعراقي والسوري • ولم  
نر صفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري  
فهو جاز له في بلاده وبوافق له في لغته وأكثر عاداته مع كونه عثمانياً مثله ولكننا  
على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو منافسة مع صنف من أصناف البشر الذين  
تضاهيهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري  
لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأ  
كله ومشربه ووفوه وجدده وهزله فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء  
المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين الخطباء  
بما لا تكون بين البعداء فالأفراد ينافسون اخوتهم وأقاربهم وجيرانهم • وأهل البلد  
ينافسون أقرب البلاد اليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك  
قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم  
ضمت أو تلاشت وخلقها المنافسة في الصحافة أو السياسة • فكانت بين المقطم  
والمؤيد ثم بين المقطم واللواء • وحقبة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لأصناف إذ  
رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من  
قارعهم فيه صاحب جريدة الأهرام من السوريين • ولكن اللواء كان يرد عليهم  
من حيث أنهم سوريون ودخلاء فكان ذلك من قبيل تعليق الحكم بالمشق وهو  
كما قال علماء الأصول يؤذن بعلة مأمنة الاشتقاق • أعني أن رد اللواء على  
أصحاب المقطم من حيث هم مندوبون إلى سوريا ودخلاء في مصر يفيد أن علة

ما يرميهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين . فلو كان الأمر كما يدعي  
— وهو ليس كذلك — لكان كل سوري خائفاً للمصر أو لكان مجموع السوريين  
كذلك . وهذا باطل لأنه مبني على أصل باطل ولكنه سرى في أوهام كثير  
من الناس لا سيما الأغرار . وهذا ما عناه حافظ بقوله

لولا أناس تفالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبروا

ونحمد الله أن كلا من القطم واللواء اللذين يعنيهما حافظ قد رجح — مع إصراره على أنه  
كان حسن النية — عن الخطة التي كانت تمدها وكادت تجعل المنافسة بين جريدين  
سبباً للتصادم بين شمين كل منهما صنواً للآخر وشريك له في كل مقومات الحياة حتى  
أوشك أن يصدق في ذلك ما قيل من أن سوء التفاهم كثيراً ما يكون أضر من سوء التصدد  
لقد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم أفندي سر كيس من تأليف جمعية من  
خيار السوريين علما وأدبا وجمع طائفة من القواد منهم ومن غيرهم من السوريين  
بالإضافة لاجل دعوة جماعة من خيار المصريين علما وأدبا إلى الاحتفال باسم  
السوريين لا كرام حافظ أفندي إبراهيم الشاعر المصري الشهير

ولما كان الغرض من هذه الخطة موادة السوريين المصريين كانت الخطب  
واقصائد التي أشرنا إليها في الجزء الماضي ممثلة لتلك أحسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه  
الذي يستحقه فأنتت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم أفندي  
سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالكلم الطيب في التأليف بين المصريين  
الذين هما بمنزلة الأخوين

( تصحيح غلط ) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ « وعن » محله قبل كلمة « غمضة »  
بينها وبين الواو قصير « وعن غمضة » قضاة الخ وفي السطر الخامس من ص  
١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريباً » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه نصيحاً  
وما كان قليل النوران على أستمهم » . وفي هذا الجزء أعلاط مطبعية أخرى مدرجة  
تحت كلمة « محمد » في ص ١٧ من ص ٩٣ وصوابه « محمد عبده » ومنها كلمة « إذا »  
في ص ٣ من ص ١٠١ وصوابها « إذ »

## الفصل الرابع (\*)

( مقام النساء في قوم خديجة )

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاما مهينا بل كان لها لديهم مقام كريم وجل ما عرف عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرهون البنات وأنهم كانوا يدفونهن أي يدفونهن في التراب ومن على الحياة ( ٥٨:١٦ ) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٩ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُّسِكُّ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) هذا ما عرف عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره واطلاقه يستغف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندهم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره واطلاقه ليس من شأن الدين يجوز معرفة الحقائق

ان كل بلد فيها الفقراء وذوو اليسار ، وفيها الحق وأولو الألباب ، وفيها النساء وأهل الرحمة . فليس من العقل ولا العدل ان يجعل عمل بعض الحق او النساء او الفقراء في بلد مثلا ومراة لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة فقراء وحقى وقساء كما هو الحال في سائر البلاد وكان



أأس قلوبون من هذه الاصناف يأتون هذا العمل الفظيع نفي الوأد  
( دفن البنات في الحياة في سن الطفولية ) فلا ينبغي أن يقال بدون  
تقييد إن القوم الذين نشأت منهم سيدتنا هذه كانوا بدون البنات . إن  
قوما بنت فيهم مثل هذه السيدة لا يقتل إن يكونوا قتلة بنات كلا  
انهم لم يكونوا يقتلون الاجساد ، ولم يكونوا يقتلون منهن العقول  
والارادات ، واما الذي نقل عنهم فهو عمل نكر يكادون لا يذكر  
من فقرائهم او حقاقم او قائلهم

ولم يكن الذين بدون بناتهم يأتون هذا العمل الفظيع تغيظاً من  
هذه النسبات البريئة او احتقاراً لجنس المرأة كما يلوح لأول وهلة بل  
كان يسوقهم الى ذلك فساد في الخيال وضمف عظيم في الطبيعة . وان  
الخيال الفاسد يزين المنكر حتى يظنه صاحبه من المعروف كما يشاهد  
كل واحد منا كثيراً

كان منهم فقراء يزين هم خيالهم الفاسد ان قائلهم اذا ظلت في  
ميدان الحياة ربما نالها ضمف من فقرهم وربما عجزوا عن ان يكرم منهن بنفقة  
تساوين بأزواجهن ، من ذوي قرابهن او جوارهن ، فيرون مواراتهن في  
التراب ، خيراً هن من بقائهن دون الارباب ،

لا نكر ان الحق ان هذا خيال باطل ولا سيما عند المؤمنين ولكن  
هذا الخيال الباطل لم يوح الي صاحبه ان الفناء شجرة خبيثة يجب اجتنابها  
تبل النمو ويستضمن حرمان الوجود من ثمراتها وانما زين له سوء عمله  
هذا من طريق اخرى هي كرامة فثاته

تجمل ذلك المسكين ان فاته ان عاشت تعيش مثله في شخص تذيب  
 الفؤاد ولو قد من الجلود ، و كرب تسود الوجوه البيض و تبيض الشهور  
 السود ، فزين له خياله ان يحكي كريمة فلذة كبده من مثل هذه الحياة التي  
 بلاها فقلها وان بقي بالأم ساعة عند توديعها وتليها الى الابد آلام  
 صنين يراها فيها كثيرة النصب قليلة النصب كما بقي أحدهم بالأم الكي  
 الآلام سقم مزمن

وكان منهم حتى توسوس لهم شياطين الخواطر بأن الفتاة ربما  
 وقعت في يدين لا يرى لها لها حرمة. ولو قضي على كل البشر مثل هذه  
 الوسائل لا ذمت الدنيا بالانقضاء ولكن الموجد لم يشأ الا ان تكون  
 الدنيا على هذا النمط من الاستمرار فذلك لم يوجد لهذه الوسائل سلطانا  
 على قلوب البشر الا قليلا من بانناشيء عنهم من هذا القبيل

سواء ما يزين هؤلاء الفقراء والحق الذين كبر نصيبهم من التسوية مع  
 نصيبهم من الفقر والحق فلو علم المسلم ان اليساريين يحتكر آي بيوت معينة  
 واشخاص تختصه وانما يتاح للعاملين المحسنين مع الظروف المناسبة ، وان  
 قيمة كل امرئ ما يحسنه ، وان ليس عليه الا ان يعمل بالمعروف عند  
 قومه ويصبر قليلا حتى يتاح له ما يقوم به شأنه ، لا سهل عليه ان يقصف  
 يديه غصنا منه أنته الله ولا أنته أكبر من تربته وتميته

ولو علم الا حق ان الفراء من توم العدو نهاية الجبن وغاية الخذلان  
 ويشتر أقصى درجات الخسران لرأي انه جدير بالبكاء على حظه من  
 ضيف النفس

وهيات ان يكون قوم «خديجة» على هذا النمط من ضيف النفوس

وم المعروفون بالشجاعة والاقدام . وأي قوم تطيب لهم الحياة اذا كانوا لا يرون سلامة حرمهم الا بافانئها؟ وانى يجد الشخص الطمأنينة اذا كان دأبه الحرب، من غير ما طلب؟

أما انهم كانوا يكرهون البنات اذا بشر أحدكم بها فلا يستطيع أحد انكاره لأن القرآن الجيد هو الذي سجل هذه الحقيقة التاريخية وقد سرى هذا الى نفوسهم من شدة احتياجهم الى البنين الذين سيكونون المدافعين في ذلك المجتمع القائم بنفسه قيام المجتمعات الكبيرة . وليس معناه ان البنات تظل طول دهرها مكرهة وان النساء لا قيمة لهن ولا قدر عند أولئك القوم . ما ذنب القوم اذا كان نفر من فقراتهم وحقاقم قد ضمنت نفوسهم فاستسلموا الى الاستراحة مما يلذ للكرام التصب فيه؟ وما إجرامهم الى الانسانية من بعد ان يقوم أجدام باقتداء كثير من الفتيات اللاتي تصدى أبائهن لوأدهن من الفقر؟

ان العرب كافة وفريشا خاصة كانوا يعزّون المرأة ولا يهينونها وقد أعطوا النساء كل ما هن من الحقوق في نظر العدل ولم ينسوا ان المرأة كالرجل هي انسان يحمل دماغا فيه إدراك وأن هذا الانسان المؤنث نفساً كنفس ذلك الانسان الذكر تفضى ورضى وتتم وتشتق فأعطوا دماغها ونفسها حقيهما

وقد رووا لنا ان هنداً بنت عتبة وهي من قوم سيدتنا «خديجة» جاءها أبوها يشاورها في رجلين من قومها رغبا الزواج بها فقالت صفها لي فقال « اما أحدهما فني زرة وسمة من العيش ان تابتيه تايلك، وان ملت عنه حظّ اليك، تحكين عليه في أهله وماله، واما الآخر فوسع عليه،

منظور إليه، في الحسب الحبيب، والرأي الأرب، مسره أرومته، وعن  
 حثوته، شديد الذيرة، لا ينام على ضفة، ولا يرفع عصاه عن أهله،<sup>(٥)</sup>  
 فقالت يا أبت الأول سيد مضياح للحرمة فما عشت ان تلين بعد إبانها،  
 وتضع تحت جناحه اذا آتيا بها بلها فثبرت، وخافها أهلها فأمنت، فساء  
 عند ذلك حالها، وتبع عند ذلك دلائها، فان جاءت بولد أمنت، وان  
 أنجبت فن خطأ ما أنجبت، فاطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي بعد.  
 وأما الآخر فعمل القناه الخريفة، الحرة العنيفة، وأني لا اخلاق مثل هذا  
 لمواقته، فزوجنيه، فزوجها الثاني وكان هو أبا سفيان بن حرب فولدت  
 منه معاوية مؤسس دولة بني امية الشهيرة وأحد نجباء العرب ودواهمهم  
 فهكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا «خديجة» لا بنتات أهلها  
 عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات الحسني والزكاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والأمر  
 العمومية، وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من اربعين سنة  
 بين بني ذبيان وبني عيس لم يتفكر في اطفاء نارها الا امرأة ولم تمكن  
 من اطفائها الا بلها من المكاة وحسن الرأي وذلك ان يهمة بنت أوس  
 ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابرهمن الحارث بن عوف المرّي  
 وأراد ان يدخل عليها قات اتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضاً تني بني  
 عيس وبني ذبيان فقال لها ماذا تقولين قات «أخرج الى هؤلاء القوم  
 فأصلح بينهم ثم ارجع الي»، فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن  
 ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فشيأ بالصلح ودفا الديات من أموالهم

وحبك من اشترى من العربيات في السياسة ممنون اللاتي كن من شيعة  
الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمارة بن الاشر الهمدانية،  
وبكارة الهلالية، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية، وام سنان  
بنت جشة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن ربيعة، ودارمية  
الحبونية، وام الخير بنت الحرث بن سراقه البارق. وأروى بنت  
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة علي معاوية بدموت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما  
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشر؟ قالت بخير  
يا امير المؤمنين . قال لها انت القاتلة ل اخيك :

شر كفعل أبيك يا ابن عمارة      يوم الطمان وملتي الاقران  
وانصر علياً والحسين ورهطه      واقصد لهند وابنها بهران  
ان الامام انما النبي محمد (\*)      علم الهدى ومنارة الايمان  
فقد الجيوش وسر أمام لوائه      قدما بابيض صارم وسنان  
قلت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبتر الذنب، فدمع عنك تذكار  
ما قد نسي » فقال « هيبات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت  
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خني المقام، ذليل المكان، ولكن  
كما قالت النساء :

وان صخرآ لتاتم الهداة به      كانه علم في رأسه نار  
وبالله اسألك يا امير المؤمنين اتفاني مما استغفيت » قال : قد فعلت  
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيّد، ولأمرهم

مقتد، والله سائلك عما انترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من  
 يهض برك، ويبسط بساطناك، فيصعدنا حصاد السبيل، ويدوسنا  
 ديس البقر، ويسومنا الخسيمة، ويسأنا الجليبة، هذا ابن اوطاة تقدم  
 بلاذي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عزومنة،  
 فاما عزك فشكرناك، واما لا فرفناك، فقال معاوية «أيي تهديين  
 بقومك والله لقد همت ان اردك اليه على تب أشرس فيفندحك فيك»  
 فسكت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه      قبر فأصبح فيه العدل مدفونا  
 قد حالف الحق لا يعني به ثنا      فصار بالحق والايان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال  
 ما أرى عليك منه أرقا قالت : بلى أتيته يوما في رجل ولا صدقاتنا فكان  
 بيننا وبينه ما بين النث والسهين فوجدته قائما فانتل من الصلاة ثم قال  
 برأفة وتطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء  
 فقال « اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك ، ثم أخرج  
 من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم  
 قد جاءتكم موعظة من ربكم ، فادفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا  
 الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، بقیه الله خير لكم ان  
 كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ  
 بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام» قال معاوية اكتبوا لها  
 بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة ام لقومي عامة» فقال « ما

أنت وغيرك» قالت «هي والله الفحشاء واللؤم إن كان عدلاً شاملاً  
والأيسني ما يسع قومي» قال اكتبوا لها بحاجتها  
ووفدت بكرة الهلالية أيضاً على معاوية بعد موت علي فدخلت عليه  
وكان بحضرة عمرو بن العاصي وسروان وسعيد بن العاصي فجاءوا يذكرونه  
بأقوالها التي قالتها في مشايعة علي ومحادثة معاوية فقالت «أنا والله قاتلة  
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر، فضحك وقال ليس بمنسا ذلك من برك  
وكتب معاوية إلى مامله بالكوفة أن يوفد إليه الزرقاء ابنة عدي بن  
قيس الهمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وإن  
يوسع لها في النفقة فلما وفدت على معاوية قال «مرحبا قدمت خير مقدم  
قدمه وافد كيف حالك؟ فقالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها أأنت  
الراكبة الجبل الأحمر والواقفة بين الصفيين تحضين على القتال وتوقدين  
الحرب فما حالك على ذلك؟ قالت يا أمير المؤمنين «مات الرأس وبثر الذنب،  
ولا يهود ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والامر يحدث  
بمده الامر، قال لها تحفظين كلامك يومئذ؟ قالت «لا والله لا أحفظه» قال  
لكني أحفظه ونلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها  
والله يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه» قالت «أحسن الله شارتك  
وأدام سلامتك، فثلك يبشر بخير ويسر جليسه» قال «أو يسرك ذلك؟»  
قالت «نعم والله» فقال «والله لو فاؤكم له بعد موته، أعجب من جبكم له في  
حياته، اذكرني حاجتك» فقالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسي إن لا  
أسال أميرا أعتت عليه أبدا. ومثلك من أعطى من خير مسألة. وجاد عن  
غير طلبه» قال صدقت وامر لها وللذين جاؤا معها بجوائز.

ووفدت عليه أيضا ام سنان بنت جشمه، وعكرشة بنت الاطرش،  
ولما حج سأل عن دارمية الجعفرية فجيء بها اليه فقال لها « بشت اليك  
لا سالك علام أحببت عليا وابنفتني ، وواليتي وعاديتني ؟ » فاستغنته فلم  
يفعل فقالت له « أحببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ،  
وأبفضتك على قتال من هو أول منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بالحق ،  
وواليت عليا على حبه المساكين ، وإعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك  
الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمتك بالهوى » ثم قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟  
قالت « أي والله ، قال فكيف رأيته ؟ قالت « رأيته والله لم يفتنه الملك الذي قنتك  
ولم تشغله النعمة التي شغلتك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان  
يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صبدأ الطست » قال صدقت فهل لك  
من حاجة قالت « نعم تعطيني مئة أقة حمراء » قال ماذا تصنعين بها قالت  
« أأغذو بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصالح  
بها بين المشائر » قال « فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن ابي  
طالب ؟ قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « اما والله لو كان علي -يا ما  
أعطاك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »  
وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت

عليه أروى بنت الحارث وجرى لهما معه حديث من مثل ما تقدم  
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية ، وهكذا  
كان حظهن من النصح والحصافة ، ومبلغهن من المشاركة في الأمور  
العمومية والاختد بالاسباب ، والمشايعة لبعض الاحزاب ، وما أتينا الا  
بالبير نوظة لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها



أولئك الذين هم أولياء الله وأولئك هم أولياء الأنبياء  
فيهم مبادئ التي يستعملون القول فيهم في أحسنه

الله  
١٣١٥

بقرتها حكمت من يشاء من المؤمنين الحكمة التي  
بقرتها حكمت من يشاء من المؤمنين الحكمة التي

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى رء منارا ه كنفار الطريق

مصر السبت ٢٨ ربيع الآخر ١٣٢٦ هـ — ٣٠ مايو (أيار) سنة ١٩٠٨ م

# فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتاوى هذا الباب لا جاية أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه واقبسه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزى الى اسمه بالخطروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترجم فالباور عما قدمنا من غير السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وورعاً بما أجبنا غير مشترك مثل هذا ، ولئن يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا على من يسبغ لافئاله

## ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجوا ان تميزوا جانب الاتفات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشائر

صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع الباحثات التي داوت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالتمام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التخيير ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التخيير أيضاً وهلم جراً فيخشي من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإبدالها بالترجمة يسد هذا الطريق . مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين . قال في ذلك إشارة الى مدة سني النبوة

المحمدية » فاذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشار صادق نبوت »

أما أدباؤنا معشر الترك الروسين فانهم مصرون على ترجمته ويقولون لا معنى للقول بأنه لا يجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقاءه غير مفهوم فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قران وتطبع ترجمته تدريجاً وكذلك تثبت ترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية القفقاز فرجو من حضرة الأستاذ التدبر في هذه المسألة حرره الامام الحقيير أحسن شاه أحمد الكاتب الديني السماري

(ج) ان من تصير المسلمين في نشر دينهم ان لا يبينوا معاني القرآن لاهل كل لغة بلغتهم ولو بترجمة بعضه لهم لاجل دعوة من ليس من اهله اليه وارشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا الى امم تكون رابطة كل امة منها جنسية نسبية او لغوية او قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأسلوبه و بلاغته وهداياته المتعبد بتلاوته اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب ما يفهم المترجم هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان نتفرق وننقسم الى اجناس ظانا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك الا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا واسكتنا نذكر شيئاً مما يخطر في البال اسدهجر المسلمين القرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استثناء عنه بترجمة أعجمية يفهم عنها تفسيره بلغتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فنقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل القرآن بخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي نكره

(٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست

دينا الا من حيث انها مبنية له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لانفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد ( ص ) . والاجتهاد بالقياس انما هو فروع عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد ان يكون له مستند والترجمة ليست مستندا . فعلى هذا لا يسلم لمن يجادلون ترجمة القرآن قرآناً ثانياً من اصول الإسلام

( ٣ ) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لترجمته فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها ( ٤ ) ويلزم من هذا حرمان المقتصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين في قوله ( ١٢ : ١٠٨ ) قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وانما لها من الآيات التي تجعل من مزايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما انزل الله ( ٥ ) وكما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

( ٦ ) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجليل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي ( ص ) لاصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم اذ عذر المختلين في فهمها والعمل بها ومثله معاملةهم فيما فهموه من نهيه عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخلال مسلماً يجعل لمباراة مترجم القرآن هذه المزية

( ٧ ) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الإلهية لا تخاف جودته ، ولا تنفأ تتجدد هدايته ، وتفيض للقارئ على حسب استعداده وحكمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقا لسوم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تفيد القارئ بالمعنى الذي صورته المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى ( ١٥ : ٢٢ ) وأرسلنا الرياح لواقح ) من المجاز بالاستعارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك يشبه تلقح الذكر للأنثى وحدوث الولد بسد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو

جرى على ذلك بان فرضنا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام « لواقع » العربي في احتمال حقيقته ومجازه اذا اطلق فان القارئ يتقيدون بهذا الفهم ويتبع عليهم ان يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه وهو كون الرياح لواقع بالفعل اذ هي تحمل مادة القاح من ذكور الشجر الى انائه . فان لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لئيسر ترجمة الآية حرفية فان هناك أمثلة أخرى وحسب ان يكون هذا موضعاً . والترجمة تتفق بنا عند احد من الفهم يعوزنا معه الترقى المطلوب (٨) ذكر الغزالي في كتاب « إيلام العوام عن علم الكلام » ان ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة واستدل على ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣ : ٦) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وبين ان الخطأ في ذلك مدرجة الكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم ان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي ينبغي المترجم في مثل هذه الالفاظ وهو ان شرحها بحسب فيه ربما يوقع قارئاً ترجمته في اعتقاد مالم يردده القرآن

(١٠) وذكر في ذلك أيضاً ان من الالفاظ العربية ما لها فارسية تطابقها « لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها » فاذا اطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤديا المعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غيرهم من الاعاجم . وهذا المقام من مرزلات الاقدام اذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضاً في هذا المقام ان من هذه الالفاظ ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك . فقد ينظر المترجم غير المراد لله من معني المشترك ولا يخفى ما فيه وقد مرّ نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء انه اذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة واذافات يفوت بفوته خير كثير فباطالاً كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوروبا (وهو فرنسي نسيت اسمه) ان شهيداً كان يقرأ القرآن مجال مؤثرة تجذب السامع إلى الأيمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الأنبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي نمرمة الاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال تليد بقراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان هذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف تحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم

(١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من اختلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لهم صاحب إظهار الحق من اختلافات التي كنا نقرأها ومحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا

(١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل والتحرير والتصحيح بالنص الذي نقلناه عن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك هذا ما تراعى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي بدل القرآن العربي واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوها أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنيه واللفظ في حقيقته ومجازه كما حققه بعض أهل الاصول كالشافعية

اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم ايجاب بقاءه غير مفهوم فهي ممنوعة فابنا تقول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه

( المار ج ٤ ١١٣ ) انتشار العربية مع الاسلام ثم عود الاعاجم الى الجنسية ٢٧٣

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برمه . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين — درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم في حفظون الفأحة وبعض السور القصيرة لأجل قرائتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وتقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكر لهم تفسيرها بلغتهم كما جرى عليه كثير من الاعاجم حتى بلاد الصين — ودرجة عليا للمستقلين بالعلم وهو لا يجب ان يتقوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهدون بهديه ويعبدون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله فيه (٩٢:٢١) ان هذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يتصموا به وهو جبل الله فلا يفرقوا وتكمل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (١٠:٤٩) انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة للتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الاتلاتيك) الى بلاد الهند قبل كان هذا الاخير اعظمتا آخت فيه شعوب كثيرة وتعاونت على مدينة كانت زينة للأرض وضياء ونورا لاهلها؟

ثم هذا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشأوا يتراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية ما فعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وبقاء القرآن العربي المنزل خاصا بالمرب بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامها الذي هو القرآن فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في اعادة

الوحدة الإسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الأول خير قرون الاسلام وان يستمروا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم فيجعلوا تعلم العربية إجبارياً في جميع مدارس المسلمين ويحجروا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتبدون فيها بآراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في أحوالها المدنية والسياسية. ولكننا نرى بعض المثورين من سياسة أوربا يعاونونها على تقطيع بقية ما تركه الزمان من الروابط الإسلامية بتقوية العصبية الجنسية حتى صار بعضهم يحاول إغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : : ألا إنها فتنة في الأرض وفساد كبير وفي الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلقتهم مع قائده إمامهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الإسلام مع بيان ان المترجم بين المقبي الذي يفهمه هو

### سد يأجوج ومأجوج

(س ٢) من أمين افندي الشباصي مهندسة عقبره (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد صاحب مجلة المنار الفراء

كنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين ويأجوج ومأجوج والسد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي الآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد وبعده . قلت له يا اخي لعل هذا الاثر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على عمر الايام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينحيه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الايام . فقال يا اخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذ ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الارض وظهرت والسد ليس كذلك وهذا وجه استفراحي لأن سياق الآية يدنا على انه بين جبين كبيرين ومن حديد ونحاس ومن دونه امة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؟ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الارضية أمام نظري أقلب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت يا اخي اني اظن ان هذه الأمة هي أمة التار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخرقت آسيا والهند ومصر واوروبا واخذت الملك من المسلمين وأتذكر



لني رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه ففرغ فلما سألوه عن السبب قال ويل لأمي من السيل المهمل يشير الى قرب خروج يأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك التتر فسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك. وبعد جدال كبير حصل بيننا وعدته بان أفيدته عن يد فضيلتكم بالجواب القطعي فرجائي أن تفيدوا الجواب على صفحات المنار الأغر حتى يقتنع المشاغب كما هو المشهور في فضيلتكم من إيضاح الحقائق ولفضيلتكم الشكر افندم

(ج.) سألنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرها من الاقطار ونقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلة فان بقعة كل من القطبين لاسما القطب الجنوبي لا تزال مجهولة. وقد استدلل بعض العلماء على ان السد بني في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطالما وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب. ولا يمترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحد القطبين فان حالة مدينة ذلك العصر وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن فبني عليها افتراضا كهذا فما يدرينا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلا فكم من أرض يابسة فاضت عليها البحار ففقرتها بطول الزمان وكم من أرض انحصرت عنها الماء فصارت أرضا عامرة متصلة بغيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طمست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدنيات القديمة بالشاهدة او الاستدلال ما يجعل بعض اسبابه كالألوان والنقوش والالوان وجرا الاثقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سببا حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومغربها وبين السدين فما هي تلك الاسباب هل هي هوائية او كهربائية؟ الله أعلم بذلك

هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الأرض التي بني عليها الافتراض. ثم ان ما بني على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي مسئلة وذلك أنه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « جريند » بروسيا ومعناه السندوقية موضع يسمى « دوز قيو » أي باب الحديد

وهو أثر سد قديم بين جباين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره مطبرون في جغرافيته بما يدل على ذلك ( راجع ص ١٥ و ١٦ ج ٣ ) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريطة جغرافية قديمة لتلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان وبيان أن وراءه قيتين اسم إحداها « آقوق » واسم الثانية « ماقوق » . وتهريب هذين اللفظين بأجوج ومأجوج ظاهر جلي .

وأما الموضوع الثاني فانا نترجم ما جاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرابتة وهو : « في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (متو بضعة فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطويلة . وفي شرقي هذه المدينة وادعيق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شاهجة منتصبة ليس فيها مسالك ممبدة فالتوقل فيها على خطر السقوط والهوي وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها الى الوادي ومنه اليها ونجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي ( الذراع الفارسي متر واربعة سنتيمات ) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجباين الى الآخر وهو من زبر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فاما مسكه فخمسة عشر شبراً واما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخفاض أساسه وارتفاعه لأن ارضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل الى قلعة تسمى تسام واقعة بجوار هذا السد فأمر بعد زبر الحديد المبني بها السد فقصرى ما تيسر لهم عده منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمنتان محكمتا البناء قديمتان تسمى إحداها قلعة العرصة والثانية قلعة الباحة اه

فهذا الوصف ينطبق على ما جاء في القرآن من وصف السد وبلاد اليمن هي فيما يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا القب من القاب ملوك العرب الحيريين في حضرموت واليمن المعروفين بالاذواء ( كذي يزن وذي الكلاع وذي نواس ) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منهم وهم الترك كما ورد في تاريخ السوريين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويهدم النصارى رمزا لأعداء الكنيسة

ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيها بقي مجبولاً من

الأرض فلم لا يجوز ان يكون قد انك وذهب أثره من الوجود؟ ان قيل منع من ذلك ان انك كما ذكره وخروج بأجوج ومأجوج من علامات الساعة اجبنا بجوابين (أحدهما) ان قرب الساعة يمتد ألوفا من السنين بدليل أن نبينا نبي الساعة وقرب الساعة نسبي اي هو قرب بالنسبة الى ماضى من عمر الأرض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيهما) ان هناك ساعة عامة وساعة خاصة اي ساعة هلاك امة معينة كما ورد في شرح بعض الاحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

### ﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في (سبب برنيو)

حضرة علامه الزمان فريد العصر والاولان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نقضي الله بعلومه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو: ماقولكم دام فضلكم في صورة مشتغلة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا؟ وما تقولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف ليس فيها فعل صورة بل هي حبس صورة كحبس الصورة التي في المرأة فلا يحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشابتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب (ج) صانع الصور مصور سواء صنعها بيده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) وصورة الشيء هي صورته سواء صورت باليد أو بالآلة لافرق بينهما شرعاً ولا عرفاً. واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشابتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشعائر الوثنية أي تعظيم الصور أو عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك القرام (الستار) الذي كان معلقاً في بيتها لمشابهة الصور التي كانت في الكعبة فلما هتك واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأساً وحديث القرام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يعترف بأن حلة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ما ذكر

فأي فرق يبقى عنده بين ماساء قبل الصورة وجس الصورة؟ القصد من الأمرين واحد وفي كل منهما عمل اختياري للمصور فإذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا أو حيوانا أو غيره كما عبد بعض البايه الرجل المنقب بهاء الله فهل يجوز عند ذلك القتال للمصور المسلم أن يصور لهم مبيودهم بالآلة الشمسية لعظموها ويمبدها بناء على أن قلبه جس تلك الصورة لأفعل لها؟ ان هذا قول لاوجه له فيما نرى والله أعلم

### ﴿الوقف على المساجد والمدارس﴾

(س ٤) مستفيد من منفاثوره

ماقول المنار المنير في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها وبناء المساجد للصلاة ولا يخفي عليكم ما ورد في فضلها فأبي الأمرين من البنائين أفضل أفيدونا

(ج) في المسألة تفصيل فإقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعار الإسلام إذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتال والمعلوم منها ما هو فريضة ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فإذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعار أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا فضل في بناء مسجد لا حاجة إليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين أو أكثر بل ذهب الامام الشافعي الى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد ان أمكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات المنار . وإذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لإقامة الجمعة والجماعة فلا شك ان بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لتوقف إقامة الشعار عليه وإنما تأتي المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج اهله اليهما معا وحينئذ يظهر انه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن ان يصلى فيه ويعلم ما لا بد منه حتى يتيسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم ان بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعار وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة اليها مضاد

للمصلحة الشرعية وهو لا يكون عن رياء أو جهل

## السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

نشر هذه المقالة بالامضاء الرمزي لكاتبها لما فيها من البشارة بالجلس النيابي :  
كان عميد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان  
عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضعف إرادته يوائي العميد فيما  
يريد قلباً يراجع في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العميد ما لم يكن يرى من  
والده من المقاومات فكان يتهمز فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد  
فأكثر من المستشارين والمفتشين والقضاة وكبار العمال من الإنكليز وقفل ما فعل .  
ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى السنة الناس حتى صارت تشريشاً مزعجاً . وقد كان  
لورد كرومر يمتنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منهما وطبيعة الوقت  
ما يحول دون ذلك حتى انها تكلمت غير مرة في أمر الوفاق وبعد التواطؤ بزمن  
قصير أو طويل كان يعود التدابر كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته  
على اقناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار  
الحاضرة وهي وزارة تميل الى التساهل في المستعمرات وما في معناها كعصر في عرفهم فلم  
يتم اللورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . ومما كان قد عزم عليه  
الرجوع الى كبار الامة في معرفة مطالبها الحقيقية لانها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير  
ولا ننسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو  
لا سيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشهير فعالج الأمير  
تلك الحملة عليه بحديث آخر عهد الى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة  
الدبلي تلفراف الانكليزية أهم ما فيه الاشارة الى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة  
للسياسة الجديدة التي سنينها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي  
فيها وهي اختيار الاكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم «مسئوليتها»  
وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زغلول وزيراً للمعارف وأخيه أحمد  
فحفي باشا وكيلاً للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبد الخالق ثروت باشا نائباً عمومياً

وهناك مقدمة ثالثة جربها العميد الجديد فجات كما يراد وهي اعتماد انكثرا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلقوا تبعه سياستها وادارتها على غار بها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الامة وما دونه من مجالس المديرات

ما هو مجلس نواب الامة ؟ هل هو مجلس الشورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحميله تبعه وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ما ذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على ان تمنح مصر ما تطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة والامير ينفذها رغائبها بمصر

انا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السماح للمصريين بذلك بل يفتخر احرار انكثرا بذلك لموافقته لستهم في تحرير الشعوب وترقية الحكومات ويكتفون في الأمن على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن ستسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا تخرس فما كان منه عن شيء مضى فهو ما يعرفه العارفون ، وما كان عن شيء يأتي فسيراها الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز منخطون في ظنهم ان الحركة الوطنية ستسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حماسة الجرائد يمكن ان تتحول الى نقد الوطنيين الذين يحملون تبعه الادارة وتكون الحججة على المحتامين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل تبعه العمل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فمن مثل هذا قد استنبط الانكليزان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستعقبهم راحة من ضوضاء مصر وتشتغل المصريين بانفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام ( المكاشف )

## القرآن والعلم

٢

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿ المسألة الثالثة ﴾

﴿ ذوالقرنين ومطلع الشمس ومغربها ﴾

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨: ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قرماً) إلى قوله (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً)

تقول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصي ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن تقول جميع الأمم الراقية « بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى » إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد أمريكا ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يعنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فعنى قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس » أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب . ومهما كان الإنسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المعهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي

(المنار ج ٤) (٣٦) (المجلد الحادي عشر)

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها تغرب في عين حمة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ولذلك نسب القرآن الامر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلاً « حتى إذا بلغ مغرب الشمس رأيها وهي تغرب في العين » أو نحوها مما يفيد أنها تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى ( ٢٦ : ٥٧ فأخرجناهم من جنات وعيون ) أي أنهار جارية وكقوله في وصف الجنة ( ٨٨ : ١٢ فيها عين جارية ) وقوله « حمة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة ( حامية ) أي ساخنة ولعل سخونة الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بمجوارها وإذا كان المراد مياه المحيط فقد تكون سخوتها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء كما هو معروف للمطلعين على علم الجغرافية فإن المحيط الأطلانطي ينطبق عليه هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذالقرنين وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب فان تيار الخليج ( Gulf Stream ) الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل أفريقيا الغربي ولون مائه أسود وهو ساخن ( فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فرنهيت )

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذالقرنين وصل إلى جبل عال من جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجسد الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء



كالاكندر المقدوني وغيره وكان يتيسر لهم ذلك لعظم قوتهم وضعف الامم المجاورة لهم وبساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بجيشه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغالب ضمنية والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحميريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الامم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في آقاب العرب أهل اليمن كذي يزن وذو كلاع وذو نواس . ونقل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحميريين قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند بلغ المشارق والمغارب ينتهي أسباب ملك من كريم سيد وكل ذلك يؤيد ان العرب ما سألوا النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظرا لاندراست التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبير بين الأمم الأخرى والمظنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام قيل إن اسمه الصعب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عيبر بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب انهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والمعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذوحاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٣٠٠٠ سنة وقد أنار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس . فلا يبعد ان يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد نبى سداً بين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لنع يا جوج وما جوج من التمدي على الأمم المجاورة لم وهما قبيلتان شيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرها أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك ١٠ : ٢ وحز ٣٨ : ٢ و٣) وإذا علم الانسان ان أكثر بقاع الأرض لم تطلها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصداً ومن هبوب الرياح ونزول الأمطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عثور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لا يمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون منطى بطبقة حجرية مما أذابتها المياه وحماتها إليه فحنت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً)

هذا ومن تذكر إغارة المغول (التار) وهم نسل يا جوج وما جوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الأفساد في الأرض وما أوقصوه بالأمم المختلفة من القتل السبي والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيء الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦ حتى إذا فتحت يا جوج وما جوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من ان يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله «واقرب الوعد الحق» كقوله (٥٣ : ١٩ اقربت الساعة وانشق القمر) على ان الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير معهود في الكتب المقدسة إذا أنبأت عن الحوادث المستقبلية

## ﴿ المسألة الرابعة ﴾

## ﴿ يحيى بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧) يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) يقولون ان يحيى هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهود سمي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف قول القرآن «لم نجعل له من قبل سمياً»؟ وتقول لانسلم بان لفظ يحيى في القرآن هو تعريب لفظ يوحنا عندهم لان يحيى من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יחי) وينطق يحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحان) العبري ومعناه «يهوه-خون» أي الله خون. فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ يحيى غير يوحنا ووجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني تقابلاً له وأمثلة ذلك في كتب المهديين كثيرة جدا منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لباوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و٢) وكان النبي عليه السلام يغير كثيرا من أسماء أصحابه فيشتهرون بما سماهم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لم أكثر من اسم. هذا اذا لم تقل ان تسمية ابن زكريا في العهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الانجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا نقل اسمه الحقيقي «يحييه» الى لغتهم

ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (يحيى) ولما اشتهر عن يحيى الشفقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣) وحنانا من لدنا) صاروا لقبونه بيوحنا حتى شاع بينهم ذلك اكثر من اسمه الاصل الذي سماه الله به

وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثا له من نسله خوفا من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيى وقال له ان هذا الاسم لم يسلم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١ : ٦١ فقالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم «فتواه تعالى» لم نجعل له من قبل سمياً « أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معهم في شأنهم والخطاب لهم فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ يحيى هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي أنه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية وأخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشفقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً» أي سمياً حقيقياً وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

### المسئلة الخامسة

#### السامري والمجمل

قال الله تعالى (٢٠: ٨٨) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوارٌ فقالوا هذا الهكم وإله موسى — إلى قوله — ٩٥ قال فما خطبك يا سامري ٩٦ قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي « رجحنا في ( مقالات الدين في نظر العقل الصحيح ) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلغتهم شمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم . انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى ( ٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٠ ) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المعربة كلفظ ( الجودي ) وهو اسم جبل ولفظ ( السموأل ) وهو علم لأحد نابغي شمراء اليهود من العرب . وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة . وهو معرب من لفظ ( سموئيل ) والتغيير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ ( شمري ) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغيير طفيف في الكلمة . وهذه التغييرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ مختصر وأصله .

(نبوخذناصر) ولفظ عيسى وأصله يشوع . وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التغيير والتحريف في الأعلام . واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب ( السمري ) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق . ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري . وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى ( فأخرج لهم ) أي صنع لهم السامري ( عجلاً جسداً ) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جماد كهذا العجل الذي صنعه السامري من الخي وكتماثيل الحيوانات فانها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها ( له خوار ) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه الزمار ويسلط عليه آلة نافخة لا يشمر بها الناظرون

وأمثال هذه الخيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى ( قال فما خطبك يا سامري ) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت ( قال بصرت بمالم يبصروا به ) أي علمت مالم يعلموا وأدركت مالم يدركوا ( فقبضت قبضة من أثر الرسول ) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفته فبناواقتنيت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها . وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني إسرائيل فان الله قال لهما ( ٢٠ : ٧٧ ) فقولا إنا رسولا ربك ) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهم كما كانت قریش تهكمون على رسول الله ويقولون له ( ٧٥ : ٧٧ ) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ) ثم قال السامري ( فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي ) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجرأتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت مالم يعلم غيري . هذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه به أكثر

المفسرين من انحرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الأصفهاني وارتضاه منه فخر الدين الرازي وعمره

(٩٧ قال) له موسى (فأذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلمت عليها كفاً لنحرقنه) أي لنبردنه ويؤيده قراءة « لنحرقنه » بفتح النون وكسر الراء وضمها خفيفة (ثم لننسفته في اليم نسفاً)

فإن قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتعبير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا تقبل التأويل حتى لا يكون ذلك صادراً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن ان يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فأتى لهم بما لو سمعوه لقبوه وما لو سمعه العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراه مثلاً ينص على دوران الأرض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجهلاء حتى أن معنى الآية الصحيح لا يخفى على العلماء . فإن القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرتبين فلذا تنوعت أساليبه وسحر بيانه عقول الجميع وبذلك لم يخفى الغرض ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض

### المسألة السادسة

#### (تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٢٣ : ١٢) ولقد خلقنا الانسان من سُلالةٍ من طينٍ ١٣ ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغّةً فخلقنا

المُضَفَّة عظامًا فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخرَ قُبَارِكُ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ ١٥ ثم إنكم بعدَ ذلكَ لَمِيتُونَ ١٦ ثم إنكم يومَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الانسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده الى يوم بيته

(الطور الاول) « وقد خلقنا الانسان من سلاله من طين » أول الاحياء في هذا العالم لاشك في انه خلق من مادة الارض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الاحياء تتكاثر باقسام الخلايا ثم بالتفجح الذي يعقبه الانقسام (ومنى التفجح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الانثى) فان الانسان في طوره الاول كان طينا واذا نظرنا الى الانسان من جهة اخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الانسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جئناه نطفة في قرار مكين » النطفة الافراز تطلق على المني ولا مانع من اطلاقها أيضاً على بويضات المرأة التي يفرزها المبيضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صريحاً لأن ذلك غير معروف لجاهل الناس وهو لم يأت لتعليمهم أمثال هذه الاشياء وإنما هو يريد قضاياها بما يعرفونه ولا ينكرونه واكتفاؤه بذكر المني دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الانسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فاذا حصل التفجح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد بالقرار المكين أعضاء الانثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التفجح ثم التكوين ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الانثى يسبحان قبل التفجح وبعده في قليل

(١) المنار: النطفة في الاجل الماء أو كل سائل فيصبح اطلاقه على ماء الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الانثى الذي فيه البويضات اذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم  
(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقة » وذلك بانقسام البويضة بعد  
التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقة وخلاياها  
كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا العلقة مضغة » وهي قطعة أكبر من العلقة قدر  
ما يمتنع في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من انقسام البويضة الأصلية بعد تفذيتها  
في جدر الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية

(الطور الخامس) « فخلقنا المضغة عظماً » أي حولنا بعض خلايا المضغة  
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدريج بعد هذا التنوع عظماً

(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغة  
إلى أنسجة رخوة ذات خلايا مغايرة في شكلها للخلايا الأصلية وهذه الأنسجة  
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فيما تجد بعض الخلايا يتحول إلى  
عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكو هذه العظام

(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقته وولادته يصير  
بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد أن كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (والله  
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار  
والأفئدة) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً  
بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا  
بشم لتراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة  
تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة  
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل

كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفها باجمال خال من الوهم والخطأ داع إلى التفكير  
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس  
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا



الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطباب فيه لأن الناس يصلون اليه من غير طريق الوحي

### المسألة السابعة

﴿ ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون ﴾

قال الله تعالى (٥٧:٢٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۗ ٥٨ كَذَلِكَ ۖ وَأُورَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) ومن المعلوم أن بني إسرائيل من بعد غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فما معنى هذه الآية إذا ؟؟ ذهب عتقو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتح بن رمسيس الثاني وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يقي فرقة من العساكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها وينشروا فيها عاداتهم واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان المصريون ينجون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقم فيها تحت رعاية دولته كما يفعل الاوريون الآن في المالك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك الى عهد منفتح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني إسرائيل من أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف ( فأرسل فرعون في المدائن ) التابعة له كبلاد مصر والشام ( حاشرين ) يجمعون إليه جيشه وقومه المستوطن في هذه البلاد قائلهم ( ان هؤلاء لشرذمة قليلون . وانهم لنا لغائظون وإنا لجميعٌ حذرون ) ثم قال الله تعالى ( فأخرجناهم ) أي المصريين ( من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ) . في مصر والشام ( كذلك وأورثناها بني إسرائيل ) أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جنات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في هذا الموضوع ( ٧ : ١٣٧ ) وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومغارها التي بارَكنا فيها وسمت كلمة رَبِّكَ الحسني على نبي اسرائيل ( والأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله ( ٢١ : ٧١ ) وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) وقوله ( ١٧ : ١ ) سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) فأنت ترى من هذا أن آيات القرآن في هذا الموضوع يفسر بعضها بعضاً وان المراد من ميراث نبي اسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم ببلاد الشام

(المسائل بقية)

## باب المناظرة والمراسلة

٣

### حجوة تامة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور: وإذا قشنا الأحاديث — الى ان قال — فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقاً كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل واتى بكلام ثم قال: «والذي نرامن ان العقل لا يستبقي وقوع النسخ في القرآن الشريف اذا كان القرآن بين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او ان الرسول (ص) يبين ذلك بيانا ينقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ والمناظري باديء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور ان قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة» لانه اذا كان النسخ هو كما ذكر ابطال حكم الى بدل او لغير بدل وجاز ان يقبل قول الرسول (ص) هذه الآية منسوخة لا الى بدل مثلاً في حق من علم هلوز ذلك القول منه (ص) فما ذلك الا قول مجواز نسخ القرآن بالسنة وهو

مناقض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة فقوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعلوم صدورها عن رسول الله (ص) وبذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التي يلزم الأخذ بها ويعلم صدورها عن رسول الله (ص) اما ما ذكره حضرة الدكتور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او تبين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ لمقتضى لا يستقبح عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا فما هو؟ ام شرعاً - فابن هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومعناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمله وليس هو داخل فيما انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضي واقضى والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان ينقلوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم نرد ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعل ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لا متاع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى « ما ننسخ من آية » الآية والتواتر واتفاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطاً لقبولنا ذلك او ان الحال لا ينكشف لنا الا باحدهما فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سببا للنسخ ولا لبلوغه اليه -

اما اشتراط حضرته في رسالته لبيان النسخ طريقة معينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكتفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظاً يصدق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في افراد كل واحد

من مصادقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجملا فاذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتمل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في الناسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتهما الى غير ذلك فبين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضمام ما يبين المراد مع ذلك مما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام السلف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يوتى بما لا يتبين المراد منه الا مع ميين - والبيان اخراج الشيء من حيز الإشكال الى حيز التجلي فظهر بذلك ان معرفة الناسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ما ذكره حضرة الدكتور بل معرفته في كل محل بما يبين المراد هو الاولى وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ما ذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون الناسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكيم ككون الشيء في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما والعكس؟ وقد ذكر علماء الاصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ وبينوا ذلك فارجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندري ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور قليتا مل حضرته في هذا الموضع وليعلم انه باذرا الى التهمك والتعريض بمخالفته الى استحقاقهم أشد العذاب قبل اوانه اذ لم يتم حجة على ما قال ولم يحط علما بما لديهم من الحجج لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ما هو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل تقول ذلك قياسا على انفسنا وكما قال ذلك الكبار وتقول أيضا اذا كان النسخ هو ما ذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرته وأنه يرى ان العقل لا يستقبله فلا محل للتشيع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فالقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل القلي

وفي الاستقراء اي تتبع آيات القرآن فحضرة الدكتور استدل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لا مبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز ان يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة (أي لفظ مبدل) في سياق النفي تعم وأقول قد اختلف في ان المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق انه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذلك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالآية المذكورة ليس هي عندنا مما تدل على منع النسخ بمعناه السابق وانما تدل على صيانة القرآن عن انتحال المبطلين وعبث اعداء الدين وان الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ونقول أيضاً نفي الشيء فرع عن ثبوته ولا شك هنا ان المراد بنفي المبدل نفي جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز ان ينسب إلى الإله وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « ان الله على كل شيء قدير » بما سوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب ان لا يطلع على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال ان يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فتبين بما ذكرناه ان التبديل المنفي في قوله تعالى لا مبدل لكلماته انما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفعل اليهود والنصارى في كتابهم اما التبديل بمعنى النسخ بان يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكمها هو أمر رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا عيب فيه كما ذكر الدكتور والرسول (ص) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ ما من عامٍ إلا وقد خص وما من مطلقٍ إلا وقد قيد الآيات التوحيد وما ضاهاها وأيضاً قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل ومحله المين والفاعل معلوم فهي بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا عيب فيه عقلاً

اما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهناك يدل على ان تفسير الآية هكذا: واذا اتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا انما انت مقتر كذاب تخلق الاحكام وتنسبها الى الله الى آخر الآيات - وزعم انما القول بأنه مقتر في قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مقتر » انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ واقول ان قوله انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز ان تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم ان ما ذكرته حضرة وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وانما يدل على خلافه فانه تعالى انما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بان اكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا ان الفلام النصراني يعلم النبي ( ص ) اقراء وكذبا كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك ايضا ان الله لما برأ رسوله ( ص ) من تهمة الكاذبة ذكر ان سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان انما هو ضلالهم وعدم ايمانهم بآياته فانه تعالى لا يهديهم وأكسد في الرد عليهم بان المقتر في تبديل آيات الله انما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص ايضا في ارادة المشركين فظهر ان القائل بانه مقتر انما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها انما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخلق باخلاقهم والافتداء بآدابهم وعن الاصفاء والالتفات الى شبهاتهم عند نزول ناسخ او تبديل آية مكان آية لانهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لاعتقادهم ان ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما أهل الكتاب ( اليهود ) فلم يأت لهم ذكر حتى يعود الضمير اليهم وايضا فان الله تعالى قد عتب هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود اذا كان المراد بالآيات الاحكام وبالآية الواحدة الحكم لايمانهم بالتوراة وان أريد بالآيات الجمل من الكلام المحدودة المنصوصة فان أطلقت

على عبارات التوراة فكذلك وان لم تطلق بطل حمل الآية المبداءة على شيء من عبارات التوراة فثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت مقتروهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم نقول لو كان التبديل ابي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح تقييده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) « انت بقرآن غير هذا او بدله » حيث امر رسول الله (ص) ان يجيبهم بقوله « قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى اليّ » فانه لا معنى للتقييد حينئذ وبذلك وهذا يبين عدم دخول المتكلم وهو الله تعالى في عموم لفظ « مبدل » من قوله « لا مبدل لكلماته »

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه ما يلجته الى القول بوقوع النسخ فيه فعلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدراي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) وبينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لما بينهم الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يحمله على معاني يفرضها مع ترك ما سبق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة الهرفون الخرافون كالقراطة والملاحدين من المتصوفة وسائر الطوائف المتدعة الذين اذا تكلموا في القرآن يترامى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قديين حدوده وأوضح احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تلقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بأرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضميمة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف وبالاخص آثار الصحابة (رض) ولنعدي الى ما كنا بصدده فنقول

قد تقدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية نقلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكره حضرة الدكتور في تفسيرها فإنه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغر بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يويد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية تقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك » —

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة؟ وهل هذا التفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده —

وتقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي ( المعجزة ) كما يقول حضرة الدكتور فما معنى ازالتها وترك تأييد نبي آخر بها؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد انقضت بانتقضاء الزمن المشروط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المعتادة حتى تبقى ككل باق يرى تابها وخاضعاً لاسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثر المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار



انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بمثلا لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة للثاني ممتنع ولأفضى ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد فقدت فالأخرى انما هي مثلها والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لما يجوز ان يظهر اولما هو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ما ننسخ من آية اي من مثل آية او ننسها نأت بغير منها او مثلها . ومؤداه ما ترك مثل معجزة الانات بمثلا . اليس هذا تناقضا يجب ان يتره القرآن عنه ؟ وتقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) فثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

وتقول ايضا ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم الا بحجة واضحة ومن المحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها .

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه ميين لنا لما جاز لنا ان نستبد بعقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجح ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله ان هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين تسكيناً لهم ودفعا للشبه التي يثنها بينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمداً يأمر بالشيء ويمنع عن غيره الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبههم على ان هذا انما هو حسد من اعدائهم ودونك الآية وما قبلها يتبين لك ان ما ذكرناه عن اسلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ما عرفناك فساد تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

١٠٥ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فالآية دلت على أن الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام الشاقة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد (ص) الى ما هو أكثر خيراً منه ذكره تبارك وتعالى كافتراح من قوله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وأتبع الآية بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» استدلالاً للصحة للنسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى اعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستعدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لذلك اذا وجد المقتضي نسخ بعض الاحكام والتعاليم الأهلية إلى ما هو انبى باحوال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر — وقوله تعالى عقب ذلك (١٠٧) ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) هو زيادة لا يوضح الحجة معناه انه اذا كان هو الخالق للأشياء فهو يعلم المناسب والاصح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لكل ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعدل مختبراً أحوال الرعية فلا يليق بعله ترك ما فيه زيادة الخير والانبى باحوالهم لما هو أحاط منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى (أو ننسها): ننسها الناس لطول العهد بها (يعني المعجزة) الى آخره — فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدمنا فساد تفسيرها بالمعجزة لأننا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بانه اذا نسخ آية أو اناهاها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلاً وعداً لازماً لتلازم الشرط والجزاء — فاذا أتى الدكتور بتفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من انبيائه؟ وما معنى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) فهل كان يقرئه عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما ننسخ من آية أو ننسأها » بفتح النون وهزة بعد السين ومعناه حينئذ نوخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما ننسخ ما نترك وعليه يكون المعنى هكذا : ما ننسخ أي ما نترك من آية أي معجزة أو ننسأها أي نوخرها . وهو على ما فيه من الركاكزة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعطي ما أراده ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال بنسخها وحيث اني رأيت انما مال الى التاويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر للتطويل فائدة بالرد عليه لان ما ذكره بين البطلان بنفسه -

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتى بعد تسليم تاويلاته ان يقال له بجواب مجمل : ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول ( ص ) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعنى ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه ؟ فان قلت نعم فعليك البيان بشرط عدم التاويل والخروج عن الظاهر لان ترى ان التاويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء الناسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والعبارة وان قلت بتغير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة وواقفتنا وهو غاية ما تمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل - الا اليهود فقد منعه للتوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا بنسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأجبارهم نسخ ما شاءوا من التوراة - والا ما يحكى عن ابي مسلم الاصفهاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما يعد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومردول وقال السيد صديق حسن خان ولعله تقلاعن الامام الشوكاني : واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً قطعياً واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كتب الشريعة فانه انما يتد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من بلغ في الجهل الى هذه الغاية انتهى

ولم أر احداً حكى قول الاصفهاني الا واتمى عليه باللوم . ونحن لا نرى في الطعن فائدة ( ١ ) لانا نعلم كثيراً انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ من قوله ويترك ومن تبع الفلطات ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من الأشياء واعر من الامور ولا يبقى بيديه شيء من الحق وذلك هو الحسبان المبين

## كتاب الترية

### كتاب الترية

ألف علماء اوربا كتباً كثيرة في فن الترية فلما كتب في ذلك الفيلسوف سبنسر كان ما كتبه ناسخاً لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقدوة جديدة لمن عاصره ولن يجيء بعده فهو الذي نبى قوانين الترية على أسس المنفعة وبين خطأ الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه التاريخ . وكتابه في الترية أشهر من أن يذكر فينوه به وقد ترجمه بالعربية محمد

( ١ ) المأرج : قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على طعنه هذا بأبي مسلم وابن هو من ابي مسلم بل ابن منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟ انا نبجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز أبا مسلم بالجمل ومحمد من صديق حسن اهتداه بكتب الشوكاني ومحاربه للتقليد وان كان في عامة أحواله مقلداً للشوكاني ولكننا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا هفوة من هفوات الغرور . نعم ان لابي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او الف أو أبدى علماً وفهما فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الأئمة المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيراً من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ ؟ ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ما عدوه منسوخاً ؟ فكيف يعد أبو مسلم من أجهل الناس بالشريعة ان وجد هذه البضع الآيات معنى ينافي المنسوخ بالمعنى الخاص الذي ينفىه ؟

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعها طبعاً حسناً على ورق جيد  
فبلغت صفحاته ١٤٣ وجعل ثمنه عشرون قرشاً وهو يطلب من ادارة الجريدة

### مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو تطبع الخطب التي تلقى في نادي دار  
العلوم وكاشفوا رئيس النادي ( حفي بك ناصف ) بأمنيهم فواققت رغبته ورغبتهم  
وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة  
الاولى فأوعت ثمانى خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة  
صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع  
عبد العزيز ( نمرة ٥ )

### بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ ( المتوفى سنة ٢٨٠هـ )  
اودعه ما رواه عن النساء من خطبهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات  
الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام فيه من الخطب خطب عائشة  
ام المؤمنين في فضائل ايها وراثته وخطبها السياسية بالبصرة وخطبها لما بلغها قتل  
عثمان . وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لما منعها أبو بكر ميراثها وغير ذلك  
من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن أزواجهن  
وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن احسنه كلام كثيرات  
منهن مع معاوية في تخطبته بما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الأزواج  
مدحاً وذكماً ووصاياهن لبناتهن والتعبير عن سائر أغراضهن ثراً ونظماً . وليته  
خلا من اخبار مواجهن ، واحاديث رفهن ، اذاً لكان الكتاب ، جديراً بعناية  
الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،

طبع الكتاب احمد افندي الالفى طبعاً حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

٣٠٤ مطالع البدور . تحفة المدارس . الحمامات المعدنية ( المارج ٤ م ١١ )

ما رآه خنيا من مفرداته حتى بعض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بالخفاء منه بالظهور ، وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٠٠ من قطع المنار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

### مطالع البدور في محاسن ربات الحدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً ونثراً جمع فيه واضعه محمد سليم بك ابو انخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لذلك كتبنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وتمهما عشرة قروش وثمانون الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

### تحفة المجالس و زهرة المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم وأخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصحين والنساء والمشاق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق المطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجى رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

### الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضعها الطيب بيورف بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالمرية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي ونقلنا الى اللغة العربية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

## (المنار ج ١١) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غورست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش  
فبحث القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص  
بالذكري اهل تونس لما فيها من الكلام عن حمايتها بالتفصيل

### الاسلام - والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها  
في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبراط » ثم جمها وطبعها على حداثها فبلغت  
٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الإسلام والنصرانية ومقالة في ( المرأة في  
الإسلام والنصرانية ) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات  
والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على  
كتاب لورد كرومر ( مصر الحديثة ) وثن النسخة منها ثلاثة قروش

### تقرير السير ألدن غورست

كان الناس يتظرون هذا التقرير انتظار من يتوقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما  
شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في  
ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط  
من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غورست  
المعتمد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقروا في تقريره  
عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن  
من فروع التغيير في سياسة الوكالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة  
التقرير السنوي بالعربية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه  
فلما جاء الموعد وظهر تقرير الحميد الجديد بمصر بالانكليزية والعربية في وقت  
واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب  
انكليزي ويحيى انكليزي » فقد نسج غورست على منوال كرومر ورعى عن قوسه  
قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسنه بقدر ما كان ذلك يخاشنه

وصرح بعض الاحزاب بان هذه الحاسة تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الايام ، لاسيا بعد زيارة الأمير لملك الانكليز في هذا العام ، ودهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان هذه التقارير تواريخ رسمية ، لادارة البلاد المصرية والسودانية ،

### كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نسيناه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض ما يستحق له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يعين له من الآراء والخواطر او يراه من غريب المناظر . وقد أتى الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعته وأطلقت عليه هذا الاسم «كلمات لقاسم بك أمين» فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وجمعت ثمنه عشرة قروش صحيحة تعظيما لقيمه المعنوية وانا نقول من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحتل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

وب كلمة يتجرعها الحليم تخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك

ودخل في مودتك

تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم وليس بصحيح ان يوجد بينهما خلاف حقيقي لاني الحلال ولا في الاستقبال مادام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فمما كثرت معارف الانسان لا تملأ كل فكره — بعد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسألة يجلبها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشغل عقل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار له ولا حد لاني الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين



القلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر  
مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبفض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان  
الله غير موجود ما خسرت اكثر من غيري وان كان موجودا رحمت مع الراجحين  
لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصان أحد حتى الاله من نصبه  
أعس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسسه في حياته فيفسد عليها لذتها  
وينقص عليها شهوتها  
وسنشر بعض آرائه في أهل عصره

### شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية  
حنا افندي المنحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن الصبا  
نبوغاً قلما قار به في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولا ان فاجأته  
المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يعد من آيات حياة العربية  
قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المروفين كترجمة هذه القصة تكرر فيها  
فرائد اللغة التي هجرها الكتاب لقلة اطلاعهم وتزين بالامثال والاقباس والتضمين  
وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدين وتقل فيها الاغلاط الشائعة الآن  
طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى  
الينا نسخة منها وعهد الينا ان لا نكتب عنها شيئاً الا بعد قراءتها قلنا لا بد لهذا  
من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد الينا بذلك لعلمه بأننا نعرف قيمة هذه  
الترجمة البليغة . وثمن الجزئين معاً عشرون قرشاً وهي تطلب من طالبها

﴿ القطر المصري ﴾ مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر  
انشأها أحمد افندي حلبي اشهر محرري جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان  
من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة  
الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في السنة

## الفصل الخامس (\*)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام واني بليغ لا تأخذه الهيبة اذ ادعي لتصور هذه المنزلة ،  
سيده بطولتها الفخامة والشرف يتجليان ، والجمال والكمال يتألقان ،

ومزايا كالزهر نقعاً وطيباً وكزهر السما بهاءً ونورا

من شرف حسب ، الى كرم محدد ، الى سوؤد قبيل ، الى عز عشيرة ،  
الى جمال ذات ، الى كمال صفات ، الى فضل حجبى ، الى طهارة نفس ، ذلك  
ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » وذلك ما كانت تحل به بين قومها في  
المكانة العالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء ، ولا بناها بتريب من الانباء ،  
بل هي معهودة في كثير من النسوة ، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب  
بغير الخمول ، قد طويت اعلامهن ، ولم ينشر ذكركهن ، ولم يسم في  
أقوامهن مقامهن ، فكيف تسمى اسم « خديجة » وطأت منزلتها ؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها . ذلك الشيء  
هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة أذواقهم وحسن انتظام مجتمعهم . وليس  
يكفى لتعالى امرىء ان يكون كاملاً بل بدمع ذلك من احاطة قومه  
طلباً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجارة

الكرامة عند من لا يعرف مزيها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم  
فالحق ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعاده  
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعاده جدم ،  
فقد ربح قوم كان للافاضل منزلة كريمة لديهم ، وخسر قوم لا يعلو بينهم  
الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواش من النقائص المتطلبه  
على الطباع ،

وإذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لوفرة مزاياها الشريفة فنحن  
بقومها الذين شرفوا هذه المزايا أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها  
هي التي نالت مقاماً كريماً في قريش بل كثير من فضليات نسائهم نلن المقام  
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي  
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالهن من  
القدر الذي يليق بانسان ذي رأي معهود، وعقل مذكور ، ونفس مشابهة  
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل و ابا  
الفتوح و ابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه الا بمحاورة سيدة من اولئك  
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن ثعلب  
نحن نعلم أن أكثر الناس يعمرون بالملزية يهدون أمثالها فلا يلتفتون اليها  
مالم تكن رائحةً وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيما يهدونه ايضاً  
ما يستحق الالتفات اليه ، ويعري بالاتفاع منه ان كان مفيداً ، والتغافل  
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك  
الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المهود

ولا يشكن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفنا الألفة  
 عن إجلال شأنها هي في جلاله الشأن عند الإيمان فوق ما تصور. وفي  
 كثير مما لا تفكر فيه منها ما نخر الافكار صاغرة أمام زاخر فوائده  
 وباهر أسراره فلذلك أحيانا ان نمر بقارئنا سريرة في تفصيل جملة تلك  
 المزايما التي شرفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لانهم بما  
 اختلج في صدره التعجب من إكبارنا شأن مزايما معبودة في كثيرين وقد  
 يكون قارئنا من حزب الاكثريين الذين لا يبالون بالمهودات ، ولا  
 يطربون بنير الغرائب

نعم ، نعم نحن لم نظرف بما فوق المهود ، ولم نُهدر ما وراء المشهود ،  
 ولا عدنا بمبتدعات التصور ، ولا لذنا بغرائب الحوادث ، وشواذ المطابقة  
 وخوارق العادة ، ولم نمت الى اقنعة القراء الا بمصروف له أمثال ، ومألوف  
 لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المهودات  
 على ما قلنا . واذا بنا اليها بنظر الإيمان غير وسناة من بصيرتنا أليفاها  
 عند سأم النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور  
 وفائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكريين هذه  
 الوحدة ابداً أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم  
 يكن حسناً بنا ان ننسى أحاسن ما تله لنا هذه الامم من الصور التي لا نحصى  
 اننا بتذكرنا من نادوا وشادوا ، وبتذكرنا من صلحوا وأصلحوا ،

بند گرنا من أوجدوا وابتدعوا - تذكر تاريخ امنا الحياة وترتاح نفوسنا  
باعتجلاء أحسن صورها ، وتوارد عليها اللذة باشتيانها الى نصيب من  
زوة تلك الام التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك  
المظاهر ولا يسي تلك الصور ، ولم لا تتوق الى حديث ذلك التراث وهو  
يملا . كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنهه جواهره خيراً فهي لا تسجز  
ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل ببلوغ ما تميل اليه  
النفوس منها

## الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة ، فقد أبدع لنا في « خديجة » المثال الاسنى منها ،  
وأطلع لنا في شخصها زواجر الانسانية الفضلى ، وبنور هذه الزواجر رأينا  
مدارك قريش في الافق الأعلى ، وتربيتهم الادبية والفطرية في المنزلة العليا  
نحن مشربني الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثرا في  
الحقيقة منبوز الحظ ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة  
شريفة مسعدة لصاحبها وغيره وتقليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى  
النافعة الآتية بالنبطة والجور . ولدى التأمل نجد استعداد فطرة الشخص  
هو الاساس في حسن الحظ من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير  
فاذا اجتمع في الشخص استعداد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني،  
والكمال السني

عرفنا حسن استعدادها لان الترية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر  
النفس اذا كان غير صالح لفظها كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه ما نشاء،  
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب  
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر  
جديراً بالتقوية وقلما رأينا من نوره به او التفت اليه فلذلك عيننا به نحن  
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيماً فان  
الترية الشخصية مقبسة في الغالب من الترية العمومية . والمجتمع غالباً  
اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولاً ومردوداً ومسكوتاً عنه . وتشتهر  
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف، والمردودات حتى يطلق عليها  
اسم المنكر، ويضطر الناس الى تقرير ترية عمومية هي اذ لا يخالف المعروف  
ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبغ في المسكوت عنه من الاشياء حتى  
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجهه على نفسه، وذاك  
يستقبح شيئاً حتى يجرمه عليها . وأهمل الناس في هذه الاشياء المسكوت  
هنها من جعل المعروف والمنكر معياراً لها فكل ما قرب من المعروف كان  
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف، وكل ما قرب  
من المنكر كان مسترذلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .  
والاصل في المنكر هو الاذى والمدوان وعليه قيس الاصل في المعروف  
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

فعلى هذين الاصلين تقوم دعامة النظريات في التربية وعلايمها تشاد

الاعمال فيها

وأى باحث لا تأخذه هيبه اذا اطعم على ما كان لقوم خديجة . من التمتع  
في دقائق هذا الفن من حيث النظر ، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل ،  
أى والله ان هؤلاء القوم انازلوا في ذلك البلاد الصنير البعيد ، واخوانهم  
الآخرين الضاربين في تلك الفيافي ، يدهش المتعالم ما يراهم من الباع الطويل  
في فن التربية على مقتضى مجتمهم ذلك . فترهم . لئلا كانت السامة  
ضرورية ولا سيما لذلك الاجماع جملوها في المنام الاول ولم يأوا  
بطبها في النفوس حتى نبغ فيهم أجواد بنفوا بهم منهم في الجود الكواكب  
وازانت الارض بمنابهمهم ، واشار اخيمهم الانسان على انفسهم ، كما فعل  
كعب بن مامة الذي آثر رفته بانه ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان  
وكل مكان تجدهم جملوها شماراً المحامد وتاج المناقب وسيروا فيما ضربه  
من الامثال قولهم « الشجاع موقى ، والجبان منقى » وكانوا يتهاجون بالموت  
قتلا ويتهاجون بالموت على الفراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن  
أخي خديجة - قتل أخيه مصعب فخطب فقال « ان يقتل فقد قتل أبوه  
وأخوه وعمه . اننا لانموت خنفاً ولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً تحت  
ظلال السيوف . وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خنفاً منه » ذلك لانهم  
كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويرون الحياة الرذيلة معرضة للمدمم أكثر  
من الحياة الشريفة ولمثل هذا يقول علي ابن أبي طالب « بقية السيف أنمي

عدداً، وأطيب ولداً، وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:  
 نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبقى لها  
 لا يستكرن أحد اذا قيل له ان الشجاعة هي السجية التي لا ترقى  
 الام اذا خات منها كانت في العرب من الاخلاق الفاشية التي لا يمتدون  
 بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على نفوسهم انطباع هذا الخلق فيها لان  
 أكثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجمان واقدامهم في الشدائد  
 حتى فضلوا، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا، وهناك من الشمر في  
 الشجاعة والشجمان ما يفتل في النفوس فمل السحر فيستتر لها من الخوف  
 على الحياة والهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في  
 سبيله كقول عنزة وهو أحد مشهور شجائهم:

بكرت تخوفني الخوف كأنني أصبحت عن معرض الخوف بمنزل  
 فأجبتها ان انية منهل لا بد ان أسقى بكاس المنهل  
 فاقني حياء لا ابالك واعلمي اني امرؤ سأموت ان لم أقتل  
 وقد يظن ظان ان شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا  
 الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا زيد ان تأتي بآية على  
 شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بعد اسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا  
 ان نذل القاري على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار اذا أراد كسرى  
 أن يوقع سواد بني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم  
 جيشاً كثيراً ليهلكهم به وبلغهم خبره فتجزوا له واعانهم قبائل أخرى  
 فوافوا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم  
 العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار،



وظهر فيها ما للشجاعة من الفضل في كسب الفخار، ورحى الدمار، واثقاء العار،  
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر:

وجند كسرى غداة الخو صبحهم  
لقوا مللمة شهباء تقدمها  
فرع نمته فروع غير ناقصة  
فيها فوارس محمود لقاؤهم  
لما رأونا كشفنا عن جماجنا  
قالوا البقية والهندي يحصدهم  
لو ان كل معد كان شاركننا  
لما أمالوا الى النشاب أيديهم  
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت  
بطارق وبني ملك مرازبة  
من كل مرجاة في البحر أحرزها  
كأنما الآل في حافات جمعهم  
مافي الحدود صدود عن سيوفهم

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الفرغ العجلي:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة  
وما يمدون من يوم سمعت به  
جثا بأسلابهم والخيل عابسة  
والاصطلينا وكنا موقدي النار  
للناس أفضل من يوم بذى قار  
لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيهما يقول شاعر آخر من بني عجل

ان كنت سانية يوماً ذوي كرم  
فاسقي الفوارس من ذهل بن شيبانا

واسقي فوارس حاء وواعن فمارهم وائلي مفارقهم مسكاوريجانا  
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة العربية أكل مظهر وكان  
النذر لهم بنية كسرى وعزوه لتبط الاياي اذ كتب الي بني شيان  
ينجبرهم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والتحميس واستشارة الزائم  
وفيه يقول:

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فرعا  
وتلدوا أمركم لله دركمو ربح الذراع بأمر الحرب، فخطاما  
لاسترقا أن رخاء العيش سائده ولا اذا عض مكروه به خشما  
مازال يحلب هذا الدهر أثطره يكون متبها طورا ومتبها  
حتى استمر على نرد مريره مستعكم الرأي لافعها ولاضراعا (\*)  
وليس بشغله مال يثوره عنكم ولا ولد يفتي له الرفعا

فيلي مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من  
الشجاعة التي لا قوام الا للم بدونها وكانوا لا يتدنون بالجبان ولا يعدونه  
شيئا، ذأورا . يبنك بذاك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد مفارا لنا وفينا زياد ابو صمصمة  
فسته رهط به خمة وخمة رهط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم «خديجة» في فقه النفس والحكمة والمعارف  
بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتناقلون المعارف ويتدارسونها  
من غير كتب وكان لهم المام قبل بحركات الكواكب والانواء التي

(٥) الميزة طاعة الجبل والجبل الشديد البتل . والشرد اقتل عن اليسار  
والحق استعكم امره ونويت شكيته . وانضم ارجل الهرم وانضغ الضيف

تنبها . وهو يتقضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة  
بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب  
يتقضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها الباري في الممذون والنبات  
والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكانوا  
يعبرون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة  
عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق  
ان تسمى علماً وإنما كانت الناسون يعرفون اخبار أولئك الاشخاص  
واخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان اليب في اشتراك هذه المعرفة  
باسم علم الانساب ان عارف الاخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب  
التي من أهم نواحيها معرفة تقرب القبائل والحاق القربى بأصولها على  
شدة البسدين الاصول وتلك القربى أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون  
بهذا العلم يلقون منه على من يتعلقون حولهم . قال رؤبه بن الحاج  
قال لي النسابة البكري « يارؤبه املك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني  
وان حدثهم لم يفهموني » يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تاقى هذا  
العلم حق الرغبة قال رؤبه فقلت له : اني أرجو ان لا اكون كذلك . قال  
فما آفة العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ،  
ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من  
الانصباب على حفظها ودراسة الحكم الجوامع فيها مبلغاً عظيماً ويمكنني  
ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث « في » من المعاني التي يخطر للنفس فيها الاستحسان

أو الاستهجان إلا ومجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وإبرازه بأبداع حلة ولا يندبك ببعض ذلك شيء كالمأثور من كلهم الجوامع التي سارت مسير الأمثال ، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الأقوال ، ولا نستطيع أن نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نهدم بالتأريء عن سياق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار عناية العرب بتذكار الحكم والآداب ، وصياغتها بأبداع البيان ، ومقدار ما وسعت منها تلك الأفكار. ذكروا أن عمرو بن الظرب المدوناني وحممة بن رافع الدوسي اجتمعا عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلا حتى اسمع ما تقولان. فقال عمرو لحممة أين تحب أن تكون أيديك؟ قال « عند ذي الرتبة المديم ، وعند ذي الخلة الكريم ، والمسر المديم ، والمستضعف المليم » قال : من أحق الناس بالمت؟ قال « الفقير المحتال » والضعيف الصوّال ، والفني القوّال « قال فمن أحق الناس بالمنع؟ قال « الحرص الكائد ، والمستמיד<sup>(١)</sup> الحاسد، والمخلف الواجد » قال من أجدر الناس بالصنعة؟ قال من إذا أعطي شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا مُطل صبر ، وإذا قدم المهد ذكر « قال من أكرم الناس عشرة؟ قال « من إذا قرب منح ، وإذا ظلم صنف ، وإن ضويق سمح » قال من ألام الناس؟ قال من إذا سأل خضع ، وإذا سئل منع ، وإذا ملك كنع<sup>(٢)</sup> ، ظاهره جشم ، وباطنه طبع »<sup>(٣)</sup> قال فمن أجل الناس؟ قال « من عفا إذا قدر ، وأجل إذا اتصر ، ولم تطفه عزة الظفر » قال فمن أحزم الناس؟ قال « من أخذ رقاب الأسود بيديه ، وجبل

(١) المستيدهو المستعطي (٢) معنى كنع هنا انكسر (٣) الطبع بفتحين

العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيّب دبر أذنيه « قال فمن أخرج الناس؟ قال من ركب الخطار، واعتسف النار، وأسرع في البدار قبل الاقتدار<sup>(١)</sup> » قال من أجود الناس؟ قال « من بذل المجهود، ولم يأس على المفقود » قال فمن أبلغ الناس؟ قال « من حلّى المنى العزير، باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحزير » قال من أنم الناس عيشاً؟ قال « من تحلى بالشفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف، الى ما لا يخاف » قال فمن أشقى الناس؟ قال « من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم، على ما أنتم » قال من أغنى الناس؟ « قال من استشعر اليأس، وأظهر التجميل للناس، واستكثر قایل النعم، ولم يسخط على القسم » قال فمن أحكم الناس؟ قال من صمت فاذكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر » قال من أجهل الناس؟ « قال من رأى الخرق مغنا، والتجاوز مغرما »

وما ذكرناه من جهة معارف القوم الذين نشأت منهم هذه السيدة كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يعنون به من التربية تثقيف أشقاهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي أتوها وتمودوها في التلميم وهي الطريقة الطبيعية الساذجة الخالية من الاصطلاحات والتعاريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني حلبيها الآخرون. ولكل فرع أهله الذين بهم استعداد لالتقاطه بسهولة ولا يكلف البلبد في شيء ان يكبد في تفهمه مدرسته، أو ينضي في حفظه ذاكرته، أو في توسيمه مخيلته

ثم قد كان مما عني به المقالة من زهط خديجة التربية على العدل ولقد اسلفنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهضوم

## ٢٢٥ اصول الفضائل عند العرب أعدتهم للاسلام (الاراج ٤م ١١)

وكذلك واهلوا بمداح النفاق وتشريف الاعضاء والنفائف، واجلان الطهارة واهلوا وكان من اكرم اتاهم واجلوا لقب الطاهر والظاهرة وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باحتقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فانما عرف المظالم الكريمة ان هؤلاء التوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي اصول الفضائل نفي السباحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والمدل والتعنف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني المنوح من يد القاطر المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدهر في البلدان او احدي بل يصل ذلك الفضل برسالة وباني من يده سبحانه الى الذرات الصغيرة التي في الادمية ويختص به سبحانه افراداً ممن عنوا بتوجيه القلوب والقلوب الى تصفية النفس وتركها من التناقص وتخليتها بالفضائل ممن لم يجملوا ا كبرهمهم تجويد المأكل والملبس والسكن والاراش ، فاذا تشر من هؤلاء الافراد في امة ظهرت وان حل الخفاء بهم ، واستوفت وار بنحس الوزن لهم ، ولم يكن الافراد الذين تلو واعدية الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة خير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من ا كبر مميزات جماعته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، او تلك الدين وافهم الوحي بتعظيم تمام امله قابلاً « كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

بوق الحكة من بشار من وصالك قد أدنى  
خبركم بيا ويذكر الأمل والرجاء

# الجمعة

١٣١٥

بغير جادى التنى يستمرون القول فيبصرنا حسنة  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أول الأتقياء

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و منارا ه كنان الطرى

مصر الاثنين ٣٠ جادى الأولى ١٣٢٦ - ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨

## المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصرينا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد ارقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد الملى ارقى من المسلمين فلم مجلس ملي وجمعيات وجراند دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ما حمدتهم واحمدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون لمثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيا ويجعل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكدر شقيقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط ويقتنمهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين ومأموري المرا كز منهم فوافقهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقتنمهم ذلك بل تمادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قبيل المحتلين بغير حق واغظوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولاً ثقيلاً في الرد على بعض كتابهم سخرفيه منهم وهزى بهم



واقترع عليهم فكان ذلك جل ما يفتون من حركتهم الجديدة ( ١ ) قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكيلون كل يوم الشيخ عبدالعزیز من الصيغان الكثيرة في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون بتعصبهم الديني استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى أوربا للاستغاثة بدولها وامها المسيحية قبل ان يبدهم المسلمون المتعصبون او يضطروهم الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين ثم هم يطلبون ايضا معاينة الشيخ عبد العزيز شاويش الذي أهانوه أضعاف ما أهانهم وان يرد عليه ويتبرأ منه كبراء المسلمين ، ويهددون الأندية والسمار للبحث في هذه النازة ويكتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليوناً من المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان المسلمين قاموا مندسين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

(١) مما كتبه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز التي جعلوها تكاتهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى ماجاء في العدد ٣٦٩٨ من جريدة مصر الصادر في ٩ يونيو الماضي وهذا نصه :

### اللواء والاقباط

« انا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة انحاء القطر تقابل ماجاء بصحيفة اللواء امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصغى الى قوله او يلتفت الى وقاحته بل يندب نذ النواة ويترك يندح نبح الكلاب وليس من يسمع له قولاً » ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتغرافات الكثيرة لما كتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق الذين خاق ( أي اللواء ) لها عدوا ليخزي هو واتباعه ( أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء ) اذا كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئاً بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

نفوس القارئین والسامعين، والاساتذة والمعلمين، أن صار يفضل كثير منهم القبطي؛ على المسلم الشامي والحجازي ٥٠٠٠، بل سمعت غير واحد من المعلمين والمعلمين يقول لا فرق عندي بين ان يكون أمير البلاد مسلماً أو قبطياً - وان المسلمين جعلوا أعزابهم وأنديتهم شرعاً بينهم وبين القبط - وان القبط يتعصب بعضهم لبعض في كل مصلحة وكل عمل حتى في القضاء - وان المسلمين على شدتهم في انتقاد حكاهم قلماً ينتقدون القبط فهم ينتقدون وزير المعارف المسلم على إحسانه في عمله بحجة انه لم يكن فيه مرغماً للانكليز ولا معانداً لهم أو انه يجب عليه ان يعمل أكثر مما عمل ولا ينتقدون وزير الخارجية القبطي الذي هو الصق بالمحتلين وبالاتفاق معه ستلخ لورد كرومر السودان من ملك الدولة العلية وملكه للانكليز وكان رئيس محكمة دنشواي التي ظلت الجرائد الاسلامية تعير وتب العضو المسلم فيها ولم تذكر رئيسها بسوء - من علم هذا وأمثاله تعجب أشد التعجب لهذه الثورة المعنوية التي أثارها القبط في الوقت الذي بالغ فيه المسلمون في موادتهم وتوثيق عرى الاخاء بينهم وبينهم - حتماً ان في الامر مثارا للعجب ، وقلنا رأينا من بحث في حقيقة السبب ، يقول بعض الناس تبعاً لبعض الجرائد أن قطبي الرحا لهذه الحركة اخنوخ افندي فانوس رئيس جمعية الرابطة المسيحية وجمع الاصلاح القبطي وصاحب جريدة مصر اللذان يسمي كل منهما الجعل ولده مديراً فهما اللذان أيقظا هذه الفتنة لحظ شخصي فكانت فتنة جنسية او طائفية باتباع الجمهور لها . ومن رأيي أنها بريتان من هذه التهمة ولو كان ذلك هفوة لهما ، لما خفي على جمهور طائفتها الخازمة اليقظة ، بل يغلب على ظني ان هذه الطائفة تجل عن أن تتوسل الى تقرير جعل المديرين منها بهذه الوسيلة لان ربح مدير لا يوازي خسارة مودة المسلمين لهم ، ودعوتهم الى مساواتهم وموآخاتهم - هذه الخسارة التي تعرضوا لها الآن، بمتى ما عندهم من الجرأة والإقدام والراجح عندي ان القوم شعروا بالتغير الجديد في السياسة وعلم بعض كبارهم بالنيا الذي نشرناه في الجزء الماضي قبل ان نعلم به - وهو عزم الانكليز على السماح لأمير البلاد بإنشاء مجلس نيابي - ومن البديهي ان جمهور القبط لا يرغبون في ان يكون في مصر مجلس نيابي ولا أن يقلل المحتلون من سيطرتهم على البلاد . فلما علموا بذلك

رأوا أنه لا سبيل إلى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقناع امتهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم يهضمون وهم الاكثرون حقوق الاقلين . وانني لمعظم قدرهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وان ترجح عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم ، وجاء الأمر على خلاف مرادهم ، وحينئذ يكون شر هذه الحركة اكثر من خيرها ، وإثمها اكبر من نفعها ،

سما غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم الملية يعد من الأمور الطبيعية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تعصم بمررة التعصب فانها تذوب وتفتي في الأمة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معذورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعية لا بد منها

وتقول نعم إن ذلك طبيعي وبديهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر وجوده فبالك بادعاء ضده . ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تبغي بالطريقة التي جرت عليها القبط في هذه الأيام الا إذا كان لها حدث جديد ، أو أوتيت الى ركن شديد ، يعبرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويبدأون بأنهم أصحاب البلاد ، لأنهم سلالة فرعون ذي الأوتاد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأنواي معتد ، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون ، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وهم في الحقيقة رعايا ذميون ، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان ، وما هو الركن الشديد الذي يأوون اليه الآن ،

لا يظهر لنا حدث غير ما بيناه من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمبر بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤولية إدارتها . ولا نعرف لهم ركنا فيما صمدوا اليه الا رغبة السياسة الأوروبية عامة والانكليزية خاصة في نزع نهضة المسلمين بالنعصب الديني - فهذا مارأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم ، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

« مصر برهاناً على ان في مصر تعصباً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانه فيدقن القبط وسائر النصراري معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا . ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه ، والتمويل في رغائبهم عليه »

ولكن فاتهم على حذقهم أن السياسة ( لا سيما الانكليزية منها ) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصددها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كمسألة التعصب الاسلامي ، او حقيقة كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنشرهم بأن السياسة الجديدة التي بينها المنار في الجزء الماضي واقعة ما لها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صارموكولا الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالربح الكثير في جنب ما يخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهم بمجد الاسلام الاول والشماتة بزواله كالتصير عنه « بالعبثة البالية » ورعي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يقتدروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصراري السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده مايكتبون في الجرائد ، وترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوربية ، لإيهام أوربا ان في البلاد تعصباً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المغاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربحاً للقبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يفتون بها ان يتحدوا بالقبط ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن

رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فبين لهم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتى نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجني ولا يودون استقلال البلاد دونه - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبؤهم من أضعف جانب فيهم كنبزهم بلقب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطباتهم واحزابهم وعد القبطي أخلهم ، والمسلم غير المصري « دخيلاً » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجمعياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالغلو في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أي غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائغة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تمادى وعظم - اقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وناهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من التقاطع والتدابير بين العشاء والخلطاء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا يفتروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مهما أصابوا من تعصيدي مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم أو الى خير منه ان استطاعوا والمسلمون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان ينفروا لهم ، وينسوا ما كان منهم ، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غرٌّ كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا اني أحب الوراق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظ حقوقهم التي أغار عليها ، ولكنني أفضل أن يكون تبيينهم لذلك بغير هذا ، أحب ان يتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووثام مع من يعيش معهم ، وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط — ولولم يكتبوا في الماضي ما كتبوا السكبان خيراً لهم أحسن إطفاء لتلك الفتنة وخذلاناً لموظفيها - ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوجة في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من الأنيب والتجريح ، فضلاً عن المحر والتقيح ،

ومما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يتازون بحق رسمي على غيرهم من انصارى المتجندين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود أيضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجعلون فيها المصريين عنصرين فقط ويعدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويعدهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة او أكثر فالنسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الأمم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخنوخ افندي فانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لاتزال حكومة إسلامية خلافاً لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أميرها وكيلًا لخليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولادارته لأوقاف المسلمين ، وتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له أم هو لا يملكها الآن إلا بالتغلب والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لأن البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟؟ بهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لأنه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ما هو ديني محض وما هو مدني شرعي

تسمي القبط ما تطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشيء قط فلماذا تكون أمورهم المالية الخاصة كالحكام الشرعية والأوقاف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون أمور القبط المالية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

يغلب على ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التمادي في هذا العدو والسياح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الرابحين بمشاققتهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لولا أنني اظن صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لغلب على ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجتهم هذه هي السرالدين غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وانا مصدق لذلك الخبر فلا يبعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كنيستهم ( كنتربري ) والا كانت القبط طائفة حتماء وما عهدتها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير باشاء المجلس النيابي وتقرر بالفعل انه لا فرق بينهم وبين المسلمين في الحكومة - وما ذلك بمحال -

فانني اشهد للقبط بأنها أرق طوائف الشرق الادنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة المليية لا أقرن بها تركيا ولا عريا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيا بل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعذر في التشوّف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحقية بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ما قيل كان برهاناً على عاوهتها وثقتها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات ووافقها بعض آخر كما وافقها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكاثوليك من الفريقين المهجر والسباب ، والتنازع بالالقباب ، فكانوا فيه سواء ، الا ما هو من صناعة البلاء ، ولكن القبط تطلب ان يعتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تتندر للجميع عما تقول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد عادا في الاهانة فتساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر بقي معناه انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يغلب على الفريقين نزعة الرابطة الدينية ، (وان تنصل من ذلك كل منهما) وأن هذه الحركة أضعفت ماقام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة المليية ، وابتعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا بيبث رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الغيور عليهم ، المتفاني في ترقيتهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهزها اتهازا ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره



في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟ ؟  
اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قلوبهم في جانب الروس المشهورين بالتعصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الحظ الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها إسلامية والبلاد عن كونها دار إسلام فمن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تبرز فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا بدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجعلنا القبط مديرين لامور المسلمين ، والخال على مانصم منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرنا العدوان ، وأرثنا الأضعاف ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يُدك ولا يُظهر ، وعقبة لا تنزل ولا تقتعح ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذا ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطالبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا مارآه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخطئ فيه يادر الى المتاب ، واستغفر ربه وخزراً كما وأُتاب

# فَسَاءَ الْمَبْتَلِينَ

فدهنا ههنا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يبع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاءه ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً ورمما قد متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لتل هذا ولن يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا فذر صحيح لافعله

## بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حسيب افندي عامر وكيل تلغراف (بليس - شرقية)

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظه « ما » وما تشير اليه في قوله عز وجل - لا اعبد ما تعبدون ولا اتمتع بعبادون ما اعبد - فإني إن أعطيتها حكم غير العاقل كقاعدتها النحوية استحال ذلك على المولى سبحانه وتعالى وان اعطيتها حكم العاقل فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذني عقل أفيدوني مأجورين والسلام

(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة اي «المعبود» واذا أريد بها الصنة تطلق على العاقل وغيره . وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل بعد اطلاقها على الاصنام من قبيل المشاكلة لاجل التناسق في التعبير . ولعل السائل يعلم انه نقل عن سيبويه وغيره ان كون « ما » لما لا يعقل أعلي لا مطرد والشواهد عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة . قال الزمخشري في الكشاف : «وما» عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك قول العلماء « من لما يعقل » اه اي فاطلقوا « ما » على العاقل في نفس القاعدة التي ذكروا فيها ان « من » خاصة بالعاقل . وفي حاشية الامير على المفني بعد ذكر عبارة الكشاف : قال الفتازاني اي يصح اطلاق ما على ذي العقل وغيره عند الابهام لاستفهام او غيره فاذا علم ان الشيء من ذوي العلم والعقل فرق بمن وما فنخص « من » بالعاقل و « ما » بغيره . وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء . واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطلاق

أهل العربية على قولهم « من لما يعقل » من غير تجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كانت لفوا بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان ما يعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنا نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر معها مراداً به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » وليقع وصفه يعقل مفيداً غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لاحظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : ما لانسان ؟ اه وانت تعلم ان ( ما ) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي تفسره الصلة

هذا . انني رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألتني غير واحد بالمشافهة عن معنى ما فيها من صورة التكرار فأجبت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تمة للفائدة وهو :

«الكافر هو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغمض عينيه ، وإذا سمع احرف من كلمته سد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يدعن نجمة إذا اخترقت فؤاده ، بل يدفع جميع ذلك حجاباً فيما وجد نفسه فيه مع الكثير من حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه (٨: ٢٢) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفرادهم يقول للداعي إلى الحق أو يتحدث نفسه ليلهيها عن فهمه : الام يدعوننا ؟ إلى الله فنحن نعتقد به ؟ إلى توحيدنا فنحن نوحده ؟ وغاية ما في الأمر نتخذ شفعاء إليه ، نسأله بحقهم عنده أو بمكاتبهم لديه ، إلى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أوليائه وأهل الشفاعة عنده ونتوسل اليهم ليتوسلوا إليه . هذه وساوسهم وهسده أمانهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح ما يمكن أن يصرح به فقال له (١) قل يا أيها الكافرون لا تعبدوا ما تعبدون ) أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحو ذلك مما تزعمون وإنما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم (٣) ولا أتم عابدون ما أعبد) أي إنكم لستم بعبادين إلهي الذي أدعوا إليه كما تزعمون فإنكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب إليه ، بتعظيم الوسائط لديه ، فتوسلتم بها إليه ، وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده ، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فلماذا لا تعبدون ما أعبد بل تمصونه وتخالفون أمره . ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعايتهم ، أو في المعابد التي أقاموها لهم وبأسمايتهم ، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصة به أو في خلواتهم ، وهم على اعتقادهم بالشفاء — عبادة لله خالصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء ، نفى أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال ( ٤ ) ولا أنا عابد ما عبدتم ) فما هذه مصدرية وليست بالموصلة مثل التي تقدمت أي ولا أنا بعباد عبادتكم ( ٥ ) ولا أتم عابدون ما أعبد) أي ولا أتم عابدون عبادتي . فمفاد الجملتين الأوليين الاختلاف التام في المعبود ومفاد الجملتين الأخريين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة لأن معبودي ذلك الإله الواحد المنزه عن الندب والشفيع ، المتعالي عن الظهور في شخص معين ، أو المحابة لشعب أو واحد بعينه ، الباسط فضله لكل من أخلص له ، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبلغين الصادقين عنه ، والذي تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتي مخلصه لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالفلاة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فإن هي من عبادتي (٦) لكم دينكم ) دينكم مختص بكم لا يتعداكم إلي فلا تظنوا اني عليه أو على شيء منه ( ولي دين « ه » ) أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعوا إليه ، ولا مشاركة بينه وبين ما أتم عليه ، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي بيناه هو ما يهدي إليه أسلوب السورة الشريفة خصوصاً هذه الآية الأخيرة « لكم دينكم ولي دين » فانها صريحة في ان المراد نفي الخلط المزعوم . وما دلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية ( ٦ : ١٥٩ ) ان الذين فرقوا

( ه ) لفظ « دين » مضاف الى باء التكلم المحذوفة لاجل الوقف

دينهم وكانوا شيعياً لست منهم في شيء) أي لا علاقة بينك وبينهم لاني المعبود ولا في العبادة. وأما ما قيل من غير ذلك فان صح شيء مما ورد فيه فاحمله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تغتر بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يفهم والله أعلم اهـ

### ❦ النقوط ❦

(س ٦) ومنه :

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار الفراء . بعد السلام والتحية — أرشدونا أرشدكم الله : « هل ما يسمى ( النقوط ) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بالتقديرة أو ما يقوم مقامها محلل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين » :

(ج) كل ما يندل من لمال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على باذله ولا على المبدول له إلا ان يقصد به الاعانة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والنقوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وإنما هو إكرام من قبيل الهدية والأصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول بها لا يحتاج الى الدليل وإنما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الأصل

### ❦ حديث من زار قبر والديه يوم الجمعة ❦

(س ٧) من الشيخ احمد شرف الدين بالأزهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله . اما بعد فقد جمني وجماعة من اكابر علماء الأزهر الشريف مجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ار عليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامح سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدتموه ونشرتتم ذلك بمناركم المضيء وان كان ضعيفاً او غير حديث اوضحتم سبيله ولكم الفضل والحديث هو ( قال صلى

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكأنما حج ومن زار احدهما فقد أتى بعبرة) واذا صح هذا فلا لوم اذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لان كلا يريد ان يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرجه بهذا اللفظ وقد علمت ان من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على العمل القليل . وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة غفر له » في اسناده وضاع وله شاهد في اسناده ضعف . وروي « من زار قبر ابيه او أمه او عمته او خاله او احد اقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اه

ولعله يعني بحديث الشاهد من زار قبر والديه او احدهما في كل يوم جمعة غفر له وكتب براء لما فيه من الزيارة عزاء في الجامع الصغير الى الحكيم الترمذي عن ابي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي اسناده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الامام احمد انه كان يضع الحديث فهو موضوع لضعيف ولا شك عندي في ان كل ما روي في هذا المعنى موضوع اختلقه المختلقون بعد اعتياد الناس زيارة قبور الاقربين في ايام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا اصحابه في شيء

### زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد افندي حامي الكاتب الاول لمركز المسلمية (السودان)

حضرة سيدي الحسين النسيب الفاضل الاقبح العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله . عليكم منا السلام والرحمة والبركة والاكرام وبعد فأرجو من فضلكم وكرم اخلاقكم المشهورة الاجابة على السؤالين الآتين وارجو ان كان سبق لسيادتكم التكلّم عنهما في مجلدات غابرة ان تجيبوني عليهما واكون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتم بدرجتهما في أول عدد لاهية لزومهما عند الجمهور خصوصاً في هذه الاممقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحت مشهورين بالعلم والفضل في جو علوم العربية بل صرتم لنا من اركان الاسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

## (المنار ج ٥ م ١١) زيارة المسجد النبوي . استئذان ملك الموت بوفاة النبي ٣٥٣

س « ١ » هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل احد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س « ٢ » هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح انه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون او يذيعون ؟ هذه هي استئني ياسيدي وقد افنت المجادلين لي في السؤال الاول تھلا عن اغانة اللفان للامام الحجة ابن القيم فلم يقنعوا واما السؤال الثاني فلم اتكل عنه بشي لعدم معرفتي بحقيقته ولم اعثر في الكتاب المذكور على شي بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتنعوا حتى ينظروا جوابكم بالمنار لا اعتقادهم فيه وهم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في محبتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكتب انا وعلى اي حال فانا ممنونين وتجدنا منتظرين بفارغ الصبر اقدم

### زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالحج كما يتوهم العوام . وحسبك في الترغيب فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » رواه احمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنهما وعن غيرها

### استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلمها نحري أصحابها الصحاح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهيات والموضوعات

(المنار ج ٥) (٤٥) (المجلد الحادي عشر)

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم وتخييره بقبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادريس اليماني القصاص عن أبيه عن وهب بن منبه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منبه . وأبو إدريس متروك أيضاً قاله الدار قطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

## الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يسكت عنه وان طال عليه الامد وانا سنشر في المنار بعض ما كتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الاسلام ونودع جميع ما كتبه في مصنف خاص . ونقتد في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تنقيح ما في العبارة) فنبداً بعبارة ثم تقسم القول ونرد على كل قسم منه بالتفصيل

### ﴿ القسم الثاني ﴾

« كلامه في الاسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته :  
« قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جملة الموانع الكائنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الأوربية من جهة التمدن العمومي . يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسمى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح ( في المعاملة ) ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءت من أسلافه والدم البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه .  
دومن الجهة الأخرى يرى المصري متمسكاً كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينبؤ فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية



وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي الى فاس ومن الاستانة الى زنجبار اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

« فما هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي أثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري؟ انها مبيته في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبيننا بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لهم من اعتداء عرب قريش إذ قالوا « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأثي الفواحش وتقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه واماتته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث واداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي . ان العمل بهذه القواعد قد أفاد مئات الملايين من الذين اعتنقوا الاسلام - وخصوصاً الفقراء بينهم - عزاء روحيا فضلا عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا ريب أن الهيئة الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيرا من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السيرجون سيلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشي الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوما ما حتى ارتقت عن حالها المهمجية ونالت بعض التقدم تجدها فعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اه  
« ولسوء الحظ نرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها المستر ستالي لاين بول - وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة مافي الاسلام من

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يبدوا لها واحداً عبادة طاهرة وقد كانوا من قبل يبدون آلهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاقاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر : ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هو نظام اجتماعي متعددة (أولها) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منحط جدا . (ثانيها) ان الاسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفريق او التغيير فتج عن ذلك ان تلاشي من النظام الاجتماعي مافيه من المرونة . فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بتمتضي المبادئ الضيقة التي وضعت لما يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الاكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي ثبت ارتكابها جريمة الاعتداء بالسلاح ليلا على احدي القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فإما ان تقطع يده ليمنى ورجله اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بعد ذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه اولاً ثم يصلب بعدئذ . وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوخز بجرمة في الجانب الايسر وتبقى الجرمة وهي تحترق في محل الجرح الى أن يموت

« ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس . اذ اقلقوا خواطرهم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجرّبات القرن العشرين المدنية ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمغالاة في اكرام الشارع الاصلى قد قيدت جميع المتعلقين بالاسلام بقيد من حديد لا سبيل الى النجاة منه . ولقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفاً بقلنسوة الكاهن » فالمسلم الصحيح في الايام الحاضرة ملتف بالشرع اكثر من التفاف الناس بالقلنسوة في القرون الوسطى .

( ثالثها ) ان الاسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق . فقد قال السيد ( امير علي ) « إن محمداً وجد تلك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فحفض من هذا الشر » ولكنه عجز من الغائنه تماماً أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنواناً لسواكهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب الخجل على المسيحي انه لم يكتف قبل الآن بان يستعبد العبيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يتخطفهم على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقاً على الرق . « وقد اشهر أخيراً ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لا بد من تحديد وايضاح لهذه التهمة العامة . نعم ان اتباع النبي شهبوا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيراً في الحرب وزد على ذلك أن الخصاص الطائفي كان كثيراً فقام السنيون في وجه الشيعين واضطهد السنيون الوهابيين بدون شفقة — على أن الخروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلاً منذ سنوات غير كثيرة . ويري من الجهة الأخرى أن تورخ الاسلام لم يشوبها شيء من مثل تاريخ ديوان التفتيش وزد على ذلك ايضاً أن المسلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لعواطفه فهو لا يتأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي بتساهل يشوبه شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد لبث الهلال والصليب والجامع والكنيسة جنباً إلى جنب سنوات كثيرة

ومع ذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل وانماء الحقد والافتقار لا للمشركين فقط بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله ( ثم أخذ يصف الاسلام فقال ) : « ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر ان ينتقم لنفسه من أعدائه وأن يضرب من يضربه عينا بعين وسنابن وعليه مجدان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه يغرس في العقول ان الانتقام والكره يجب أن يكونا أساساً للعلاقات بين الرجل والآخر بدلاً من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يحدث بعضاً خاصاً للذين لا يقبلون الدين الإسلامي . يقول القرآن ( ٤٧ : ٤ ) فاذا لقيم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتي إذا انخسهم فشدوا الوثاق . . . ٧ يأبها الذين

آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون وبأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم )  
 وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الصحيفة قوله - « ومن الجهة الأخرى نجد في سورة البقرة قوله ( ٢ : ٢٥٦ ) لا إكراه في الدين ) فالأقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية في الأكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته »  
 نعم ان محمدا انما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجهة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أليست كلمة الغازي وهي لقب يطعم باحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يحارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافراً ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المومنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعة التعصب ؟ . ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير اسلامية ودار حرب ، فتي علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تفرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعناً على الدهشة من نموروح عدم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتنان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طينهم وورقيته لعقولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري - مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزلها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفاءته - فهو على كل ذلك لا يقدر أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشاً أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكر دائماً ان اليد التي منحها ليست يد مسلم وهذا الأمر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي

أجنيباً عنه . مها بذل الانكليزي من وسائل التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين - (وهنا نقل اللورد قول المستر باري) «الاسلام هو كل شيء للفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنعه عن الفتك بهم وإعلان ميزة الاسلام الاحقية مكررة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن»

«وليس هذا وحده الخائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الالهية المقارنة للاسلام وما يعارضها في النصرانية . وابحث في النتائج التي تلي تحقير المرأة وقابل بين الشرقي الاسمر والغربي الايض في القوى العقلية والادبية والعادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والاذواق تجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الخاطئين . حتى انك لتجد في أقل الامور شأناني اعمال الحياة باعثة غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جهة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يلتقى في السماء أولئك الذين راقهم في الارض وهذا الأمل من جمل مظاهر دينه وأكثرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاما عن اعتقاد المسيحي لأن الحوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالبا الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة واما المسلم فهو على العموم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طالبا معيناً

«المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء وأما المسلم فإنه يصلي جهارا بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهارا انه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الاديان الشرقية «ان الله موجود عند المسلمين وجودا يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك»

«ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارا وينام ليلا واما المسلم فهو في صيامه ينقطع عن الاكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فانها تكسر الصور والتماثيل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل شخصا حياً واما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جامع  
« قد يكون المسيحي نظيفاً بعض الأحيان اعتقاداً منه ان النظافة نافعة لصحته وراحته وعنده ان النظافة نبي التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الامرين وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

« ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والادبية تجد الفرق بينهما ظاهراً »  
ثم بين فروقا أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحتل المناقشة ولكنه لم يستنبطها من الدين فتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :

« وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعم السائح في مصر من معاملة الحيوانات بقساوة لا يزيد على ما يروونه في جنوبي أوربا ولعلها كما قال «لاين» في سنة ١٨٣٥ ليست غرساً منتظماً النمو ولكنها ناشئة عن معاشره الطبقات السافلة من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيراً فقد قال بوسورت سميت : لا يوجد دين اهتم بحياة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد ورد في القرآن ( ٣٨:٦ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون )

وكما انصف في هذه جار وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد فقد ذكر قدرة الأوربي على التنظيم واخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال :  
« فقابل هذه المزايا بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر الذي يجعله قابلاً لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره »

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة « منتحجي » سكة الحديد التي ذكرناها في اول القسم الأول من الرد عليه . وذكر ايضاً انه سأل شيخ الأزهر هل يعلمون الطلبة فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لا يدري . قال اللورد  
« وقد منعه أدبه الطبيعي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كيدر وكوبرنكوس

## القرآن والعلم

٣

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز ( ١ )

﴿ المسألة الثامنة ﴾

﴿ موت سليمان ﴾

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ فلما قضينا عليه الموت ( أي على سليمان ) ما د لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » إعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان إذا لحقه الموت فجأة عقب انفعال عصبي ومجهود جسماني يحصل له تيبس في الحال في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل المات ويبقى على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm اي تيبس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض العساكر يموت ويبقى واقفا مستندا على بندقيته كأنه حي الى ان يتبدأ التعفن في الجثة فنزول يوستها وتسقط فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على عصاه ( منسأته ) ففاجأه الموت فحصل له ما يحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يموت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي

( المجلد الحادي عشر )

( ٤٦ )

( المارج ٥ )

فشاهدت الجن انه لا يبدي حراكا ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره فداخلهم شك في حالته وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم ثم دخلت فأرة ( وهي من دواب الأرض ) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتعجبون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع ساعات او يوما او يومين

فلما حركت الفأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن فسقط على الأرض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولعرفوا الوفاة حين حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى ( ٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام )

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ

سليمان ما ينافيه

### ﴿ المسألة التاسعة ﴾

( الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان )

قال الله تعالى ( ٣٨ : ٣٤ ) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم اناب ٣٥ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب ٣٦ معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان يرزقه ولدا يرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاختره الله تعالى ولم يجب دعاءه في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الخلقه ( كأن يكون لارأس له ولا منخ أو نحو وذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين ) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت منه الى الحي المدرك سباه الله جسدا كأنه لأرواح له فلما وجد سليمان أن من رزقه الله ليخلفه في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجرت وتألم ولم يشكر الله على كل حال



ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجم الى الله يستغفره على ما فرط منه ويرجوه العفو عن عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي » اي حيث إنك لم ترزقي بمن يرثني في هذا الملك فوسعه علي وزدني سلطانا ومتعني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتي تعرضني بذلك ما حرمتني من النسل الصالح فاستجاب الله دعاءه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطيور وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه ( وهو ابنه رحبام ) ولكنه كان ضعيف العقل سيء التدبير رديء السياسة حتى خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل ووقع الاقسام بينهم في عهده

فما تقدم تعلمه أن قوله تعالى « وألقينا على كرسيه جسدا » معناه ذلك المولود الناقص وهو أول من رزقه وقال ألقيناه على كرسيه لأنه بمنزلة ولي عهده كما يقولون الآن وتقول العرب « ألقى الليلة على كرسي الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى بالواد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافه فاحذر مما قالوه ولا تعبا به فانه مثار لشبهات كثيرة

### ﴿ المسألة العاشرة ﴾

( اللؤلؤ والمرجان )

قال الله تعالى ( ٥٥ : ١٩ رَجَّ البحرين يلتقيان ٢٠ بينهما برزخ لا يبغيان ٢١ فبأي آلاء ربكما تكذبان ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) فقال كثير من الناس إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الحلو واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الأنهار ويوجد في بلاد أستراليا أنهار مشهورة باستخراج الصدف واللؤلؤ منها وهالك اسماؤها بعضها :

نهر هنتر Hunter وكلارنس Clarence وكوك Cook's وكليد Clyde

وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales من أستراليا

## ﴿ المائة الحادية عشرة ﴾

( السماء في القرآن )

السماء من سما أي ارتفع فالسما في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب سماء والكواكب سماوات والفرع اللانهاي الذي فوق رؤسنا هو سماء أيضاً وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلاً لفظ نجم يستعمل في الكوكب وفي النبات فثال الأول (١٠:٥٣ والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٦:٥٥ والنجم والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلام من المعنيين ويسمى هذا النوع من الألفاظ بالمشترك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السماء إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلاً في قوله تعالى (١٠:١٦ أنزل من السماء ماء) معناه السحاب . ولذلك قال في آية أخرى (٤٣:٢٤ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله) الآية وفي قوله (١٥:٢٢ فليمدد بسبب إلى السماء) يعني سقف البيت وفي قوله (٧:٥٥ والسماء رفعها ووضع الميزان) معناه الكواكب والأف واللام هنا للجنس وكذلك في قوله تعالى (٦:٥٠ أفلا ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماسكة ثم هي في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه بعضاً (وزيناها) بأن جعلنا أشكالها جميلة مستديرة وان بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالأنوار الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (وما لها من فروع) أي شقوق فلا ترى كوكباً منها به كسور أو منشقة أجزاءه أو متفرقة فهو ككتا كيد لقوله بنيناها وفي قوله تعالى (٥:١٧) ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) السماء الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ اللانهائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين باقتضاض الشهب منها لاهلاكهم كما في قوله (٣٧: ١٠) إلا من خطيف الخيطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وهذه المسألة لا يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة له فنحن نصدقها لإتيان النبي الصادق بها وقد ثبتت نبوته عندنا بالبراهين القاطعة كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧: ٢) خلق سبع سماوات طباقاً المراد به الأجرام السبعة العلوية المشهورة التي كانت تعرفها العرب وتراها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والريخ والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما تعرفه العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالأجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين والسبعائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥: ٤٤) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فإن المقام مقام تهويل لا يناسبه إلا ذكر العدد الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى المقام عدم ذكر العدد هنا بالمرّة لقلته فلو لم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع إن العدد لا مفهوم له ومثل ذلك قوله تعالى (٣١: ٢٧) ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)

قد يقول قائل ما بالاك تذكر هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع أن القمر تابع للأرض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا هذه . ونقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سموات طباقاً وقلنا إن الأجرام التي خلقها الله هي عالية بالنسبة لنا فهي سموات وهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فإن هذه المسائل لا علاقة لها بتفسير الآية كما لا يخفى على ذي عقل

ويستعمل لفظ السماء في اللغات الأفرنجية أيضاً في عدة معاني مختلفة فهي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والمقام هو الذي يعين هذه المعاني المختلفة كما هو المهود في اللغة العربية

### (المسألة الثانية عشرة)

#### (الأرض والجبال)

قال الله تعالى ( ١٢:٦٥ ) الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلين ينزل الأمرينين ) وقال ( ١٥:١٦ ) وألقى في الأرض رواسي أن تمتدبكم ) وقال ( ٧:٧٨ ) والجبال أوتادا )

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع الا في الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقاً لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فاتها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع فلذا قال هنا « ومن الأرض (بالافراد) مثلين » أي في العدد وهي كونها سبعة وفي كونها طباقاً ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الاصلية أو الاساسية فان الآية لا تدل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الاصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لا مفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما يناء سابقا في مسألة السموات وقوله « وألقى في الأرض رواسي أن تمتدبكم » تيمد من ماد الت سفينة أي

(١) حاشية - من تذكر أن لكثير من السيارات توابع كالمركب بالنسبة للأرض وهذه التوابع أو الاقمار نضيفها فيهم معنى قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) فان الألف واللام هنا تصحح أن تكون للجنس لا للعهد والمعنى أن الله جعل الاقمار أنوارا نضي بها السموات

مالت واضطربت فمعنى الآية أن الله أثقل الأرض بالجبال لمنعها من الميدان والتزلزل الدائم وذلك أن الجبال يوجد لها في بعض الجهات جعلت ثقل الأرض في جميع الجهات متساويا بالنسبة إلى المركز فإذا دارت الأرض حول مركزها لا يحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوميا من حركة الأرض حول محورها . وأيضا فإن الجبال بثقلها العظيم على الأرض وبما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كونت طبقة حجرية عظيمة تقي ما بين الجبال من الوديان من انفجار باطن الأرض الملتهب ونسف قشرتها أو زلزالها الدائم ولا يخفى أن أغلب الأراضي المسكونة إنما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلو لا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هدا للبشر جميعا بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادرا كما هو الآن وحاصلا لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباسا » أي كاللباس في الستر . فلعنى أن الجبال كالأوتاد المفروسة في الأرض وإذا لاحظنا أن الأرض تجذبها من جميع تقطبا إلى مركزها كما تشد الأوتاد بالجبال المربوطة بها أدركنا ما بينهما من الشبه العظيم وفيها نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالأوتاد كذلك شبه الأهرام المصرية بها في قوله « ٨٩ : ١٠ وفرعون ذي الأوتاد »

### ﴿ المائة الثالثة عشرة ﴾

( تفسير آيات عدم صلب المسيح )

قال الله تعالى ( ١٥٧ : ٤ ) وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح ( قالوا ذلك نهكاً والمسيح معناه عندهم الملك لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عنده توليتهم وسمي عيسى مسيحا لانه كلك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والأوهام والمقائد السخيفة ورقى نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالمملك العظيم الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمونه هو وغيره من الملوك النافعين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون ان المسيح سيأتي ويرد

لهم ما فقدوه من المجد والسلطان ( عيسى ) تريب لفظ يشوع وهما المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسمي به كثيرون قبل المسيح بينهم ~~سكيشوع~~ خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفاءلون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خيرة تخلصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب ( بن مريم . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) أي اشتبه عليهم الأمر فأخذوا واحدا يشبهه ظاهرا أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه . واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الخلقة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاما بحيث يندع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم فقد فرأ تلاميذه من حوله وهربوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد .

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتهون عليهم بغيرهم وقد ذكر «جاي» و«فرير» مؤلفا ( كتاب اصول الطب الشرعي ) في اللغة الانكليزية حادثة استحضرت فيها ١٥٠ شاهدا المعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم اربعمون منهم بأنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقيون ترددوا جدا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المبتون وغاش مع زوجة مارتين محاطا باقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقيون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالا كثير

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم من شابههم من الكسور او الجروح او آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جد الأطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين فاذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى ( وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع

الظن كما في الحادثة التي سبقت ولذلك اختلف طوائف النصارى قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيها ما وجد عندهم من الكتب كإبناؤه في موضع آخر . ولو كانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى ( ٥٥: ٣ ) إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهر لك من الذين كفروا ) وكقوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة ( ١١٧: ٥ ) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الأمور المعنوية . قال تعالى ( ٢٥٣: ٢ ) ورفع بعضهم درجات ) وقال ( ١٧٦: ٧ ) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض ) فعنى الآية أنهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الأعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته واسكنه بجواره وذلك كله على حد قوله في مواضع أخرى ( ٣: ١٦٩ ) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله ( ٥٤: ٥٤ ) إن المتقين في جنات ونهر ٥٥ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ) فكل هذه العبارات « كمنه الله » و « رفعه الله إليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب إلى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصاً يشبهه فاغترخوا به فأخذوه وقتلوه وصابوه . ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وإن يقبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدبره لسيدته فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذوا ويلاً وأما المسيح فكان قد توفاه الله وأنجاه من مثل هذا العذاب وذهاب بعض الأنبياء إلى بعض الجبال ووفاتهم بها أمر معهود كما وقع لموسى عليه السلام ( راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٦ )

ثم قال الله تعالى ( ٤ : ١٥٨ ) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ) أي أن كل شخص من أهل الكتاب لا بد عند

وقائه ان تمضح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه أنهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به الا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بانه سيحيى يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد الا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

واما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وإنه لعلمٌ للساعة فلا تمترن بها ) فمعناه إنه لدليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله ( ٢١ : ٩١ ) وجعلناها وابنا آية للعالمين

وقائل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من حوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى ( ٦١ : ١٤ ) يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) . وتقول اما في عصر المسيح عليه السلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وفاته فقد سلط الله الرومانيين على اليهود فشتوهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يعصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الارض ويزداد عددهم شيئاً فشيئاً حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت دياتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على أعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى ( ٣ : ٥٥ ) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ) وانما عبر تعالى بالفاء في قوله ( فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنينا هنا هي عند الله كالحضات ( وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ) ( انهم يرونه بعيدا ونراه



قريباً) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليههم لنبيهم لا ينافي انهم مؤمنين به فلذا وصفهم الله تعالى بالايان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله تعالى (٥٧ : ٤٨) يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفاين من رحمته ( الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة وبين اصل الايمان ، ( للمسائل بقية )

## باب المناظرة والمراسلة

﴿

### ﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أذكر ما الأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا ياحقها بالقرآن الشريف الدين الذي يكفر منكره شيثان القرآن وما تواتر عن النبي ( ص )  
وتقول ان الله جل شأنه ارسل رسلا اوجب على عباده تصديقهم واتباعهم في كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله وبعبارة أخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب تلى الله ينزل عليه كتابا يقرأه او كلاما يتلوه بلفظه — بل عرفوا الرسول بأنه بشر أوحى اليه بشرع وامر بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول ام بالفعل على ان القول مقدم على الفعل ومعرفة الشرع بالقول اكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخصص طريقا ولا طرقا معينة لحملة الشرائع في تبليغها الى من نأى وبعد مكانا او زمانا ولم يذكر في موضع ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين بغير تواتر معذور ولم يقل ذلك احد من رسله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من البشر في شؤون دنياهم الاجتماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فيمن تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

الذي دل الشرع والعقل عليه وعليه اتفق اهل الملل قاطبة وهذا مما نجلّ حضرة  
الدكتور عن مخالفته

بعث الله رسوله مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر  
بالمحال ولا يكلف نفساً الا وسعها فلو اوجب على الامم تبليغ كل مسألة من شرعه  
بالتواتر وعلى المبليغين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً  
للاشاة الأديان، ومعطلا لسائر المواصلات ومعاملات نبي الانسان، والله منزّه عن  
ارادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لقول مسائل الدين

دل القرآن على ان من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسوله ووردها جحداً أو  
مكابرة أو بماشا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسوله واستحق العقاب وشديد العذاب  
ومن بلغت الحجة عن رسول من رسله حين وجوب طاعته في خصوص تلك  
المسئلة من طريق لا يردّها في جميع شؤونه ولا ينكر صحتها بعد البحث والتقيب ثم  
ردّها عن الرسول بتلك الطريق تشبهاً فلا شك انه معاند ومكابر ومنازلطاعة  
ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة او آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين يعني  
الاحاديث الصحاح الآحادية ولو كانت مشهورة ومستفيضتة ثم قوله « الدين  
الذي يكفر منكره شيئان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في  
ان من انكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في انه لا يكون الشيء واجباً  
الا اذا نقل بالتواتر. والحق ان التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما ان من انكر  
ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من انكر بعض  
الواجبات عند غيره كما قد عرفت ان الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء  
قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرائطه عند  
أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض  
صوره وعلى قول الجمهور يمكن ان يوجد تواتر في أمر ما ويصسر على بعض الناس معرفته  
وتحقق وقوعه في ذلك الأمر بل يمكن ان يوافيه حمامه قبل ان يبلغ من ذلك مرامه،  
والحق ان من انكر ما عرف وجوبه من دين الاسلام وصار ذلك معلوماً له ولو يخبر

الآحاد كفر وكذلك من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد  
الاسلام أو نشأ بعيداً عن العلماء كفر وان لم يكن منقولاً بالتواتر المعروف عند التواترية  
نحن لا ننكر ان بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكن ننكر انحصار العلم الخبري  
فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما اننا لا نسلم ان ما هو متواتر عند اناس يلزم ان  
يسلم تواتره الآخرون .

ان من رمى التقليد جانبا وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه  
والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري نظر الناقد البصير  
علم علماً لا يعتريه شك ان كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما  
جاء به المعصومون عليهم الصلاة والسلام ، عن الخلاق فاطر الأنام ، وحيث كان غرضنا  
في هذا المقام تحقيق الخبر المسند الى رسول الله (ص) وما يجب قبوله وما لا يجب تقوله

### العلم والطرق المؤدية إليه

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية إليه فمنهم من شدد وضيق فلم  
يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه اهمالاً لأفضل ما امتاز  
به الانسان في اعلام مدارج انسانيته هو تعطيل لجميع الارتفاقات والتعاون على تحصيل  
أنواع العلوم المختلفة المواضيع اذ من المحال ان يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي  
قد حققها وعرفها جميع البشر — فهؤلاء المضيئون غاية معتقدتهم تعرية الانسان عن  
أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما  
عرف من ان إحساس بعضها أقوى من إحساس الانسان . ومن نتائج مذهبهم  
المشتم ضياع وانحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين افراد  
الناس في أشد ضرورتهم — ولذلك ترى هؤلاء المضيئين من أكثر الناس  
تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد  
ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجدتهم على جانب بعيد وفي  
غاية لمناقضة لما أصوله مما ذكرناه عنهم  
ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوحي

٣٧٤ الخبر . وجوب قبوله وجوبه على من صح عنده (المنارج ٥ م ١١)

وهؤلاء هم الزنادقة المخرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوت وهؤلاء يؤول انكارهم الى تنقيصه تعالى شأنه المؤدي إلى نفيه المؤدي الى الحال في الضروريات والتدح في المشاهدات وكون الشيء فاعلا لنفسه أو متعولاً لغير فاعل ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فسلم بأكثر الطرق المؤدية الى العلوم لكنه أهمل بعضها لاشتراطها شروطاً يعسر أو يتعذر وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من تقدم ذكرهم من الملحدين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسماع أو بلوغه بالاجماع عملاً أو التواتر فقد نصب في طريقه العقبات ، واقام دونه سد المحالات ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع ما يتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ انا لا أظن انه يلزم ذلك في الأول ولئن التزمه فالواقع والمشهدة ترده وهي أعدل حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم إذا بطل في الأول اشتراط ذلك ففي الأديان كذلك ! اقدمنا من تلازم القدر بالشرع فلا فرق يعتد به

وعليه فالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية - وهو ما عليه عامة البشر « فطرة الله التي فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضرراً على احد الخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروي حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عن لا يعلم حاله والامر ما ذكرناه وجب عليه التقيب فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ماقررناه في الرد على الدكتور صدقي (ص ٩٢٦ م ٩) وقد ذكرناه منذ ايام في ذلك قرأنا ما مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الآحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم

قبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيح بلا مرجح  
لم يوجب الله علينا مشر المسلمين التقيد بما أسس بعض الناس بل نهانا عن  
التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر فما وافق ديننا الذي هو الدين المستحيل  
مخالفته للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل ان تترك ما لدينا من الحق وتقتصر على  
مادى المخالفين وان دل عليه ديننا اماما خالف ديننا فلا شك انه مخالف للعدل والعقل  
وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ما يناقض ما دل العقل  
الصحيح عليه (١) ومن زعم ذلك فطليه البيان نعم في الدين اشياء لم تستعد بعض  
العقول لإدراكها وسببه ما قدمناه من تضييق بعض الناس وسد أكثر ابواب  
الطرق المؤدية الى العلم فاذا كل لبعض الناس استمداده العقلي وصار انسانا بالحق  
الذي خلق لأجله فلا شك انه يدرك معلومات لا يكمل العقل الا بإدراكها فعلى من  
لم يأت هذه البيوت من أبوابها ان يسأل اهل العلم (الكلام بقية)

## شكر المنار على تأين ذكاه الملك

رسالة جاءتنا من العالم الاديب بدائع نكار ميرزا فضل الله اليهقي مدرس  
العلوم الادبية في مدرسة طهران السيامية . ورغب الينا ميرزا محمد علي خان مجل صديقنا  
(رحمه الله) ذكاه الملك ان ننشرها في المنار فنشرناها اشكرين اللادين فضلها وهي

هو

بجدير ان يوذّن في المنار      معارف عنونث في المنار (٢)  
وكان في محاق الجهل دهرا      بفرته سلخنا من سرار  
سأجل شكر منشأ دثاري      واجعل مدحه ابدا شعاري

(١) المنار: صرح بهذا شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتصديا لبيانه  
بما كتبه الثاني في اعلام الموقعين من التفصيل البديع (٢) لعل الاصل \* معارف  
عنونث باسم المنار \* او \* عنونث في ذاه المنار \* فسقط لفظ « ذا » سهوا

وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءً ونصيب وجوه  
 أملي لشمول عواطفه رجاءاً ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف ، والتقرب اليه بطرائف  
 اللطائف ، الأكتالب الأيناس قبل الأباس ، والماتح بلا اسباب وامراس ،  
 ولكني اجل سيدي من ان يحتاج العبد الى تقربه بالوسائل ، ويمت اليه بذرائع  
 القبائل ، لان داعي فضله على المنارجهارا ، بدعونا الى نار قرأه ليلا ونهارا ، فلا ألام  
 على ذلك الاقدام ان لييت دعوته ، وصليت قبلته ، وأتيت ناره ، ويمت داره ،  
 قَيْلٌ بمبج مأواه ونائله في الشرق يسأل عن نيله سيلا  
 على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من  
 هو لاي نعمه التي أحيت القلوب ، واماتت العيوب ، وحسن منا الاخلاق ، وعلق  
 علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الثناء ،  
 « ولو سكتوا اثنت عليه الحقايب »

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنارج في مدرسة السياسة من طهران ،  
 بعد ما وقفت على فائحة المجلة في خراسان ،

تورنهما من أرض طوس واهلها يثرب أدنى دارها نظر عالي  
 وقفت على تأين الفقيه الفريد ذكاء الملك اطاب الله ثراه فأخذني من  
 الأسف . ماجربي إلى التلف

فقدنا ذكاء الملك لابل سماء وما حال ملك زال عنه ذكاؤه  
 فقدناه لو ان يفندي لفتيته ولكن قضاء الله حتم مضاهوه  
 مضى رحمه الله وأصمى على قلوبنا سهام الهموم ، وأحى على اكبادنا مكاوي  
 النجوم ، فلولاً خلفاه الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمراه اليانغان ، وثمراه الطالعان ،  
 لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكننا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه  
 وفي الحي باليت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن  
 فما انا مع عقدة لساني ، وعجمة بياني ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، وتقصان  
 بضاعتي ، وكلاله يراعتي . أشكر من مولاي أدام الله بقاءه ، تأينه على فقيدنا ذكاء  
 الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رؤس أهل الأدب ،

ويقيمه على تثقيف الأود من المعجم والعرب ، وأن يجعل كتابي هذا عنده مقبولاً ،  
 لا مردود علي مبدولاً ، وأنهى الى تلك الحضرة العلية من أدينا ذكاء الملك بن  
 الذكاء ، أركمى وأوفى الثناء ، اختتم كتابي مقتدرا بذلك الخطاب  
 لا تنكرون وان اهديت نحوك من علومك الفرو وأدائك التقا  
 فقسم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا  
 العبد فضل الله بن داود البيهقي المدعو بدائع نكار  
 للسدة السنية العلية والعتبة البهية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

### سحج البرهان الصريح ، في بشارت النبي والمسيح

( عليهما السلام )

بأنه تعالى من أشهر كتاباً فيه بشارت النبي والمسيح عليهما السلام منها لذي عليه  
 السلام وأمنه من نبوة اشعيا ص ٤٠ عدد ٣ و ص ٤٤ عدد ٢٥ و ص ٤٢ عدد ١٦ نبوة  
 دانيال ص ٣ و ٧ و ٩ الوارد فيها ختام نبوة والحساب من حرب ادريانوس ملك  
 الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانتهاء المدة سنة ٦٢٢ وهي سنة الهجرة والاذن بالفتح  
 والجهاد وتبين فيه صحة الترجمة في مواضع من في التكوين بشأن سيدنا اسماعيل ص ١٦  
 عدد ١٢ «انساناً وحشياً» قال العالم الامرائيلي الترجمة انسان بري (يسكن البرية) يده في  
 السك ويد السك فيه ولفظه العبراني يرى آدم أي آدم بري ويده في السك المراد به سيدنا  
 محمد عليه السلام لانه من اسماعيل . وفي مز مور ١٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته  
 أي نبينا ابن اسماعيل عليهما السلام لانه سمي اسماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب  
 للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضاً اجعله أمة لانه نسلك والاصل العبراني  
 ان نسلك هو ولفظه «كي زر عخاهو» اي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام «وخلق  
 الرب له من غير اب» من نبوة ارهياص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئاً حدثاً في الارض  
 اني تحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأيد نبوة ارهياص هذه في القرآن  
 الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعياص ٤٩ المختص بالمسيح يحكى بالوحي  
 ما يكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني لها عدد ٥ قال الرب جابلي من

( المجلد الحادي عشر )

( ٤٨ )

( المنارج ٥ )

البلطن عبداً له لاوجاع يعقوب فيضم اليه اسرائيل ولم ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤٤ اما انا فقلت عبداً ولحيته الثاني عدد ٦ قال سهل ان تكون لي عبداً لتقيم اصباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجمك نوراً لام لتكون خلاصى الى أقصى الارض ثم أكد ذلك في عدد ٨-١٣ وفي عدد ٦ « واجمك » قالوا بدلها فقد جمك . وما ذكر في اعمال الرسل ص ١٣ عدد ٤٧ خلاف الاصل المبراني أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوة ميخا ص ٥ عدد ٣ و٤ تؤيد ان له مجيئين كنبوة اشعيا هذه ص ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشعيا ص ١١ التي هي لمجيئه الثاني لان فيها يرفع رواية الامم ويجمع بني اسرائيل من اربعة اطراف الارض وهذا معنى ماورد في نبوة اشعيا ص ٤٩ عدد ٦ لتكون خلاصى الى أقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشعيا أيضاً المنتمية لى ١١ وهذا في آخر الايام كما في نبوة هوشع ص ٣ عدد ٥ ونبوة اشعيا ص ٤٩ تؤيد مجيئه المسيح بعينه الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في ارض فلسطين كما في عدد ٧ والرب يحميه منهم كما في عدد ٣ « في كنانته اخفاني » وعدد ٨ « وحفظتك » وقد قامت اليهود من ارض فلسطين سنة ١٣٢ ثم دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشعيا ص ٥٣ عدد ٨ « انه ضرب من أجل ذنب شمي » والاصل « ضربة لهم » ونفظ لهم بالمبراني « الاموا » لان الكلام في الشعب الذين اخذوا بالباطل وحضروا منها والتي ارميا بين كثيراً منه في صرائيه وفي عدد ١٠ « فسر » والاصل فارادوني عدد ١٠ أيضاً « ان جعل نفسه ذبيحة اثم يري نسلا » ولم يكن في الاصل المبراني لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يري نسلا وفي مزمور ٢٢ عدد ٦ : « قوما يدي والاصل « كأيدي » مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل المبراني والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل متى ص ٥ عدد ١٧ ولم يؤيد التواريخ ونبين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة وقد ذكر نبذة في فضائل الاسلام ونطلب منه تعالى العون في البدء والختام

( تقييه ) في نبوة اشعيا ص ٤١ عدد ٢٥ « أهدت من الشمال » وقبل وضع الحركات التي وضعت بعد قرون كان ينطق بها « أهدت من جنبا » وهو النار وعلى وضع الحركة تام نبينا « ع م » من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قيدار كما يأتى وفي ص ٤٢ عدد ١١ ذكر مساكن قيدار وفي عدد ١٣ « خروج الرب كرجل محروب » إشارة للجهاد وقيدار ابن اسحاق كما في التكوين ص ٢٥ عدد ١٣ « يا بنت حارون » ورفاعانهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح



وفي نبوة حزقيال ص ٣٧٧ عد ٢٤ سهي المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣  
 تمت في يهوذا المكابي واخيه يوناان  
 وموجود بلد اسمها سمر «شمر ون بالمبراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما  
 في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ وفي آثار تومس الثالث وجود يهود فلسطين قبل دخول  
 بني اسرائيل  
 احمد ترجمان

## بَابُ الْمَسْأَلَةِ

### نادي دار العلوم

لا يجمل أحد من المتعلمين في مصر، ان أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة  
 العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع  
 للبلاد، واقدر على القيام بأعباء التعليم والارشاد،  
 فتحوا باب البحث في التعريب والترجمة فأفادوا ما افادوا . ثم فتحوا باب  
 البحث في مسألة الربا عند ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن  
 المسلمين لا يمكن ان يحفظوا ثروتهم ويجاروا غيرهم في الارتقاء الا اذا تعاملوا بالربا  
 وانشأوا المصارف ( البنوك ) المالية . وان الدين اذا كان يمنعهم من كل ما يعرف  
 عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر .  
 خطب غير واحد من اعضاء النادي و من غيرهم في الربا فكانت خطبهم يتابع  
 للفوائد الثقلية والاجتماعية والاقتصادية . وقد سلك كل واحد منهم مسلكا انارفيه  
 المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعريب والترجمة ولم يتصد منهم أحد  
 للكلام فيها من جميع الوجوه الا الرئيس في خطبة الختام . وقد ألقى صاحب هذه  
 المجلة ( المنار ) كلمات وجيزة في ذلك أدجنتها في التفسير من هذا الجزء ولم يكن  
 بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزا عن سائرها وإنما كان ذلك  
 هو الجلي للمسألة والمقرب للصواب من الافهام  
 ثم بحثوا في مسألة الزواج والعادات في الخطبة والاحتفال في العرس فأجادوا وافادوا

## السبع والخمسة

### وَالْبَقَا لِيَدِّ قَوْلِ الْعَجَابَا

#### اقتراح بناء مدفن لعطاء الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقتراح بناء مدفن لعطاء الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعد

نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحثة بالبادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة او تمني متفرخ في العزومة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتعلم من مبادي التقاليد الأوربية الى غايتها

لا أنكر ان بعض العمال التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف لثاته وضعت الاله الوثنية من قبل التماثيل والنصب وبنيت القبور وشرقها، وعظمت هذه الآثار الماثلة حتى عبدتها، ولكن كان إيمانها أكبر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشيد القبور وتشريفها كما في حديث علي كرم الله وجهه في حجاجه عليه السلام « لا تدع تماثلاً الاطمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته » ربما كانت دحشة البادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس بسوء الوثنية حتى لا تنازع التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في هذا العصر «عصر المدنية والنور وعصر المادية والعلوم» واذا اتفتت العلة اتفتى المعلول فقد قال مثل هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره في الجريدة على من نكره يجب تشال لمصطفى باشا كامل وسكت له الجمهور على سكت واخره به بانه ينكرهم مدعين

من سهل تقبله عند تشريفه على الاعتراف بصحة ما قيل من سبب تحريم الاسلام للآيين والنصب وغيره، وسبقه الا لاكتفي بأن أقول ان هذه شعائر وثنية منع الاسلام تشريفها، كما هو مدحجس هو يخشى ان تعينه روح الوثنية الى نفوس

المستعدين ، فلا نعيد هذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سدًا للذريعة ولو في مستقبل الزمان ، بل أقول أيضا ان العلة غير مأمونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير العوام ، فلونصبت التماثيل وبنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور ، فاتها لا تلبث ان تصبغ بالصبغة الدينية بمصر وتبرك بها او يعبدها الجمهور ، وأستدل على ذلك بأقوال دعائها وفعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامة من أهل مصر بل بعض الخاصة لهم ولع فائق بزيارة الاضرحة واعتقاد راسخ بنفع اصحابها حتى انك لو دفنت حماراً وبنيت له ضريحاً وقبة لزاره عدد من الناس يتبركون به وهم يعلمون انه حمار فاذا كان الأمر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظامهم » اهـ

ونحن نقول مع الباحثة ان عطاء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا ما يحرمه الاسلام وبعده معارضاً للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين فتقول كيف نأمن ان تعظم اضرحتهم تعظيماً دينياً بعد ان يتخذ لها مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من أئمة الدين وداع من دعاة القرآن ومحام عنه وعن السنة ، واقوى خاذل في عصره للبدعة ؟ كيف نأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد ، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ، ولا في الدفاع عن أصول الاسلام وعقائده ، - قد نحله أشياءه جميع الالفاظ التي يعظمون بها أئمة الدين وأوليائه كقولهم : فقيد الاسلام ، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه . بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء ، وكاد بعضهم يفضلهم عليهم . وذكر اخوه الصغير في مناجاة ناجاه بها ان روحه مشرفة على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن !! وذكر اخوه الكبير من انباء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهراً مختوناً ، وجعله بعضهم ثاني النبي (ص) في عظمته وكلامه كالانجيل والقرآن . وقال فيه شوقي شاعر الامير

او كان الذكر الحكيم بقية لم تأت بعده رثيت في القرآن  
هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شيء في رثاء الانبياء والصديقين

بلى كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، ( ٣٩ : ٣٥ ) انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) أي انك يا محمد تموت وهؤلاء المشركون الذين قالوا ( ٥٣ : ٣٥ ) تبرص به ريب المنون ) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال ( ٣ : ١٤٤ ) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ ) الآية وقد نزلت عندما قتل بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صائح « قتل محمد »

أفرايت من يفلو فيه الناس ذلك الفلأ الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب - وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارقين وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء وانه نقنا اكثر مما نقنا الاسلام - أيستغرب ان يعظم تمثاله وقبره تعظيماً دينياً ؟ ؟

فيا أيها المتفرنجون أربعوا على ظلمكم وخففوا السير واتدوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم وانخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستمجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأتم لم تنبوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الإسلام ، ولا تستطيعون ان تحفظوا بقية الممالك التي فتحها لكم الاسلام ، إذا فرضنا ان ما ترمون اليه بالتماثيل ونقل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والافتداء بسيرتهم هو مما يفيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لجرد نصوص أئمة المذاهب التي تنتمي اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة الى أسباب العزة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعوا اليها داع ، وقلما يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع ، ليست المدارس العلمية والدينية ، والكتب التاريخية والفنية ، والجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبدلون لها المال ، وتدعون الى تعميمها في البلاد ، ليست مدرسة مصطفى كابل افضل ما يعزى اليه من الاعمال ، فلماذا لا تبدلون ترقيتها ما جمعتم للتماثيل ، ليست آثار الاستاذ الامام ، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل ما يحيا به ذكره ، ويرغب في التأسى به ، فلماذا لا تبدلون المال لشرفها ، وتعميم النفع بها ؟ ؟

## الفصل السابع (٥)

جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لذاته عند الطبع ، ومحبوب لفائدته عند العقل ، ومع  
كثرة ما ألقت العيون رؤيته ، والآذان سماع أحاديثه ، لا تزال أسرار  
موضوع التفكير ، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإعجاب ، كيف لا وهو  
السر الأعظم في جذب الانسان الى مقاماته العلى من الابداع ، والسبب  
الاكبر في ابعاد ما بينه وبين الحيوان في مراقب الوجدان والادراك . فشرقه  
مجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم . واما قوم حرموه فقد باؤا بحرمان  
عظيم ، ولذلك لم نجد بداً من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة»  
فانها منزلة جديرة بالذكر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء  
القوم انهم كانوا الاحظ لهم من الجمال ، ولا ذوق لهم في الحسن ، ولا  
نصيب من توجه النفس الى الاحسن .

كبرت سببة ان يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتألف  
في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم  
يكونوا مع ذلك ذوي خلقة جميلة وصورة بديعة

وكبرنا تقصيراً ان لا نين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب  
هذه السيدة وقومها فان استغرب قوم لم يهروا اسرار الخليقة نظرة  
تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في وضعه  
على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبهم الانيس ، ويحمدون فيهم اهل الكرام

ان العرب قد تناسبت أجزاءهم ، وتناسقت أوضاعهم ، واعتدلت أشكالهم ، بياضهم جميل ، ليس فيه بقى بعض الاجيال ، وأذمتهم لطيفة ، ليس فيه حلكة بعض الاقوام ، ولعل من فازت من حسانهم بخط عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين ، وتكون آية المتهى في جمال العالمين ،

والشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمن بما تناقله الكل من صفات الحسن يجد ثمة جهة جامعة ومقياساً واحداً تنفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وإنما هو باعتدال القامة ، واستواء الهامة ، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعته ، وحلاوة المبسم ، وملاحة العينين ، ولطف الحاجبين ، ورقة الشفتين ، ونعل هذه المذكورات تكثر في العرب حتى ندر ان نجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهورينهم ومشهوراتهم. واذا اضيف الى ما ذكرناه بياض الاديم وتشربه بحمرة او صفرة كان ذلك فضلاً في الجمال ، قد يبلغ به متهى الكمال ، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يكثروا في كلامهم من شي بمقدار ما كثروا من وصف الجمال وقدراً ينالهم يستحسنون هذين اللونين كثيراً : البياض المشرب بحمرة او البياض الضارب الى صفرة . قال ذو الرمة احد شعرائهم :

يضاه صفراء قد تنازعا لوانان من فضة ومن ذهب  
وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القران المجيد تشبيه حسان

الجنة بالؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى عهدنا هذا في أن هذا اللون هو الذي تكون صاحبه أقرب الى الكمال في الجمال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عند ما يطبع فيه الاحمرار لسبب من الاسباب تكون حرته أطف من الحمره الملازمة لبض البيض وعن مثل هذا عبر عدي بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حمره خلط صفرة في بياض مثلما جاك حائك ديباجا

ولكثرة البياض اللطيف في العرب شبهوه بالصبح واشتقوا من الصبح لونا فقالوا للابيض صبيح ، واشتقوا من الزهر لونا فقالوا للأبيض المشرب بحمره أزهر ، وتشبيهم بورد الحدود دليل على كثرة هذا اللون فان هذه الحمره لا تطبع الا على أديم أبيض ورأيناهم يشبهون الاعناق كثيرا بأباريق الفضة كما قالت قرية بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس عجيب بعد أن كان الجمال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجد مغرمي القلوب بمجالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بعد ذلك اذا وجدنا حب الجمال قد لطف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، ونقلهم من حال الى حال ، الى أن تهبأوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجمال الى أعلى ، ومن هذا الغرام الى ما هو أولى ، نقلهم الى تصور الجمال الالهي مصدر كل جمال ، وركت بهم الى عشق الكمال المعنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصيب على أولئك

الذين شغفهم الجمال المحسوس، ان يفهموا الجمال المقبول، وان يزدادوا  
نصيلاً منه مع نصيبهم من ذلك ولم يبرز طيبهم ان ينتقلوا الى العالم الجديد  
الذي دعوا اليه لانه تبدى لهم أجمل مما كانوا عليه

ونحن اذ نرى للعرب الحفظ الاوفر من الشغف بالحسن  
والاستقصان يزيد قدرهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد انهم كانوا  
لذلك العهد من أرقى الاجيال الراقية على بعدهم عن الزخرف، وعدم  
نطقهم بكل أسباب الحضارة، ولطنا اذا بحثنا عن المؤثر الاعظم في وفرة  
جمال هذا الجيل نجد ذلك لانهم خصوا بأخذ المتبدل من المعاش، وانتقل  
في المتبدل من الاقاليم، وحبب اليهم المتبدل من المهن والاعمال، وأضافوا  
الى ذلك أنهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً وللا انتخاب دخل كبير في  
تحسين الجنس وتجويد النسل.

وان بدأ الأقدم أن يتزوج بمن سمع بجمالها ساعاً تجده لا يقصر في  
البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقه، وجودة اسماه،  
والحكاية الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجيل وعلى مبلغ هذا  
الشغف من الجمال:

أراد ملك من ملوكهم (هو عمرو بن حجر ملك كندة جد امري  
القيس) أن يتزوج ابنة عوف بن علفم (الذي يقال فيه لآخر بوادي عوف  
لانراط عزه) وكانت ذات جمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر  
اليها وتمتعن ما يلفه عنها فلما رجعت قال لها الملك « ماوراءك يا عصام »  
قالت: رأيت جهة كالرآة الصقيلة زينها شمر حالك، ان أرسلته خلفه  
السلاسل، وان مشطته خلفه عناقيد كرم جلاه الوابل، ومع ذلك حاجبان



كانها خطا بقلم، أو سودا بحجم، قد تقوسا على مثل عين البهيرة، التي لم  
يرعها قانس ولم يدعها تسورة، بينهما أنف كذال سيف المصقول، لم يخنس  
به قصر ولم يمض به طول، حفت به وجتان كالأرجوان، في بياض محض  
كاللجان، شق فيه فم كأنه تم، لذيذ البتسم، فيه ثيابا غرور، ذوات أشعر، يتقلب  
فيه لسان، ذو فصاحة وبيان، يزين به عقل وافر، وجواب حاضر، يأتي  
بينهما شفتان حراوان كالورد، يجلبان رقما كالشهد، تحت ذلك عنق كارتق  
الفضة، ركب في صدرها أمثال دمية، يتصل به عضدان ممتلئان لحما، مكتران  
شعبا، وذراعان ليس فيها عظم عس، ولا عرق يحس، ركبت فيها كنان  
رقيق قصبها، تقدان شئت منها الا تامل، تأتي ذلك الصدر ثديان  
كالمانين يحرقان عليها ثيابها - الى أن قالت حين انتهت الى وصف ساقيها -  
وشيتا بشعر أسود، كأنه حلق الزمرد، يحمل ذلك قدمان، كعدو  
اللسان، - فبارك الله مع صنرها، كيف يطبقان حمل ما فوقهما،

ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور كتقول بعضهم من قصيدة

وزين فوديتها اذا حسرت صافي الندائر فاحم جعد

فالوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود

وجبينها صلت وحاجبها شخت المخط أزع ممتد

وكانها وسنى اذا نظرت أو مدنف لما يفتق بعد

فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لهط خديجة حظ منه

كثير ولم يكن حظها هي منه قليلا

## الفصل الثامن

تراؤها والثراء عند قومها

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاه الله من الجلال وفضائل النفس حظ من الثراء أيضا وراؤها في حياة أبها وكانت تاجرة وامل آباها محلها رأس المال باديء بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شيئاً يجب منه في قومها فأنهم كادوا يكونون كلهم تجاراً . تقضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد، وشرية تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود، و منافسة الاقرب والأبعد، ولولا شفقتهم بهذا لما سمعنا بصدى همتهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولا هلاستطابوا من العيش ما استطاب ذلك الاعرابي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسائله : « نخ نخ عيشنا عيش تملل جاذبه ،<sup>(١)</sup> وطمامنا أطيب طعام واهنؤه وأمرؤه ، القت<sup>(٢)</sup> والهبيد<sup>(٣)</sup> والصليب<sup>(٤)</sup> والعليز<sup>(٥)</sup> والذآنين<sup>(٦)</sup> والمراجين<sup>(٧)</sup> والضباب<sup>(٨)</sup> واليرابيع<sup>(٩)</sup> والقنفاذ<sup>(١٠)</sup> وربما أكلنا والله القد<sup>(١١)</sup> واشتوينا الجلد ،

(١) تملل من التمل وهو الشرب بعد الشرب «٢» القت القمصنة وهي الرطبة من علف الدواب «٣» الهبيد الحظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة «٤» الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها «٥» العلز قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطمام يتخذ في الجماعة من الوز والدم . (٦) الذآنين جمع ذؤنون نبت طويل ضيف له رأس مدور (٧) المراجين جمع عرجون العود من النخل (٨-٩-١٠) الضباب اليرابيع والقنفاذ حيوانات معروفة «١١» القد جلد السخنة

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرخى بالاً، ولا أعر حالاً، أو ما سمعت  
قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه :

إِذَا مَا أَصَبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مَذْيِقَةً<sup>(١)</sup> وَخَمْسَ تَمِيرَاتٍ صِفَارِ كَوَاكِبِ  
فَنَحْنُ مَلُوكُ النَّاسِ خِصْبًا وَنِعْمَةً وَنَحْنُ أَسْوَدُ النَّاسِ عِنْدَ الْمَهْرَاهِزِ  
وَكَمْ مَتَمَّنَّ عَيْشَنَا لَا يَنَالُهُ وَلَوْ نَالَهُ أَضْحَى بِهِ حَقَّ فَائِزِ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بَسَطَ مِنْ حَسَنِ الدَّعَاةِ ، وَرَزَقَ مِنَ السَّعَةِ ، وَإِيَّاهِ  
نَسْأَلُ تَمَامَ النِّعْمَةِ «

هذا ما استطابه الاعرابي وحمد الله عليه هذا الحمد . وما  
الاعراب الا بشر قد يستطيع غيرهم من البشر ما يستطيعون اذا اخلصوا  
الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة  
ما يقيم مادة البدن فقط كما تطلبه سائر الحيوانات بل يتسابقون الى ما به  
الغبطة من المقتنيات والذخائر، ويتبارون في ما به التمايز من المستحسنات  
والبدائع، وبمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطة من المعارف، وقوة  
في المدارك

وقريش كما عرف القارىء كانوا ممن أعدم الله لعمل عظيم في  
الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه ما لم يكن في سابق تربيتهم  
وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيستأنفونه وما أمأهم الا المفاصرة  
في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لا ثقاً بمن هم  
عتيدون لمثل ذلك ان يجمعوا في بلدهم ولا يعرفوا العالم، ولا تميل نفوسهم  
الى خيرات السماء والارض الفائضة في ملك الله الواسع، بل اللائق

« ١ » المذيقه تصغير مذقة وهي شربة من اللبن المزوج بماء كثير

يهو لاء أن يكون كل واحد منهم أنطق حاله بقول ذاك الشاعر من  
أبناء ملوك العرب ( امرء القيس )

فلو أن ما أسى لأ ذنى مميشة كغاني ولم أطلب قليل من المال  
ولكنما أسى لجهد مؤثّل وقد يدرك الجدم مؤثّل امثالي

وحقا كانت حال القرشيين ناطقةً بمثل هذا الكلام، وكلّ منهم له  
في الجهد أرب، فلا بدع إذا انصرفت أنفسهم الى تحصيل المال فإنه أعظم  
أدوات هذا المطلوب وقد نجح فيه منهم كثيرون ونعموا بالثني قومهم  
عند الشدايد منهم عبدالله بن جدعان الشير بجفته التي كان يقدمها للفقراء  
والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمد قومه بالسلح في حرب حاربوها  
وسلح مئة كبي من غير قومه ممن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل  
أحد أخوة السيدة « خديجة » العوام أبو الزبير <sup>(١)</sup> ومنهم أمية بن خلف  
ابن وهب وابنه صفوان الذي أُرعن النبي (ص) أنه قال فيه « ان صفوان  
بن أمية قنطري الجاهلية وقنطر أبوه » أي بلغ ماله القناطير <sup>(٢)</sup> وكثيرون  
غير هؤلاء

فإن الله ما أشبه قريشا الضارين في أنوار رمال العرب وأجادهما نقل  
المتاع من هذه البرية وإليها على سرا كهم سفن البر، بالفينيقيين الضارين

١٥ « تحاربت في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها اربعة  
عشر عاماً وحضرها مع اعمامه يحيى لم النبل وعبدالله بن جدعان مري شهر ومث  
كبير وهو من نخذ بني جمح

٢٥ « أمية بن نخذ بن جمح أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي  
(ص) اما ابنه صفوان فاسلم بعد فتح مكة وكان من المؤلفين قلوبهم

في أكباد تلك المياه وأطرافها لنقل البضائع من هذا النهر الى ذلك على  
مراكبهم قلائص البحر . فلئن كانت لا بناء تلك السواحل رحلتا شتاء  
وصيف بين زفير الامواج ، وممارسة الامواء ، فلا بناء هذه البراري أيضا  
رحلتا شتاء وصيف بين عواء السباع ، ومعالجة الرمال

لعمري الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لا يقسم ولجيرانهم  
انما هو في أن يخفوا للتجارة لانها في الامم أقوى الاسباب المقربة من  
البدائم ، المبعدة عن الحياة الوحشية ، فقاموا بهذا المرغوب غير كسالى  
فكان لذلك ربهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالاقوام في  
ذلك العصر السحيق والمكان البعيد . وكان بلدهم على هذا البعد عن العمران  
المتمل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الحج الذي كانت  
تجبه العرب الى البيت العظيم الذي فيها وجددير ببلدة يحج اليها العرب  
ذلك الحج ان تكون للامن داراً ، وانما تسبق شجرة التجارة في رياض الامن .  
وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً موقفة في العام قبيل أيام الحج  
وينفدون اليها ليبيعوا ويشروا . أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول  
يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه  
« ذوالحجاز » وهو عند عرفات و « مجنة » وهي موضع باسفل مكة  
و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشأن ان النعمان بن المنذر ملك  
الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبعده عن مكة كان يمت كل عام الى  
سوق عكاظ جملاً محملة بزاً وطيبواً لتباع في هذه السوق ويشري له

بمنها من آدم الطائف<sup>(١)</sup> ما يحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يجيرها له شريف من شرفاء العرب وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحصلات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأعناؤها وفواكهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زبيب الطائف ذلك الزبيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأى بيادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقرى قيس ثقيفاً فكذلك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من آدمها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغى الاحمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازيه مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجعون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي . وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقيموا السوق الدائمة في تلك البلدة « أم القرى »

ولا يستريح القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله العذر في ذلك اما نحن فنذهب حيرته ببيان وجيز لا يسعنا اكثر منه لئلا ينقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها رأس مال طبيعي كسائر البلاد. ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للدبغ وبعضها للطب وبعضها

« ١ » آدم بضمين وفتحين الجلود المدبوغه والواحد آدم

الطيوب وبعضها للتطيف فإذا أضفت الى ذلك ما كانوا يجففونه من ألبان الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبد ومن أصوافها وأوبارها وجلودها وما كانوا يجففون من التمر والزبيب وغيرها تجديضاً غير يسيرة يحمل مثلها الى أطراف بلاد الشام مما هو الى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه في العواصم

نحن اليوم لا نتصور مجتمعاً حضرياً الا بأن يكون فيه أمير مسيطر وجندله حافظون، وزراع وصناع وتجار للمعاش ضامنون، وقد رأى القارىء ان مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجندله فعسى ان لا يقيس على استثناءه عن سيطرة الامير استثناءه عن الزراعة والصناعة والتجارة كلاً فان هذه الثلاث لا قوام لقوم بدونها. ونحن اذا ذكرنا ما كان من النصيب لقوم «خديجة» منها لا نقصد به عدّة مفاخر لهم الا من جهة انهم تطلبوا بمداركهم وهمهم على كل ما كان يحول بينهم وبين المغامرة في إدراك الشأوالأثم والابتعاد عن البداوة من بعد ان أو شك جوار البادية ان يجذبهم اليها كما جذب إخوانهم الآخريين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منقطع عن العاصرة وأعطوا الحضارة حقها على صعوبة الوفاء لها بهذا الحق. وترام مع هذا لم يخالفوا سنن العرب فيما يأتون منه ويرفعون عنه فأقاموا ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلادهم ولكن على أيدي عبيدهم لان العرب كانت تأنف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا اليه من الزراعة على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلادهم ولكن لم يكن خالياً

منها البتة فهناك اودية يجرود فيها الزرع والفراش وتجري فيها العيون . وما الطائف عنهم بعيد وهو أبو الزراعة

اما التجارة فلم تكن العرب تأتف منها فلذلك باشرها القوم بأنفسهم كما باشر بعضهم بعض الصناعات التي ما كانوا يأتقون منها . فمنهم من كان يبيع اللباس ، ومنهم من كان يبيع الادهان ، ومنهم من يبيع اللحم ، ومنهم من يبيع الاداة والماعون والسلاح ، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الاشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الاكسية المعتادة ، وضروب الاطعمة والاشربة المهدودة ، وصنوف الماعون والاداة اللازمة ، والسقاير المعروفة ، والحيوانات المتداولة ، والأسلحة الشائمة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السامسة ويقال ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشهير كان زازاً ويقال انه كان سمساراً كما ان أبا بكر الخليفة الاول كان زازاً ( رضي الله عنهما )

ومهما كان ذلك المجتمع أقل تشبهاً بالزخرف وأبعد عن التسابق الى المتاع الزائد عن الحاجة نرى ان حاجاته التي تحتاج الى عمل التجار لم تكن قليلة ورى أنها وحدها كافية لان يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الاول في ثراء قريش وكثرة الثريين منهم لاننا لم نعهد لهم الى ذلك العهد وجهاً من وجوه المراج ونماه المال أعظم منها

وأصناف الاموال التي كان الثراء بها عندهم هي الذهب والفضة ، والابل ، والرقيق ، والاراضي للزرع والفراش ، والاراضي للمعدن ، أما الذهب والفضة فهما الواسطة البظني في تبادل العروض والايان



ومن مطالعة أخبار القوم يظهر انه كان لديهم منهما شيء كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » ومن شواهد ذلك انه بعد ان ظهر الاسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته ( المدينة ) والآخر عدو له في وطنه ( مكة ) أدت تصاريف العداوة الى اشتعال حرب بين الفريقين في الحبل المسمى بدير بين مكة والمدينة فكان الظفر لاصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشيرتهم سبعون أسيراً اقتدوا أنفسهم ووزنوا في فدية الواحد أربعة آلاف درهم فتكون الجملة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرياً من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ما عليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم . ومنها ما ورد من انهم اتفقوا على حرب النبي في أحد ربح العير التي جاء بها يوسفیان من الشام وقدره خمسون الف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبعضها كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها الا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلت النقود الأجنبية الى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية

وأما الابل فهي أوفر أصناف أموالهم والابل مال كثير البركة لصاحبه فالقليل منها فيه الفنى والغناء، والنعمة والهناء، من درّها الغذاء، ومن أوبارها الكساء، ومن جلودها الماعون والحذاء، ومن بعرها الوقود

للطبخ وكشف الظلماء، وظهورها صراكب للظمن والحمل والنجاء،<sup>(١)</sup>  
 وبطونها أعظم بها واسطة للنماء، فبميشك أيها المطالع! في أي صنف من  
 أصناف الاموال الحضرية يجد أحدنا مثل هذه البركة، التي لا تحتاج إلى  
 شيء عظيم من الحركة؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يمدُّ مالا في جميع جهات الأرض  
 وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق وإذا مررنا النظر عن استهجان  
 هذه المادة نرى أن لا شيء أنفع من عمل الآلة المتحركة بنفسها، النامية  
 بطبيعتها، المدركة بخلقها،

وأما الأراضي للزرع والفرس فكان فيهم أفراد يملكون منها كثيراً  
 ومن متسولي قریش من كان يملك أراضي في الطائف كتبت وشيبة ابني ربيعة  
 (من نخذل بني عبد شمس) وغيرها

وكان نظر القوم إلى الزرع والضرع أعظم من نظرم إلى الذهب  
 والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال «حجران يصطكان إن أقيمت  
 عليهما نقدا، وإن تركتهما لم يزيدا، إن أفضل المال برّ سمراء، في ربة غرباء،  
 أو عين خرازة، في أرض خوارزة»، أشار بهذه الكلمات القليلة إلى أن  
 الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الأرض  
 التي هي أول رأس مال أما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن  
 حركات دولاب الأعمال فقط. وهذا هو الأس الصحيح في علم ثروة الأمم  
 وأما أراضي المدن فالظاهر أن بعضها كان مشاعاً وبعضها كان مملوكاً  
 أما كون بعضها مشاعاً فمأخذه من عادة العرب في جاهليتهم من أنهم لم

يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن إنما يجمل لها  
حسبي وحرما الملوك الذين يبدونها من جملة الأموال العمومية التي هي  
حق للخزاة العمومية خزاة المملوك . وأما كون بعضها كان مملوكاً  
فمستفيدة مما قرأناه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي<sup>(١)</sup>  
الذي كان يملك معادن بني سليم . وكانهم اشبوع ملك بعض الناس ببعض  
المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بعد الفتح ان يقطعه شيئاً منها  
فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القبلية (منسوبة الى قبل بفتحين)  
وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه اياها  
وأقطعه جبل قدس للزرع

هذه هي أصناف الأموال التي كان بها ثراء هؤلاء القوم يضاف  
اليها العروض والامثلة التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول  
اليوم كل ثراء فإذ ملك الارض والمعادن لا يزال ايضاً ينبوعاً ثوراً  
للثروة ، واستخدام الفعلة بأجر بخس نوع من الاستعباد والاسترقاق  
اعني ان فائده المادية كفائده ، والنقود لا تزال كثرتها وقتها ايضاً مقياساً

« ١ » الحجاج بن علاط ليس بهرشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجاً  
من قريش « من بني عبد الدار وهط خديجة » وكانت أمواله تستثمر في مكة وكان  
مكثرأ من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « ص » فقال له ان لي ذهباً عند  
امرأتي « في مكة » وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فائذن لي لأمرع السير  
واخبر أخباراً اذا قدمت أدرأ بها عن مالي ونفسي فأذن له النبي « ص » وقدم مكة  
وأخذ أمواله بحيلة

« ٢ » جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيماً ثروة الأمم، وعلى مقدار ما تقدم كاه يكون محور التداول للعروض  
والامته والااث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يباشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يعطي  
من ماله الى آخر على ان يتجر به ويكون الربح بينهما أو يعطيه بالربا وكان  
معهوداً فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالية فلم يكن  
بأس على المال بتسليمه الى من يتجر به بالموأجرة او المضاربة فلذلك لم تصعب  
التجارة على السيدة « خديجة » التي كان لها ما النساء قومها من الاستقلال  
في أموالهن ولم يكن لبيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت  
تبعث به الى التجارة مع ذوي الامانة ذاهبا وآيا

وفي ايثار هذه السيدة ارسال أموالها في التجارة على الأتجار  
بالنقود في مكة كما يفعل المرابون دلالة على بمد نظرها، وعلو همتها، وعظيم  
عظمتها وخانها على وطنها فان الأوطان تسمى بأقدام أرباب أموالها على  
نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء، ولا يكون لها  
مثل ذلك بشيوع المتاجرة بالنقود

## الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي ( صلى الله عليه وسلم ) مرتين تزوجت  
أبا هالة النباش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد المخزومي. وكان الزواج  
المرضي في الجاهلية كالزواج في الاسلام أي ان الرجل ينخطب الى الرجل  
بنته او من له عليها ولاية ويقدم صداقها فيزوجه ، واما ما يدكر من  
أنواع أنكحة الجاهلية الاخرى فهو من باب السفاح لا من باب الزواج  
المرضي ولم يكن السفاح والمخادنة من فعل الشرائف والكرائم، وانما يفعله  
اغلب ذلك الإماء والحقائر

وولدت هذه السيدة ولداً من ابي هالة وسمته «هنداً» على عادة العرب  
اذ كانوا يضمون للذكور احياناً اسماء الإناث فمند هذا هو ريب النبي (ص)  
أخو فاطمة لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الاسلام وأسلم. روى  
عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الثمائل  
وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم  
وقد قتل هند مع علي يوم الجمل

سيجيب القارىء من زيادة تعريفنا لابنها هذا ونحن لانكتمه  
السبب وذلك اننا نحب ان لاندع شيئاً مما يتعلق بسيرة هذه السيدة مغفلاً  
ومهملاً ولا سيما بعد ان رأينا كثيراً الذين كتبوا في سيرتها لم يتعرضوا لذكر  
ولدها هذا فكاد يضيع ويخفى الأعلى المتقبين في بطون الاسفار الواسعة وعذرهم

في ذلك انهم انما يعرضون لسيرة هذه الفاضلة على الغالب منذ نشرها  
بزواج النبي (ص)

وان لنا - والحق يقال - حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن  
يعرفونا بشخص ممن مضى فيسكون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يقطونه  
ويجذبونها الى شيء آخر

على اني لا أنكر انه اذا سطت الشمس لا يبقى لبعض السراج  
مكان. فن ذا الذي يعلم ان هذه السيدة اتصلت بشمس الهدى « محمد »  
صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء أمّ الحسين ثم يرجع  
باحثاً عن ابنها ذاك من زوجها الاول ابي هالة ؟

لعمرك اذا وصلت يد يربتها الى هذا المقام تضاهلت امام نظرك كل  
ما تسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك الى الاطلاع على هذا الشأن  
الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رن الكون  
كله باسمه الشريف

فن هنا بدء الحياة العالما لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها  
في نوح الوجود ، وبدء إشراق مواهبها في سماه السمود ، أمامها الآن  
الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل ، وليفيض نوراً وسناء ،  
وليتبارك كلاً وبهاء

### ﴿ الخاتمة ﴾

#### ﴿ في ذكر آيات علمية من القرآن ﴾

قلنا إن القرآن الشريف لم يأت لتعليم الناس شيئاً من العلوم الطبيعية ولكن مع ذلك لم تخل آياته من التعبيرات الدقيقة العلمية ولا من الإشارة إلى حقائق كثيرة من المسائل الطبيعية مما يدل على أنه تنزيل العليم الحكيم فان هذه المسائل ما كانت معروفة لأحد في زمنه ولا يمكن لعربي أمي في ذلك الوقت أن يقف عليها لولا وحي الله . ولنذكر هنا شيئاً من هذه الآيات المشتملة على التعبيرات الدقيقة والمسائل العلمية الطبيعية

(١) قال الله تعالى (٧: ٥٧) وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقاهم ليل ليل فأنزلناه به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ) وقال أيضاً (٤٤: ٣٠) ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ٤٤ قلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعلبرة لاولي الابصار ) وفيه إشارة إلى أن البرق يتولد من السحاب وقوله ( من جبال فيها ) هو تشبيه لقطع الحساب العظيمة بالجبال لما بينهما من التشابه في الشكل وعدم الانتظام وعظم الحجم كما شبه أمواج الماء بالجبال في قوله ( وهي تجري بهم في موج كالجبال )

(٢) قال تعالى (٢٨: ٨٨) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفاعون ) وهو صريح في حركة الأرض . وليس ذلك في شأن القيامة فان قوله ( تحسبها جامدة ) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله ( صنع الله الذي أتقن كل شيء ) لا يناسب مقام الاهلاك والابادة . وقال أيضاً ( ٩١: ١٠ ) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها ) وهو أيضاً يشير إلى حركة الأرض

(٣) قال تعالى ( ٣٠:٣٠ ) أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ) وهو صريح في أن الأرض والكواكب كانت شيئاً واحداً ثم انفصل بعضها عن بعض وهو كقول العلماء الطبيعيين إنها كلها أجزاء انفصلت عن الشمس وكانت ملتهبة فصارت تبرد شيئاً فشيئاً وإلى ذلك يشير القرآن بقوله أيضاً ( ٤١:١١ ) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ) أي وهي ذات دخان لا تهاب أجزاءها ولكون أجزائها في الحالة الغازية

(٤) قال الله تعالى ( ١٣:٣ ) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ) وهو صريح في أن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وهو أمر لم يعرف إلا من عهد قريب . والقرآن نفسه هو الذي فسر الزوجين بذلك في آية أخرى بقوله ( وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى )

(٥) قال الله تعالى ( ١٥:٢٢ ) وأرسلنا الرياح لواقح ) أي ملقحات للأشجار  
 (٦) قال الله تعالى ( ١٧:١٢ ) فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ) وهو يشير إلى أن القمر ( وهو آية الليل ) مظلم لذاته

(٧) قال الله تعالى ( ٣٦:٣٧ ) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ٣٨ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون )

(٨) قال الله تعالى ( ٣٩:٢١ ) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ) الآية

قل لي بأبيك أي عربي أمي يعرف هذه المسائل أو تخطر له على بال وخصوصاً في تلك الأزمان التي كان فيها أعلم العلماء في أرقى البلاد يجمل بعض هذه الحقائق المذكورة في القرآن كدوران الأرض وكون جميع السيارات منفصلة عن أصل



واحد وأنها كانت دخانا . وأن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأُنثى وأن الرياح هي التي تلقحها إلى غير ذلك من دقائق المسائل العلمية الطبيعية . وكلها دلائل على أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل هو تنزيل من الله العليم الحكيم  
الدكتور محمد توفيق صدقي

## باب المناظرة والمراسلة

٤

### ﴿ بحث العمل بأحاديث الآحاد والحديث المتواتر ﴾

ولنعمد فنقول التواتر هو وان كان من الطرق المفيدة للعلم اذا وجد الا ان لا ينحصر افادة العلم بالأخبار فيه كما ان لا نلزم به كل أحد قبل ان يعرف انه متواتر اذا لم يقصر في الطلب او كان معذوراً لبعده عن أهله  
قال حضرة الدكتور لم يتواتر من اقواله (ص) الا القليل الذي لا شيء فيه من احكام الدين

اقول ما ذكره غير مسلم والتواتر هو ما نقله جمع عن جمع يبعد تواطؤهم على الكذب أي عن محسوس وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعيين هذا الجمع . وبناء على تعيين الجمع فيما نظن قال بعضهم بندرة وعزلة التواتر في الاحاديث النبوية . وهذا اول ما يقال في الاعتذار عن ابن الصلاح في قوله بذلك

قال السيوطي نقلاً عن شيخ الاسلام ان قول ابن الصلاح نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق واحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لابعاد العادة ان يتواطؤوا على الكذب او يجعل منهم اتفاقاً — قال ومن احسن ما يقرر به كون التواتر موجوداً وجوداً كثرة في الاحاديث ان الكتب المشهورة (أي التواترة عن مؤلفها) بأيدي الناس شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها الى مؤلفها اذا اجتمعت (اي او اجتمع بعضها كما قال ذلك جمهور اهل الحديث) على حديث وتعددت طرقه تعدداً

تحميل العادة تواطؤهم على الكذب افاد العلم اليقيني بصحته الى قائله - قال ومثل ذلك في الحُتَب المشهورة كثير . اهـ

واقول أيضاً ان من مجرد عن التعصب والتقليد لا تخفى عليه الحقيقة المنشودة في هذا الباب . وبما قدمناه وما يأتي يظهر للمُنصف مكانة الخبير الذي ينقله آحاد ثقات قد عرفوا بقوة الحفظ والذكاء والعدالة والورع والتقوى وعرفوا ان الكذب على رسول الله (ص) ليس ككذب على احد وان من كذب عليه متعمداً يتبوأ مقصده من النار اعتقدوا ذلك وهم بالصفات التي عرفت وتحمّلوا من الرواية ما اعتقدوا وجوب العمل به ثم وجوب تأديته لغيرهم كالأمانة وقد علموا ما في الخيانة من الوعيد والترهيب عن كتم العلم

فاذا إتصل سند الخبر بمثل من ذكرناه فهو فيما نعتقد مفيد للعلم اي يبعد ! يمنع العقل عن مثل من نعتاه الكذب عادة ورب رجل يعدل رجلاً - فان قيل سلمنا ان من كان مثل هذا يبعد منه الكذب عادة الا انه لا يؤمن عليه النسيان قلت قد علم من عادة المحدثين كتابة ماسمه هو وعلى الاقل للمراجعة الى وقت التأدية وهم لا يعتمدون على المكتوبات الا ما كان موثوقاً به ومحفوظاً بغاية الاحتياط ولا يقبلون المكتوبات التي لا يدري حالها وان كان كاتبها ثقة - وهذا اكبر دليل على ان ما عندهم من الاخبار اصح ما وجد من الاخبار في العالم بعد كتاب الله - وانما كان تواتر القرآن مقدماً على كل خبر لانه نقل بمثل هذه الاسانيد اليقينية متواترة - على انا نستبعد عادة ان الراوي الذي ذكرنا صفاته يحدث بما نسيه اذ لو فعل ذلك لم يكن بالمرتبة التي ذكرناها لا سيما في احاديث الاحكام والاعمال لشدة حاجته وحاجة معاصريه الى العمل بها - على أنه اذا نسي ذلك لا يحدث به وان حدث فانه يذكر اللفظ بالشك . ويبعد كل البعد ان ينسى نسيانه لذلك وابعد من ذلك ان لا يوجد هذا الحديث عند غيره

على انه لو فرض وقوع ذلك وهو غاية التدور فلا نسلم ان ذلك يضر في الدين اذ قد اغتفر ذلك أي النسيان والخطاء فيما حاجة الناس اليه اكثر وفيما وجب فيه زيادة الاحتياط وهما فيه اشد ضرراً وفيما هو سبب للضرر بلا واسطة وذلك

في القضاء لان أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته من الآخر فليضر الحاكم ان يحكم بخلاف الواقع في هذه الحالة اذا لم يقصر فلأن يتمر ذلك في الرواية اولى لكون الضرر منها ان وجد لا يكون هو السبب المباشر للضرر غالباً . فبين بذلك ان ما عسى ان يطعن به في الرواية التي وصفناها مع كونه لا يضر في الدين هو بناء شاذ على شاذ على شاذ كل منها يبعد وقوعه عادة — بل هو اولى بالوثوق من خبر الجمع الفسقة غير الموثقين الذين يقال في خبرهم يمنع او يبعد العقل تواطؤهم على الكذب عادة . فبعد الكذب عن ذكرناه اكثر من بعده عن جمع التواتر الذي ذكره وحيث كان الاصل في جميع العلوم سواء كانت تصورية او تصديقية هو ما ادركه الشخص بأحد مشاعره الظاهرة أو الباطنة أو ما دل العقل عليه أو الوحي السماوي وهذا الاخير لا يكون الا علماً حقاً دائماً وما تقدمه يتناوت الناس فيه تفاوتاً لا يحصره حد فقد صح ادينا عن المتقدمين وشهدنا ورأينا ما لا يحصى في زماننا انه قد تصحح الجماعات ما يعدونه علماً لديهم بتطبيقه على معلومات فرد واحد بل قد يتبين فساد معتقدهم في جانب معلومات الفرد الواحد — وذلك دليل واضح على ان الفرد الواحد الممتاز بالكمال في صفاته وعاداته يعادل بل يرجح بالافراد الكثيرين من نبي نوعه

ونحن ايضاً نرى الشخص المنصف قد يتهم نفسه فيما سمعه بأذنه اذا خالفه فيه من يعتقد انه احفظ منه فمثل هذا المنصف اذا اتهم نفسه فيما سمعه بأذن نفسه وقدم على ذلك خبر الممتاز الذي ذكرناه قد يبعد كل البعد ان يقدم على خبر سمعه بنفسه خبر الكثيرين غير العدول — وهل يمكن ان يقال ما علمه الانسان وسمعه لا يسمى علماً لجواز زواله بالنسيان؛ فبين بطلان الخبر أو العلم بعد اعتقاد ثبوته هو عندنا يضارع زوال العلم بالنسيان

وايضا احتمال النسيان في الخبر مع الذهول عنه كما انه لا يضر الخبر وهو علم في حقه ما لم يتذكر انه نسيه فكذلك لا يضر الخبر بالفتح اذا كان الخبر بالكسر بالصفات التي ذكرناها

ان خبر الأحاد قد اتفق على اعتباره جميع البشر كما هو مشاهد واعتبرته

الكاب السماوية في شراؤها وانباء الله ورسله في التبليغ عنه والله ورسوله امر الأمة أن يلفوا عنها جماً وفرادى وعبارة أخرى كل فرد فرد من الأمة مأمور بالتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكليم الله موسى بن عمران عليه السلام ترك بلد من أمره الله بانذارهم وخرج من بين أظهرهم الى مدين معتمدا على خبر الواحد . واثني الله على من احتج بخبر الواحد كوا من آل فرعون الى غير ذلك مما لا يكفي بسطه المجلدات .

كل ذلك معلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر فكيف يصح قول حضرة الدكتور لا يجب العمل بخبر الآاا مطلقا ومن ثم قال الامام احمد رحمه الله إن خبر الآاا الصحيح يفيد العلم و بهقال داود الظاهري والكرائسي والمحاسبي وحكي هذا عن مالك بن أنس

فان قيل ان الجمهور قائلون بأن خبر الآاا يفيد الظن . قلنا أولاً اذا كان غرض الباحث مقصوراً على طلب الحق وهو ضالته فلا محل لهذا الاعتراض من أصله على انه يمتثل ان يكون قولهم « خبر الآاا يفيد الظن » قضية مبهمة أي وهي في قوة الجزئية (١) وبهذا الاعتبار يكون بعض أخبار الآاا قد يفيد العلم

وأيضاً المعروف من مذهب الجمهور ان المشهور والمستفيض لا يجري فيه الخلاف وذهبوا أيضاً الى ان خبر الآاا يفيد العلم اذا تلقته الأمة بالقبول بحيث يكونون بين عامل به ومتأول له لأن التأويل فرع القبول وجعلوا من هذا القسم احاديث الصحيحين - بل أكثر احاديث ما صنف فيما يحتج به من الكتب التي صفت في الصراح والحسان لانخبار الحسان بتعدد الطرق - ولا يهولنا ما قد تسمع به من التفرقة بين رجال الصحيح ورجال الحسن فان شرائطهم في رجال الحديث الحسن ربما لا يلفها من وسم بأعلا سمات الفضل والعدالة في زماننا هذا - يدلك على ذلك ما عرف عنهم من أقوالهم في الجرح حتى انهم قد يعدون احاديث من

(١) النار : أي هي بمعنى بعض خبر الآاا يفيد الظن . وفيه ان المتبادر من

الاضافة العموم الذي هو بمعنى الكلية وكلامهم صريح في هذا

سمع في بيته الفناء موضوعة - فان قيل ان هذا افراط قد يؤدي الى ضياع كثير من السنن. قلنا لكنه يدل على أن ما في أيديهم مما وسموه بالصحة والحسن منقذ ومبرأ من كل احتمال يؤدي الى عدم قبوله - على أن لا نسلم انحصار وجود ذلك عند من تركوه بل يجوز وجود ذلك عند غيره من الثقات ان كان هو من السنة في نفس الأمر وان كان مكذوباً فلا حاجة لهم ولا لنا به

ان أحاديث الكتب المشهورة عن مؤلفيها فيما يحتاج به من السنن النبوية قد عرفت الأمة بأسرها صحتها أو حسناتها لتعدد الطرق وصارت مقبولة عند الكل وأكثرها قد جمعت ودونت في عهد التابعين أو تابعيهم أما مجرد الكتابة بلا ترتيب للمل أو للحفظ فقد كان في زمن الصحابة (رض) كما ثبت ذلك من طرق عديدة وعليه فما قرروا صحته فقد اتفقت الأمة على قبوله اذ كانوا بين عامل به ومطأول وهو فيد العلم لان سكوتهم عن الطعن فيما هو كهذا بل قبولهم له يدل على معرفة كل واحد من العاملين به أو التأولين له بصحته وهم في كل طريق وطبقة عدد كثير لا يجوز العقل تواطهم على الكذب عادة -

وأيضاً يدل ذلك على ان هناك طرقاً ممضدة كثيرة ألجأهم الى عدم الردولها نرى من لم يلتزم ذلك بالمعمل عدل الى التأويل - وان ما هذه حاله لا يبعد ان يقول انه اعلا من بعض أنواع المتواتر - وما ذكرناه معلوم ان عرف حال المحدثين واحتياطهم في رواية السنة -

الاراهم قد عمدوا حتى الى جميع ماشاع على السنة العوام مما نسب الى النبي (ص) ثم صرحوا بتزييف الزائف وما له أصل رده الى أصله فما بالك وما رأيك فيهم اذا وجدوا مالا يصح مكتوباً في كتب الهداية؟ اراهم يسكتون عليه وقد عرف من عادتهم ان ما في اسناده ولو مجهول واحد لا يحتاج به عندهم؟ ان أهل الحديث لا يعتبرون رواية من انحطت درجته عن مرتبة رجال الحسن لا اعتقادهم ان كثرة الكذابين ونحوهم لا يزيدون الخبر الا وهناً -

لو كانوا يأخذون برواية كل من روى حتى الكذابين والفسقة والكفار كما هي عادة التواترية لبلغ رواية كل حديث من أحاديث الاحكام في كل طبقة الى

حد الكثرة التي يعتبرها التواترية - فان كان أحد يشك في قولنا فليتبع كتب الصحاح والحسان وكتب الأحاديث الضعيفة وكتب موضوعات الحديث وغيرها من كتب السير والمغازي والتواريخ المسندة والتفاسير وغيرها - انا لا أشك انه يجد أسانيد متعددة لكل حديث فاذا لم يتقيد بطريقة أهل الحديث في شرائط الرواية وجرى على طريقة التواترية فهو يجزم بان رجال هذه الأسانيد يصدتوا طوهم على الكذب - لا سيما اذا لاحظ من عمل بكل حديث من العلماء من عهد النبي (ص) الى حين كتابتها في كتب الحديث -

يقول التواترية ان خبر الآحاد يفيد الظن وقد قدمنا فساده ويرتبون على ذلك كبرى قياس من الشكل الأول وهي فكل ظن أو كل عمل بالظن فهو مذموم بنص القرآن وقد عرفت فساد الصغرى (١) والحق ان بعض الآحاد يفيد العلم

وأيضاً نحن لانسلم الكبرى كلية لأن القرآن انما دم الخرص وبعض الظن لقوله تعالى «ان بعض الظن إثم» وأيضاً ما ذكره الله من الظن المذموم انما هو الظن في تأسيس الشرائع بلا اعتماد على بينة من الله في ذلك ومن تتبع آيات القرآن في ذلك وجده انما ينتم هذا النوع من الظن أو ما هو في معناه كما قال تعالى قبل ذلك «هل عندكم من سلطان بهذا» وقوله «ما أنزل بها من سلطان» وقد يذمهم الله بمعارضتهم ما أنزل من الحق بهذا الظن الفاسد الذي لا يستند الى أصل صحيح كما يرد عليهم تعالى شأنه في قوله «ان الظن لا يضي من الحق شيئاً» وهذا لا يصدق على الاحاديث الصحاح ولو كانت آحاداً ولا على من يعمل بها ولو كان يعتقد ان ذلك من الظن اذ لا يصدق ولا نسلم انها من الظن المذموم اذ هؤلاء لم يعارضوا بها المقطوع اليقيني غاية ما في الباب ان بعض أهل الحديث أو أكثرهم قد جوزوا نسخ القرآن بأحاديث الاحاد الصحاح وقد قدمنا ان جمهورهم يقول ان بعض الآحاد تفيد العلم ومن كان هذا قوله فلا يراد عليه واما من يقول بان ذلك يفيد

(١) المناج: اي قولهم ان خبر الآحاد يفيد الظن . وهي المقدمة الاولى من

مقدمتي القياس اي الدليل

الظن فكذلك لا يراد عليه لانه يقول ان بقاء الحكم ظنياً والحكم المتأخر عنه في الحديث الصحيح أقوى وأرجح فهو انما أجاز نسخ الظن الضعيف بالظن القوي .  
ان من قال بأن جميع أخبار الآحاد تفيد الظن وان كل الظن مذموم عند الله وفي كتابه القرآن الكريم — لزمه ان القرآن متناقض متخالف وانه من عند غير الله لان الله أمر وأوجب الحكم بنجبر الآحاد وسماه عدلاً في قوله واذا « حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل — وكون الشيء هناك مذموماً وهنا عدلاً تناقض وخلف وهو في القرآن محال وما اتج المحال فهو مثله فزيم ان الذم لا يتناول خبر الآحاد حتى على التسليم بانه ظن فعلى كل تقدير خبر الآحاد الصحيح عدل واجب العمل به على كل من عرف انه صحيح والله أعلم

وايضا اطلاق الظن مقابلاً للعلم انما هو اصطلاح حادث مخالف لاصطلاح القرآن وعادته في محاوراته لان الله جل وعلا قد اطلق على العلم اسم الظن في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى حكاية عن الجن — وانا ظننا ان لن نعجز الله . وقوله اني ظننت اني ملائق حساية — وظنوا انهم احيط بهم — وظنوا انهم قد كذبوا — فظنوا انهم موافقوها الى غير ذلك مما اطلق فيه لفظ الظن والمراد به العلم فكذلك حملة القرآن من العلماء لا يبعد ان يطلقوا على العلم لفظ الظن كلهم او بعضهم من يقول منهم ان بعض الاحاديث الصحاح تفيد الظن يمكن ان يحمل قوله على ما ذكرنا على انا قد قدمنا انه لا تصدق على ذلك تلك الآيات الواردة في بعض الظن لعدم العلة الجامعة — وفوق ذلك تقول ان عملهم بالاخبار الصحاح انما هو من باب الاختبار والعمل باحسن الامرين او الامور التي انحصر الحق فيها وما ذلك الا لمرجح علموه لا ظنوه كما قال تعالى « اتبعوا احسن ما انزل اليكم — تتقبل منهم احسن ما عملوا — فيتبعون احسنه » الى غير ذلك فاذا تعارضت ادلة ولا سبيل للخروج عنها كلها لانحصار الحق فيها — والحالة ان الاتباع فرض لازم كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله » فيجب على العالم ان يجتهد واذا رجح احدها فهو انما يرجح بمرجح علمه لانه فلا يصح ان يقال ان هذا عمل بالظن حتى يقال انه مذموم

ثم قول للتواترية ان كل ما الزتم به متبعي حديث الآحاد الصحيح هو لازم لكم في تواتر كم بمعناه عندكم وزيادة على ذلك تتركب شاعات وفضائح لا يلتزمها الا من نفى يديه من دين الاسلام بل من سائر الاديان ونحن نرى حضرة الدكتور عن التزام ما يؤدي الى ذلك لما عرفنا من كتابته السابقة التي اعلن الرجوع عنها نعتقد انه انما يجب الحق واظهاره وانه عند تجليه له لا يتوانى عن قبوله بغاية السرور والبشاشة بل يظهر للملأ رجوعه وان ذلك لما يزيد عند كل منصف اجلالاً

### ﴿ بحث التواتر ﴾

ماهو التواتر؟ — هو غير معروف عند السلف من المسلمين وانما يعبرون عما كثرت روايته او ما روتها الجموع بالمشهور وهو عندهم كثيره لا بد من رواية الثقات له والا لم يكن مقبولاً

اما من عرف عنه التواتر فقد اختلفت عباراتهم في تفسيره ابي حده فمنهم من قال هو ما نقله جمع يحصل العلم بروايتهم ضرورة — ومنهم من قال خبر جمع عن محسوس يتمتع تواترهم على الكذب عادة من حيث كثرتهم — ثم اختلفوا هل يمكن تعيين جمع يكون اقل نصاب جمع التواتر فقال بعضهم اقله اربعة وقيل خمسة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر وقيل اربع عشرة مائة وقيل جميع الامة وقيل بحيث لا يجوزهم بلد ولا يحصرهم عدد والمرجح عند التواترين عدم تعيين عدد مخصوص وانما مداره عندهم على حصول العلم من حيث كثرة العدد تارة ومن حيث القرائن اخرى

اقول من احاط علماً بما ذكرناه من اختلافهم في هذا التواتر وفي شرائطه تحقق ان هذا شيء ليس من عند الله اذ لا يمكن القطع به ولا يمكن طرده ولا تطبيقه على كل ما في الاعيان من الوقائع طرداً على وتيرة واحدة بحيث يتفق عليه كافة الناس ويكون قاعدة يصح المرجع اليه لفصل النزاع —

يوضح ذلك انه يمكن على معتمد التواترية وقول جمهورهم ان يكون خبر اهل البلدة العظيمة متواتراً كباريس مثلاً واذا كان خبر الثلاثة والاربعة او الخمسة يصح



ان يكون متواترا بمعنى انه يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة والامتناع هذا يكون تارة لمجرد الكثرة اي بلا اعتبار قيد من القیود المعتبرة في الرواة عند اهل الرواية كالبلوغ وكال عقل والاسلام والعدالة الى غير ذلك . واذا كان الامر كذلك فاذا اخبر خمسة من الفجرة بخبر مثلا فنحن نناشد الله كل ذي عقل وبصيرة هل يحصل له العلم الضروري بخبرهم وهل يتمتع عنده تواطؤهم على الكذب لكونهم جمعا حتى لو كانوا كفارا فجرة اخبروا مرة دفعة واحدة ؟ فان كابر وقال نعم قلنا له وهل يجب ان يحصل لكل احد مثل علمك من خبر هؤلاء ؟ وهل تعد من خالفك مكابرا بدلا عن تكون انت المكابر ؟ نحن نستبعد ادعاء عاقل مثل هذه الدعاوي الباطلة

وكذلك نقول ان كل جمع يفرضه التواتر مفيدا للعلم من جهة انه جمع فقط لا بد ان يرد عليه ايراد صحيح يقضه الا انه في بعضها ايبين واظهر من بعض الا ترى ان اعلى ماملوا به لذلك هو قولهم كان يخبر اهل باريس بقتل او موت كبيرهم مثلا قالوا ان هذا يفيد العلم بسبب كثرتهم . ونحن نقول في الجواب عن ذلك هذا مثال واحد ولا يمكن وجود مثله دائما حتى يصح طرده في كل موضع مما يتنازع الناس فيه . ويقال فيه ايضا يمكن ان يكون افادة الخبر العلم في مثل هذا المثال انما كان لقرائن ككونهم اي اهل باريس ونحوهم لافائدة ولا تقصان ولا مضرة عليهم من اظهار مثل هذه الواقعة فصدقهم هنا انما هو للقرائن لا الكثرة لانا نجد الفرق بين مثل هذا المثال وبين خبر اهل باريس انفسهم فيما اذا كانوا محصورين بهساكر الانكليز مثلا فاخبروا بقدوم عساكر الروس الى بلدهم لامدادهم فهل خبرهم والحالة ما ذكرنا يفيد الصاكر المحاصرة العلم الضروري بحيث لا يتشوفون الى صحته ؟ وهل يمكن كذبهم والحالة هذه ام لا ؟ نحن لا نستبعد الكذب فضلا عن عدم امكانه حينئذ

فان قيل نحن نرى انفسنا مطمئة لا يتازعها شك في وجود البلدان النائية التي لم نرها ولا نرى سببا لذلك الا ما تواتر الينا من الاخبار بوجودها قلنا نعم والامر كذلك لكن لا يستلزم ان يكون سبب هذا العلم مجرد الكثرة

وان كانوا كفارا او فسقة فجارا بل لعل ذلك من الكثرة مع انضمام القران  
فان القران انواع واصناف لا يكاد يحصرها حد أو عد بل القران قد  
تقارن خبر الواحد الكاذب المعروف بكذبه وفسقه فيفيد خبره العلم اذا قارنته  
وايدته وهي تختلف باختلاف اما كن المخبرين وزمانهم ككونهم اخبروا دفعة او  
متفرقين وباختلاف حالهم من خوف وأمان وعسر ويسر وحب الاوطان والاقدام  
والفخر وارهاب ورجاء الى غير ذلك مما يهود على الأفراد بفائدة او نقص ولو  
بتوسط فائدة او نقص طوائفهم وائمتهم واقوامهم واطنائهم

ولما ذكرناه واضاف اضعافه مما لم نذكره وتيسر ذلك لو سلم صحته ولان  
تكليف العباد به تكليف لما لا يستطيع بل التزامه وحصر العلم الخبري فيه تعطيل  
لا كثر معارف البشر وإلغاء لا كثر الاحكام الديانات ان لم نقل لكلها واحراج  
للناس في جميع معاملاتهم ومعاشاتهم وموجب لتقاطعهم فردا فردا كالبهايم لم يجعل  
الله ذلك اصلا ولا قاعدة ولا مناطا لتحقيق شيء من الامور الدينية ولا الدنيوية  
ولا نبه عليه احد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولم نعرفه عن احد من السلف  
الصالح لا الصحابة ولا تابعيهم باحسان

فالحق عندنا ان اخبار الجموع لا تفيد العلم الا اذا ايدتها القران او شاركهم  
الثقات - وخبر الثقات التواتر هو اعلاها كتواتر القرآن الكريم - ثم خبر  
الاحاد الأثبات الضابطين بشر وطهم يفيد من عرف حالهم او حال من وتتهم العلم  
ويجب على من بلغه خبر عن المعصوم (ص) ان يبحث عن حاله وحال رواة فاذا  
وجدهم بالشروط المتبعة فلا يجوز له اهمال ذلك الخبر لاجل كونه لم يتواتر  
عرفت مما قدمناه كما هو اجماع المسلمين والله المستعان (لرسالة بقية)

## اهم الاخبار والآراء

( إعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان في الدولة العلية )

في صبيحة يوم الجمعة المبارك ٢٥ جمادى الآخرة صدرت الإرادة السلطانية بإعادة « مجلس المبعوثان » والأوامر من مقام الصدارة الى الولايات بالانتخاب. فشمّل الفرح والسرور جميع العثمانيين في دار السلطنة وجميع الولايات وفي جميع أقطار الأرض وعدوا هذا اليوم العظيم عيداً عاماً للأمة العثمانية على اختلاف مللها ولسانها. أما سبب نيل هذه الأمنية التي تشوف اليها العثمانيون من نحو ثلث قرن بعد ما سلبت منهم فهو التديير العظيم الذي قامت به جمعيات الأحرار العثمانيين في أوربا ومصر بعد اتحادها ودخول كبار ضباط الجيش المستنيرين فيها أوربا في ذلك في وقت آخر وما كاد نبأ البرق يوافي مصر بهذه البشرى حتى انبث فيها بين العثمانيين من الترك والسوريين والأرمن وغيرهم قأنشاً يهنيء بعضهم بعضاً والبشر يتدفق من وجوههم. ثم طاف جمهور منهم في الشوارع الكبيرة بالقرب من الأزبكية وهم يهتفون بالأناشيد العثمانية

ثم اجتمع مئات منهم في رحبة قهوة « اسبلاند دبار » وطلق يترنم بعضهم بالأناشيد والآخرون يصفقون لهم. وقام غير واحد منهم فخطبوا بالتركية وقام صاحب هذه المجلة فخطب بالعربية خطبة وجيزة صفق لها الجمهور من حملة الطرايش والبرانيط بهجة واستحساناً. كان موضوع الخطاب ان هذا اليوم عيد لجميع العثمانيين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم واجناسهم وان الفضل في نيلنا الدستور عائداً لساكني أحرارنا وجمعياتنا السياسية، وضباطنا ذوي البسالة والحمية، وانه يجدر بنا ممشر العثمانيين ان نفاخر جميع الأمم بنيل الدستور من غير ثورات داخلية تراق فيها دماء الألوف ويهلك فيها الحرث والنسل : وانه ينبغي لنا ان ننسى الماضي وان نعمل للمستقبل فنظير للأمم كلها اننا أهل لهذا النوع الرافق من الحكومة فيجب ان يتحدنا تركي والعربي والرومي والأرمني وسائر الاجناس العثمانية ويقوموا بالأعمال التي ترفع شأن البلاد على قواعد المحبة والمساواة...

وما قلته ايضاً انا نشكر للحضرة السلطانية المبادرة الى اجابة طلب الضباط  
الناطقين بلسان احرار الامة . فبطل التصفيق او قل عند ذكر السلطان وأشار كثير  
من الترك والأرمن اشارات الانكار

وفي يوم السبت التالي اجتمع في دار رفيق بك العظم جمهور عظيم من فضلاء  
العثمانيين المختلفين في الجنس المتحددين في العثمانية لأجل المذاكرة في تنظيم مظاهرة  
باعلان السرور وإرسال برقيات الشكر الى جمعيات الاحرار في أوروبا والى الاساتنة  
وقد كانت جمعية الشورى العثمانية قررت في يوم الاربعاء الماضي جمع اكثر هؤلاء  
الاحرار للمذاكرة في شؤون الثورة ومطالبة الصد الاعظم سعيد باشا بأن يختم  
تاريخه بمساعدة الامة على اعادة الدستور وجمع «مجلس المبعوثان» فلما بشرنا بالبرق  
في مساء يوم الجمعة بصدور الارادة السلطانية بذلك تحول مقصد الاجتماع الى ما ذكرنا  
اقترح الجمهور ان ترسل تهنئة برقية الى الامير صباح الدين داماد ( ابن اخت  
السلطان ) رئيس جمعيات الاحرار بباريس يشكر له فيها سعيه وسعي الاحرار ويكلفه  
فيها ان يبلغ نيازي بك رئيس الضباط الذين اظهروا الثورة العسكرية في مكودونية  
وإخوانه كنوري بك وانور بك شكرهم وسرورهم . ورسالة اخرى الى الصدر الأعظم  
فاقترح صاحب هذه المجلة إرسال رسالة خاصة الى السلطان . قلت : ان  
ضباطنا واحرارنا طلبوا والسلطان أعطى فنشكر له أنه قدر الحال حتى قدرها وبادر  
الى الاجابة ولم يضطر الجند الى سفك الدماء . فوافقني على هذا الاقتراح من حضر  
من السوريين اكثرهم بالقول وبعضهم بالسكوت . وعارضني اكثر الترك والأرمن  
وقال واحد من اشهر احرار الترك : انه لم يجب الطلب فضلاً واحساناً ولكنه اجابه  
بعد ان أشرعت في وجهه مئة وخمسون ألف حربة ( سنكه ) وقال بعض المعتدلين  
منهم لا بأس بأن يذكر في تعارف الصدر الاعظم تبليغ السلطان سرور العثمانيين  
وبعد طول البحث انتخب الجمهور لجنة منهم لتقرير ما يجب وجعلوا رئيسها اسماعيل  
حقي بك القائمقام العسكري ( لان الدستور رجع بقوة الجند ) فقررت ان تحتفل  
في احد دور التمثيل احتفالاً يخاطب فيه العثمانيون بالتركية والعريية والفرنسية

والارمنية والرومية . وان يعرض على الجمهور المحفل صورة رسالتين برقيتين إحداهما  
للأمير صباح الدين أفندي والثانية للصدر الأعظم وترسلان بعد إقراره عليهما . وقد  
بذل الحاضرون ما يلزم من النقود لاجل ذلك بغير اكتساب بل بمجرد الأريحية .  
وفي مساء ذلك اليوم اجتمع جمهور من المصريين في حديقة الأزبكية لاطهار السرور  
بنيل العثمانيين للدستور ومجلس النواب (المبعوثان) حضرنا هذا الاجتماع في اثنا عشر واقترح  
علينا حسين بك تيمور الذي دعا الى الاحتفال وبعض العثمانيين ان نخطب بالحاضرين  
خطبة تناسب المقام وكان جل اقوالهم إطراء للسلطان بأنه تفضل وتكرم بالدستور اي  
بغير علة ولا سبب ، ولا ثورة ولا طلب ، وان جيوشه منتشرة من منابع النيل الى  
سيلان !!! ثم رأينا الجرائد كتبت عن هذا الاحتفال فوصفته الجريدة والمقطم  
كما حصل وذكر اللواء عنه نبذة صغيرة معظمها كذب . وهذا ما جاء في الجريدة .

### مظاهرة في حديقة الأزبكية

اعلن حضرة حسين بك تيمور - انه سيخطب في حديقة الأزبكية نحو الساعة  
السادسة بعد ظهر أمس لاطهار السرور بمنحة الدستور لآخواننا العثمانيين . فبناء على  
هذا الاعلان توافد الناس من خاصة وعامة الى حديقة الأزبكية ولما وافت الساعة  
السادسة التفوا حول كوشك الموسيقى فافتتح الخطابة حضرة ربيع أفندي المدرس  
بالمدرسة التحضيرية فبسط كلمة عن فوائد الدستور ثم قال اننا نوئل البلوغ الى  
غايتنا من نيل المجلس النيابي وان طال علينا الأمد . ثم اختتم خطبته بالدعاء لجلالة  
السلطان والامة العثمانية والجناب العالي . وتلاه شاب يدعى الشيخ حسين الغزي  
من طلبة العلم في الأزهر الشريف فحذا حذو الخطيب الاول في الموضوع ثم تلاه  
حضرة الشيخ صادق عمران فتلا قصيدة يمدح بها جلالة السلطان والامة العثمانية  
ثم طلب جماعة من رجال الصحافة والادب الى حضرة الأستاذ العلامة السيد رشيد  
رضا صاحب مجلة المنار أن يتكلم في الموضوع كلمات تروي الغليل فأجاب دعوتهم  
واوتمى مكان الخطابة فقال ما خلاصته

« هذا اليوم هو عيد للعثمانيين عامة وعيد المسلمين خاصة فنه عيد بحكومة

الشورى التي يتمتع بخيرها العثمانيون كافة من جميع الملل والاجناس . وحكومة الشورى التي قررها الاسلام بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رددوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

مسائل الأمن والخوف من الامور العامة المتعلقة بسياسة الامة وإدارتها ولم يفوض القرآن الأمر فيه الى الرسول ( ص ) وحده وهو الامام المعصوم وصاحب الشريعة ومبلغها بل جعل الأمر فيها اليه وإلى أولي الأمر من الامة يديرونها بالشورى بينهم من هم أولوا الأمر ؟ زعم بعض المخرفين أو المخرفين ان أولي الأمر هم الملوك والسلاطين وهو زعم ظاهر البطلان فان الرسول لم يكن معه حين نزلت الآية ملوك وسلاطين وانما كان يستشير أولي الرأي والمكانة من الامة فهم أولوا الأمر بغير نزاع أفرايتم هذه الهداية إلى حكومة الشورى وسلطة الامة . هل يوجد عناية وتأکید في شريعة ودين أبلغ منها ؟ اذا كان رب العالمين لم يرض ان يكون خاتم رسله مستقلاً بآدارة الامور العامة دون أهل الرأي من أمته فكيف يرضى أو يشرع لغيره ممن هو دونه بذلك ؟

مع هذا كله لم تلبث حكومة الاسلام بعد الخلفاء الراشدين ان صارت شخصية استبدادية ولا نخوض في الكلام عن الماضي فانما غرضنا الكلام عن الحاضر تقلب الزمان ودالت الدول ودخل العالم الانساني في طور جديد فسبق غير المسلمين الى حكومة الشورى وكانت حكومة دولتنا العلية وهي شخصية على خطر بين الحكومات النيابية الشورية المجاورة لها ففكر بعض أصحاب العقول الكبيرة فيها من نحو نصف قرن في جعل الحكم بيد الامة وانفذوا ذلك من نحو ثلث قرن فوضعوا القانون الاساسي وأنشأوا « مجلس المبعوثان » الذي تعبرون عنه بمجلس النواب ولكن لم تلبث السلطة المطلقة ان استردت هذه المنحة أو هذا الحق منهم لو كانت الامة العثمانية في ذلك الوقت مستعدة للدستور استعدادها اليوم لما أمكن أخذها منها ولكنها لم تنله باستعداد الجمهور بل باستعداد أفراد من نابغي وزرائها أصحاب الادمغة الكبيرة والافكار البعيدة والفيرة الشديدة كمدجت باشا وخواجانه

لم يكن العقلاء في الأمة العثمانية يعدون على الاصابع فيموت الدستور بموتهم بل كان في الأمة كثير من أهل الثرية العالية والمعارف السامية ولكنهم لم يكونوا منبئين في الأمة كلها ولا مشتغلين بأشرب روحها معنى الحكم الذاتي

فلما رأوا أنفسهم قد سلبوا ما فيه سعادة الأمة وعزة الدولة وأنه لا سبيل إلى استرجاعه من الأعلى كما جاء أولاً بتدبير مدحت باشا وحسين عوني باشا وإخوانهم رأوا أن يطلبوه من جانب الأمة بتوجيه نفوس المتعلمين إليه فانشأوا الجمعيات السرية التي ظلت تسعى وتدأب وتصارع الصعوبات حتى أتبع لها الظفر الآز ونالت ما تتمناه « ولما بلغ هذا المقام من البيان التاريخي المفيد كبر على أناس لم يفقهوا قوله

فحدث شيء من الشعب واتقطع الخطيب عن الخطابة اه كلام الجريدة وأزيد على ما ذكرته الجريدة ما جاء في بعض الصحف وهو ان بعض المصريين صاح ليحي السلطان . لتسقط تركيا الفتاة . او حزب تركيا الفتاة . فصاح بصياحه جمهور من الحاضرين فاستاء من كان هناك من فضلاء الترك وغيرهم من العثمانيين وقال قائل منهم : يا شيخ رشيد لا تتكلم على هؤلاء الذين لا يفهمون . فما زادهم ذلك الاصيحا بسقوط تركيا الفتاة اي الأمة العثمانية في حياتها الدستورية الجديدة!!! وظنوا الجهلهم ان من لوازم حب السلطان ان يعيش على شيخوخته وضعفه عمر اطويلا بغير امة او بامة ميتة وجودها كالعدم فكذا يكون الاحتفال بالدستور!! اما العثمانيون الاخير فقد جعلوا موعد احتفالهم مساء يوم الثلاثاء غرة رجب وأن لا يذكر الخطباء فيه اسم السلطان بدم ولا مدح ولا تهنته ولا شكر عملا برأي السواد الاعظم وخلافا لرأي اكثر السوريين وهم العدد الاقل في جمهور المؤتمرين بالاحتفال وسند كر شيئاً عن الاحتفال في الجزء الآتي

أرسل اليها كثير من المحيين رسائل النهائي بنيل أمثال الدستور لعلمهم بما أصابنا من الاستبداد منها ما طار به البرق ومنها ما عدا به البريد، منها ما هو به وانا الخاص ومنها ما هو بوصف جمعية الشورى العثمانية . فنشكر لجميع المهتمين عاطفتهم الشريفة ونخص بالذكر لجنة الشورى العثمانية في البرازيل وربما ننشر شيئاً مما فيه العبرة والمائدة من تلك الرسائل

## الفصل العاشر\*)

محمد (عليه الصلاة والسلام) قبل تزوج خديجة

وإذا العناية صاحبت مرءاً فلا تكثر سؤالك فيه كيف ولم وما  
 ودع التردد إن أتاك حديثه مهما حوسك مهما نما مهما سما  
 لا تسأل كيف أبدع الإنسان من فتق الكواكب من رتق موادها،  
 وقدر مدارات لحر كآتها، ونظامات لتقابلها، وأنشأ منهن المقسمات ليلنا  
 ونهارنا، المدبرات صيفنا وشتاءنا، الناظرات في أحشائهن شملنا، المادئات  
 بنسائهن نسائتنا، وبأرواحهن كياننا، ولا تسأل لم خلق لنا الأرض جميعاً  
 نشرح أحشائها، ونقطع أوصالها، ونستخرج أفلاذها، قد حصرنا ما  
 على عظمها في يدنا، وحشرنا كل ما فيها في ذرات صغيرة من دماغنا، إن  
 شئنا نرفع من شأنها بما نركب من أجزائها، فيأتي منها من البدائع ما يدهش  
 الأبائنا، ويسحر أبصارنا، وإن شئنا لم نعبأ بها، واستشرفت نفوسنا إلى  
 غيرها، فاطلنا إلى مصادر الأرواح وموارد ما، ومشارك الأسرار  
 ومزاربها، وارتقمنا إلى ينابيع الكواكب ومظاهرها، وتلمسنا ثمة حياة لا  
 نحتاج فيها إلى ماء الأرض وهوائها، وترابها ونارها

ولا تسأل كيف تقاربت صورنا معشر الإنس وتباعدت حقائقنا،  
 ولم طالت آمالنا وأعمالنا، وقصرت آجالنا وأعمارنا، ولم جشمت نفوسنا  
 بتكثير الصور ثم شفقت كل نفس بأزواج منها، ونخالقنا في تمييزها وترجيح



بعضها على بعض، وتدابيراً في مناهج طلابها، وقاطنات في سبيل اكتسابها،  
ولم هذا البون في أنصباتنا، والفرق في صرامينا، والبعد في مدارجنا،  
والغبين في ممارجنا،

ولماذا منا أناس مع الكواكب مداركهم ساجحة في أفلاك الحقائق،  
وبروج الرقائق والدقائق، ومع الأنوار سيرهم منتشرة في سابق الدهور  
ولاحقها، وبادي الشعوب وحاضرها، وآخرون مع الديدان مشاعريهم دابة  
بين أوراق الآجام وأحطابها، أو تحت دخان القنار وقصبا، ومع العصف  
صورهم منظومة في احشاء الأواكل، ومندرجة في الأواخر مع اخوانهم  
الأوائل

لاتسأل عن هذا كله ان كانت قسك قد وقفت عند مطمأنها من  
معرفة الاول الآخر، الظاهر الباطن، ذي الحياة الازلية الساري  
مرها في الاكوان والوجودات، البادي خط جلالها وجمالها على لوح  
الآيات البينات، من الأشكال والتنوعات، ومن آياته أن خلقكم من  
تراب ثم إذا أنتم بشر تنثرون \* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم  
أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات  
لقوم يفكرون \* ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم  
والوانكم ان في ذلك لآيات للمالئين \* ومن آياته منامكم بالليل والنهار  
وابتغواكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون \* ومن آياته يريكم  
البرق خوفاً وطمأناً وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها  
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون \* ومن آياته أن قوم السماء والارض  
بأمرة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون

إذا وقفت نفسك عند هذا المطمان من المعرفة فلعلمها تصل بك إلى معرفة  
أن ذا الحياة الأزلية ذو حكمة ليس في وسع استعدادنا أن نحيط بأسرارها  
خبراً مهما حامت حولها آمال مدار كنا، ومهما طافت في سوح قدسها  
صوافي سرائرها، فأخلق بأحدنا أن يتذكر في هذه المساجح الفكرية عجز  
أجنحة عقولنا عن أن تصل بنا إلى مادون هذا السر الأعظم، ووقوعنا بنا  
في كثير من أشراك الأوهام في الوجودات التي هي تحت حسومنا،  
وفي جوار جسومنا ونفوسنا

وعسى أن ترقى بك هذه المعرفة إلى الاذعان بأن هذا الحي الأزلي  
الحكيم ذو عناية ربانية لا يحاسب على ما يختص بها ممن يشاء فله الأمر  
كله فيما يبيدي، ويصور، وله الحكمة فيما يتوع ويعير، منه كل شيء  
والله المآب

وإن كنت في ريب من الحكمة الأزلية، والعناية السرمدية، فدع نفسك  
واقفة ماشاءت في عمة النبي، أو دائرة في سجن الشك، أو طائفة في  
جو الوم لا قرار لها. وإنما نحكي هنا للذين هم بربهم يؤمنون



سبق في العناية الأزلية أن تكون هداية شموب كثيرة إلى أقوم  
سبل الحياة على يد رجل من العرب يرتفع به اسمهم في العالمين وكان من  
هذا الشرف الذي أعتده الله للعرب أعظم نصيب لعبد المطلب الذي  
أخرج الله إنسان هذه الهداية من أولاده

كان عبد المطلب<sup>(١)</sup> من كبار أشراف قريش ورزق عشرة أولاد

«١» اسم عبد المطلب شيبية وتسميته بعبد المطلب حكاية وهي أن أباه هاشمياً

من الذكور وكان ابنه عبد الله أحبهم إليه فزوجه شريفة من شراف  
 قريش من بني زهرة تدعى آمنة فحلت منه وقيل أن تضع حملها توفي فلما  
 وضعت كفل وليدها جده وكان هذا الوليد المبارك «محمدًا» صاحب القرآن  
 فما أسعدك يا عبد المطلب أ كنت تدري وأنت في أبواب أبرهة  
 الجبشي تطلب منه رد ذلك القليل من الإبل الذي لك مما استاقه من إبل  
 مكة أن سيولد لك في هذا العام حفيد تشي أعناق الملوك في الاجيال المقبلة  
 خاصةً لذكركه

أ كنت تفكر إذ قصارى أمك حفظ مقامك بين قومك المنقطعين  
 في تلك البرية ان اسك سترن به المحافل في الامصار النائية والشعوب  
 المختلفة على مدى عصور كثيرة كلما ذكر نسب حفيدك العظيم الذي أعنته الله  
 لنصب يتبعه من أجله العالم ويبقى ذكره فيهم الى الابد  
 أخطر على قلبك أن بلدك المقدس الذي لم يكن يحج اليه الا العرب  
 ستحج اليه كل شعوب الارض اتباعاً لما جاءهم به حفيدك من الهداية  
 أ جاء في خلدك ان كنتك آمنة الزهرية انما ولدت من يشرف الله  
 به قومك ويجمع به كلمتهم ويولي سلطانهم وينشر لغتهم ويقوم لهم مجدّامع  
 الدهر مذكوراً، وفي كتاب العالم مسطوراً

= كان قد تزوج أمه من بني النجار في « يثرب » ( المدينة ) فلما ولدته تركه عندها  
 حتى كبر وكان هاشم تاجراً نخرج تجارة الى الشام فأت في « غزة » فذهب أخوه  
 المطلب بن عبد مناف ليأتي ابن أخيه فأبى والدته أن تعطيه إياه حتى أقامها بأن اقامته  
 في بلده وبين قومه وعشيرته خير له ولا جاء به كان مردفه خافه على يبر فظنت  
 فريش انه عبد ابتاعه فقالوا عبد المطلب وقال لهم المطلب وبمحكم انما هو ابن أخي  
 هاشم قدمت به من المدينة ولكن ذاعت كلمة عبد المطلب فاشتهر بها وصارت كأنها علم له

هل كنت ملها اذ سميته محمدا؟ وكنت على رجاء كبير بأن يقيم له  
المالون تحميدا لا ينقطع، وتجيذا لا يزول؟  
أعرفت أنك بحفظك هذا اليتيم وكفالتك اياه وعنايتك به إنما  
كنت تحفظ للعالم كله التحفة التي آتاهم الله من كرمه، والوديعة القدوسية  
التي اختص الله بيتك لظهورها، وقومك لا تتشاور مبداء نورها  
فأنت بما أوتيت من هذه السعادة الخالدة جدير ايها المخصوص بعناية  
الحي الأزلي، فليدم ذكرك جمالا للمحافل واسمك ساميا مع امم حفيدك  
نبي الشعوب وبركة العالم

كانت ولادة محمد في القرن السادس من ميلاد المسيح عليهما  
الصلاة والسلام اي حوالي سنة سبعين وخمسة مائة منه وحوالي السنة الثامنة  
والأربعين من ملك كسرى انوشروان . ولم يكن قومه يعرفون سني  
الامم وتواريخها ولا سني انفسهم وانما كانوا يحفظون الأعمار ويوقنون آجال  
الأشياء بالوقائع الشهيرة والحوادث العظيمة كما هو شأن الاميين الى عهدنا  
ولدعاهم الفيل وهي سنة اشتهرت بهذا الاسم لوقوع حادثة فيها عتدم تدور  
صفوة حكايتها على حزن فيل القائد النجاشي وابائه المسير لقاء مكة لذلك سميت  
بهذا الاسم . وحادثة الفيل شديدة الشهرة ويصح ان نقول انها من التاريخ  
المقدس عند المسلمين أي انها ذكرت في القرآن ولكن على اسلوبه في  
القصص التي يذكرها لاجل العبرة فقط لا على اسلوب المؤرخين ونقله الاخبار  
وقد اعطي لرضعة على عانة قريش في اعطائهم الأ ولاد للمراضع  
من القبائل النازلة قرب مكة ابتغاء ان تتربى أجسامهم في البادية حيث  
الارض النظيفة قد كسيت من الازهار أبدع التمارق الطبيعية، والنسائم  
( المآرج ٦ ) ( ٦٠ ) ( المجلد الحادي عشر )

متحملة من ذلك المير تهديه الى النفوس رائحة وغادية

اذا بزغ رأس النهار أرسل الى أفئدة أهل النشاط روحاً مبشراً بطيب  
عقبى العمل، وسوء منقلب الكسل، وكأز بينه وبين سكان البراري وساسة  
الأنعام عهداً أن لا يقبل بطلته الباسمة الا وهم مستقبليه بالتحيات الطيبات  
من مباسم همهم، وتثور اجتهادهم، ورافعون اليه آيات الشكر على ماله من  
الايادي البيضاء في اخضرار عيشهم، وايضا وجوه آمالهم

بزغ التجر يوماً على نسنتين في أباطح تهامة قد أسفر عليهما  
البشر، وتقدت النبطة من أعماق جوانحهما الى أسارير وجهيهما، ولم يكن  
ذلك الانس والبشر لما حولهما من مجالي عرائس الطبيعة لان السماء كانت  
شحيحة عليهم تلك السنة فلم تترع حياضهم، ولا أوقفت رياضهم، ولو لم يكن  
الوادي لهم القليل مما أغثوا به مرة لقتلهم الظأ - ولا لما حولهما من وافر الرزق  
وسابغ النعم لانهم لم يكونا يملكان الاثنيات قد جارت عليها السنة، وقتلها الجهد  
والجدب، ولكن كان ذلك السرور بنعمة جديدة أصاباها فلاتهما فرحاً،  
وأشبهتهما ابتهاجاً، ولم يكونا يفتران عن هذا الحديث الذي كانا يتمذيان به  
صباح مساء، ويجددان به شكرياً على هذه النعماء، وهذا ما كانا يتحدثان به :

- حقاً يا حليلة انك قد جئتنا بتحفة سنوية ونسمة مباركة

- أي والله يا حارث وانظر ما أجمله، انظر الى هذه الاشجار الهدب،

انظر الى هذه العيون الدعج، انظر الى هذا الجبين الازهر، انظر ما أبهى

انعكاس هذا الضياء المقبل من الشرق على مرآة هذا الجبين

كان هذا الحديث يجري بين امرأة وزوجها من قبيلة بني سعد صبيحة

يوم كانا قبله في مكة وكانت هذه المرأة هي التي جاءت بحفيد عبد المطلب

لترضعه وقد حدثت هي حديثها كيف جاءت به وكيف رأت من بركته قالت  
خرجت مع زوجي وابن لي صغير على أتان لي قراء<sup>(١)</sup> معاشارف<sup>(٢)</sup>  
لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من  
بكاؤه من الجوع ما في ندي ما يقبه ، وما في شارفنا ما يقبه ، وإبكتنا كنا  
نرجو الفيث والفرج ، فخرجت على أتاني تلك فلقد أذمت<sup>(٣)</sup> بالركب  
ضعفنا وعجفنا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة الا وقد عرض  
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك اننا  
كنا نرجو المروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع  
أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت  
رضيما غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي « والله اني لا أكره أن  
أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيما والله لا ذهبنا الى ذلك اليتيم فلا خذنه »  
قال لا عليك ان تملي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت  
اليه فأخذته وما حملني على اخذه الا اني لم أجد غيره . قالت فلما أخذته  
رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من  
ابن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام  
معه قبل ذلك . وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها حافل<sup>(٤)</sup> فحلب منهما ما  
شرب وشربت معه حتى انتهينا ربا وشبعا فبتنا بخير ليلة قالت . يقول صاحبي  
حين أصبحنا تملي والله يا دليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت  
والله اني لا رجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملة عليها معي فوالله

(١) القمرة بالنجم لوزن الى الحضرة أو يباع فيه كدرة . حمار أقره أتان قراء

(٢) « الشارف الدقة المسنة » (٣) أذمت بالركب أي حبستهم لا تقطاع سيرها من

تحتها أي هزلها وضمها « ٤ » حافل كثيرة اللبن

لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرم حتى ان صواحي ليقان لي  
«يا ابنة ابي ذؤيب ويحك اربعي علينا» أليست هذه أُناتك التي كنت  
خرجت عليها؟ فأقول لمن بلي والله انها لي. فيقن «والله ان لها شأنًا  
قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سمد وما أدلم أرضاً من أرض  
الله أجذب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به ممنا شباعاً ابناً  
فحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان  
الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي  
بنت ابي ذؤيب. فتروح أغنامهم جياً ما تبضّ بقطرة لبن وتروح غنمي  
شباعاً لبناً فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته  
وكان يشب شباعاً لا يشبه الغلمان»

فيا لك من سميدة يا حليلة اذ كتب لك ارضاع اليتيم الذي تربيته العناية  
الخاصة ولم يكشف لك من آمارها الا هذه البركة التي ملأت يديك وويلك من آيتها  
الراضع الفيات المرضات عن اليتيم التماساً لرضاء الذين لهم آباء. لقد فاقن  
الحظ وما الحظوظ بالاختيار، وعزاه لكم أيها اليتامى فقد عاش محمد العظيم يتيمًا  
\* \* \*

بعد ان ربي «محمد» (ص) في بني سمد عند السيدة حليلة جيه  
به الى أمه فذهبت به وهو ممسك بقوة وهو ابن ست سنين الى المدينة  
لتزيره اخواله من بني عدي بن التجار وفي عودتها الى مكة وفين في مكان  
يسمى الأباء. وكان عبد المطلب شديد العناية بحبيبه وتوسم فيه خلق  
الشأن فلما بلغ الثامنة من عمره ودّعه، فمارقاً ذم الدار وأودعه في الجنب  
الآلهي الذي من لدنه وارادات البر والبركات الى هو والى ما نحن عليه

وقام مقامه ابنه ابو طالب شقيق عبد الله ابي النبي ( ص ) فأدخله  
في آل بيته وتمهد تربيته وتثيقه  
وكان أبو طالب امراً نبياً شهماً صادق المروءة، ماضي العزيمة، نصيراً  
للمعدل والانصاف . عرفنا كل ذلك فيه من تكليفه نفسه أقصى ما يمكن  
ان تكاف النفس في حماية ابن اخيه لما قام بالدعوة . ومن موافقه أمام قريش  
في نصره والذود عنه . وقد خلف ابو طالب أباه عبدالمطلب في المقام السامي  
بين قومه فكان ابن عبد الله يتنقل في يروج العز والسودد والسعادة في آفاق  
الشرف الهاشمي ، وتنطمع في جوهره الكريم صور البرو والمعدل والاحسان  
على مثال الخلال الشريفة التي كان يتجلى بها ذلك الرجل السامي التريفة ( أبو طالب )  
نحن قد رأينا من آثار العناية الازلية بذلك اليتيم العزيز ما يصح  
القول معها انه كان مستثنياً عن تربية أحد ولكن لماذا لا نقول ان اعداد  
ذلك المفاضل لتربيته في الصغر كان من جملة آثار العناية الفائقة به  
أما تربيته اياه التريفة الجسدية فقد كانت على غاية ما يتصور علماء  
الصحة ولذلك جاء من آثارها قوة جسدية لهذا المبارك لانظير لها وصار  
على صورة من الجمال كانت تجمل الذين يرونه يقولون لم تر مثله . ولا يتم  
الجمال الا بصحة البدن وهي انما تم بحسن التريفة الجسدية  
واما تربيته اياه التريفة العقلية فكانت جديرة أن يسجد أمامها فلاسفة  
النفس وأساطين العقل وهناك من آثارها قبل النبوة ما يجملنا في حيرة من  
أمر هذه القبيلة الصغيرة المبتددة في دارها عن مناشي ، الارتقاء العقلي ، ومناجم  
الإشراق النكري ، لا كتب يدرسونها ، ولا قوانين الممارف يرتبونها ،  
ولا شيء الاغرائطية يتوارثونها ، وقوا اعدامة يتناقلونها ، وحصافة أوتوها



في نقش أصح التجارب في المدارك، والاحتفاظ بأثبت الفوائد في الدواكر، وكذلك يفعلون في التربية الاخلاقية ينشئون التربية على دروس المشاهدة في مدارج العمل، ودروس القصد والاعتدال في مدارج الأمل، فيأتي من تلك السلائل التي لم تحتمها عدوى الاجيال الفاسدة نوابغ في العقول والاخلاق، أفذاذ في المهمة والاعمال، بطبع من المربين، ونقش من المثقفين، وذلك كان شأن أبي طالب ودأبه مع ابن أخيه العزيز، وربيبه النجيب، نشأ « محمد » ( صلوات الله عليه ) في أمثل التربية بأنواعها كلها على يد ذلك الفاضل العظيم فجاء منه رجل أحسن الناس خلقاً وخلقاً، أذكاهم عقلاً، وأزكاهم نفساً، وأصدقهم لساناً، أنداهم في العرف يداً، وأثبتهم في الأزم قلباً، أرحمهم للضعيف، وأشجعهم على القوي، أبرهم للقريب، وأعد لهم للبعيد، أقربهم الى المعروف سماعاً، وأبعدهم في الامور نظراً، أسددهم رأياً، وأشددهم اقداً، ألينهم للصاحب جانباً، وأكرمهم للخير صاحباً، وحسبك انه عرف منذ صباه بالأمين وما زال على هذا المنوال حتى أكرمه الله بذلك المنصب العظيم فزاده جمالا وجلالا وكالا والله أعلم حيث يجعل رسالته

نشأه ذلك المربي على كل ما يزين الرجال من الاعمال فلما كان ابن اثنتي عشرة سنة سار به الى الشام وكان أبو طالب تاجراً فأوقفه في هذا السفر على ما تسكن الارض وتعلمن من طبائع الاقاليم المنفيرة، وأحوال العالم المتحولة، نبي طريقهم من مكة الى الشام منازل أمم كانت فباتت كانوا على وجه الارض جمالاً لها فلما فسقوا عن السنن التي تحيا بها الامم شالت نعماتهم طراً، وطارت نعمتهم جميعاً، وأصبحوا كأن لم يكونوا « فلتك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا، وفي رؤية أمثال هذه المنازل الخلوية

أو المنتقلة الى غير أهلها عبرة عظيمة هي أجل ما في السفر من الفوائد. ولقد كان فيما أوحى الى هذا المنعم عليه بمدان صار نبيا قوله سبحانه «أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

وفي طريقهم هذه أوقفه عمه على قرى الشام ودساكرها، ومزارعها ومصانعها، ومتاجرها وحكومتها، وأراه كيف يكدر الناس جميعا لياكل ثمر منهم خبزهم بعرق جبينه، وليتمتع ثمر آخرون بثمرات تلك الارض الطيبة، ونفائس ما عملته تلك الايدي الثقفة، وكيف يعمل هذا لهذا في الاجتماع ليم قوامه، ويحفظ نظامه

ومر به على الاديار والصوامع حيث ينقطع ثمر آخرون عن المراحة في هذا الخطام الزائغ، متوجهة نفوسهم الى الوطن الذي يليق بالروح الغربية في هذا الهيكل الجسماني، غير ممدودة أيديهم الى شيء من هذه الارض الا الى ما بقي البدن من جوع وعري وذلك يتيسر ببعض حبوبها وأعشابها، وبمض أصواف حيوانها وأوبارها

في بعض تلك الاديار في «بصري» وقف به على الراهب «بحيرا» وكان على حظ عظيم من علم الفراسة أو الكهانة فأبأه بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم وأوصاه بمزيد العناية به

وفي هذه السفر مرة على أساليب التجارة، وأطلعه على ضروب البضاعة، وصنوف الاداة والماعون التي يتعاطى التجار تبادلها وكيف يحمل كل منهم من بلده ما لا يكون في غيره ثم يحمل الى بلده ما ليس فيه وكيف

يكون لهؤلاء الوسطاء في نقل حاج الناس من الفضل العظيم في ترقية  
البدائم الانسانية ما ليس لغيرهم  
فناهيك بما ملأ به أبو طالب ذهنه في هذه السياحة التجارية من  
صنوف المعارف وأنواع التجارب وفي درس كهذا من فوائد التربية العملية  
ما ليس في ألف درس من التربية الكتابية أو النظرية

ولما كان ابن أربع عشرة سنة أحضره معه في حرب الفجار وهي  
حرب هاجت بين قريش وبين قيس فرأى في هذه الواقعة كيف تعباً  
الصفوف، وتقابل الأبطال، وكيف يصبر الشجعان وان أودى بهم الصبر  
الى حتفهم، وكيف تكون نتائج الصبر وحسن التدبير في الحروب، وكيف  
عاقبة الذين تنقطع قلوبهم جنباً، وتخور عزائمهم جزعاً

ولم يباشر في هذه الحرب قتالاً وانما كان ينبل على أعمامه أي يناولهم  
النبيل أو يرد عنهم النبيل . وكان ذلك كافياً لتمرنه على مواطن النزال، ومواقف  
النضال، وليس يخاف ان الاخذ بيد الناشيء الى مماركة أبطال المبايعات،  
ثم مماركة أبطال المقاتلات والمقاتلات، هو أعظم الوسائل التي تجعله أهلاً  
للمقامات الملي بين الرجال، حتى اذا أتاه الله للاخذ بقوم الى سوح العز  
والسؤدد والصلاح والفلاح، كان نم الدليل الهادي، ونم السائق والحادي  
فلما بلغ خمساً وعشرين سنة عرضت عليه سيدتنا « خديجة » ان يخرج  
في تجارة لها الى الشام وتمطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار وأشار  
عليه عمه بقبول ذلك وطلب له أضافاً فرضيت وسار بتجارتهما مع الركب  
الى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه « ميسرة » فلما رجع بالبضائع اليها باعها  
فربحت أضافاً وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة « خديجة » معه

بؤني الحكمة من يشاه من بؤن الحكمة فقد أدنى  
خيرا كبيرا وما يدعك الا اولو الالباب

الله  
١٣١٥

بغير هادي الذي يستعز بالقول فينبور أحسن  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطرق

مصر - الخميس ٣٠ رجب ١٣٢٦ - ٢٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨

## فَتَاوَى الْمَبَانِي

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمنا قد منا متاخرا السبب كعاجبة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا . ولن نفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يدكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا عفا له

### ﴿ الرابطة عند النقشبندية وطاعة المرید لشیخه ﴾

(س ١٠) من ع . س . ط . في سنغافورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » المير بمصر قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الايام بين مجلة « الامام » بسنغافورة ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وأرباب السلوك وذلك بسبب السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولي الابصار أحيانا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جبهة صوت كل خطيب حيث قد امتلأت الاسماع تقيقا وأعمدة الجرائد سودا والقلوب شهبان فومل بسط الجواب وبيان الحق بأدائه ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كتبتهم سابقا في هذا الصدد فترجوكم ان لا نحيلونا على ما ليس بأيدينا أانا بكم الله .

أما السؤال المثير للجدال فهو : ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة النقشبندية المریدين ومعناها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة الشيخ في قلب المرید ثم يشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المرید نخلو قلبه من صورة الشيخ وان قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ) دليل ثم وقوله تعالى ( وابتغوا اليه الوسيلة ) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المرید عن اجابة أبيه وأمه المسلمين إذ

نادیاه ولو كان في التزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا ومات المريض حزیناً . ويقولون ان الشیخ یربی التلمیذ بذلك ومن السؤال أيضاً قولهم یجب علی التلمیذ متابعة شیخه بدون سؤال أو تردد ولا یجوز له ان یعرض علی شیخه ولو رآه علی فاحشة لانه کأنی المرسل بالنسبة الیه ولا ینکر علیه ولا یقبله وان عقوبة الانکار حینئذ الحرمان وواجبوا علی المرید ان یعتقد انه لا یمکن ان یصل الیه مدد ولا خیر من ربه الا بواسطة الشیخ لانه الوسيلة له . وللشیخ محلات للسلوك والتقیین یحشر الیها جملة من الرجال الشبان والنساء الثواب یجتمعون بها من غیر محرمة بل جلهم جهال بالواجبات العینة وان الذکر وحده كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك اکثر الفروض العینة . وقد اجابهم مجلة الامام بالمنع فی الجمیع وان تلك المبادی مما تبع ضلال الامة فیها من قبلهم من الامم وان بعضها فیه میل الی جانب الشرك وقد نقل الامام ما قاله المفسرون فی الرباط الشرعی والوسيلة الشرعیة وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فیها کمن نقص منها مبتدع مردود علیه قوله وان الرابطة بالمعنی المذكور فی السؤال لم یعلمها النبی احداً من اصحابه ولا علمها الصحابة احداً من التابعین وان تطهیر القلوب من الصور والتماثل لیس باولی من تطهیر محلات العبادة منها . وانه یحرم متابعة الشیخ فیما نهى الله عنه ولا طاعة لمخلوق فی معصية الخالق ومن شرع للعباد ما لم یأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طیب دینی هو نبینا محمد صلی الله علیه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اکل الله به الدین فلا دواء دینی نافع الا وقد ینه لنا ومن لم تشف أمراض قلبه ادویة القرآن لاشفی الله مرضه ، وان النبی ارشدنا الی دواء الوسواس وهو ذکر الله لیخنس الشیطان فمن لم یخنس شیطان وسواسه بذکر الله فهو الکاذب ومستحیل ان یخنس لحضور صورة شیطان مثله فی قلب موسوس متهوس وما فی السؤال من الآداب هو ضد الادب فی الاسلام ولم یؤدبنا به النبی ولم یعمل به الصحابة فعلى طالب الحق ان یلزم هدی محمد صلی الله علیه وعلى آله وصحبه وسلم ویجتنب البدع الی نحو ذلك .

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجيلاني واضرابهما اوجدوا الرابطة بمعناها المشروح اعلاه والزام المريـد بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريـد الشيخ ابي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكرا ام انثى وان الامام واصحابه خرجوا عن الدين ومرقوا منه بانكارهم الى نحو ذلك

واناسأل من المنار المنير ابداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي فانا الى ذلك محتاجون نهد الايام والساعات والله المسؤل ان يديمكم نفعا للعباد وشجى في حلق اهل البدع والالحاد آمين  
ع . س . ط

( س ١١ ) من س . س . في ( كوالا لمغور ) في جنوب ميلاي .

سيدي . تصدري سنغافوره مجلة علمية ملية بلغة الملايو اسمها ( الامام ) يكتب فيها بعض رجال الاصلاح ومحرمها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة شبان هذه البلاد علما وعملا اشهر اخيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين . وفي المجلة باب للفتوي وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة النقشبندية وهي احضار المريـد بصورة الشيخ في القلب عند الذكر و بربطه من جملة الارادة التامة واستفادة علم الواقعات حتى يفني تصرفه في تصرف الشيخ اخذا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » . وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقوله « يا أيها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . فأفتى الامام بان الأمرين بفعل هذه الرابطة والعالمين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة . وان الآيات التي جعلوها سندا لهم لا تدل على مرادهم البتة . ثم اورد اقوال المفسرين كالخازن والجلالين في الآيات المذكورة . الخ ما جاء في الجواب - ثم قال - اذا فاحضار المريـد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله . وهذا ما جاء الاسلام لمحوه . او ما معناه . ثم امحى على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل . واورد لفتي الرابطة آيتين آية . « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وآية « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . اه بالمعنى

فلما نشرت هذه الفتوى وهاتيه التصريحات التي لم يعهد لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للإمام ومحرره تضليل عباد الله الصالحين واوهموا العامة ان الأمام يسعى في هدم المعتقدات وهم الى الآن يحرضون العامة بهجر الامام وعدم الاطلاع فيه . اما الحقير وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتينا من عند الأستاذ بيان شاف في هذه المسئلة التي نعلم ويعلم الكثير ان لكم القدر المعلى في حلها والله يقيم لنا .

\*\*\*

(ج) لو قلت إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسئلة لرجوت ان اكون صادقاً ، واذا بينت السبب في ذلك رجوت ان يدعن له كل عاقل منصف ذلك بأنني قد سلكت الطريقة النقشبندية وعرفت الخفي والاخفي من لطائفها وأسرارها، ونخست بجر التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تهدف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت في الدين ، الى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت ان كل ما خالفه فهو ضلال ميين ، وأمهذ للفصل في المسئلة تمبيدا يقرب المراد من طالب الحق فأقول قد عرفنا من طباع البشر واخلاقهم ان يأفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا به فاذا وجدوا لهم مخالفا فيه تعصبوا له ووجهوا قواهم الى استنباط ما يؤيده ويثبت به ويدفع عنه هجمات المخالفين لم فيه لا يلتفتون في ذلك الى محري الحق واستبانة الصواب فيما تازعوا فيه . ولولا فشو هذا الخلق في الناس لما بقيت الاديان والمذاهب والأحزاب والشييع والحق في كل منها واحدا لا تعدد فيه ثم إن من اخلاق البشر أيضا ان لا يجتمعوا على شيء الا اذا اعتقدوا ان فيه خيرا لهم وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال او تجربة واختبار وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال على هاتين القاعدتين نبي التعصب المذاهب والطرق في جميع الممالى وعليه يتخرج أخذ كثير من اهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة النقشبندية وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في ذيرها من الخارق وبكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح



يذهب الرجل المشهور بالصلاح او العلي الى شيء يظهر له بحسب اجتهاده انه حق او خير فقتبه آخرون عن استحسان ما استحسنته ومعرفة بدليله او عن محض التقليد فاذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم متعصبين لهم تعصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولا يزاون مختلفين الا من رحم ربك وعم الدين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق فاذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه اتوا اليه مدعين، وقبلوه راضين مطمئنين اذا تدبرت هذا فاعلم ان أئمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسلك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الاصول والقواعد الا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها الى مرتبة اليقين بان ذلك مفيد لهم وموصل الى الغاية التي يقصدونها بطريقتهم . واعني بالعلم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشعورها ووجدانها وصفاتها واخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا علمهم الالهي عليها وكل منهما اذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ الى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف وقد يتحمل لذلك ويتكلف اذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا ان الافلاك التسعة في الهيئة اليونانية هي السموات والكروبي والعرش وكذلك فعل بعض اهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من تأويل الآيات التي زعموا أنها تدل على مشروعيتها ما يسمونه الرابطة والتوجه ولا دليل في شيء منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على ان ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والتابعين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لانه ما يتعلق بجوهر الدين وهو عبادة الله ومعرفة فلا يقاس على ما يمكن ان يستنبط من القرآن من اسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول

قال السيد الآلوسي القشيري في باب الاشارة من تفسير سورة الجمعة :  
 « وذكر بعضهم ان قوله تعالى « ويزكيتهم » بعد قوله سبحانه « يتلو عليهم آياته »  
 اشارة الى الافضة القلبية ، بعد الاشارة الى الافضة العقلية المسانية ، وقال بخصوصه  
 للاولياء المرشدين فيكون مرادهم بافضة الانوار على قلوبهم وحتى تخلف قلوبهم

وتزكو نفوسهم ، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة القشبنديّة ، وقالوا بالرابطة  
ليتها يبركتها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم لثبوت ذلك دليلاً يعول عليه عن  
الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل  
ما يذكرونه في هذه المسألة وبعدهونه دليلاً لا يخلو من قاذح بل أكثر تمسكاتهم  
فيها تشبه التمسك بجبال القمر ، ولولا خوف الاطّباب لذكرتها مع ما فيها . ومع  
هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين - التوجه والرابطة - وقد شاهدت ذلك  
من فضل الله عز وجل . وأيضا لا أدعي الجزم بصدق دليل في نفس الأمر وفوق  
كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليها من السادة وجد فيها ما يعول عليه ،  
أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وان كان  
للبحث فيه مجال ، ولأرباب أهال في أمره مقال ، « اه

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه  
الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لها على دليل ، ولم يرضه شيء  
بما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه  
ما وجد لها من الأثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فأتي قد وجدت  
أثر الرابطة والتوجه في نفسي : رأيت ما لم يراه معي الناظرون ، وسمعت ما لم يسمعه مثلي  
المصنفون ، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في المنار  
ولا الخوض في علله وأسبابه ، ما ذكرت هذه الإشارة الا ليعلم السالكون لهذه الطريقة  
بالفعل اني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئا عاداه » وانما اتكلم فيها  
عن عرفان ، وأحكم فيها بسلطان ،

أقول ان التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز ان يعدا من العبادة  
المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بهما ، وانما أخشى ان  
يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة تقلداً من غير علم بالشرع ، وعرفان بحقيقة النفس ،  
أقرب الى الوثنية منهم الى التوحيد ، فيما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن  
من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وان كنت لا أجيز رمي شخص معين به ،  
يمكن للمريد العارف بمقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحييل شيخه

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرته يراقب أديه وحضور قلبه في ذكره، كما يذكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرته، وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد قبل العمل، وإنما يصمد في ذلك إلى الله تعالى وحده. فمثل هذا لا يعد مشركاً لشيخه مع ربه، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة التخيلية عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مریده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ. ومع هذا لا يجوز له أن يحكم بأن هذا الأمر مطلوب في الشرع بل يكفي بأن ينتفع بما جره من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون أن لشيوخهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وانهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه يقرّبونهم إليه زلفى إذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها. على أن المسألة أصلاً يعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المفتونين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشرعية، ويعلم العارف المحقق أنه لا خلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال إلا الجهل

قد جرب أهل الطريقة أن يتوجهوا بهمتهم وأرادتهم إلى بعض شيوخهم الصالحين أو إلى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين أن تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما فيجدوا لذلك في نفوسهم أثراً حقيقياً لا يمكن لأحد أن يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الفهم والحزن. فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشرعية أنه مخالف لها فإنه يشك في حمية الشرعية ولا يشك فيما هو فيه إلا أن يجمع له بينهما. ومثل ذلك قالوا إن سالك الطريق عرضة للزيف والكفر إذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة أن هذا الأثر الذي يراه في نفسه من اتوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون إلا لله وحده وإذا رآه مرتقياً في سلوكه يبين له أن براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية، التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

الروحانية ، ولكنهم في توجههم ورباطتهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم ، ويعرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ، فالاشتغال بها كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء فان كان يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء لذاتها مما ينتفع به في هذه الحياة المادية كان مثله كمثل البرهي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسراره في خلقه كان مثله كمثل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ، فالأمور بالمقاصد والارادات ، كما ينال ذلك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ، اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو العارفين من الصوفية تبيين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بمجد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ، وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل ( ٤١ : ٥٣ ) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ٥٤ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط ) ولما كان محيطا بكل شيء كانت معرفة غاية كل شيء موصلة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان لله طرائق ، بعد انفس الخلائق ،

وهنا ثلاث مسائل لا بد من التصريح بها وايضاها ايضاها لالابس فيه . (احداها) ان كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قلبية لا صورية فلا يقال ان علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وضع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تلتبس لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة

(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واما البدعة التي تعتر بها الاحكام . ويقال ان منها ما هو حلال وما هو حرام ، فهي البدعة في أمور الدنيا علومها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها » الخ (المسألة الثالثة) ان جميع ما يتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والبرية والأعمال يشترط في جوازه ان لا يكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين . فاذا فرضنا ان التوجه والرابطة يتأفان ما هو مقطوع به في الاسلام فانه لا يحل للمسلم العمل بهما . وقد علمت انهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المتقصد . ومن هذه المسألة أتقل بك الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المرید شيخه ولو في المعصية ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خير الا بواسطة ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة يحكم الفقهاء بردة منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالحرب وتديريها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ما هو عن وحي وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه . والصفوة المحققون لا يشترطون على المرید الا حسن الظن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو المتقدمين ، أو من تهاون الشاخصين ، ولا يقولون ان عبادته لا تقبل ولا يصل اليه خير من غيره الا بواسطة شيخه من يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا بمراتبه . وهذا صحيح في الغالب .

ومن هذا ما يروى عن علي بن محمد « الامام » من « ان الجنيد والجيلاني وأضرابهما قد اتوا به في بعض الأحيان عند كل أحد يعرف ما هو الاسلام اذ من اتى به من خلق الله ان يوجب على عباد الله أمراً دينياً الا رسل

الله ياذن الله وهذا الغلو في إجلال المشهورين هو سبب التقليد منشأ فساد كل دين  
وإذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الاسلام ، فهي من أعظم  
المشكلات عند جهة العوام ، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الاسلام شيئاً  
سلطان على نفوسهم الا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج هؤلاء الا بتعليمهم  
ما هو الاسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الادب عند ذكر  
أهل العلم والتقوى وبيان انهم غير معصومين من الخطا وأن كثيراً مما ينقل عنهم  
لا تصح نسبه اليهم ، وأن افضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم اذا كان  
مخالفاً للشرع ، لا مخالفة الشرع اذا ادعى بعض الناس انهم خالفوه ، فان ذلك تقديم  
لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن ببيتهم وقصدتهم فيما اخطأ اجتهادهم فيه وان  
المجتهد المخطئ منهم يؤجر على اجتهاده ولكن لا يتابع عليه ،

وانتي اذكر شاهداً واحداً من خطأ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهادهم المتعلق  
بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي - الذي صرحت غير مرة بأن كتابه الاحياء كان  
استاذي الاول الذي حجب الي العلم والتصوف - ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غبارا  
من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم ان كل اجتهاد خالف الكتاب والسنة  
فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته ايام تصوفه يزور المشاهد وقال ان قبور الانبياء والصالحين  
تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة والتبرك ، فزاد على ما ورد في حديث الاذن  
بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني به ما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند  
زيارة المشاهد من الخشوع والحال التي تزيد رغبة في الآخرة واعراضاً عن  
الدنيا . واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالأبلة التي نحن  
بصدد البحث فيها بحديث « من بورك له في شيء فليزره » كأنه يقول انا وجدنا  
لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجد ان الدين في قلوبنا وذلك هو  
البركة لان معناها الزيادة وقد امرنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن  
عاملون بأمره في ذلك

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) ان الكلية ممنوعة فاننا لو جعلنا للانبياء والصالحين صوراً وتماثيل تمثل لناظرها هيآتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين اليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم والغزالي لا يميز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل فثبت انه لا يجوز لنا ان يحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لغرض صحيح وقصد حسن بل تتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الامة ونجمل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصوراً فيما فوض الينا من الاستقلال بأمور ديننا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدل به عليه من جعله في أمر الدين . إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الالسنه ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المتثرة من عزوه الى ابن ماجه بعد ايراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وانما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصحاب من شيء فليزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة . أقول وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأثبت عائشة أم المؤمنين فقلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لاتفعل مالك ولتجرك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » تقول له مالك ولتجرك القديم الذي تعودت الرج منه حتى تتركه وتقدم على ما تجبهه ؟ الزم مارأيت الرج فيه . ومعلوم ان الاوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كهذا الامر لا يعد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعاً وانما يسميه علماء الاصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومته في بابه على انه روي بلفظ « من

أصاب ما لا من شيء، كما هو ظاهر حاشية ابن ماجه، ولأن هناك دليلاً يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الأول. على أن في سنده فروة أبايونس عن هلال. قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الأزدي. ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه الإحياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الإحياء كثير من الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وإن اهتدى إلى حقيّة مذهب السلف قبل الانقطاع إلى الحديث وإذا كنا معشر المسلمين نعتقد أن الأولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم ونراهم يخالف بعضهم بعضاً ويرد بعضهم على بعض فهل يصح أن نجعل أقوالهم وأعمالهم أصلاً من أصول الدين وخلاصة القول أن التوجه والرابطة ليسا من عبادات الإسلام ولا دليل فيه على كونها مشروعين ومن جعلها عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٤٢: ٢١) أم لم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله في بيان أصول المحرمات (٧: ٣٣) وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وإن أئمة الصوفية المحققين لا يجعلونها من الدين وإنما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فهما عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الأرواح وفي كل منها لابد من الوساطة، وإن المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي إذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي فيها أن الشيوخ الأولياء بل والأنبياء لا يملكون لأنفسهم ولا للناس ضراً ولا نفعاً ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم عرفان وهو سر من أسرار التصوف أفشيناه للضرورة والأرشاد وإن يستعد مع تحسين الظن بهم أنهم ليسوا حجة في الدين وأنهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد أن يزداد نوراني هذه المباحث فلينظر جزء الترجمة من تاريخ الأستاذ الإمام فان فيه بياناً لا يجده في كتاب



### ﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

( من ١٢ ) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي » بسمبر (روسيا)  
 الفاضل الجليل والعالم النبيل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر  
 دمت بالعزيز والكرامة. اما بعد فقد كثرت المباحث والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا  
 فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه  
 أبو داود وابن مردويه والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله  
 عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض  
 لم يصلح ان يرى منها إلا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان  
 ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آئمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها  
 احدى عينها فحسبت لاندفاع الضرورة ( كذا ) أخذه القهستاني والزاهدي فالأموال  
 من سيادتكم ان يبين الحق من الأقوال لرفع النزاع من بين الناس

( ج ) حديث عائشة لا تنهض به الحجة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم  
 فيه والأصل في المسألة قوله تعالى (٤٤ : ٣١) ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها)  
 فقد روي عن ابن عباس انه قال : الظاهر منها الكحل والخدان وفي رواية عنه :  
 الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والظلمة . وعن سعيد ابن  
 جبير والضحاك : الوجه والكف . وعن عطاء : الكفان والوجه . وسئل الأوزاعي  
 عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال : الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن  
 جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال :  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال غني بذلك الوجه والكفان يدخل  
 في ذلك اذا كان كذلك الكحل والظلمة والسوار والخضاب . وانما قلنا ذلك أولى  
 الأقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في  
 صلاته وان للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا  
 ذلك من بدنهما الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

ذراعها الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً كان معلوماً بذلك ان لما ان تبدي من بدنهما ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره ، واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوماً انه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » يقول تعالى ذكره وليقين خمرهن وهو جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اهـ كلام ابن جرير

والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الخمار على رأسها وتسده الى الورا، فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يجعلن طرفه على الجيب ليستر العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلو لم يقل الا ما ظهر منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الاباحة فكيف وقد امر بستر الجيب ولم يأمر بستر الوجه! . وناهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كن يأتين المساجد ويغشين الاسواق ويسفن الجرحى في مواقع القتال ويخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام . فعلمن ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يسترنه منهن الا بعض نساء المدن وهي عادة حكمت بها غيرة الرجال عند ما دخل المسلمون في الحضارة وانعمسوا في الترف الذي يستازم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر الفقهاء علواً وجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال بخوف الفتنة وابتداء هذا البحث والخلاف في القرن الثاني هل يمكن لمكابر ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد الرسول (ص) في حياته ولا يراهن أحد؟ اذا كبر أحد نفسه وقال بحتمل ان الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهن يصلين وراهن ولم يخش ان يقال له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم وبعدها عند الانصراف كما هو ماثور مشهور - فهل يسفه نفسه ويقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسعي ووقوف بعرفة وجولان في أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام ان كشف المرأة

وجهاً في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحج من أول أشهره فتكون أكثر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحيثما حلت وهي مع الرجال في جميع الاعمال

ومن نظر الى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين رجحوا تحريم النظر الى الوجه والكفين يجند انهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الاول وانما علاوه بخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر الى وجه الأ مرد وعلاوه بتلك العلة ومن العجب ان امام الحرمين من الشافعية اعتر بمنع الحكماء النساء من الخروج في زمنه وظن ان عليه جميع المسلمين

قال الرهلي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمة النظر الى وجه المرأة وكفيها حتى عند الامن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقال في المهيات انه الصواب . وقال البقيني الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وما نقله الامام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاية لمن معارض لما حكاه القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وانما ذلك سنة وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية وحكاه المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه انه يحرم النظر الى المرأة المتقبة التي لا يرى منها غير عينيها ومحاجرها والى السجوز والمشوهة

وفي حاشية المقنع من كتب الخنابلة « لا يجوز له النظر الى الاجنية قصداً وهو المذهب . وقال القاضي يحرم النظر الى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر اليهما مع الكراهة اذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي . قال في الانصاف : وهذا الذي لا يسع الناس غيره خصوصاً للجيران والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريباً للفاسق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة . وبمثل هذا صرح الحنفية مع أن الجميع يروون عن أئمتهم ان الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك أقول مسألة الخوف من الفتنة العارضة أو سد ذريعتها لا يصح ان تجعل دليلاً لتفسير حكم من احكام الدين التي كان عليها السلف يحظر أو إباحة تغييراً مطلقاً كأن

يقال مثلا ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام بناء على ما يقولون به من فساد الزمان ومثله كشف المرأة وجبها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعا للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فاننا نمتنع عنه ما دامت المفسدة متوقعة

فحاصل الجواب ان كشف المرأة لوجبها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقره الاسلام بل اوجبه في الاحرام وادعاء حرمة في أصل الدين جنابة على الدين وتحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للحرج والعسر فيه وقد نفاها الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحمله من نساء الامصار من تعودنه أو من كفتهن الثروة مزاولة الاعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفهن لوجوهن لا تسلم على اطلاقها فاننا نعرف من نساء الفلاحين والبدو السافرات من تقطع بأنهن أبعد عن الريبة من نساء المدن المتقبات ، ولكن المرأة التي تعلم ان في كشف وجبها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

### ﴿ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ﴾

(س ١٣ و ١٤) من ج ١٠ . بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

جنبا لو تكرمتم بابداء معلوماتكم السديدة وآرائكم المفيدة عن السوائين الآتين وما ذلك الا جبا في الافادة والاستفادة .

١ - هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟  
مثلا اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين لدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتحتم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجود المغايرة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم ان يقوموا بالاحترام اللازم اتمبصر أو للحاكم اذا مر في الشوارع أو قابلوه في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يتشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم

بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاحتفالات بغير الملوك المسلمين .

٢ --- هل يجوز للسلام احترام شعائر غير الدينية أم لا ؟  
مثلا إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو مجازاة الشعب في عوائده الدينية هل له ان يفعل هذا أم يتمتع .  
هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خير مثلكم فترجو الإجابة اما عموميا في مجلتكم الزاهرة او خصوصا باسمي والسلام

( ج ) اما الاحتفالات والشعائر الوطنية فيباح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشمل على محرم في الاسلام كشراب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه النخب وأما الشعائر الدينية فلا يجوز للمسلم ان يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالي تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرؤوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولا يحضره الاسلام . فالمحذور في هذا المقام يرجع الى أمرين - أحدهما الايمان بما هو ممنوع في الاسلام كعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير أو دفع الشر منهم . وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمل المسلم لعهده رآه منهم هذا ما اتفق عليه الفقهاء فيما نعم ولعلنا نفضل القول في ذلك بعد

### ﴿ حديث علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل ﴾

( س ١٥ ) من احمد افندي محمد عطيه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افادتي عن هذا الحديث « علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو - وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومني عاطر التناء والشكر ( ج ) هو حديث موضوع تجدونه في كتب الموضوعات وذكره الخافض السيوطي في الدرر المنتثرة وقال لا أصل له ، والشيخ عبد الرحمن الديرعي في تميز الطيب من الخبيث وقال « قال الديرعي والزر كشي واين حجر إنه لا أصل له »

## باب المناظرة والمراسلة

٥

### ﴿ بحث العمل بالأحاديث القولية والأحاديث الفعلية ﴾

يقول حضرة الدكتور أما السنة القولية (الأحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى. ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور في التفرقة بين السنة القولية والسنة الفعلية؟ ولم لا يكون النسخ في الفعلية؟ وما الدليل على ذلك؟ اليس من المقرر والمسلم أن أصل كل تشريع إنما هو القول؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه إلى غير ذلك إلا بالقول؟ ألم يكن من المعلوم أن الأفعال تنطرقها احتمالات كثيرة إذا لم يقارنها البيان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها إلا به؟

يقول حضرة الدكتور «فبعضها نسخ بالقرآن» ويقال عليه أن نسخ السنة بالقرآن «قد قال الإمام الشافعي أنه لا يكون حتى حكى بعض الشافعية عنه أنه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الإمام في الرسالة «لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه» ثم قال -وهكذا سنترسل الله (ص) لا ينسخها إلا سنته» فإن جاز الاستدلال بقول الإمام هناك جاز هنا والأقلا في الموضوعين

وقوله «وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى» يقال عليه فهذه الأخرى النسخة هل هي معلومة أم لا وهل هذه هي المدونة عند أهل الحديث أم هي أحاديث غيرها؟ وابن هي؟ ومن أدراك بها فانك قد قررت أنك لا تقبل النسخ إلا أن تجد الله أو رسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ ويتقل لنا ذلك بالتواتر فهل أنصفت مناظريك؟ -

## ٥٢٢ العمل بالأحاديث . دعوى احتياج القرآن الى السنة ( المارج ٧ م ١١ )

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن »  
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم البينة  
عليها هو ولا غيره فان في السنن من الأحكام والآداب أضاف ما في القرآن وهي  
بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستغني  
عنها البشر ولو لا خوف الأطلالة لاتينا بجمل منها وبيننا ما لها وما عليها ومقدار الحاجة  
اليها فليتبع ذلك حضرته

بل نقول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنة أكثر من احتياج السنة اليه .  
يوضحه ان القرآن الكريم ذواوجه والسنة مينة المراد منه تارة وشارحة ومفسرة  
أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على ما فيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة  
حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتعودوا طاعته واتباعه كما أمر  
بذلك في كتابه وثلاث تجرهم الشبهات الى رد بيانه للكتاب الكريم . ولبسط ذلك  
محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة  
الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء بما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي فإين  
الدليل ؟ اما قوله تعليلا لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسألة  
النهي عن الكتابة والترخيص فيها هي مسألة لاتدل على نسخ السنن النبوية باحد  
الدلالات مطلقاً والقاريء يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحاً بالانكار  
على العمل بالظن فالتا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسمه ثم يعمد الى هدم  
القصور اليقينية فيرد جميع السنن ويلقي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في  
غير موضع من كتابه والأحاديث المتواترة لفظا ومعنى في وجوب اتباعه واتباع  
سننه . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الأمة ؟ ماله يرد ذلك كله بالحرص والتخمين  
الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصح ان يعتبره معتبر ؟ فليعتبر  
حضرته بمناقضته لنفسه بنفسه

إن أمر النهي عن الكتابة لم ينقل اليها متواترا بل قد اختلف في رفعه الى المعصوم (ص)  
وفي نسخه وقد عارضه ما هو اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

شرعها او انها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا انه نهى عنها لأجل ان تندثر السنن بطول الزمن . ان احدهذه الامور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح ان يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول ووجوب اتباع سننه معلوم بالضرورة من دين الاسلام — لا سيما اذا كان حديث النهي عن الكتابة معللا بعلة منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي او الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه العلة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف ان يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشبهه ذلك على الناظرين فظنوا انه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك — فالقول بان نهىهم عن كتابة العلم او الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن ان يأخذ اقوالهم في امر قد صرحوا بسببه ان يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما ارادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها . ثم تقول الحق ان الامور المطلقة يدور حكمها مع عللها وحيث زالت العلة زال الحكم وهوها خوف الالتباس بالمصحف فقد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالوجوب وهو الحق . هذا كله اذا سلمنا ان حديث النهي مرفوع وانه غير منسوخ . ومن اطلع على القاعدة الاصولية من انه اذا وقع التعارض بين دليلين احدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف ان الاجماع على كتابة السنن غير معارض لصح — لأنه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اغنى حديث النهي عن الكتابة واجاديت الامر والترخيص فيها تبقى البراءة الاصلية والاجماع ان لم تقل هو حجة فهو مؤيد لها

ونحن نسأل حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وباق ام لا ؟ فان قلت بالآخر فقد وافقتنا وحينئذ لا يصح لك الإلزام به . وان قلت بالاول لزمك ان تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل اولى من ذلك كله ان تمنع عن كتابة سائر العلوم



ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لاقتراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة مؤقتة - فان الاختلاف قد وقع في جميع القرآن وكتابه واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) قبل يسوغ ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن مؤقتة لا - لا - في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفاروق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بجمعها ولكنه خالفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يكن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الالتباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من أشار عليه منهم ان يفعل غير ما مضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المنصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكتاب الناس واتهما بهم على كتب شعنت بأراء مشايخهم واسلافهم حتى جعلوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالمعانية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متعبد بتلاوته وانه كلام الخالق غير مخلوق ونحو ذلك فهذا صحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها - فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الاله مما يخص الالهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الاثمار به وينهاهم عما لا يجب ان ينتهوا عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان اصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواته وافعاله وفيما شرع الله من الدين على لسانه فأرادة هذا منه (رض) أو منهم هو أمحل

المحال وحضرة الدكتور نجده ان يعني ذلك فمن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس بواجب وحرم ما ليس بحرام على الامة وانه يعلم ذلك ويعتقده او ان اصحابه يعتقدون ذلك او انهم لم يأثموا به الخ فخطؤه فوق كل خطأ واقترائه فوق كل اقتراء ومع ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته — هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النهي عنها أو انها لم تكتب مدونة مرتبة؟ قد قد منا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف في رفعه وسبب النهي منصوص كما قد مناه مع معارضته لما هو اصح منه فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا لآيات الكثيرة القرآنية المصرحة بوجوب ولزوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا ينازع احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانها أي طاعة الله واجبة علينا كما هي واجبة على اول الامة

لكننا نرى القرآن مصرحا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص) وهل طاعة الرسول (ص) الا الا التماس بامر والانتهاز لنهيه والا لم تكن له طاعة وقد عرفت ثبوتها وادل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لا تكون الا في سنته القولية كما قال تعالى « وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شيذا » من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفا » اما الاتباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والقولية معا يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتباع احد وطاعته لا يمكنه ان يعبر عن ذلك باكثر وأوضح ما يعبر الله به في وجوب اتباع رسوله محمد (ص) فان كان ذلك قابلا للتشكيك نزم ان لا يوجد في العامة خبر يوثق به وبدلته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه بن قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر باتباعه وتارة يأمر بالتحاكم اليه ويجعل ذلك من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعدم وجدان الحرج — وتارة يأمر بالتأسي به وتارة يقول « وانا انما كم الرسول فخذوه وما نبيكم عنه فاتهوا » وتارة

يظننا بأنه المبلغ عنه المؤمن وتارة ينسب التحليل والتحريم إليه (ص) ثم نراه  
 ينه في محل آخر بأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - وتارة يأمره  
 أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله - وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله  
 فاتبعوني يحبكم الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدما على طاعتهم بحجة الله وبأبواب  
 لمحبة الله لهم وهذا لا يمكن ان يخص بقوم دون قوم وزمان دون زمان - وتارة ينهى  
 عن التقدم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره - وتارة  
 ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهى عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرأه  
 الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبطللة للصلاة وتارة وتارة يحذر عن  
 مخالفتهم أمره « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » الآية - وتارة ينهى ان يجملوا لانفسهم  
 الظهيرة من أمرهم مع أمره - وتارة ينهى عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله  
 وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك  
 من اساليب التعمير والتفنن فيه لايضاح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن  
 ملآن من أوله الى آخره بذلك حتى القصص فانها انما سقت للاعتبار وليطاع الله  
 ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليؤمن الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما  
 قدمناه؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم  
 يعتقدوا بسنته اذا رأوا احدهم احتاط في الرواية او حكم بخلاف السنة بعذر انما لم  
 تبلغه ولو بلغته لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل  
 يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كأننا من كان ما لم يكن عن الله أو عن  
 رسوله وقد عرفت حكمها في ذلك .

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم يعاملوا السنن النبوية  
 بغير ما عملوا به القرآن الا لتندثر وتزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما  
 قدمناه . ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح  
 به حضرة الدكتور؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) ووصاياه ومواعظه وخطبه بجدها موافقة لما

دل ان قرآن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الدكتور « ابي تارك ما ان تمسكتم به لن نضلو كتاب الله وسنتي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجوده، اتباع سنته أيضاً تواترا معنوياً . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة، فأكثر من ان تستقصى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين . وكل ما خاف الكتاب والسنة فانما هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشتموم الذي حذر الله عنه في كتابه فحمله حضرة الدكتور على الرواية والمروي بلاينة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير ممصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسنته (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دونوها هو بين أيدينا فلهوا بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاه لنا الا به « ولا تنازعوا فتشعلوا وتذهب ربحكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره « الآية » ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون » نسأل الله لنا ولاخينا الدكتور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعيهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه بيده وقاله بنفسه

الحقير صالح بن علي الياضي عفا الله عنه

(المنارج) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة

فالرجو منه ان يبين ما يراه متقدماً منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان

يسلم بغيره المتقد عندة تسليماً صريحاً

## أَنَّ عَلَى الْبُرْجَانِيَّةِ

### أوشاد الأريب، إلى معرفة الأديب

المعروف بمعجم الأدباء - أو - طبقات الأدباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحموي المولد البغدادي الدار الرومي الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور. كان غلاماً لتاجر حموي علمه ليكون عوناً له في تجارته ثم اعتقه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فأعطى أولاده موزوجه شيئاً مما كان بيده فأرضاهم وأجر بالباقي وجعل بمض تجارته كتاباً فكانت عوناً له على ما تصبو إليه نفسه من العلم لا سيما التاريخ والأدب. تألف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء الذي ذكر ابن خلكان أن اسمه ( إرشاد الألباء ، إلى معرفة الأدباء ) ولكتنا أهدينا منذ أشهر المجلد الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد وإذا باسمه الذي كتب عليه ( إرشاد الأريب . إلى معرفة الأديب ) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم وبعضها كتب عليها ذلك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالأدباء في تلك العصور قال المؤلف في فاتحته ( ص ٥ ) د وجمت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين والتعويين والتسائين والقراء المشهورين والأخباريين ، والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمهينة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فنه تأليفاً ، مع إشار الاختصار والإعجاز ، في نهاية الإعجاز ، ولم آل جهداً في إثبات الوقائع ، وتبين المواليد والأوقات ، وذكر تصنيفهم ومستحسن أخبارهم ، والأخبار بأنسابهم وشي من أشعارهم ، الخ فالكتاب من أحسن دواوين التاريخ والأدب وقد كان أكثرنا مضمناً فأظهرته همة أوربية . ذلك أن رجلاً من الناشئين

في البلاد الانكليزية اسمه الياس جب كان مغرماً بدرس العلوم والتواريخ العربية والتركية والفارسية ثم مات في انطامسة والاربعين من سنه فوفقت أمه مالا عظيماً على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتغلاً بها يصرف ريعه في ذلك وعهدت بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بعد ما غني الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه فاذا فيه بمد الفاتحة فصلا في علم الادب وعلم الاخبار يتلوها باب الهمة وهو يتدعي باسم آدم بن احمد الهروي وينتهي باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء المعري في ٤٣ صفحة فتشكر لجميع العاملين في احياء هذا الكتاب وأمثاله فضلهم ونخص بالذكر المصحح ونرجو ان يعنى طابعو الكتب في مصر ولو بعض هذه العناية في التصحيح والاعتان

﴿ الرد على من أخذ الى الأرض ، وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض ﴾

بنت قواعد الاسلام وأقيمت أركانه على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند علمائه ان جهل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بذنر في الدنيا ولا في الآخرة فاقاضي الشرعي لا يترك عتوبته اذا ارتكب موجبا جاهلا كما ان الله تعالى لا يندره في الآخرة اذا اقترف الفواحش والمنكرات جاهلا بحرماً . قالوا الا اذا نشأ في شاق جبل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم ما كان بالدليل فالعلم لا يكون الاجتهاداً ولذلك اجموعاً على ان التقليد لا يسمي علماً كما صرح به ابن القيم في اعلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى اقرون الوسطى يطلقون لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمفتي ولكن وجد في هذه اقرون من المؤلفين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم بالاسلام أي بالكتاب والسنة صار متعذراً وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ بما كتب في المصنفات الفقهية التي انما المنسوبون الى أحد المذاهب المشهورة قام المدافعون عن العلم يردون هذه الدعوى ويبينون وجوه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف

( المارج ٧ ) ( ٦٧ ) ( المجلد الحادي عشر )

من هؤلاء الحافظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أخذ الى الارض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وقد اورد فيه القول الكثيرة عن ا كبار علماء المذاهب الاربعة لأن كلامهم يقع المقلدين المنكرين مالا يتنعمهم الدليل المؤيد بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة الثمالية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمد افندي بن مراد التركي وأخيه فنشكرهما احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

### ﴿ ليالي سطیح ﴾

طبع الجزء الاول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في انتقاد الاخلاق والعادات ، ووصف حال الاجتماع في مصر ، وجعله حوارا مع سطیح الكاهن الجاهلي ، ذلك الكتاب الصغير الكبير ، الذي تبارى في تهريظه عالم الكتابة والتحرير ، فسالت انهار الجرائد بمداد آياته ، وجرت اقلام الكتاب في فلك حسناته ، ولهجت السنة الفصحاء بوصف ما في مبانيه من المتانة والاحكام ، وما أودعه اسلوبه من الرقة والانسجام ، وتغلقت افكار الحكماء في التأمل بما انطوى عليه من الحكم والعضات ، وما بينه من الامثال والمثلثات ، وتلطف الناقدون في الائمة الى ما فيه مما لم يخل من مثله كلام الناس ، كالتفاوت بين بعض الجمل او عصيان قوانين القياس ، فلو جمع ما كتب في تهريظ كتاب ليالي سطیح ، من الثناء والمدح ، لكان معه كليلي هجر الملل ، مع ليالي الوصال ، على ان ليالي التقريظ هي من ليالي الوصال البيض ، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين ، وبين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم ،

اخذ اولئك الكاتبون مسالك قول على من يحاول بعلم وصف الكتاب او تهنئه فما على النار الا ان يجعل الوفاء بدمة حافظ عرض شيء من حكم كتابه على قارئه ، لعلمهم يهتدون الى فضله بكواكب لياليه ، فمن ذلك قول سطیح في الحث

على العناية باللغة العربية ونصر دولها وذكرا إمامي المصلحين : حكيم الاسلام ،  
والاستاذ الامام ( ص ٦٢ )

« فما ضركم لو تساندتم جميعا وانتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرفعت من شأن  
هذه الدولة ، وحركتم من الخاملين ، وهزتم من الجامدين ، فاني أراكم بين  
متفصح على أخيه ، ومتمبل على قرينه ، وليس هذا صنع من يريد ما يريدون ، محاولون  
رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من سنها ، ولو لم يتداركها الله بذلك الافغاني  
لقضت نجبتها ولقيت ربها ، قبل ان يتمها بكم ويتمكم بها ، أدركها الافغاني ولم يبق  
فيها الا الذماء ، فنفخ فيها نفخة حركت من نفسها ، وشدت من عزمها ، ادركها  
وهي شمطاء قد نهض منها يياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قرنها قبل ان تشيب  
ناصية القرن الخامس ، فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سود الليالي ، وتهدتها  
همته بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها ، وبدأ اصلاحها ، وقد كان الناس في ذلك  
العهد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدى ، وخرجوا  
بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، وقام بعده نفر من تأدبوا عنه فكانوا كالسيوف  
فرجت للرماح ضيق المسالك فانتسح للمتأدبين المجال وجمال كل جولته ، وتنبه الوجدان  
وتيقظ الشعور وتحرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، وظهر أثر جمال الدين في  
النفوس العالية ، وأصبحت تتدبر كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان انطوى  
أجل التقليد ، وأن بعث الله على يديه ميت اللغة واخبارات الانشاء ، وغادر رحمة الله  
عليه مصر ولم يضع لنا كتابا نأخذ عنه ، أو مؤلفا نفتخر منه ، ولكنه ترك لنا رءوسا  
تؤلف ، وأفكارا تصنف ، وكأنه أحس بذلك حين أحس بالموت فكان يقول وهو  
يجود بنفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا أثرا ظاهرا بين السطور ، ولكننا لم نغادرها حتى  
تقتسنا ذلك الأثر على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب فقد ورثتم  
عنا في صدور الرجال ، فاذا حثوتم التراب على رجل الافغان فعليكم برجل مصر  
خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم يغادر كلاهما مؤلفا ، ولم يدع مصنفا ، فلولا  
محمد عبده ما عرف رجل الافغان ، ولولا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان  
ولما سكنت أنفاس الافغاني بعد أن تجددت بذكره الانفاس ، خلفه حكيم الشرق



في دولته، ووطن نفسه على المضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعه، وخالقه في ذات الاله وخافوه، ولم يزل بهم حتى غلبته على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله فتمتت الاذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت اللغة من خباياها، تخرج مطارف آدابها، وأطل علم الأدب Litterature من مناره مشرقاً على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، ونفذ أشعته الى السرائر، فنى تحت نظره الشعور كما ينمي النبات جادته الشمس بالنظر، أو كته أشعة القمر، فلفظ من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الأرواح، حتى شفت الأولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه، اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطيج ومحاوره الأستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجي من الإصلاح قال ( ص ١٤٤ )

قال ( اي سطيج ) وابن مكائك من العلم، وابن منك منزلة الحلم، قال حسي اني من تلاميذ حكيم الاسلام، الأستاذ الامام، طيب الله تراه، وجعل النعيم مثواه. قال اني لأرى رأياً حقيقياً، واسمع قولاً شريفاً، فن أي تلاميذه تكون؟ فقد سمعنا منهم فريقان فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بعلم، وقد أثنى عليهما العميد، وتبأ لها بالطالع السيد، قال — لا علم لي بما يقول. وقد كنت ألقى الناس بالامام أغشى داره، وأرد أنهاره، وألقط ناره، فما سمعته يخوض في ذكر السياسة تبجها الله، ولكنه كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته وينقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق، وحكمة الخالق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأفوض في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم يزل ذلك همه رحمه الله يلقي في الأزهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران، على انه كان من أشد الناس تبرماً بالسياسة واهلياً، حتى أعلن براءته من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ما قال

لكنه كان يحثك بها مادعت الى ذلك الحاجة ويرصد حركاتها رسداً ، ويصد  
فاراتها صداً ، خشية أن تقطع على العلم سبيله ، أو ان تقف عنرة في طريق الفضيلة ،  
ولولا ذلك لقطعت عليه سلك أمانيه ، وحالت بينه وبين ما كان يتقنيه ، فكم تطلعت  
في ابتزاز قواها ، وتحامى جنده طريق أذاها ، حتى اذا ظفر بطلته ، وقار برغبته ،  
واستمد منها ما شاء ، تحت حماية الاقناع ، عطف على العلم بذلك الامداد ، وورد عليه  
ما سلبت يد الاستبداد ، ولعله اوهم العميد ، بيقظة حزب جديد ، ليرد عاديته ، ويهدد  
عليه سياسته ، في مصادرة العلم ، ومصارعة الحلم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ،  
وما عبثت به يد ذلك السائس ، ولولا ان الامام مادهم جبل الوداد ، وجاذبهم  
فضل النصح والارشاد ، لاصابه ما اصاب أصحاب حكيم الافغان ، وقضي على هذه الامة  
بالحرمان ، فقد كان ينمو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شره النجوم ، ويصلح  
ما فسده اهل الدسائس ، فكم زحزح عنا حادثاه ، ودفع كارثاه ، ولو كان حيا يوم دار  
الفلك لنا بالنحوس في دنشواي ، لرأيت غير الذي رأيت من ذلك القصاص ، ولما  
لوتقع صوت العميد ، بذلك التهديد والوعيد ، ولما نزع الى كتابة ذلك التقرير ،  
الذي جاء ابلغ ما اعلى الضغينة على الموتور ، فكان فيه كثير جموح البراء ، ضعيف  
ضعيف جانب الاقناع ، كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها وجهة  
المدافع عن نفسه

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى فارتدت طائفة من جنات العرب  
وكادوا يفتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف  
النبوته ، ولا نالت من عصبة الرسالة ، ولبت الاسلام اسلاماً — ومات الاستاذ الامام  
فصباً بعض حربه كما يدعون ، واستغفر الله لهم عما يقولون ، فما غض ذلك من  
كرامة حكيم الاسلام ، ولا مس من سيرة ذلك الامام ،

أراد بعض مر يديه أن يقني غناه وان يفعل شرواه في التوفيق بين صواغ  
القوم ووصوال الحنا ، فرمى بنفسه في احضانهم ، وليست له مكانة الامام من نفوسهم ، ولا  
منزله في قلوبهم ، فقصر ولا بدع ، وأخفق ولا عجب ، فان الفراغ الذي تركه الامام  
لا يشغله الالوف من اولئك الذين يرفعون العقيرة بالصباح ، وينعون عليه مذهبه

في الاصلاح ، ولما ظهر ذلك المرید بمظهر الاتصال بالقوم أنكر الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانبسطت فيه الالسن وأخذته سهام الاقلام ، على انه وان اخطأه التوفيق في عمله فما اخطأه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية ، فوجد بعض لمرائين السبيل الى شويه سمعة الامام بعد موته ، واتفوا في ذم حزبه ، وزادهم ضمنا ان قرأوا في تقرير العميد ما قرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل ، ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التأم ذلك الحزب الذي اودع فيه الامام من أسرار حكمته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساق اليه سوفاً أعجلنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعاً لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ماسمعه أ كان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تتلقون باذيالهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم ، فان كنت لم تكذبني القول ، فتلاميذ الامام حقيقون باللوم لانهم يعلمون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لاهية هذه الامة بغير الجامعة فما لهم لا يواصلون قرع انوف الاغنياء بالمواعظ ويوالون الصباح بطلب تأسيسها فتلقي اصواتهم بالنداء في أنحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد جبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان فحمد الاغنياء عن البذل لجود اولئك الوعاظ عن الكلام وتدققوا في انشاء الكتيب حين ساقهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان انتشار التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بذلوا في سبيله ما بذلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أنياب النمر ليقع تحت براثن الليث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتيب داء الجهل ولكن بداء الفرور فسيبيل الاصلاح ان تنشأ الكتاب وتبني الجامعة في وقت معا حتى اذا أخرج الاول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتتأسس الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس بينها وبين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يهودون الافكار ويسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنهض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فكم نهضت امة بفرد واسست دعائم دواته على عزائم آخذ وفوا

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام  
وقد انصرف الناس الى الصباح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يفي  
عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزهم بناء الزعماء فاعلم ان بناء الرجال لا تكون  
الا في بناء الجامعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما ترى من الخلق  
والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا  
زاجر من الخلق ، فاذا تزعزعت العقيدة ولم يطمئن الطبع قل ان ينجح في الناس علاج  
العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة  
الا أمرا يسيرا ، واني اذ كر لك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تنزل  
أمرى معك على المزاح ، ولا يصغرن في عينيك مآثي ما ألقي عليك ، فرب مؤرّب من  
العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خطرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ،  
وتغفل عنها عقول العامة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والعلاج النافع ، لا يحتاج  
الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جليظة ، أصغرت ما كنت تكبر ، واستنزرت ما كنت  
تستفزّر ، فاعلم انه اذا اقلت أبواب المتدييات ، واطفئت أنوار الحانات ، قبل منصف  
من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوانيتها ساهرا ، ولا تجد في طرقاتها عابرا ، اذا  
انقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك ( فينا ) يجمع فيها الليل بين الجفون  
والسرى ، ويحول الظلام بين الأرجل والسرى ، فاذا شب الليل أو كاد ، سكنت  
حركة العباد ، فما لكم لا تأخذون أنفسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد أثمروا بأوامر  
الخالق . وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او تخضعون لنواميس السنة  
الكوزية ، فجمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تعقوا أوامر الكتاب المبين ،  
ياويلت ، أحيم ليالي العمر بالآثام ، وأتم أيامه بالمنام ، فمكسمة الفطرة ولا  
بدع اذا عكست آمالك ، وخابت أعمالكم ، خذوا مضاجعكم اذا طر شارب الظلام ،  
واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لا بدانكم ، وسلامة لا ديانكم

إذا شئت أن تعرف ما وراء ذلك من المنافع فاني أعد لك منها ولا أعددها  
منها الرجوع الى المعيشة المنزلية التي أملت بزوالها روابط الأهل والأقارب، وليس  
ما بين البيوتات، فتناكر الاخوان، وتدابير الجاران، واقترنت المنازل من انس السر  
وإلف الناس الجلوس في المتدييات حتى أنهم ليوحشون في ديارهم، قلقة زوارهم،  
وأصبح المرء في داره حاضرا كالعائب، مقبها كالنازح، يعلم من حال البعيد عنه، ما لا يعلم  
من حال القريب منه

ومنها اجتياز العقبات التي أقامت المتدييات والحانات، في سبيل الاجتماعات —  
كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الظلام يجتمعون في الدور  
واقصصوا وكانت سراهم وذووا اليسار منهم يجلسون في بيوتهم للسر فيغشاها العالم  
ويؤثها الكاتب ويقصدها التاجر ويتجها الأديب فتجري بينهم الاحاديث  
وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره، وتنزل التازة  
فيجمعهم الأمل على العمل على ازانها، وتطل رؤوس المشروعات فلا يستنون يمينون  
مطرفا، حتى قتلوا شرونها بحثا، ويقفوا على وقائنها جدالا، وينزل بأحدهم المكروه  
فلا يزالون يلفظون بالسعي له حتى يأخذوا بيده، وينهضوا به من عثرته — عقدت  
بينهم الزيارات، عرى المودات، وقراهم وهم كأنهم أهل بيت واحد: يألم الجار الجار،  
ويأخذ الناهض يد ذي العثار، يربك هل نهضت أمة بغير ادمان المجتمعات،  
وهل انصبت مودة اذا هي لم يصبها أهلها بالزيارات، لقد جار في حكمه من قضى  
على المصريين باستحالة الاتفاق، وجعل تلك الكلمة التي رمى بها حكيم الاقنان  
أماما لحكمه، فصرفه التقليد عن النظر اليها بين عقله، فمن ابن المصريين ان يتفقوا  
اذا هم لم يجتمعوا

ومنها التصاد المال وأنت ترى ان هذه الستة الأقدنة (اي بقعة الازبكية)  
تكد تلبع ما تخرجه ارض وادي النيل من الخيرات ولا يفرتك ما ترى في عاصمة  
الفرنسيس فان أهلها من الأيكاس الذين يصابون سهر الليل بالتهار لأصطياد الذهب  
ولكن من جيب الغريب ونحن انما نقل ذلك ليذهب الغريب بأموالنا ويسخر  
من جهائنا، اهـ. وهو خاتمة الجزء الأول من الكتاب

﴿ رسائل البناء ﴾

من مزايا مجلة المقتبس التي يطابق بها اسمها مسماها نشر رسائل بناء الكتاب  
المتقدمين وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحسن هذه الرسائل من مجلته ويطبعها  
مجموعة على حثها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة ففعل وقد احسن فيما فعل  
صدرت المجموعة الاولى من هذه الرسائل في مئة صفحة كلها من كلام عبد  
الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما ممن تضرب يلاختما الامثال ونشد الى كلامها  
الرجال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان  
ورجاله ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وتبصير الجيش . وقد غني الناشر بتصحيح  
هذه الرسائل مطروحة على أصلها ولم ينبع منه اكثر طابعي الكتب بمصر من اهمال  
التصحيح فابوجد فيها من الغلط فالذنب فيه ذنب النساخ المحرفين مع قهر بلادنا  
من النسخ التي يمارض عليها الاصل . وثمن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد  
قروش واحد فنحت محبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قرائتها

﴿ سر تقدم الانكليز السكسونيين ﴾

قد اصبح هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، وترجم باسره لغات الامم ، ولا  
غرو فان تقدم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغيرهم من الامم العزيزة التي تساويهم  
او تفوقهم في العلم والمدنية مما لا يحاري فيه احد الا من يجهل ان الشمس لا تغيب  
هن سلطنتهم ، وان ماتت من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جهل هذا التقدم لاميته ،  
او تجاهله لمروره وغباوته ، فان الام الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستعمار ،  
وتجاريها في تلك الجوارى المنشآت في البحار ، هي البنديرة بأن تعرف سر تقدمهم ،  
وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان بعيدا عنه ، كما يعرفه  
من هو على مقربة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتار  
به الانكليز على غيرهم من الامم في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد ألفوا

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب سر تقدم الانكليز من أشهرها . وكان من حسنات أحمد قنحي باشا زفلول في قومه وخدمته للغة أمته ان ترجم هذا الكتاب بالهرية . ويسرنا ان طبعته الأولى قد نفذت وان خليل بك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أبهج من الأولى وأشد اتقاناً . وقد أبقى ثمنه كما كان وهو عشرون قرشاً بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته ( مسامرات الشعب ) . ولا ينسين القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب ( الترية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر ) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختلف فيه ان تكون ترية الاخلاق واستقلال النفس ترية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واتي ارى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتابين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال ، وهو طور محفوف بالأخطار ، التي يستعان على تلافيتها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفعن التأسي بأمة كما ينفعن التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أم المدنية اخلاقاً وأشدّها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وتبتاً في التثبيت بالجديد

### ﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد انتهت هذه المجلة وصارت أحسن اختياراً للتخصص مما كانت عليه من قبل . ومن آخر ما نشرته قصة لصوص باريس وهي قصة تفيد المتفرنجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا تفيدهم كتب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حيل الأوربيين القامرين على سلب أموال الاغنياء الأغنياء ، لا سيما الغرباء ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والرذيلة ينتهي بانتصار الفضيلة . ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

### ﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي

مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهادية مزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة وستنقل منها نموذجاً للقراء في جزء آخر ليكون خير معرف لها . وقيمة الاشتراك فيها أربعمائة قرشاً في السنة لاهل مصر ونصف ليرة انكليزية لغيرهم فتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿شورا﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن فخر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المنار شيئاً من افكاره العالية وقفه في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿النصيحة﴾ مجلة علمية أدبية تصويرية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشأها «الصادق بن ابراهيم» صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لاهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فتمنى لها التوفيق والثبات

## باب الاخبار والآراء

### ﴿الامة العثمانية والدستور﴾

إذا كان المنار لا يسع عشر معشار ما نعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجها وما نراه في أمر استفادة الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدف بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكاتبين في الصحف اليومية والأسبوعية بعض ما رأينا يذهلون عنه، وتنبه القارئ الى ما ينفع التنبيه له، واني أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب (١) أول شيء يجب على المنار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطته في قناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة بينهم وبين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقى البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام، بأنه دين تعصب وعدوان، وفي المسلمين بأنهم لا يلتزمون مع أحد من لا يدين بدينهم، لاسيما الذين يزعمون ان العلماء المعصمين، هم الذين يثرون الشقاق بين العالمين،



أورد هذه الخطة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عقلاء المسلمين هم الذين قاموا بهذا العمل الجليل للأتحاد والمساواة بينهم وبين غيرهم وان شيخ الاسلام قد كان وما زال ركنهم الذين يلجئون اليه ، وقطبهم الذي يدورون حوالبه ،

ان احرار المسلمين هم الذين بدءوا بدعوة الاحرار العثمانيين من النصارى واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعطوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الظفر بالدستور قد كانوا هم السابقين الى مصالحة الأروم والروم وغيرهم من الشعوب المواقين لهم في العثمانية المخالفين في الاعتقاد وهم الذين رفضوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بينا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام بالهول المشهور فيه « لم مالنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغلا في رأيه فاستحسنوا النزول عن بعض حقوقنا ، إرضاء لماطفة بعض شعوبنا ، كالذين يرون أن يجعل جامع أيا صوفيا يجلسا للبعوثيين ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكروهم هذا الجامع بذلك الفتح المين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بها في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي ان يفعله الباقون فان المسلمين هم العنصر الأكبر والأقوى فاذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبعه غيره بالضرورة ولو قام أحد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير القوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته محجوبة ولا مقبولة

فادعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى ان يكونوا هم البادئين ببر غيرهم والاتفاق معهم واشترك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتصر بها البلاد التي يتمتع بعمرانها الجميع ، بهذا تكون الامة العثمانية ، وتعتز الدولة العلية ، وبهذا يقطم المسلمون السنة القادحين فيهم من الاوربيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، لئلا يفضي التلوفيه إلى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرتهم بالدستور خاسرة ، أو أنهم يعمرون الدنيا بخراب الآخرة ، فيحملهم ذلك على الشآن ، أو يدفعهم إلى العدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكيما في نصحه ، مراعيلا لانتعداد الاكثريين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدرج يكون أولى بالبقاء والبات ، فأذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعجل عليه بطلب سائر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتى التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فان المصلح في القوم ليدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه إلى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، ويقيم على دعواته الحجج القيمة والآيات الينانية ، ثم لا يستجيب له قومه الا بالتدرج ، وأرى أن من الحكمة في تلافى الشنوذ والتقصير ، ان يبادر العقلاء والصحافيون من كل أهل دين إلى انتقاد أهل دينهم ولو بالعرف والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشنوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسي من حيث انه مسي ، من غير ذكر لدينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايبتهم له ،

( ٢ ) انتقل باقارئ من المسألة الدينية ، إلى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فان الشقاق الديني اذا كان قد جثم الأمة فيجعله نصنين ، فان الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويصيب شره الجميع ، فالسلم التركي ، يعادي المسلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يعادي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك قص

لو بدأ بالدعوة إلى ترك العصبية الجنسية العربي او الكردي او الألباني او الأرمني أو الرومي او البلغاري لما سمعت للبادئ من هؤلاء دعوة ولما كان لها من الوقع والتأثير عشر معشار ما كان لجاهرة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من هذه الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قلل أحرارهم هلموا إليها ايها العثمانيون ترك التعصب للجنس ونشترك بقلب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر لباهم الجميع حامدين شاكرين . فوجب ان نخص الجنس التركي

بالثناء الحسن قبل ان تناسى او ننسى انا اجناس مختلفة - ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كما صرحنا مندبضع سنين ارقى العثمانيين تربية وتعلما واعلام ادا وتهييا (٣) بعدد كرمسألي الدين والجنس اذ كرشينا من عمل الجمعية التي تلافى ضررها وسمت مع غيرها لخير العثمانيين كافة - ينضم العثمانيون الاحرار الى هذه الجمعية - جمعية الاتحاد والترقي - ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الحثيث اليه حتى اندمجت الجمعيات فيها او كادت ، وتداجت معها كما ارادت ، وان هؤلاء الاحرار المتحددين في هذه الجمعية هم الذين يديرون نظام المملكة الآن ، وقد ظهر من كفاءتهم واعتدالهم ما جعلهم موضع اعجاب الامم والدول الاوربية كما تنطق جرائدها بلفاتها المختلفة . وقد مر على اعلان الدستور شهر أو أكثر ولم يبلغنا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال أو ادا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يدهن حتى قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجى ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا أقرب الى العدل والانصاف ،

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكريتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق أمورها (٢) تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، وبين جميع الدول الاوربية ، لا سيما ذوات السبق الى الحرية كانككترا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليعجز ان يعمل في عدة سنين ما تمهله هي في هذه الاشهر التي تقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السوي الذي سارت عليه في ذلك . فقد بدأت بتطهير المايين والباب العالي ونظارة الحرية واكثر الولايات في وقت واحد . فأخرجت من المايين رؤساء الفتنة والفساد وعزلت السر عسكر رضا باشا وناظر الداخلية ممدوح باشا وسجنتهما مع تحسين باشا رئيس كتاب السلطان والشيخ أبي الهدي احد مستشاريه وفر من رؤساء المايين عزت باشا ونجيب باشا ما حمه وسليم باشا ما حمه الى اوربا . واخرجت من المايين اكثر الحجاب والكتاب والخادم

ومثلي الروايات وأجواق المويستقات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطائنه من الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال الامر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها وكثير العزل والنقل في المعسكرات وهذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثقة من القوة التي هي سياج الدستور وعمار الأمن . وكذا في الدوائر الملكية . ولما رأى كثير من الخائنين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يعزلون بادرروا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الابدال عسر جدا مع تحري الاكفاء أصحاب النزاهة ، فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان قبل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كان ممن جروا على مصانعة القوة ، وان تجري في ذلك على سنة التدرج فان في العجلة مفسد كثيرة ، واما تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد فقد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون باللجان العليا في الستانة وسلايك وأوربا ، ويحمل الشعب على المظاهرات وتجريره على الخطب الحماسية في تصحيح الحكومة السابقة حتى افرط بعض الناس في ذلك افراطا لا يحمد عاقبته ثم اتنا نرى بين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد ان كثيرا من المناقنين اعوان الاستبداد السابق ومحبيه يتهاقون على الدخول في شعب الجمعية تعريزا بالقوة واكتسابا من السلطة ، لاحبا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولكن قلما يرهق هؤلاء بانفسهم الي ان يكونوا اعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان يطن في الدولة انه من الاحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الاعضاء الصادقون الي تمحيص شوائب هؤلاء الاوثاب أو الي محققهم وتزكية الجمعية من نفاقهم

هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم يبلغنا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الأهالي الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ويأوون الي بعض الوجاهة فيقتدونهم من الحكام بالرشوة حتى بلغ من استهانتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيبتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على مرأى من شرطتها وهم آمنون مطمئنون

فيجب على الجمعية ان ترشد الحكام الاحرار الذين قيسهم الآن الى نقب هؤلاء الاشقياء وترينهم بالشدة التي لا يطعمون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومة السابقة والا كانت فائدة الحرية للاشرار وغائتها على الابرار وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو موادة الدول الاوربية ، فقد كانت فيه احزوم واحكم منها في سائر أعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة تذكر بها الا الاحتراس من جنة ألمانيا والنمسا والله الموفق فسنأله حسن الختام

### ﴿ المجلس النيابي لمصر ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع من متار هذه السنة أن انكلترا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعلوه مناقضا لما يستتج من سيرة المحتلين في مصر وتصريحات لورد كرومر في قاريه ونافذ خارجتهم في مجلس النواب بلندره ، وكنا نظن ان حركة القبط التي شرحتها في الجزء الخامس مما يحتمل ان يحمل الانكليز على إرجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا نأ جديد من أبناء أوربا السرية العالمة بأن القوم لا يزالون على هزيمهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان يتخذ في السنة القادمة

لا أقول ان كتابات القبط التي تتابعت على لندره لم يكن لها أثر فيها وانما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطرار حكومة بريطانيا لإظهار الرضا والابتهاج به وما اضطرها الى ذلك الا اخلاق شعبها ومبادئها القديمة الراسخة في حب الحرية ونصر الاحرار أينما كانوا وحيا وجدوا. فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يليق بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يجارون الطبيعة ولا يقاومونها ويعملون في كل حال ما يرونه يليق بها ويوشك ان يكون للوفد المصري الذي سافر الى لندره بزعامه اسماعيل باشا أبظه تأثير حسن في المسألة فان انكلترا يصعب عليها أن تؤدي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها غمط حقها وانكار فضلها وإسناد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها

## كيف نستعمل الحرية (\*)

أيها السادة الأحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بمد اعلان الحرية ، وكنت في مواهبي  
الأول أرسل اتقول إرسالا ، لأن المواضيع متوفرة ، والشعور بالحال اطلق اللسان  
من عقائه ، وفك الافكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسفت فيها ، حتى كدتنا  
نأس من انتهائنا ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن اتلو عليكم خطبي تلاوة ، لأنني سئلت ان اتكلم في موضوع  
لا اتعداه ، ومرتبيل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب  
الارتجالية حرة مثلكم أيها السادة فهي تأتي التقيده ، وقد جعلت موضوع خطابي هذا  
« كيف نستعمل الحرية » لأننا احوج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع  
خاص الخطباء في تعريف الحرية وحدودها ، حتى كادوا يضعون لها قيودا ،  
ويخرجونها عما وجدت له ، ولو كانت ذات شعور لمجبت كيف يحاول تقيدها طائفاؤها  
وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستبين ،  
فظنوا ان الحرية تبيح للناس امتنان حكامهم ، والتعي على صالحهم وطالحهم  
سادتي : ان من يدفع عن مركه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوة التي دفع بها ،  
فإذا كانت المظالم زحزحتنا بقوتها الوحشية عن مكاننا ، فنحن لا نتركز في قطة  
الاننا دفنا تلك المظالم في صدرها ، وأنحننا باللائمة على القائمين بها

الشعب الذي يغلو الحكام في ظلمه ، يجب ان يتطرف في الحرية متى نالها  
الحاكم المسترسل بالظلم ، الملوث بالرشوة ، لا يفقه من سكرة الاستبداد الا  
الفرج الفظيع ، والتنديد الشديد ، فهو كالمضو الخدر ، لا يحسن الا بالوخز المؤلم  
وربما لا يحسن به

( ه ) خطبة من الخطب التي القاها في احدى احتفالات الحرية ببيروت السيد

حسين وصفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة ( المنار )

( المجلد الحادي عشر )

( ٦٩ )

( المنار ٧ )

كل هذا ايها الاخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً ثانياً حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذاً نكون صرفاً الحريّة عن معناها ، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشاً ثم حاشاً ، وكلا ثم كلا

أيها الشعب السوري العظيم ، يا سلاّة الفينيقيين الذين ادهسوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم ، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، اني أحبك واهش لك ، أحبك باسم الحرية ، وانا ديك بمل ماضي : انت أسعى من أن تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل إنما وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضير به سواه ، وصيانة الافراد من عبث الطامعين ، وسهولة سلوك السبل التي من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وتبسط ابناءها في الحضارة والعمران ، وعدم استكاثهم للظلم والهوان ابيح لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، والقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضاً

وضح لنا بهج المعين الذي ارتوى منه الأفريج قبلنا ، فلا يحسن بنا ان ترتشف منه ارتشافاً بل يجب ان نبتله ابتلاعاً اذا قدرنا

أتيح لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يليق بنا ان نعمل ما من شأنه إضعاف قوانا وإنهك جسمنا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصاف الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجميات هي اساس النجاح ، ودعائم الرقي ، فيجب ان نؤسس جميات ، لا يسوغ ان تكون جمياتنا لطائفة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أو مسيحية أو يهودية مها كانت وجهتها ، وأنى كان قصدها ، بل يجب ان تكون عثمانية بحته ، اتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جمياتكم عثمانية ، الجامعة التي تتضمنون تحت لوأها هي العثمانية ، فاجعلوها جمياتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمها مشترك بين المسلمين والنصارى وانا الآن لا اعرف ان كانا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا اتم كذلك

ايضا ، يجب أن تتعارفوا بعيانيتكم لا بذهبكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بلى بلى  
المدارس الوطنية هي كل ما نحتاجه الآن ، لنهض من كبوتنا ، ونُقَال من  
عثرتنا ، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أريده ، أريد بالوطنية التي  
تضم الفرق والنحل ، وتنشى طلابها تنشئة واحدة ، غايتها اعلاء شأن الوطن ،  
ووقاية الحرية بالمهج والأرواح ، والمدارس هي بنت الجمعيات وبتنهافتى انشئت  
الجمعيات فقد أسست المدارس ، فانشئوا الجمعيات انشئوا الجمعيات تحسنوا استعمال الحرية  
الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهديبية ، وهي ميزان اعمال الامة ، وعنوان  
حالتها ، وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تناول كل شيء ، وهي قائد  
الامة الى مواطن السعادة والهناء ، والصادقة بها عن معاطن البوار والشقاء ، فيجب ان  
ان تكثر الجرائد بيننا ونعم انتشارها وبذلك نحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل في التأثير  
الكبير ، ومن البواعث على العمل المفيد ، ما يرفع ويعلي ، وينتاش الأمم من الخضيب  
الاسفل ، وينيف بها على يفاع المجد والسودد ، واذا كانت الجرائد لا تقرأ فقط فان  
الخطب يتناولها سمع القارئ والأمي ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والنشيط والخامل ،  
والصانع ، والزارع ، بل هي لكل احد ، والخطابة الحرة وكانت ولا تزال من  
الدعائم التي يثاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح المجد الحقيقي ، فالمنابر  
المنابر !! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا اعوادها ، ليرن صوت خطبائها ، ليهتفوا فلتندم  
الحرية ، فبذلك نحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قوانا ،  
والمحافظة على حريتنا ، وبه نرد عادية المظالم ، وندفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل  
مجموع أفراد الامة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد  
بالسهر والحسنى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث  
الشريف ، فيجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، لتحسن استعمال  
الحرية ، فليدم التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،



وثة شؤون آخر ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالنا خير  
كفيل للسير على النهج السوي ، والطريق المبتدئ ، والأمل معقود على ان  
ينتهيها بالصل لا بالقول

قيت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك  
الكلمة هي إعلان استيائي واستياء العقلاء ، ممن يذهبون إلى أن الحرية منحة أو  
هبة من شخص معلوم ، ان هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب  
وخيانة وفاق ، وليست هذه الخصال من الحرية في شيء ، ان الحرية هي حق  
للشعب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فنيل الشعب له انما هو استرداد حقه  
المنتهب منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا للسلطان  
فكيف يهب الانسان ما ليس بملك له

هذا واتي أشكر جيشنا الباسل سميه الكبير ، وعمله العظيم ، الذي خالف  
به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأست الجندية ، فان الجيوش في كل  
الأدوار والأجيال ، كانت يناديها الظالم القوية ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا  
أذهب بالاستشهاد بكم بعيداً أيها السادة ، بل أفت انظاركم الى فظائع جيش العجم ،  
ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يمثلون بطلاب الحرية أقبح تمثيل عملاً بإرادة  
المستبددين ، وتنفيذاً لمقاصد الظالمين ، فليمت المستبدون ، وليسحق الظالمون

واشكر أيضا رجال جمعية الأتحاد والترقي المهامي ، ولكل رجال الاصلاح  
الذين وقفوا حياتهم ، وخاطروا بأرواحهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرح  
بأن جمعيتهم قامت بما لم تم به جمعية في العالم منذ أسست الجمعيات ، فانها كانت  
سبياً في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستعبد هو الميت شرعاً ، وهذا مع  
اعترافي بما للجمعيات من الأثر المحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوهنا للسير على ما يبلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ، ويحفظ  
علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اه

( المار ) جاءنا من بيروت ان الجمع المختفل قد صفق للخطيب صفيقاً شديداً ،

وعنف بالثناء له والثناء طافاً كثيراً ،

## الفصل الحادى عشر\*)

( الحب الشريف )

إن أشرف السير سير أهل الفضيلة وما الفضيلة إلا من خصائص  
النفس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لا تقتر نظرات بصيرته  
الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع العجائب  
النفس عجل الآيات الكبر ، ومهيطة الفيوضات العلى ، والمرآة العظمى  
التي ينكشف بها الازل والأبد ، والمطبعة العظمى التي ترسم بها الاشياء  
وتكثر الصور ،

هي السلك المدود بين مبدع الطبائع ، ومقيم الشرائع ، وبين  
الجواهر المتألفة الصامتة ، والظواهر المسخرة للطبيعة ، فهي خليفة عليها  
واقفة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجذوبة من طرف اليها  
بجاذبية الانس والعادة ، ومجذوبة من طرف آخر الى مصدر بوارقها  
بجاذبية الحب والشوق ، وبأجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر  
حظها من الانكشاف ، وبأجذاب النفس الى منح الظهور تأخذ النفس  
حظها من الشهود والاشراف ، فيحق لها في الحالتين أن تمجد بما ميزها  
به فاطرها تباركت عظمته ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل ان هاتين الطبيعتين  
المضادتين أعظم وأميس الا واكوان لوجودات كلها ، لكن اختلقت

الحبات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانية أعظم نصيب من هاتين الطبيعتين لاتساع المحيط الذي تدور فيه ، ولاتصالها بعالم الحس وعالم الغيب ، وتردها بالانجذاب بينهما فهي ان وقتت يوماً مع الظواهر أنست بها فمشقتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذي هو وصفه ، وان ارتفعت الى المبدع دهشت فتولت فتدلت لما هنالك من المجالي الازلية التي تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والذائل ، الخيرات والشرور ، الحزن والسرور ، الرغبة والرغبة ، الاقدام والاحجام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ، كل ذلك من مبدعات الحب والبنص وآثارها . وكل درجة من هذه الاشياء قائما هي على مقاييسها ، هما بالاختصار ركنا السعادة والشقاء ، فمن هدي الى تصريفهما والجري بهما على سنة مثلي فقد أهديت اليه السعادة وأوتي بالحب الشريف والبنص الشريف حقا من الخير عظيمًا



كانت السيدة « خديجة » ذات قلب طاهر والقلب الطاهر مركز الحب الشريف فإذا أحببت سيدتنا هذه وكان قلبها تواقاً الى مهالي الامور ، عظيم الشنف بحسن الاخلاق ، وقد أمد الله فطرتها امداداً عظيمة فقويت معرفتها بالمكارم ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التي تليق بالانسان سواء وقتت نفسه مع هذه المحسوسات أم أرادت أن تندرج في زمرة عشاق المجالي الازلية

عرفت هذه السيدة صفة النفس الانسانية بمن منه انشقت أسرارها ،

واشتت أنوارها، فكان لها تشوف الى جود عظيم يفيض عليها من العناية الربانية، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هذه الحالة الطبية قوة فراسة والقراءة نور فكانت تهدي بها فيما هي حائثة الروح عليه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن هيد الله ووجدت فيه ما يمشق من المزايا العلية، انثرت حبة من تلك المحبة الشريفة التي كانت بها تنشد المكارم فوقعت في محل من قلبها لتنبت شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألف المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تشوف اليها من لدن العناية المرجوة .

الآن وجدت محبة الفضائل والحمد أعظم من تجلي الفضائل والحمد فيه فكيف ينفر منه قلبها؟ بل كيف لا يميل اليه فؤادها؟ فالأمانة هو ذلك الشهر فيها وقد سبرته في متجراها فربحت بواسطته أضمافاً، والشجاعة هو المنشأ فيها على يد عظيم الهمة أبي طالب، والنباهة هو الذي تسطم في عياه طوالها، والحكمة هو الذي قرأ في سباه آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة هو مجمع شواردها، ومحاسن الخلقة هو النسخة الصحيحة منها، فأبي الفضل تنشد بعد هذا محبة الفضل، وأي الحمد تريد بعد هذه مريدة الحمد؟ كمال خلق وكمال خلق، جمال شخص وجمال نفس، حنكة لم يظفر بمثلا أقرانه من الشبان، ووقار لم يحظ بأقله الكبار، وهمة لا تقف أمامها الصعاب، وعزيمة لا تني أمام الثقال، قوي شديد، حليم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو طالب وهو به جدير:

فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكماء عند التفاضل؟

حليم رشيد عادل غير طاش      يوالي إنما عنه ليس بنافل  
 لقد علموا ان ابننا لا مكذب      لدينا ولا يفتي بقول الأباطل  
 فأصبح فينا أحمد في أرومة      قصر عنه سورة المطاول  
 فما أكثر غبطة السيدة «خديجة» إذ عرفت هذا السيد الجليل، وما  
 كان أجدرها بأن يتلق قلبها الطاهر به، وما أقوى نور فراستها إذ علمت  
 انه لا نظير له، وان سعادتها لا تتم الا به، وما أحقها ان تستم الفرصة وتسبق  
 الى زوج هذا الشريف الذي جمع الى شرف النسب شرف النلال

## الفصل الثاني عشر

منازل منا وقته

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الأزمنة  
 الى زماننا هذا وكان علماء التوراة يثبتون دائماً ظهور نبي منتظر وبعضهم  
 كان يقول انه سيظهر من العرب . والراهب مجيرا قوس ابن أخي أبي  
 طالب اذ كان منه صغيراً وقال له: سيكون لابن أخيك هذا شأن: ولم  
 يكن بعيداً عن المؤلف أن يخبر بعض الناس بالمفريات ولكن لم يكونوا  
 يصدقون كل شيء من هذا القبيل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن  
 في أهل زماننا أيضاً

وقد كثرت التكنن قبيل ظهور النبي (ص) ولكن أكثر الناس لم  
 يكونوا يبالون بتلك الاخبار لانهم تعودوا أن يروا شيئاً من كذب  
 الكهانة مع مصادقة صدقها أحياناً فلم تكن الثقة بها في الحقيقة آمنة  
 ولا سيما في الامور العظيمة

ويبدأ نساء من قريش عجمات في ميد لمن في الجاهلية إذ تمثل لمن رجل فلما قرب نادى بأعلا صوته: يا نساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجاه فلتفضل، فكذبته ورمينه بالحصى وكانت فيهن « خديجة » فلم ترمه كما رمينه لم يكن هذا النبي، كما هنا معروفنا فلذلك احتقر النساء لأنهن لا يبدأن في التناوب إلا بأهل الشجرة، ولكن كان قومهن يعتقدون بالخائف وهو على اعتقادهم روح ينطق بالشيء من حيث لا يرى أو تمثل بصورة بشرية فيقول قولاً من هذا القبيل ثم ينسب فكان السيدة « خديجة » اعتقدت أن هذا المنادي هاتف فلم ترمه كما رماه ترائبها ولطبا صدفات ذلك وتكلمت خيراً ورجت أن تكون صاحبة هذا الحظ

وإن صح ظننا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم تطلعاتها إلى بركات الجناب القدسي فإن الرغبة في زوج المنعم عليهم بالنبوة لا تنظم إلا من العارفة بذلك الجناب الأعلى الذي يفضل بمخلصة النبوة على من يشاء كانت النبوة معروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار أنبياء جبرائهم بني إسرائيل ومعروف أن النبي رجل كالرجال ولكن يصطفيه الله ويرفعه درجة نفسه على درجات سائر نفوس البشر حتى يطلعه على ما لم يطلع عليه أحدنا من أسرار عالم الغيب، وليست النبوة ملكاً أو حظوظاً زائدة من نعم الدنيا بل جبل الأنبياء الذين سلطوا كانوا متقين ولم يكن حظهم إلا مقاومة الناس أيام وتهديبهم، والنساء إنما يرقين بالنعيم والرفاهية ورفد العيش وكثرة الخلل والمالي وكل هذا لا يرضى لدي الأنبياء الذين تنصرف

أنظارهم عن متاع التروور ويلتفتون الى ما فيه غبطة الروح فلا تتصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنم الله عليهن بسلامة الفطرة وقوة الاستعداد كالسيدة « خديجة »

ولما رجع عندها « ميسرة » من الشام في تلك السفارة التي ذهب بها مع الهاشمي « محمد » أخبرها بأحوال غريبة رأها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فإلث أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمعته بأذنها ، صوت ذلك المنادي في النساء المحتمات اللاتي كانت معهن في العيد . وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تتألف منه هذه الكلمات :

« تقاؤل هذا وقته »

## الفصل الثالث عشر

الخواطر في قلب « خديجة »

كانت « خديجة » تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي محض عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تسيء على خواطرها ما حكاها لها عندها « ميسرة » ويرن على أثره ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أنبأ به الهاتف ؟ أي مانع يمنع فضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب

ثم اذا صرّ بتلبها خاطر آخر يقطع عليها هذه الآمال وينهاها عن هذه الاحلام - التي كانت تراها في اليقظة - ترجع الى الشيء المحقق الذي لا ينزع فيه خاطر ولا يماري فيه حجبى وهو ما يحلى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتمثل في فكرها تلك الطامة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العينين الدعجاوين، وتنسى الشمس وسائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المثالي، ويقوى إيمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة، فتقول في نفسها أفليس حسبي أن أكون ربه النصيب من فتى قريش الوحيد الذي كله الله ان لم أكن صاحبة الحظ من الصالح الذي أنبأ به الهاتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبه في قلبها على ضروب من الخيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكمل الذي مال اليه قلبي، وحامت حوله خواطري، وعكفت في دائرة محاسنه نفسي، أليست تمنع العادات بأن أكون أنا الخاطبة؟ أف للعادات ما أثقل أحكامها، وما أظلم قضاءها، وما أشد عتمة مسالكها، وما أسوأ عواقب الجمود عليها، وما أنجس صنفة الذين لا يتزحزون عنها، نعم نعم أف للعادات فيكم أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضار، وحببت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكر، فانطمت عليهم سبل الارتقاء في معارج الاستحسان والتحسين، ونمت عليهم مظالم السعادة الحقيقية للنفوس

أف ثم أف للعادات فهي قاطعة الطريق على نتائج المقول تزج بها في مهاوي العدم، أو تذرهما في سجن أقرم، منوعاً عنها كل ما يربها، وباعجبا



لبنى آدم الذين يضمنون المادة في هذا المكان من الحكيم على قوسهم والقضاء على عقولهم وقلوبهم أليس لهم ما يدكرهم بأن المادة من صنعة أيديهم وتصوير أحلامهم أليس لهم ما يصرم بأن المادة يجب ان تكون تابعة لامتبوعة، ومنقادة لاقائده، حتى اذا فقت أمام بصائرهم أبواب أخرا لا هو خير ودعوا عاندهم تلك عمودة على قدر ما فقت، ومنذ مومة على مبلغ ما فقت، واستجابوا أخري مصاحبيا على مقدار ما يدوم من أسبابها ورفع من أبوابها

تبرمت «خد بجة» بالمادة كثيرا، وتأقت من تقليبها طويلا، وسردت كل سببات الجود طيبا في نفسها التي هي أعلى من قوس الناقلين عن المقدمات والنتائج، لا خصبا الله من سلامة النظرة، وفضل النظرة وقوة آلة المعرفة، ومزيد حرارة الهمة؛

ثم عادت لعنر الضغناء الذين لا يستطيعون التغلب على الثابت الراضع وهم الا كثرون وقد كرت أسباب رسوخ بعض العادات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلفت، وأحوال مضت، ورأت ان الناس يرثون من السالطين كل شيء ولا يعيلون الى التغيير حتى يعيل بهم الدهر ميلة شديدة على يدما صنف من الحوادث، أو هبة شديدة من إرادة بعض الاشخاص، وكم دكت الارادات القوية أطودا من العادات

ربما كانت هذه السيدة تستطيع التغلب على المادة فلا تجد بأسا بأن تخطبه بنفسها لانها كانت قوية الارادة. ولكن من لها بأنه لا يرد خطبتها وهي أرملة في الأربعين من العمر، وهو في الخامسة والعشرين يشف مجاه عن ماء الفتوة، وينشر عنى الشباب، والمرأة مها فويت لرائحتها تذكر

الحية فينذب اجسامها اقدامها وهذا بعض أسباب العادة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصعب الخواطر على المرأة التي تجرد ذاتها من السعادة ولا تستطيع الاقدام على تحصيلها هي صعبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصعب لانها أنصف على كل حال . بيد ان ضعفها الذي زينها الله به في عين الرجل بهتت نفسها وعلت كرامتها لديه . قهوة الخمر والحياء من ضعفها ، وذلك أعظم حلية طبيعية تزدان بها ومن عطل من هذه الحلية منهن رغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعلى وأجمل وأزين هذا الضعف الذي بدونها تهتت المرأة . والجن من ضعفها ولو لا ملاحظ الاعتنال في اقتسام الاعمال بينها وبين الرجل

فإذا تصنع قوه ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خنرها وحياتها ، وماذا تنفع شجاعتها أمام خشيتها من الحية ، وماذا تجدي قوه عزيمتها وصبرها عند المزيجات من خواطر الحب الشريف الذي ملأ قلبها الطاهر بعد ان كان حبة صغيرة أقيت فيه

الهم رحماك فليست القلوب من حديد، ولم تقدّ من صخر، ان نسيم الخواطر فيها يصدع ان جاءها راحة الياس، ويرأب ان اتاها راحة الرجاء، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورائية، بيد ان رجاءها كان أغلب ، ولو كشف لها الفطاء عما يحف بها من السعادة المنجية عنها اذ ذاك لا قلب وجاؤها يقينا . ولكن لتستكمل الفراز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يقب عنه آتية من السعادة والشقاء فترى منحوسا يضعك ويطب والشقاء يساوره عما قرب يأخذه يائماً أو يصعبه وجاه

صباحاً . وترى مسعوداً يتامل ويعمي ويصبح على مضاجع الحيرة والاروق  
واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب على  
رأسه وتشمله ويتبارك بها بيته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الى  
هاتف يبشرها بقرب اتصال السعادة التامة بها ، ما أشد حاجتها الى من ينبئها  
بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أعتدت لذلك الذي ميزته العناية الازلية  
أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الميل الى رب الفضائل والمكارم  
التي لا تباري حجب عنها كل هاتف وحبست عنها البشري حتى أخذت  
الخواطر حظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف  
لذلك الذي أجمعت فيما بعد قلوب الملايين التي لا تحصى على حبه

## الفصل الرابع عشر

### الزواج

لابدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد  
اللاعب فان توام الكائنات بشوق ذراتها بعضها الى بعض وكان جديراً  
أن يتجلى هذا المعنى بزيادة في غريزة خليفة الله في الارض نبي الانسان .  
كيلا يكون بنو آدم وحواء أنقص من الجمادات حظاً في هذا التاموس  
الكبير الفائدة .

فبعد أن تمكن من « خديجة » الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت  
جديرة ان تتناول هدية سعادتها ، وتكشف لها الحجب عن الرحمة التي

ترعاها ، فهبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة  
خطر لها ان تبث الى الذي سكنت مكارمه ومعاليه فؤادها رسولا  
تسير به رغبته وتستبنيء به سعدا مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن  
وساقها الى هذا الخاطر قوة رجاها بالله سبحانه وحسن ظنها بان هذا  
المكمل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من المعالي يقل اجتماعها  
في سواها

كانت لها صديقة اسمها « نقيسة » ( وهي أخت يعلى بن أمية ) فقصت  
عليها حديثها واثنمتها على هذه الرسالة ولم يكن بالصعب ان تؤدي الصديقة  
هذه الامانة لانها ستتكلم كأنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت  
مجالا كانت وكيلة بابداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجبات ولم يكن ممنوعات من مكالة الرجال  
فلم تكن رسول « خديجة » محتاجة الا لشيء من قورا الجنان امام ذلك المريب  
المظيم وقد امدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد فقل ماشئت في تيسير ما يرجوه

جاءت « نقيسة » هذه ابن عبدالله وفي القبيلة الواحدة يعرف الناس  
بعضهم بعضا فقالت له ما يمنعك ان تزوج فاعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام  
بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة قال  
لها « ومن ؟ » قالت له « خديجة »

قالت هذه الكامة وصمتت تنتظر ما سيبدو منه وأحدث هذا الكلام  
حركة في فؤاده وبأي شيء يتحدث ذلك الفؤاد الطاهر حينئذ الا بقوله :  
خديجة الشريفة المروفة بالطاهرة ، هي المناسبة ، هي الموافقة ، هي الصالحة

اذهي ياقيسة فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشري وكانت ميمونة النقية في هذه الرسالة  
فالله يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كرامتها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى  
خاطباً ومعه عمه حمزة فقال عمها عمرو بن أسد بن عبدالمزني « هو الفحل  
لا يقدر أنفه » وهو مثل عربي يقال للكفو الذي لا يرد ان خطب

ما كان هذا الخاطب الكفو غنياً اذ ذاك ولكنه لم يكن أيضاً معدماً  
فهو من آل عبد المطلب العاصرة بيوتهم بقري الضيفان واعانة الفان في  
هذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب  
وأبواب المراج بما أوتوا من الهم والشم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار  
المعدمين وإنما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقدار أكبر . فمع قلة ماله  
في ذلك الحين أصدقها عشرين بكرة لان اعطاء الرجل للمرأة صداقاً سنة  
عربية لم يكن ليحسن تركها

والزواج العربي ليس محتاجاً الى رؤساء ديانا، ولا تلاوة الرؤساء  
صلوات، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوافق برضا المرأة وأوليائها  
ورضا الرجل، فيخطبة من الرجل وتقدمه الصداق واجابة من المرأة  
وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للخاطب . وهكذا أصبحت  
« خديجة » الطاهرة زوجة « محمد » الأمين بكلمة أعطاها عمها عمرو بن  
أسد فاعظمتها من كلمة جمعت بين القميين !

فيهم هادي الذي يستمعون القول فينبون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

# المعراج

١٣١٥

هو في الحكمة من يشاهد من يؤت الحكمة فقد أوتي  
خبراً كبيراً وما ينصركم إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر - الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٦ - ٢٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٨

## فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع اناس عامة، ونشرط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وان تذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ووربما قد منامتا خرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا . ولئن يعنى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاقفاله

### ﴿ أسئلة من روسيا ﴾

(س ١٢ - ١٦) من الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس

سيدي الفاضل اعرض على حضرتكم ما يأتي بيانه لمحض الاستفسار والاستنباء وان كان في صورة الانتقاد وهو: اني قرأت في الجزء الثالث من المجلد العاشر من مجلة المنار الفراء في قسم التفسير عند قوله تعالى « ويطعمون الطعام » الآية حديثاً طويلاً مروياً عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد رأيت في (نوادير الاصول في معرفة أخبار الرسول) للحكيم أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي رحمه الله انه عد هذا الحديث من المنكرات حيث قال في الاصل الرابع والاربعين فيما يعدونه صدق الحديث بعد ما ساق الحديث الى آخره: هذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين والجاهل بعض على شفتيه تلغها الا يكون بهذه الصفة ولا يدري ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله عز وجل في تنزيله الكريم «ويسألونك

ماذا ينفقون قل الصقوع وهو الذي يفضل عن نفسك وعيالك قل صلى الله عليه وسلم  
«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» واقترض الله على الأزواج النفقة  
لا هاليهم وأولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كفى بالمرء إثما ان يضع  
بما يقوت» أفحسب عاقل أن عليا رضي الله عنه جهل هذا الأمر حتى اجهد صبيانا  
صغارا من ابناء خمس اوست على جوع ثلاثة أيام وليالها حتى تضوروا من الجوع  
وغارت العيون بخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابه من  
الجهد؟ هب انه أثر في نفسه هذا السائل قبل كان يجوز له ان يحمل على اطفاله  
جوع ثلاثة أيام بليالين؟ هذا ما ذكره الحكيم الترمذي في وجه التنكير الا ان  
التدبر لو تدبر في احوال هؤلاء الكرام لا يستبعد وقوع هذا الحال منهم ولذا لم  
يتبين لي وجهه والمأمول من الاستاذ ايضاح ذلك حتى ترتفع الشبهة.

٢ الفونوغراف—وقد رأيت أيضا في هذا الجزء في قسم الفتاوي سوّالا يتعلق  
بالفونوغراف فخطرت لي عند ذلك مسائل اخرى تتعلق به وهي هل يجب السجدة على  
من سمع آية السجدة منه؟ وان شخصا لو شهد بواسطة الفونوغراف أو أودع الوصية فيه  
هل تقبل شهادته وتنفذ وصيته ام لا؟ واني أظن ان السجدة يجب على السامع اذ هو  
كالاستماع عن انسان وانما الفونوغراف آلة للاستماع فقط وكذا الشهادة والوصية  
ينبغي ان تكون صحيحة نافذة مهما ميز صوتها فان الاصوات متميزة في التليفون  
والفونوغراف حتى اتنا لو سمعنا صوتا معروفا لنا من قبل نقول انه صوت فلان ولا  
نشبه فيه فيكون ذلك في حكم الاستماع عن نفس القائل والله اعلم.

٣ التجارة بالجلود — ان اخواننا المسلمين في سبريا الروسية غالبهم يتجرون  
بالجلود وفيها جلود ميتة غير مدبوغة وجلود غير مذكاة وانهم يسألون عنها ويستفتون  
ما حكمها الشرعي ووربما تكون المعاملة بين المسلمين بالطائفة القرغزية فما حكم ذلك شرعا؟  
هل تكون فيها توسعة ان قلنا ان دارنا دار حرب ومذهبنا يوسع فيها في عدة مسائل  
كسئلة الر بامثلا؟ هذه المعاملة مما تم به البلوى في تلك الاقطار والمرجو من الاستاذ  
حل هذه المسئلة بحيث يخرجها عن الشبهة ولا يوقع حرجا ان شاء الله تعالى  
و الامامة — ان رجلا قطعت احدى رجليه من فوق الكعبونه قدم صناعية



وكان اماما في بلدة منذ سنين والآن وقع خلاف بين علمائنا في صحة امامته فمن قائل انها لا تجوز والاكثر على الجواز ونحن لم نر في الكتب التي بأيدينا أن صحة القدم من شرط الامامة ولذا لا أرى بأسا في امامته متى وجد سائر الشروط المهمة وأرجو من الاستاذ بيان ذلك أيضا حتى يندفع الاختلاف بيننا

٥ النسخ - هل هو من اصول الدين بحيث لا يجوز الخلاف فيه ام هو مسألة خلافية بين المسلمين كما ذكره الفاضل محمد توفيق في مقالة النسخ والمنسوخ وهو يقول ان ابي بن كعب رضي الله عنه قال بعدهم اي بعدم نسخ القرآن بالقرآن واستشهدوا عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معزوا الى البخاري الا اننا لم نر تقلا آخر سوى ما ذكره عن أبي ما يؤيد هذا القول وليس في هذا القول أيضا تصريح بعدم النسخ وانما يحتمله كما يحتمل غيره ولا يقطع بالاحتمال مراد القائل ولم يذكر خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسألة ثم ان أبا مسلم رحمه الله الذي نسب صاحب المقالة هذا القول اليه هل يعتبر قوله بحيث نعده خلافا في المذهب فبعضنا يقول ان النسخ لا خلاف فيه بين اهل السنة وانما هو خلاف نشأ من الاعتزال ولكن لم يظهر لي وجه هذا القول أيضا فان النسخ ليس من مواد الخلاف بين النبي والمعتزلي فيما اعلم والله اعلم وذكر ابن امير الحاج في شرح التحرير خلافا في نسبة هذا القول الى ابي مسلم حيث قال حكى الرازي والآمدي وابن الحاجب انكاره وقوع النسخ مطلقا وقيل لم ينكر وقوعه وانما سماه تخصيصا فعلى هذا يصير النزاع لفظيا والله اعلم والمأمول من الاستاذ تفصيل هذه المسألة وتحقيقها كما وعد في ذيل تلك المقالة وكما تفضل بالاجوبة الشافية في المسائل السابقة

العبد المستفيد من علمكم الوافي

محمد نجيب ابن الاستاذ شمس الدين محمد الحاج المرصع التوتاري

الجواب عن ار علي وآله عليهم السلام

إننا قد ذكرنا ذلك الأثر في الإيثار لأجل العبرة به وقد أشرنا الى ضعف الرواية بقولنا « و يروى » ولم تثبته في تفسير الآية بل وعدنا بذلك في تفسير

سورة الانسان ان انسا الله لنا في العمر وعند ذلك نذكر مكان الرواية والمسألة . وما قاله الحكيم الترمذي بعضه وجيه مقبول ، وبعضه مستقد مردود ، والايثار مرتبة وراء مرتبة تقديم الانسان نفسه على من يحب نفقتهم عليه من أهل وولد ، وتهديم هؤلاء على غيرهم وقد ورد في الصحاح ان كبار الصحابة آثروا على أنفسهم وأولادهم مع الفقر وشدة الحاجة فكان ذلك سبب ثناء الله عليهم بقوله ( ٩ : ٥٩ ) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) وقد حررنا هذا المبحث في المجلد الثاني من المار ( راجع ص ١١ و ١٧ منه ) ولا يبعد ان يقصد علي وفاطمة تربية ولدهما على الايثار ان صح الاثر من طريق الرواية بنصها او بالغة فيها ولا حاجة الى التطويل في ذلك فالخطب فيه سهل

### الجواب عن مسائل القوننراف

انما شرع السجود عند تلاوة أو سماع الآيات المخصوصة الآمرة بالسجود او الرغبة فيه لإظهار الخضوع والامثال ومن سمع القرآن من القوننراف صدق عليه انه سمع القرآن فالظاهر انه بشرع له السجود عند سماع آية السجدة منه . وإنما عبرنا يشرع دون يجب لاننا نرى أن السجود مستحب لا واجب كما تدل على ذلك الاحاديث الصحيحة وعليه الشافعية

واما الشهادة والإقرار والوصية وسائر المعاملات الدنيوية فالعبرة في ثبوتها أن تكون بحيث يوثق بصدورها ممن صدرت عنه ويؤمن من التزوير فيها لأنها ليست من المسائل التعبدية التي يوقف فيها عند نص الكتاب وما مضت به السنة بلا زيادة ولا نقصان فاذا وثق القاضي بشهادة القوننراف مثلا كانت بينة شرعية صحيحة لان البينة كل ما تبين به الحق كما حققه ابن القيم وذكرناه في المنار من قبل

### الجواب عن مسألة جلود الميتة

روى أحمد والشيخان واصحاب السنن الثلاثة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشاة الميتة « هلا اتفتمم بجلدها » وهذا اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى له « هلا استتمتم باهابها » والاهاب ككتاب الجلد او مالم يدنع منه كما في القاموس . ولفظ احمد ومسلم وغيرهما « هلا أخذتم اهابها فدبتموه فاتفتمتم

به « فقالوا انها ميتة فقال « انما حرم اكلها » وذكر الدباغ بيان لطريق الاتفاح وليس فيه حصر وفي لفظ لاحد : ان داجنا ليمونة ماتت فقال رسول الله (ص) « ألا اتفتم باهابها ألا دبتموه فانه ذكاته » اي ان الدباغ مطهر كالذكاة . ولا ينافي هذا جواز الاتفاح بالاهاب غير المدبوغ كما تدل عليه الرواية المطلقة . وروى مالك وابو داود والنسائي وابن حبان من حديث ميمونة ان رسول الله (ص) مر به رجال يجزون شاة لهم مثل الحمار فقال « لو أخذتم اهابها » فقالوا انها ميتة فقال « يطهرها الماء والقرظ » صححه ابن السكن والحافظ . ولعل هؤلاء لو اکتفوا بأمره اياهم باخذ اهاب الميتة والاتفاح به لكفاهم ولم يذكر لهم غيره وحسبك بعبارة المحصر في قوله « انما حرم اكلها » اي لا الاتفاح بها . وحديث « لاتفتموها من الميتة باهاب ولا عصب » قد اُعلِّ بالاضطراب والارسال فلا يعارض هذه الاحاديث الصحيحة ولا ينسخها . ولا يعارضها ما ورد في النهي عن شحوم الميتة فانها مما يؤكل فسدت الذريرة اليه . وامثل ما قيل في النهي عن استعمال جلود السباع انما مدعاة القسوة والكبر هذا وان المراد بالتنزه عن النجاسة هو ان يكون المؤمن طاهرا نظيفا بعيدا عن الاقدار وما فيها من المهانة والمضار ولذلك كان الدباغ مطهرا لانه يزيل العفونة والرطوبة التي يثمن بها الجلد فكل ما يزيل ذلك فهو دباغ مطهر والذين يشتركون جلود الميتة لا يتركونها بغير دباغ ولا معالجة حتى تفسد عليهم بل يعالجونها حتى يتفتموها بها فالذي اراه واعتقده ان التجارة بهذه الجلود جائزة شرعا لا اثم فيه ولا حرج . واذا باعها المسلم من غير المسلمين كان لجواز البيع وجه آخر عند الذين يقولون ان المخالفين لا يكلفون العمل بفروع الشريعة وعليه الخفية . ووراء هذا كله ما اشار اليه السائل من ان التزام العقود الصحيحة في المعاملات انما يجب في دار الاسلام الا ان يقال ان في النهي عن بيع النجس معنى غير كونه عقدا فاسدا . والعمدة في المسألة ما ذكرناه أولا والله اعلم بالصواب

### الجواب عن مسألة الامامة

الظاهر من السؤال ان الامام المسئول عن امامته يأتي باعمال الصلاة كلها تامة

وحيثذ يكون موضع الوقفة في صحة إمامته كون احدي رجليه من الخشب وهذا لا يصلح مانعا من صحة الامامة وقد ثبت في صحاح الاخبار والآثار اقتداء الناس بالامام يصلي جالسا للعرض واختلف العلماء فيمن يقتدون به فقال بعضهم يصلون قاعدين مثله وادعى ابن حزم إجماع الصحابة والتابعين على هذا وقال بعضهم يصلون قائمين وفصل بعضهم في ذلك . والاصل ان كل من صحت صلاته صحت امامته . ومن استثنى من هذه القاعدة بعض من تصح صلاته للضرورة ولا تصح امامته كالندي لا يحسن الفاتحة لم يستثنى من ذهب احد اعضائه فأتخذ له بدلا من معدن او خشب لهذا الأرى وجها للخلاف في صحة إمامة الامام المسئول عنه

### الجواب عن مسألة النسخ بالاجمال

لا أتذكر اني رأيت في الحديث ذكر النسخ والاصل عندهم في هذه المسألة قوله تعالى ( ٢ : ١٠٠ ) ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) والآية في اللغة العلامة والعبارة . وقالوا قد سميت الطائفة المخصوصة من القرآن آية لانها علامة يفضى منها الى غيرها : او لانها علامة دالة على الحق والنسخ في اصل اللغة نقل كتاب عن كتاب وجعل الزمخشري في الأساس قولهم : نسخت الشمس الظل من الجواز والمعنى في كل منهما التحويل الا ان الاول تحويل لمثل الشيء ، والثاني تحويل لغيره . وورد اللفظ بمعنى الازالة والتغيير كقولهم نسخ الشيب الشباب ونسخت الريح آثار الديار وقد ورد ذكر النسخ في كلام السلف وأئمة الفقه واصطلاح علماء الاصول على تعريفه المشهور وهذا في كلام السلف اعم من ذلك فالنسخ في الجملة متفق عليه ولكن وقع الخلاف في تفسيره وفي جزئياته والآية ليست نصا في قول أحد من المختلفين ولا حديث يحتج به في تفسيرها ولا في نسخ شيء من القرآن وإنما مدار البحث والاجتهاد فيها على تعارض النصوص والمروي من الآثار وفيه جرت المناظرة بين الدكتور محمد توفيق اندي صدقي والشيخ صالح اليافعي فعند ماتنتهي المناظرة يكون لنا كلمة أخيرة في المسألة وقد كتبنا بكتابة مفصلة ثم جاءنا الرد الآتي من الدكتور صدقي فأمكننا عن اتمام ما شرعنا فيه

## ﴿ التمييز عن الملائكة والجن بالقوى ومعرفة حقيقتهم ﴾

(س ١٧) ورد هذا السؤال على الاستاذ الامام من صاحب الامضاء في ٦ يونيه سنة ١٩٠٥ فبحث به الاستاذ الى صاحب هذه المجلة ليحيب عنه في المنار كما كان يفعل أحيانا في امثال هذه المسائل ؛ قد كان ضاع بين الاوراق ثم عثرت عليه في هذه الأيام وهذا نصه :

فضيلتو سيدي الاستاذ الحكيم

بكل أدب واحترام لاثقين لهذا المقام أتقدم لابلغكم أوفر التحيات وأزكى السلامات والشكر على خدماتكم الدينية وقيامكم بتأدية الحقوق العلمية وتسيوية السلطة الدينية الاسلامية أدامكم الله ركننا منيعا للوراثة المحمدية . وبعد فياحضرة الاستاذ لما بيني وبينكم من المودة الايمانية أحب مطالعة أقوالكم لأستعين بها على نزع ما اعتبراني من البدع والخرافات الباطلة والله الحمد فقد رأيت الفائدة فله الشكر ولكم والله أسأل ان يطيل حياتكم ويكثر من أمثالكم

استاذي بينما كنت انظر في نفيس تفسيركم لسورة قل اعوذ برب الناس اذ وجدت ما يأتي . حضرتكم قلم « قد وصف الله الوسواس الخناس بقوله : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » وقلم « من الجنة والناس يان للذي يوسوس او ييان للوسواس الخناس فالموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ولكن نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر » الخ

فبينتم حضرتكم بان الجن خلق مستترون لانعرفهم فهل المراد لانعرف كافة احوالهم من ابتداء نشأتهم مع كون القرآن مصرحا بانهم خلقوا من نار في آيات كثيرة والحديث مصرحا بان الشيطان يسري في جسم الانسان يسري الدم كما كان يسري في الآلهة لمعبودتهم ونعرف ايضا ان النبي بعث لهم وكلفهم بالرسالة فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا كله يثبت لنا ان الجن موجودون بمحاثق غير

حقائقنا وانهم يقدرّون على التشكل بشكل ما . ثم حضرتكم قلمم « وانما نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم » فهل ينسب اليهم حقيقة او مجازا مع كونكم جعلتم هذا الاثر للشيطان الذي قلمم عنه بانه « قوة من جملة القوى الانسانية » فكأنه لا شيطان ولا ابليس وكان هذه القوة هي التي أمرها الله بالسجود فتكبرت فلعنها الله وقالت « انظرنى الى يوم يبعثون » فلا غوينهم اجمعين « وكأنها هي التي قال لها الله « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعودهم وما يعدهم الشيطان — اي القوة — الا غرورا » وكأنها هي التي بعث لها المصطفى يبلغها الرسالة وكأنها هي المذكورة في قوله ( واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ) الخ قل ( أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن ) أي القوى وكأنها كانت تتلقى السمع لتبلغه لرئيسها فلما بعث النبي أرادت ان تتلقى السمع فأصيبت بشهاب قبس . وبكل احترام لمقامكم وعدم الاعتراض لا قوالكم اطلب الايضاح عن ذلك لان فكري متشككة الآن مع بيان كيف حقيقة الجن وكيف كان خطاب المصطفى لهم لتأدية الرسالة وبيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه اشفى المصروع وأخرج من جسده الجن مع ان الحكماء تنكر ذلك والظاهر للعقل هذا مع بيان التوسل بالنبي والصالحين في الدعاء ولكم الشكر

كاتبه ولدكم

محمود فهمي

باشمهندس ري مديرية الدقهلية

( ج ) قول الاستاذ الامام رحمه الله في الجن « هم الخلق المسترون الذين لا نعرفهم » هو الاصل عند المسلمين وكذا اهل الكتاب في هذا الباب . والمراد لا نعرف حقيقتهم لانهم من الخلق المغيب عنا . وما جاء في القرآن من خبر خلقهم وغير ذلك لا ينافي كوننا لا نعرف حقيقتهم وكذلك اخباره عن جميع عالم الغيب لا يقتضي اننا نعرف حقيقة ذلك العالم . والعلم بأن الجن خلق من المارج لا يفيدنا معرفة حقيقته بل ولا ظواهر صفاته ومميزاته كما ان خلق الانسان من طين لا يبين حقيقته ولا مميزاته . ومثل ذلك يقال في تكليفهم . وظاهر قوله تعالى في سورة الجن ( ١٠٧٦ ) قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن ) الخ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم

يرهم حين سمعوا منه القرآن فأمن بعضهم وكفر بعض . وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس التصريح بذلك قال في تفسير الآية « ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رأيهم » الخ ولكن روي عن ابن مسعود أنه رأيهم وقرأ عليهم وقال ابن تيمية ان ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة من إتيان الجن له الخ فحسبك من أمر تكليفهم ان حبر الامة ابن عباس كان يعتقد بحسب فهمه للقرآن ان النبي (ص) لم ير الجن وإنما اوحى الله اليه انهم سمعوا منه القرآن ونزل عليه فيهم (٤٦:٢٩) واذ صرفنا اليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن ) واذصح حديث ابن مسعود وابي هريرة في رؤيته إياهم ومكانتهم فذلك لا يدل على انهم صاروا من عالم الشهادة واننا صرفنا نعرف حقيقتهم فان الله قد يطلع رسوله على بعض غيبه وذلك خصوصية لهم كما قال في سورة الجن (٧٢:٢٩) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ٢٧ الامن ارتضى من رسول ) الخ

وكذلك حديث صفة عند الشيخين وغيرها « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » لا يدل على حقيقة الشيطان ولا يجعلها معروفة لنا والحديث تمثيل لا حقيقة كقول الشاعر « جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي » وليس فيه « كما كان يسري في أعضاء الآلهة » كما قال السائل . وقد قال تعالى في الشيطان (٧:٢٧) انه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم ) . وقوله انه صح ان النبي شفا المصروع واخرج من جسده الجنان لا أدري من أين جاء به السائل على انه لا يدل على اننا نعرف حقيقة الجنان

واما تعبيره عنهم بالقوى فقد كنا نقلناه عن الاستاذ الامام في تفسير سورة البقرة فانكره بعض الناس وان ورد مورد التأويل لمحاجة المنكرين لعالم الغيب فطلبنا منه ان يوضحه فأوضحه بكتابة بليغة زادها على تفسير آيات خلق آدم الذي نشرناه في المنار واننا نورد هنا ما كنا كتبناه هناك وما زاده عليه رحمه الله واحسن مشوا ومميز ما كتبه بوضعه بين أقواس هكذا ﴿ وهالك ما هنالك

تقدم ان الملائكة خلق غيب لا نعرف حقيقته وإنما نؤمن به بانخبار الله تعالى الذي تقف عنده ولا تزيد عليه وتهدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف

لكل صنف وظيفة وعمل وتقول الآن ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي (ص) وقد أسندا الى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منها محل الروح فالملائكة والشياطين اذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا ﴿ لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا قائما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطعاً ﴾ والواجب على المسلم في مثل الآية الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة

وأقول : إسناد الوسوسة إلى الشياطين معروف في الكتاب والسنة واما إسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في الحديثين وكون عمر منهم . والمحدثون الملمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشياطين فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ( الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً الا من حديث أبي الاحوص . والرواية ايعاد في الموضوعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضوعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والايعاد اغلبي فيما يظهر والافهوغير صحيح والممة بالفتح الالمام والاصابة

( قال الاستاذ ) وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من انماء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفحه الله في البندرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في ايجاده قائما قوامه



روح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني اتوى الطبيعية ﴿ إذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ﴾ والامراتاب الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعامل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعامل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ﴿ وان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهم حق الفهم ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره ، وان كنت لا أقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ويحظى بما يحظى به المؤمنون ﴾

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسبناه قوة وفكراً وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يعد ان يسميه الله تعالى ملكاً ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حبر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان نفاذ والعلم الواسع ! ؟

وأقول ان الامام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكاً فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال « ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومما اختلفت

الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه بالدخان عانت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللفظ الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتهيأ به لقبول الشر يسمى اغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة » اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء ثم قال الاستاذ الامام مامعناه: فاذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ﴿ ولا يتعدى ما حدد له من الاثر الذي خص به ﴾ خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحداه والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لانه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستنتى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بابليس وهي القوة التي ﴿ لزها الله بهذا العالم لزها وهي التي تميل بالاستعداد للكمال أو الكمال الى النقص وتعارض مدّة الوجود تدره الى العدم أو تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، أو التي تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ﴿ تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فزعموا ان في العالم إلها يسمى إله الشر وما هي بإله ولكنها محنة إله لا يعلم اسرار حكمته الا هو ﴾

( قول الاستاذ الامام ) ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق ﴿ ولست أحيط بما فعمت المادة والبقية في أنفس بعض من

يظنون انهم من المتشددين في الدين اذ ينفرون من هذه المعاني كما ينفر المرضى أو الخدجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تثبت أولئك المرضى أو الخدجون بأضر طعام يفسد الاجسام ويزيد السقام . لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخلون به من مفهوم لفظ قوة ! أليس الروح في الآدمي مثلا هو الذي تظهر آثاره في أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له : فاذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخباء حقيقتها روحا فهل يضر ذلك الدين ، أو ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟

ولا يسمى الايمان ايمانا ، حتى يكون ادعانا ، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الوجدان ، وتخشع الاركان ، لذلك السلطان الذي تعلق به الايمان ، ولا يكون كذلك حتى يلقي الوهم سلاحه ، ويبلغ العقل فلاحه ، وهل يستكمل ذلك لمن لا يفهم ما يمكن فهمه ، ولا يعلم ما يتيسر علمه ؟ كلا انما يعرف الحق أهله ، ولا يضل سببه ، ولا يعرف أهل الغفلة . لو ان مسكينا من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء واذرهم لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل . ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى نورانية الاجسام وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بحرم آخر ككشف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء ومعنى قالية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفة حسب يريدون كيف يكون ذلك ألا يقع في حيرة ؟ ولو سئل عما يعتقد من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقدة ما لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة يعدشكا ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغيب يطرف لما يستطيع النظر اليه لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه ، وكلف نفسه علم ما لا يعلمه ، فلا يعد مثلا من آمن بالملائكة ايمانا صحيحا واطمأنت بايمانه نفسه ، وأدعن اهقلبه ، ولم يبق لوهمه سلاح يتنازع به - نذركا هو شأن صاحب الايمان الصحيح . فليرجع هؤلاء الى انفسهم ليعلموا ان الذي وفر فيها تعاليد حفت بالخاوف ، لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة . هؤلاء لم يشعروا في نفوسهم ذلك

السر الذي يعبر عنه بالنور الألهي والضياء الملكوتي والألاء القدسي أو ما يماثل ذلك من العبارات . لم يسبق لنفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق ، ولم تتكحل أعين بصائرهم بنظرة الى مطلع الوجود على الخلق ، ولو علموا ان العالم بأسره فان في نفسه ، وان ليس في الكون باق كان أو يكون إلا وجهه الكريم ، وان ما كُتف من الكون وما لطف ، وما ظهر منه وما بطن ، إنما هو فيض من جوده ، ونسبة الى وجوده ، وليس الشريف منه إلا ما أعلى بذكره منزلته ، ولا الخسيس إلا ما ين لنا بالنظر الى الاول نسبه ، فان كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه ، ليس شيء أعلى ولا أحط منه ، فانه كان كذلك ولا بد ان يكون كما قدره ، لو عرفوا ذلك كله لأطهوا لانفسهم ان تجول في تلك الشؤون حتى تصل الى مستقر الطائفة حيث لا يناع العقل شيء من وساوس الوهم ، ولا نجد طائفا من الخوف ، ثم لا يخرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ

هذه القوى التي ترى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا الى آثار مجهل اذا كشفت ، وتقل بل تضحل اذا حجت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، بها ينشأ الناشئ ، وبها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ ألا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها ، لا يدرك كنهه لاحتجابه بما تصوره من حياتنا واختيارنا ، ألا ترى ما توافي بأسرارها ، من ينظر في آثارها ، ويوفيهما حق النظر في نظامها ، ليستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استدرار منافعها ، أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة ؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها ، وقدر لها آثارها ؟ لم لا تقول أيها الغافل انه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها ؟ ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه فيك وفي حيوان مثلك ؟ مع انك لو سلطت عن هذا الذي تزعم انك فهمته وهيمته حياة لم تستطع له تعريفا ، ولا لفعله تعريفا ، الاقول كما قال الله وبه قول

(المنارج ٨١١) اعتقاد المضطرب والراسخ في الملائكة، خضوع القوى للانسان ٥٩٣

(١٧ : ٤٤) تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

﴿ أفلا نزع من الله ملائكة في الارض وملائكة في السماء! هل عرفت أين تسكن ملائكة الارض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام، أو تؤنسك اذا هجمت عليك الأوهام؟ فلور كنت الى انها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك، وبالعبارة التي تلففتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وترى لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها، أفلا يكون ذلك أرواح لنفسك، وأدعى الى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب، ووقفت على سر من أسرار الكتاب، فان لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلم ترمي طلاب العرفان بالرهبان ماداموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته، وهم في ايمانهم أعلى منك كعبا، وارضى منك برهبهم نفسا! ألا ان مؤمنا لو مالت نفسه الى فهم ما أنزل اليه من ربه على النحو الذي يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل ربه في سعة، ﴿

ثم نقول في الآية ان ترتيب النظم يلتزم مع هذا التأويل الذي أورده الاستاذ الامام فان هذه المهاني التي وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وبقي شيء واحد لم يصرح به فيما مضى ولكنه يفهم منه وهو ان كل قوة من قوى هذه الأرض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته الا قوة الاغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائما الى شرطباع الحيوان ويعوقه عن بلوغ كماله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يغلب هذه القوة ويخضعها مهما ارتقى وكل وقصارى

(المنارج ٨) (٧٥) (المجلد الحادي عشر)

ما يصل اليه الكاملون هو الخدر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل يجعله مسخراتها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى ( ١٥ : ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ) وقال عز وجل ( ٧ : ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ) ﴿ اما سلطان تلك القوة في الفناء وقطع حركة الوجود الى الصعود فلا يستطيع اخضاعه لقدرته من البشر كامل ، ولا يقاوم نفوذه عامل ، وانما ذلك لله وحده . وهذا حكما في الكائنات ، الى ان تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴿ فنسأل الله ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من الشيطان الرجيم . اهـ ما كتبناه في تفسير سورة البقرة مع ما زاده عليه الاستاذ الامام بعد ذلك

## باب المناظرة والمراسلة

### ﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (٥)

أنا لا أريد أن أناقش أخانا الفاضل والعالم العامل الاستاذ الشيخ صالح الياضي في جميع ما كتبه رداً عليّ فإن ذلك يؤدي إلى التطويل والتشويش وملل الفارئين وسآمتهم وضياع أوقاتهم وربما خرجنا بالتطويل عن الغرض ، وتركنا الجوهر وأكثرنا الكلام في العرض ، فلذا آثرت أن أذكره بكلمات قليلة في الموضوع هي تبصرة للمفكرين . وعبرة للمناقدين ( وذاكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) وقبل البدء في هذه الكلمات أقدم له جزيل الشكر على غيرته على دينه وعلى ما أبداه من الأدب العالي في جميع ما خطه قلمه وأسأل الله تعالى أن يكثر بين المسلمين من أمثاله . وهذه هي الكلمات - :

( الكلمة الأولى ) - في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة

(٥) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

النسخ في القرآن — قالوا إن محمداً قد بلغ من الدهاء مبلغاً بحيث صار يلعب بعقول أصحابه ويجهلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فكان يأتيهم بالآية من قرآنه فإذا اتضح له فيها عيب أو سُمع عليها انتقاداً في مفزاها أو معناها أمر أصحابه بإسقاطها من القرآن بدعوى أنها نسخت . وبلغ به الأمر أنه إذا كان ما في الآية من الأحكام متفقاً مع هوى الأمة أو مصلحتها ولكن كان في انشائها شيء لم يرق له بعد إذاعتها أسرع بنسخ لفظها دون معناها خوفاً من أن يوجد في العرب من يمكنه أن يعارضها في بلاغتها . وإذا أتاهم بحكم واتضح له بعد تجربته أنه لم يرض الناس أو أنه لا ينفهم أو قد يضر بمصلحتهم التجأ إلى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الأحكام وبذلك كثرت بين المسلمين الآيات المنسوخة لفظاً وحكماً أو لفظاً فقط أو حكماً فقط

(قالوا) ولا يدري أحد ما الحكمة في كل هذا التقلب والتلون سوى التخلص مما كان يقع فيه من الورطات والغلطات ولولا ذلك لما أمكنه التخلص منها . وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وهي وإن كان أكثرها مما فقد بسبب إهماله في المحافظة على قرآنه إلا أن المسلمين اعتذروا عن ذلك بدعوى النسخ وقالوا تحكما إنها جميعاً مما نسخ لفظه وإن كان لا يمكنهم التعليل عن ذلك بعبارة معقولة ، ولا يمكنهم الإتيان بحكمة لذلك مقبولة ، على أن أكثر الروايات التي ذكرت فيها هذه الآيات صريحة في أنها ضاعت من القرآن ولم يرد فيها ذكر للنسخ لا تصريحاً ولا تلميحاً . وما بقي من القرآن الآن بعد كل هذا التصحيح والتنقيح نجد شططاً في كثير من أحكامه فضلاً عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات والمسائل الخاصة بمحمد وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه كآيات كثيرة من سورة الأحزاب والتحريم وبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فإذا صح عند المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلا إذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها ؟ وما حكمة نسخ ألفاظ آية الرجم مثلاً مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟

هذا شيء من شبهات القوم على مسألة النسخ في القرآن ، وقد قررناه هنا كما يقررونه في كتبهم الطائفة في الاسلام ، ومنه ترى أن اعتمادهم فيها إنما هو على روايات الآحاد التي يمسك بها المسلمون وعلى ما اتفق عليه جمهورهم من تسليم مسألة النسخ والقول بها ، وكان الأولى بعلمائهم الذين يقولون بالنسخ أن ينظروا في أمثال هذه الشبهات نظرة تحقيق وتدقيق ، ويردوها بالبرهان إن كانوا قادرين ، بدل أن يهيموا في وجهها ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في أصول الدين ، وبمثابة تسليم سكاكين للخصم لقطع بها منهم الوتين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل

أنا لا أقول ذلك ليأخذ المسلمون برأيي بلا برهان بل قد قدمت من البراهين ما يقنع المنصفين ، ويهدي المستهدين ، وسأزيد الأمر قوة في الكلمات الآتية ، ما سيكون إن شاء الله نافعاً للمؤمنين ، هادماً لجميع شبهات أعدائهم المخالفين

( الكلمة الثانية ) - في بيان أسباب نشوء مذهب النسخ بين جمهور المسلمين وتواتره في جميع الأزمنة - اعلم أن من أسباب ذكره في عصر الصحابة أمور منها (١) كلامهم في نسخ الأحاديث والسنة فقد كانت الأحاديث والسنة تنسخ بأحاديث وسنة مثلاً وتنسخ أيضاً بالقرآن الشريف فالكلام في النسخ قديم بين المسلمين ونشأ منذ نشوء الشريعة الإسلامية (٢) ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستعملون لفظ النسخ في القرآن بمعنى أوسع مما جرى عليه المتأخرون فكانوا يريدون به تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين المجمل لأن من معاني النسخ الرفع وفي كل ما تقدم رفع لدلالة العام والمطلق والمجمل فلذا تواتر بين المسلمين الكلام في نسخ القرآن كما تواتر بينهم الكلام في نسخ السنة والأحاديث . أما رفع حكم الآية مطلقاً فقد دل الاستقراء على عدم وجود شيء منه في القرآن كما بيناه في المقالات السابقة ولم يرد نص قاطع عن الرسول بشيء من ذلك ولم يصرح به الكتاب العزيز وإن سلم أن بعض الصحابة قال به في بعض الآيات فهو مذهب له في فهمها ولنا ملزمين بتقليد أي صحابي فيما فهمهم ولذلك خالف جميع المفسرين ابن عباس وهو أعلم الصحابة بالتفسير في كثير مما ذهب إليه فيه على أن أكثر الروايات المأثورة عن الصحابة في التفسير



موضوعه كما قال الامام احمد بن حنبل ونقله عنه السيوطي في الاتقان فلا يمكننا أن نعلم باليقين رأي الصحابة في أكثر الآيات التي يحصل فيها هذا الخلاف . على أنه قد نقل فيما صح عندهم من الروايات أن بعض الصحابة كان ينكر النسخ في الآيات بمعنى أن يبطل حكمها مطلقاً أو أن تُلغى فلا تتلى ولا يعمل بها كأبي بن كعب فإنه رضي الله عنه كان يقول : إني لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد بذلك أنه لا يترك آية ما بدعوى أنها منسوخة كما رواه البخاري في صحيحه فالنسخ وإن انكرناه بمعناه عند الخلف فنحن لا ننكره ببعض معانيه كما عند السلف ولا نرى عيباً في تسميتهم التخصيص والتقييد والتبيين نسخاً . فان كان هناك اختلاف ما بين مثل أبي مسلم الاصفهاني أحد منكري النسخ وبين الصحابة فهو خلاف لفظي لا حقيقي كما لا يخفى

فمسألة النسخ هذه اختلف فيها المسلمون من عدة وجوه (١) في معانيها (٢) في الآيات المنسوخة وقد أنكر الامام الشوكاني وغيره النسخ إلا في بضع آيات وانكره غيرهم في جميعها بمعناه عند المتأخرين كما هو مذهبنا (٣) في جواز نسخ القرآن بالسنة وأنكره الامام الشافعي رضي الله عنه . فأنا بما قلته في هذه المسألة لم أكن بدعا من المسلمين في شيء ، فان المسألة فيها خلاف من عدة وجوه من العصر الأول الى اليوم وأكثر ما فيها من الخلاف هو في الحقيقة لفظي وإن كان لتقريرها على الوجه الذي ذهبنا اليه فيما كتبناه سابقاً تلك دعائم شبهات المخالفين إني الدين وتسقط حججهم أما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن أو ضياع شيء منه فقد أذكرها كثير من محققي أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً وأظهر بعضهم ان أكثرها من وضع الملاحدة لتشكيك المؤمنين . وهي تنافي النصوص المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً) وهي لا تتفق مع ما علم بالتواتر من عناية المسلمين بكتابهم حفظاً وكتابة من عهد الرسول الى اليوم فهي ان لم تكن موضوعة من أعداء الاسلام المناقذين لغش المسلمين وتشكيكهم في دينهم فلا يبعد أن يكون الواضع لها من بعض الفرق الاسلامية لتأييد مذهب لها في مسألة

ما أو إثبات دعوى باطلة لا يجدون لها سندا من الكتاب المتواتر فيختلقون الروايات ويدعون أنها كانت قرآنا ونسخ وقد انطلت حيلتهم هذه على بسطاء المحدثين كما انطلت عليهم في مسائل أخرى كثيرة يقف عليها من مارس علم الحديث فاخترعوا من الأحاديث ما يؤيد مذاهبهم ومزاعمهم . وقد يكون منشأ بعضها خطأ الراوي وعدم فهمه حقيقة بعض المسائل فيظن ان كل ما أوحى إلى النبي ولا يجده الآن في القرآن كان قرآنا ونسخ كحديث (بلغوا قوما أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ) فوقع بسبب ذلك في الغلط رواية ودراية ولو علم ان من الوحي ما ليس بقرآن مطلقا لماساه قرآنا واني لأعجب من قبول بعض المسلمين ذلك منهم واستشهادهم على نسخ اللفظ بآية ( سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله ) مع ان مثل هذا الاستثناء قد ورد - كما قرره الاستاذ الامام --- في القرآن لتأييد النفي وليان أن لا شيء في هذا الوجود يستعصي على مشيئة الله فكأنه يقول انك لا تنسى أبدا الا ان قضى الله بذلك فلا راد لقضائه ولكنه تعالى لا يقضي به كما وعد بذلك في مثل الآيتين السابقتين . وقد ورد مثل هذا المعنى في آيات كثيرة في القرآن الشريف كقوله تعالى ( خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك ) مع قوله ( خالدين فيها أبدا ) ( وما هم منها بمخرجين ) وغيره كثير ( لها بقية )

## كلمات للمنار

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب التوقيع ، وهو أحد الاشراف المخلصين في جاوى ، وقد سألتنا نشرها ، فأجبنا سؤاله مع الشكر له ، لانها بمثابة رد على الصادقين عن الحق بلا برهان ولا دليل ، بل بمحض التحمل والتأويل ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المنار حياك الله ويياك ، لقد أوضحت السبيل ، وبينت الدليل ، وشفيت الغليل ، ونحن اليك بالاشواق ، السلام عليك ورحمة الله وبركانه ، من قوم فظروا اليك بين الانصاف ، فشاهدوا بها ما حيزت من محامد الأوصاف ، فأبصارهم الى

طلعتك مشتاقة، و بصائرهم لما عودتها من لذائذ الحكمة مفارقة (كذا) ، ثبت الله دعائمك  
 أيها المنهج القويم ، والقسطاس المستقيم ، لقد كشفت قناع الحقائق ، و بينت  
 تباين الطرائق ، و شددت أزر الحق ، و شيدت مباني السنة ، و خربت مصانع  
 البدع ، و جددت هذه الأمة دينها ، و دعوتها لتدرك يقينها ، فمنها من اتبعك ،  
 و عنها من ضالك و بدّعتك ، هكذا سنة الله في المصلحين ، و لن تجد لسنة الله تبديلا .  
 أيها المنار أنت والله الحق الثابت في الكتاب و روده ، و الواضحة في سني السنة  
 حدوده ، و المرفوعة عليها قواعده ، و الموضحة على طوذيها شواهد ، فلا يحزنك  
 ( و حاشاك ) ما هذى به بعض حاسديك ، و ما فاه به الأغبياء من راديك ، فقد  
 وردت البنا و ردودهم التي هي أوهن من بيت العنكبوت ، و اطلع عليها المستبصرون  
 عندنا من طلاب الحق فأنشدوا بلسان واحد

ان المرانين تلقاها محسدة ولا ترى للنام الناس حسادا

واقبلوا يتضحكون من تلك الردود التي هي ليست بشيء ولا بعض شيء ،  
 فلا تهديم حقا ، ولا تبني باطلا ، فما عليك ولا على الحق بأس من تلك الكلمات  
 المزورة ، و هاتيك السطور المصورة ، فهي غاية ما قصر رأيهم عليه ، و انتهى ما بلغوا  
 من العلم اليه ، و اننا لانكره اطلاع الناس عليها إذ ليست هي بمعقول ولا منقول ،  
 و الحمد لله الذي لم يجعل بيان الحق بزخارف اللسان ، و لكن بالدليل والبرهان ،  
 و الأخذ بما في القرآن ، و أحاديث سيد واد عندنا ،

أيها المنار لا تروعنك ( و حاشاك ) تراثر الجهلة و الحسدة ، و لا تهمنك و انت  
 أليث همهم السفلة و القرودة ، فثله ما أوضح منار الحق لرائديه ، و ما أرفع اعلامه  
 لواردية ، و ما أحلى الرجوع اليه لدى ظالميه ، و ما أدحضه لحجة محاربيه ، هو الحق  
 و الله أجل من ان تخفض اعلامه ، أو تخفي احكامه ، أو تحاولك أياده ، ما فثمت  
 والله مناهجه مسلوكة ، و ما انفكت نواقضه متروكة ، لدى حماة ذمار الشريعة ،  
 و حراس حصونها المنيعه ، ماذا الله أنت يستر شمس الحق ضباب الهديان ، أو  
 يخفي سنا مناره عنا حجاب البهتان ، بنفسي أفديك أيها المنار من ان يدنس ظاهر  
 ساحاتك المنسوق ، أو يدلس في واضح احكامك المنسوق ،

أيها المنار لك أسوة بالانبياء والمرسلين ، وفي جميع المصلحين ، فادأب فلاحق طلاب ، ولا تبعاً بفرقتين احدها عمشت بصاؤها عن رؤية الحق ، مذعمت عليها انباء العلم ، فصارت اذا حدثتها بما صح سنده عن النبي صلى الله عليه وسلم شاعبت ، واذا حدثتك هي بما لا سند له عن بعض من تعظمهم طلبت منك الايمان بالمحالات ، فهذه جاهلة ملبس عليها ، ثبت التقليد في قلبها والثانية ثقلت عليها وطأة الحق اذ جاءها ، وطفقت تضلل من رام اهداءها ، وتذمرت من ورود حق المقال ، خوفاً من ائلام اعتقاد أولئك الأندال ، وهذه غير ملومة لانك جذدت عليها أصول الكدية ، وسددت دونها سبل الفرية ، وكسدت بضاعتها الرائجة التي طالما استنزفت بها الأموال ، وأضلت بها عقول الجهال ، وأنت بالرغم منها حولت الهزل جدا ، ومددت لها من الضيم بظهور الحق مدا ، أيها المنار اني أعتقد كما يعتقد كل منصف ، وأدين الله تعالى بأنك أنت الحق الصراح الذي لا يتردد فيه عاقل ، ولا يرده الأمتهور جاهل ، أو أحمق متجاهل ، فويلك آمن أيها الحائد عن السنن القويم ، والناظر الى المنار بعين السخط الذميم ، ولا تبار قوماً لا يشق لهم في المعارف غبار ، ولا يدرك لعباب علومهم قرار ، طالما ازاحو دياجير الجهل بشموس المعارف ، وازالو بقواطع الأدلة هام المجادل المجازف ، فارجع البصر ، وانم النظر ، في أجزاء المنار الماضية والقادمة ، تدرك هناك وصفك ووصفهم ، وجراءتك وخوفهم ، وانا ابتهل الى الله ان يميني على ماضيه وشمله منار الحق وينتهي عليه انه بالأجابة جدير والسلام

السيد محمد بن هاشم بن طاهر

بجاوا — المالاغ

## أبو حامد الغزالي (\*)

٥

رأيه في حكمة التكليف ورد شبهات الباطنية عليه (١)

﴿ جواب المسائل الاربع التي سألتها الباطنية بهمدان ﴾  
( من الشيخ الاجل أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
سئل ما قول سيدنا الشيخ الامام الاجل ، حجة الاسلام ، شرف الشريعة ، مقتدى  
الفرق ، امام الائمة ، في هذه المسائل الاربع التي لبس ( بها ) هؤلاء القوم الذين طفوا  
في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وموهوا بها استجلاباً لقلوب الخلق ، وهي هذه  
﴿ المسئلة الاولى ﴾ أليس أهل الاسلام متفقين على ان الباري جل ذكره  
غني عن كل شيء غير محتاج الى شيء ما . ثم مع ذلك كلهم معترفون بانه كلف  
العباد العبادة وأقربها فكيف تراك نسبت بحجة العقل ان غنياً عن كل شيء يكلف من  
لا يحتاج اليه ان يعمل عملاً هو غني عنه ؟ بين لي كيف ذلك لعلي ان أكون من العالمين  
﴿ المسئلة الثانية ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة ونهاهم عن المعصية ليثيب  
من أطاع ويعاقب من عصى وهذا مستحيل جداً في العقول فأبي حاجة به الى  
معاينة خلقه حتى يدعوه ذلك الى ان يكلفهم أمراً اذا لم يأتوه عاقبهم عليه وان

(\*) تابع لما في الجزء ١٢ م ١٠ (١) عثر على هذه الرسالة في بعض المجموعات  
القديمة ببغداد عالم العراق السيد محمود شكري افندي الاكوسي فأرسلها الينا لنشرها  
في المنار فحمدنا سعيه ، وشكرنا فضله ، ونشرناها بنصها ، الا كلمات قليلة علمنا  
باليقين انها محرقة فرددناها الى أصلها ، وبقيت فيها وقفات تركناها على حالها  
( المنار ج ٨ ) ( ٧٦ ) ( المجلد الحادي عشر )

كان لا حاجة به الى ذلك فاقول مستحيل جدا لا توجيه حكمة وان كان تعالى به الى ذلك حاجة فما يصنع بالتكليف وهو قادر على ان يثيب من يريد ويعاقب من يريد؟ فالتكليف أيضا حشو لا توجيه حكمة والحاجة نقص وانه سبحانه وتعالى لا ينسب الى نقص وهو غني غير محتاج

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة لينفعهم بها أترأه جل ذكره عجز عن ان ينفعهم بغير التكليف حتى احتاج ان يكلفهم ثم ينفعهم؟ ان كان غرضه نفعهم فالتكليف ساقط وهو حشو وان كان يعجز عن ذلك الا بالتكليف فالقدرة ساقطة والمعجز ثابت وهو محال

﴿ المسئلة الرابعة ﴾ ان الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهذا باب تحير فيه العقول، هل يجوز ان يأمر حكيم بأمر يخرج عن الحكمة وينبؤ عنه العقل ثم يحظر على العاقل البحث عنه؟ أليس ذلك ضربا من الجور والظلم لانه جعل الحججة على هذا الخلق العقل وأمر أهله ونهاهم وخص غيرهم من البهائم على ما خلقوا عليه بالآلات التي خلقت لها وألمهم العقل استعمالها بمثل اللجام الذي تروض الدابة به وغير ذلك من حبالات الصيد والحيل المعروفة التي يطول شرحها؟ واذا كانت حجة العقل على المكلفين والمأمورين والمنهيين بأمره ثم يكفون أحرأ ويمنعون من الفحص عنه والتماس سبب يتصور به ما يكفونه عندهم ويصح في معقولهم؛ معاومهم الذي هو حجة عليهم أليس يكون ذلك ظلما صريحا؟ ووجدنا المتحلين بالعلم من جميع الاصناف يقولون ان الله جل جلاله لا يقبل عملا الا على بصيرة فاذا منع العاقل من البحث والنظر أين يكون بصيرا وهل يرجى ان يوحى اليه؟ هذا منكر من القول لا يعقل وما لا يعقل فليس بشيء. ووجدنا هذا الكتاب الناطق بين الخلق من الحق يخبر في موضع بآية « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » ويخبر في موضع آخر بانه يسئل ويقتضي الجواب في قوله تعالى « ونحشره يوم القيمة أعشى » قال رب لم حشرتني أعشى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فأبي سؤال أتم من هذا السؤال الذي اقتضى هذا الجواب؟ وفي القول مثل هذا كثير والتناقض في مثل هذه الآيات ظاهر موجود اذا لم يعبر عنه

بيان يقبله العقل . فهذه اعزك الله المسائل الاربع قد شرحت لك بعضها فلا بد من قول خامس تصح به التكليفات لان سقوطها أيضا لا يصح . ابن لي ذلك فاني أراك من المحسنين . الى هنا كلامهم فان رأى سيدنا ان يجيب عن هذا ويوضح هذه الاشكالات ويكشف عن هذه التليسات حاز به الاجر الجزيل والثواب الكثير ان شاء الله تعالى

\*\*\*

أجاب وقال أما السؤال الأول وهو استبعاد التكليف مع الاستثناء وتوهم التناقض بينهما فصدره الجهل بحقيقة التكليف فكان السائل لم يسمع قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » وقوله « فلا أنفسهم يهودون » وقوله « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » كأنه ظن ان تكليف الله تعالى عباده يضاهي تكليف الانسان عبده فان السيد يكاف عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه وما لاحظ له فيه ولا يحتاج اليه فلا يكلفه به فكان هذا السائل ثبت في وهمه قياس فاسد وهو تشبيه تكليف الله تعالى بتكليف عباده فجعل نفسه مثالا لله، تعالى الله وتقدس عن خياله ومثاله، والكشف عن حقيقة التكليف مما يطول ومن اقتبس حقائق العلوم عن رأيه السخيف، وعقله الضعيف، وقياسه الفاسد، كثر تعثره بالضلالات، بل ينبغي أن يطلب حقائق العلوم من أهلها وهم العلماء الاقوياء القائمون بحقيقة المقولات المطلعون على اسرار الشرع العارفون بشروط الادلة والبراهين المستبصرون بمدخل الفرور والتليس فيها . واذا كان شرح ذلك مما لا يسمح به عداوة؟ على مثل هذه الاستاثة الضعيفة الصادرة عن ضعف البصيرة فلا علاج للافهام الضعيفة انفع من ضرب الامثلة فلنقتصر على ضرب مثلين .

﴿ المثل الاول ﴾ تكليف الله عباده بجري مجرى (معالجة) الطيب المريض فانه اذا غلبت عليه الحرارة مرة يشرب المبردات والطيب غني عن شره لا يستنصر بمخالفته ولا ينتفع بموافقته ولكن الضرر والنفع يرجع الى المريض وانما الطيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطيب شفي وتخلص وان لم يوفق تماذى به المرض وهالك وبقاؤه وهلاكه عند الطيب سيات فانه مستغن عن بقائه فكذلك خلق للعبادة الاخروية اسبابا تنفعي اليها افضاء الدواء الى الشفاء وهي الطاعات ونهي

النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن ردائل الاخلاق مشقيات في الآخرة ومهلكات كما ان ردائل الاخلاط ممرضات في الدنيا ومهلكات . والمعاصي بالاضافة الى حياة الآخرة كالسموم بالاضافة الى حياة الدنيا والنفوس طب كما أن للاجساد طباً فالانبياء أطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح لتمديد طرق التزكية للقلوب كما قال تعالى « قد افلح من زكاه » وقد خاب من دساها » ثم كما يقال ان الطيب أمر المريض بكذا ونهاه عن كذا وانه زاد مرضه لانه خالف الطيب وانه صح لانه راعى قانون الطيب ولم يقصر في الاحتماء وبالْحَقِيقَةُ لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطيب بها فكذلك ( مداواة ) النفوس هي الاحتماء الذي ينفي عن القلوب أمراضاً وأمراض القلوب تفوت حياة الآخرة كما تفوت أمراض الاجساد حياة الدنيا

﴿ المثال الثاني ﴾ ان الملك من الآدميين قد يخص بعض خدمه وعبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه الى مجلسه تارة لحظ الملك في استخدامه والاستعانة على نظام مملكته ومصالحها به وهذا القسم ونظيره في حق الله تعالى محال وتارة ليتوجه العبد الى مجلسه وينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به وتصميمه العزم على ان لا يستخدمه أصلاً ولكن ليقر به من نفسه لجرد حظ العبد والزيادة في قر به . ثم العبد ان ضيع المركوب وانفق المال لا في الطريق الى السيد عند كافرًا للنعمة وان ركب المركوب وانفق المال في الطريق متزودا به عند شاكرًا للنعمة لا بمعنى أنه نال الملك حظاً لنفسه ولكن اراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكرًا وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله يستوي عنده كفر العباد وايمانهم بالاضافة الى جلاله واستغناؤه ولكن لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الملك المستغني لعبده الغائب الشقاوة بالذل والفقر ويريد له السعادة بالقرب منه وهو غني عنه قرب منه أو بعد . فكذا ينبغي أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصي سموم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة إلا من أتى بمزاج معتدل وكذا يصح قول الطيب للمريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني فلنفسك



وإن خالفت فعليها فكذلك قول الله تعالى «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها»  
(وأما السؤال الثاني) فهو فرع من هذا السؤال فإن قوله ان الله مستغن  
في اثابة عبده عن الطاعة وهو لم يتضرر بها يضاهي قول القائل ان الله مستغن في  
في انشاء الانسان عن الامر بالوقاع وفي انماء الطفل عن الرضاع وفي اشباعه عن  
الطعام وفي اروائه عن الشراب وفي تصحيحه عن الادوية فابانه عاقب بعقوبة الجوع  
من ترك الاكل وعاقب بالمرض من ترك الادوية وعاقب بموت الطفل من ترك  
رضاع ولده وهذا خيال من يظن ان الله تعالى يفعل ذلك غضبا وانتقاما وليس يدري ان  
لفظ الغضب والانتقام مستعار ومأول وانما غضب الله عبارة عن إرادته الايلام  
فكما ان الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب  
الاسباب فبعضها يفضي الى الايلام وبعضها الى الذات ولا يعرف عواقبها الا الاطباء  
فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى الآلام الآخرة واندتها من غير فرق

وكذلك (السؤال الثالث) ينحل به فان الله تعالى لا يوصف بالمعجز عن الاشباع  
من غير أكل والإرواء من غير شرب والانشاء من غير وقاع والإيناء من غير  
رضاع ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات كذلك لسر وحكمة لا يعلمها الا الله عز  
وجل والراسخون في العلم وليس ذلك بعجب انما العجب في التعجب من هذا  
التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري من لا يهتدي الى سر الحكمة فيه يتعجب  
منه لقصور هدايته ومثاله في التعجب مثال الاعمى الذي دخل دارا فتمثر بالآواني  
الموضوعة في صحن الدار فقال لأهل الدار ما لركّ عقولكم لماذا لا تردون هذه الآواني  
الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق؟ فقيل انها موضوعة في مواضعها وانما الخلل  
في فقد البصيرة (١) وبالجملة فمن لم يدرك الفرق بين التعجب وبين البرهان كثر  
خبطه وضلاله وليس في هذا الا تعجب محض وان الله تعالى لم رتب الاسباب؟ ولو  
رتبها على وجه آخر لتصور ان تعجب منه جاهل ويقول لم لم يفعل ضده وهذه التعجبات

(١) كذا في الاصل و يظهر ان هنا سقطا وتصحيحه بحسب المعنى ان يقال

وانما الخلل في فقد البصر وكذلك الخلل فيما ضرب له المثل في فقد البصيرة والمثل  
مذكور في الاحياء ولا أحد سمة في الوقت

## ٦٠٦ الحكمة في منع ضعف العقل والبحث عن استمرار الشرع (المناجح ٨٨١)

منعها اوهام العوام ولا يلتفت المحصل اليها بل الى مقتضى البراهين  
واما السؤال الرابع ففي ايراده خبط وكان اسائل لم يقدر على ان يفصح  
عما في ضميره والذي يتحصل منه تعجبات اربع

(التعجب الاول) قواه كيف امر بالشيء ومنع عن البحث عنه والبصيرة  
لا تحصل الا بالبحث؟ وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعي اعتقادا جازما أو معرفة  
حقيقية والاعتقاد الجازم يحصل بالتقليد المجرد عن سبيل التصديق والايان والمعرفة  
تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث كل الخلق بل الضعفاء  
القاصرون عن الاطلاع على عويصات البراهين ومعاصات البحث وانما مثال ذلك  
امر الطبيب المريض (بالدواء) وامتناعه عن ذكر لعلة في كون الدواء نافعا ومنعه المريض  
عن الاشتغال بالبحث عنه لعلمه بانه يقصر عنه فهمه واو اشتغل بالبحث عن عال الطب  
لشق عليه وعجز عنه وزاد المرض واستضر به فان وجد على الندرة مر ايضا ذكيا  
انسا بمنهاج الطب وعال الامراض لم يمنعه من البحث ولم يمتنع عن ذكر  
المناسبة بين الدواء وبين علته بل اذا علم انه ليس يكتفي بمجرد قوله وليس يصدق  
بمحض التقليد وتفرس فيه من الذكاء ما يفهم به العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة  
اشتغل بالعلاج وان لم يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ان  
كان يريد صلاحه ولم يمنعه عن البحث اذا علم اشغاله له الا ان ذلك نادر في المرضى  
جدا والا كثرون يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العال والامرار والبحث  
عنها في الشرعيات من هذا القبيل ،

(التعجب الثاني) وهو تسخير البهائم الانسان يضاهي تعجب الانسان من  
يمشي خطوات لينظر الى منزهات ووجوده حسان فيقال كيف اتعب رجله وسخرها  
لاجل عينه واليمين آله كما ان الرجل آله فما بال احداها جعلها خادمة واتعبها  
وجعل الاخرى مخدومة وطلب راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل البصير يعلم  
ان الكافل يهدى بالناقص وان الناقص يتسخر لاجل الكافل وهو عين الحكمة  
واما قوله ان ذلك ظلم فهو جهل بحد الظلم فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله  
نعالي لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه الظلم بل له

ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلا ( ١ )

﴿ التعجب الثالث ﴾ أن الشرع كيف يرد بما ينبو عنه العقل ؟ وهو فاسد لان قوله « ينبو عنه العقل » لفظ مشترك فان اراد به أن برهان العقل يدل على استحاله كخلق الله مثل نفسه والجمع بين المتضادين فهذا مما لا يرد به الشرع ولم يرد . وان اراد به ما يقصر العقل عن دركه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال بل مقصود بهمة الانبياء ارشادا لخلق الى ما يقصر عقولهم عنه فليس بمحال أن يكون في علم الاطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد والمرأة الحامل او مشيت فوق حبة مخصوصة أقت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحاله وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد النار قط واحراقها فاجبرنا مخبر وقال اني احك حبة بحبة واستخرج من بينهما سناً احمر بمقدار عدسة تأكل هذه البلد وغيرها حتى لا يبقى فيها شيء من غير أن يتقل ذلك الى جوفها ومن غير أن يزيد في حجمها بل تأكل كل البلد ثم تأكل نفسها فلا تبقى لاهي ولا البلد لكننا نقول هذا شيء ينبو عنه العقل ولا يقبله ، وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك ، فكذلك يستعمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو الذي ليس بمألوف والمحال ما لا يتصور كونه ،

واما ﴿ التعجب الرابع ﴾ وهو انه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم سئل وقيل « لم حشرتي أعمى وقد كنت بصيراً » قال كذلك أتتكم آياتنا فأنسيتم او كذلك اليوم تنسى « فصدر هذا السؤال الجهل بكون « لفظ » السؤال مشتركاً فان السؤال قد يطلق ويراد به الإِزام كما يقال ناظر فلان فلانا فتوجه عليه سؤاله ( ٢ ) وقد يطلق

( ١ ) المناجحة : فسر الظلم هنا بما جرى عليه الاشعرية وفيه نظر ظاهر وقد ينا حقيقة الظلم وكونه محالا على الله تعالى في مواضع من التفسير والمناجحة ( ٢ ) هذا ما يعبر عنه الآن بالمسؤولية وهي بمعنى التبعة والمواخذة فمعنى كونه تعالى لا يسئل عما يفعل انه ليس لاحد سلطة فوق سلطته فيسأله عن فعله سؤال من يلقي عليه التبعة ويؤاخذه على ما عمل

ويراد به الاستخبار كما يقال سئل التلميذ والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام وهو المعنى بقوله « لا يستل عما يفعل » إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام فأما انه لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله « لم حشرتني أعشى » وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسئلة اه والذي أوصي به هذا السائل ان ينظر لنفسه ودينه ويتقي ربه ويطلب علما مليا بعلم العقل والشرع ليهديه الى الطريق فان من ترقى عن مجرد التقليد بأدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستعلاء كان من الهالكين فعوذ بالله من فطانة نزالة وكياسة ضعيفة فان البلاء منه أولى إلى النجاة منها آمين

## استحالة المادة

١

﴿ للدكتور خليل سمادة ﴾

كتبها عند إذاعة خير هذا الاكتشاف

سبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

او مض من كعبة العلم نبا خطير ، دوت له أرجاء العالم المتمدن اي دوي ، وعندني انه اعظم اكتشافات البشر ، وأسمى ما بلغت اليه مداركهم ، فلا يحسب بجانبه كشف العالم الجديد شيئا مذكورا ، وما بلوغ القطب الشمالي اليه سوى العوبة من الأعيب الصبيان ، كيف لا وهو الأمانة الكبرى التي طمحت اليها أبصار فلاسفة العصور ، والغاية القصوى التي اشترأت اليها أعناق الحكماء في جميع الدهور ، : حلم رآه أسلافنا في ليل مدلمم بظلمات الاوهام ، فتجلى لنا نورا باهرا يبدد دياجى الجهل وينير بصائر الافهام ، بل قل هو الحق انزل على عيون مبصرة ، وآذان مصغية ، وقلوب واعية ، فزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

نريد بهذه التوطئة الاكتشاف الحديث الخطير وهو استحالة المادة الواحدة البسيطة من عضو الى آخر كما تبين الآت في استحالة بخار الراديوم الى عنصر

الخلبوم : اجل أماطت الطبيعة اخيرا نقاب الخفاء عن وجهها الوضاح ، ورفعت الحجاب بعد دلال ونفار ، طال اجله الوفا من السنين ، غادة وضاءة لا كالفادات تعشقها العالم فهام لأجلها في اليد والقفار ، وجرى وراءها الى قن الجبال ولجج الابحار ، تنفى أثرها في الرضاء اللاذعة تحرقه أشعة شمسها ، وفي الثلوج المتراكمة يلذعه قارس بردها ، سهدته قرونا طوا الأوهو يرقبها طول ليله في السيارات والدراري وليل العاشقين طويل ، وتطلبها في قطرات الماء ورشاشه يحدق فيها بمجهره وهي غزال نفور كالزئبق الفرار ، اذا دنت نأت ، وان قربت بعدت ، هي اشبه برهراث الآكل وسراب الظآن ، لم تكشف القناع عن نعرها البسام لحظة من الزمن ، تطلبها في الحرارة والنور ، وامتطي في أثرها الكبر باثية والبخار ، وكالمها بين الزهور والرياحين ، وشرح لها وجدته بين الرياض والبساتين ، فكانت اذا أدته منها ابتسامة ، اوقفته عن الدنو منها مهابة ، جمال تكمل بالجلال ، وانفة الا أنها دلال ، منها نحل العاشق سقا ، وضاق ذرعا ، فلما أيقنت منه الغفاني في سبيل غرامها ، والاستقلال في هيامها ، أماطت الآن اللثام ، بعد آلاف سنين في اتحجب والدلال ، والتلاعب والمطال ،

طمعت أبحاث اسلافنا منذ الأعصر المرامية في القدم الى اكتشاف امرين خطيرين اولها اكبير الحياة الذي يتدرج به المرء الى درء كأس الحمام ونيل الخلود على وجه البسيطة ، وثانيها حبر الفلاسفة الذي يباح له به تحويل المعادن الى ذهب ، فيصبح المرء بهذين الاكتشافين خالدا مريا ، وليت القدماء يخطون في دياجير الأوهام ، ويتلمسون الحقيقة في ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى نبغ نحو أواخر القرن الثامن رجل هو لغز من ألغاز التاريخ غريب الأطوار كثير المطامح بعيد المرامي يسمى جابرا تفرغ الى البحث في المعادن واتقطع الى إجراء الامتحانات المتعددة بشأنها تدرعا لتحويلها ذهبا وكان مذهبه ان المعادن خليط من عناصر متعددة يمكن ترقية الدنيا منها الى الأشكال العليا وما قفى ، يكثر من التجارب ويعيد في الامتحانات وهو في كل ذلك يتراوح بين الحقيقة والضلال حتى أصبح له في عصره شأن خطير ومنزلة راقية في عيون اهله وهو احق رجل بان يسمى شيخ الكيميين ولكنه منطلق

الحقيقة بالجهالة واكتنف الحق بالباطل ولم يدر خطورة قوله ولم يحلم حينئذ ان سيقوم في فجر القرن العشرين رجل من اشهر الكياويين ويكتشف أعظم اكتشاف قدر للمرء حتى الآن ويحيي به مصداقا لاقواله

يبد ان العلوم الراقية لبثت قرونًا طويلا خليط فن واحد فكان الباحث متكئا في الطب وعالمًا في التنجيم وطوال السعد وصهارا للمعادن وطال أمره دهورا يتلس الخي على غير صراط الهدى حتى بزغت عليه بعض اشعة العرفان فانبتق الطب من الكهانة والفلك من التنجيم وكيمياء الحق من كيمياء الباطل

ولما انتظمت الكيمياء فنا قائما بنفسه نبذ طلابها آراء الاقدمين نبذ النواة قتين لهم ان العناصر الأربعة التي قال بها السلف وهي النار والهواء والماء والتراب ليست بعناصر بل هي مواد مركبة تنحل الى مواد أخرى بسيطة اطلقوا عليها لفظ العناصر الصحيحة وكان من أوائل اكتشافاتهم بهذا الصدد الاكسوجين . ولما تم لهم هذا الفتح المين نشطت الهمم من عقلاها واستولى على المقطعين الى هذه الابحاث هوس شديد . نضرب لك مثلا واحدا تفقه الى أي حد بلغ بهم ذلك الهوس وهو الكياوي الطائر الصيت « لافوازيه » فانه كان في صدر جلة الكياويين الذين نحرروا البحث والامتحان بشأن الاكسوجين فبعث الى الاكاديمي في أواخر القرن الثامن عشر رسالة ضافية الذبول بخصوص أكسد المعادن (١) وكانت له أثرا خالدا وما زال يوالي التجارب حتى انفجر بركان الثورة الفرنسية واندلع لهيبها في باريس وصائر ارجاء فرنسا وكان « لافوازيه » لتكد الطالع رجلا عريقا في نسبه ، كبيرا في حربه ، وافرا في ثروته ، فأصبح هدفا للتأثرين ، وغرضا لسهام الحاسدين ، فصوبت اعداؤه نحوه شكايات باطلة أصابت منه مقتلا فحكم عليه بالاعدام وكان اذ ذاك منهمكا في تجارب كياوية خطيرة فطلب من لجنة الثورة ان تمهله بضعة أيام ريثما يتم ابحاثه واكتشافاته فعاملته بفضلة يندى منها جبين التمدن واجابته بفضاظة يحمر لها وجه الحرية قائلة ان لا حاجة بالجمهورية للعلاء !

(١) النار : التأكسد عندهم عبارة عن اتحاد المعدن بالاكسجين بحيث

يتولد عنها جسم ثالث غيرهما كالصدا في الحديد وهو أكسيد الحديد

فقيد من كعبة العلم الى باحة « الفليوتين » (١) وهو الذي قال بشأنه ساعتئذ  
« لا غرابج » أحد مشاهير مواطنيه: بعد دقيقة يسقط رأس تم بكم أجيال وقرون قبل  
الحصول على مثله

فاتشمت اذ ذاك غياهب الجول عن بصائر أولي النهى ففقهوا ان جل المواد  
المعروفة انما هو مركبات وخليط مواد بسيطة متعددة فحسروا عن ساعد الجدوقذفوا  
بالأوهام القديمة من حلق وتواردت عندئذ اكتشافات العناصر ثرى على نوادي  
العلم ومجامع العرفان فبنيت صروح المعارف على اطلال الخرافات ووطد بنيان  
الكيمياء على عمد راسخة الاركان واكتشف الباحثون في العناصر نواميس كيمائية  
عجيبة لم تكن لتخطر في بال اسلافنا ولا في الاحلام

العروة الوثقى التي وقفت عندها الاباب حيرى هي الذريرات الاصلية لهذه  
العناصر فقالوا انها جواهر مادية تتألف من جواهر فردة اذا تجزأت بطل العنصر  
ان يكون عنصرا بالخصائص والقومات التي يتميز بها عن سواه غير انه لما كان  
الجوهر الفرد لا يقبل التجزؤ فعلا اذ لم يكشف البشر ذريعة أو وسيلة تؤدي الى  
ذلك لبث العنصر ثابتا على ممر الأدهار

بيد ان القول بوجود هذه العناصر المتعددة الاشكال المتباينة الخواص ثابتة  
على هذا المنوال منذ الازل مناف لمطمح الفلسفة السامية القائلة بوحدة المادة وخصوصا  
اذا اعتبرت أرضنا نفسها ذريرة من مجاميع ونظامات هـذا الكون العجيب الذي  
يملا القلب مهابة ورهبا متي تجلى لك خلال استار الدجى كواكب ودراري سابحة  
أو معلقة في فضاء يتناول الطرف الى الاحاطة بعظمته وفقه رموز اسراره فيرتد  
عنه وهو كليل

ذلك ما حدا جاة المتضلعين من العلوم الطبيعية الى القول بان سائر العناصر  
المعروفة مشتقة من عنصر واحد متناه في بساطة التركيب ولطافة القوام وخفة المادة  
غازي الشكل ولما لم يكن معروفا عندهم حينئذ من العناصر التي يمكن الحصول  
عليها ما يصح ان يكون أصلا لجميع المواد سوى الهدروجين حسبوه ذلك الاصل

(١) المنار: هي الآلة التي اخترعوها لقط الرقاب بسرعة

حتى انما بعضهم من هذه الاستدلالات بوجود عناصر أخرى كانت لم تزل مجهولة لكي تملأ فراغاً في حلقات العناصر المعروفة فجاءت الاكتشافات التالية مصداقاً لنبوتهم ثم انه تبين من الابحاث الحديثة ان الجوهرة الفردية للهيدروجين على ما فيه من التناهي في الصغر هو كبير جداً في حجمه بالنسبة الى ما كشف مؤخران الذريرات الكهربية التي اطلقوا عليها اسم الألكترون بحيث ان جرم الجوهرة الفردية الواحد من الهيدروجين يوازي ألف جرم من الألكترون وثبت لهم ان هذه الذريرات الكهربية تستقل عن الجواهر الفردية وتقوم بنفسها ويكون لها جميع الخواص المقومة للجوهرة الفردية حتى ترجح عند كبار الطبيعيين الآن ان الجواهر الفردية لجميع العناصر تتألف من هذه الذريرات الكهربية فقط التي بعضها ايجابي وبعضها سلبي بمقادير متساوية وان اختلاف العناصر متوقف على اختلاف مقادير هذه الذريرات في تأليف جواهرها الفردية فما العناصر اذا سوى مجاميع هذه الذريرات التي تثبت قوامها بقوتي الجذب والدفع

فتمت فقهت ذلك علمت كيف تثنى استحالة المادة من عنصر الى عنصر على ما صدرنا به هذه المقالة يد انه لم تتح لبشر مشاهدة هذه الاستحالة عياناً الا منذ نحو أسبوعين من الزمن وتفصيل ذلك انه قدم الى مدينة باريس مندبضع سنوات في أواخر القرن المنصرم فتاة بولونية المحتد في غضاضة الشباب وريعان الصبا المتابعة بعض دروس فلسفية ولو علم أهل تلك المدينة ما سيكون لهذه الفتاة في العالم من خطورة الشأن والصيت الذائع لا حتفوا بها احتفاءهم بالاميرات والملكات من زوارهم فينقضي ذكر الملوك والملكات الذين زاروا باريس اما اسم مدام كرمي فيتمى خالدا وهي الفتاة التي نصيها فانها ما لبثت حيناً من الدهر حتى تزوجت الاستاذ كرمي فأقاما في بيت بعيد عن ضوا المدينة وجلة القوم يواليان الامتحانات الكيميائية حتى ظفرا أخيراً بأمنية ما وراءها أمنية الا وهي اكتشاف الراديوم

اما وجه أهمية هذا الاكتشاف فهو ان العلماء وجدوا ان معدن الراديوم يختلف عن جميع المواد والعناصر المعروفة على وجه البسيطة في أمر هو إشعاع الحرارة والنور على الدوام دون ان يخسر شيئاً منها فسواء وضعت في الماء والثلج أو



الهواء بقيت حرارته مرتفعة عما يحيط به وهو أمر لوسمعه العلماء في حلم لما صدقوه . ولما وجد الباحثون عنصرا يختلف في خصائصه عن سائر العناصر ذعروا منه يدانهم توسموا به أخيرا خيرا اذ علموا انه سيلقي بين أيديهم مقاليد الكون وينشر امام أبصارهم رموز الطبيعة واسرارها فتهاقنوا عليه تهاقت العطاش على الماء حتى بلغت اثنائه في الأشهر الأخيرة مبلغا فاحشا لم يسمع بمثله من قبل فان المقدار الذي لا يتعدى جزءا من خمسة عشر جزءا من القمحة منه يساوي خمسين ألف جنيه

وكان في عداد الذين اشتغلوا بالبحث في الراديوم واسراره الكيماوي الشهير السير وليم رمزي فوجد نظير غيره من المشتغلين به ان في جملة ما ينبعث من هذا المعدن مادة غازية كثيفة بقيت لديهم حينما من الدهر لغزا من الالغاز لانها كانت تلبث ودحا من الزمان ثم تخفى دون ان يتمكن أحد من الوصول الى كنهها فوضع السير رمزي أخيرا هذا الغاز في زجاجة دقيقة جدا سدها سدا محكما وما تقي إزاجها حتى تبديت له معجزة من المعجزات وهو ان تبدى من هذا الغاز بعد يومين من الزمن بواسطة السبكتروسكوب خط ضارب الى الأصفرار وهو الخط الذي يشير الى وجود عنصر الهليوم وهو مادة توجد في الشمس ولم يعثر عليها في أرضنا الا حديثا ثم بعد نحو اسبوع من الزمن زاد الخط اشراقا دلالة على ان مادة الراديوم الغازية استحالت الى عنصر الهليوم ولم يبق لها من اثر

وهذا الاكتشاف الذي نحن بصددده هو با كورة الاكتشافات العظيمة في فجر القرن العشرين وسيكون له من الخطورة ما هو اهل له وسيقيض لنا على يده كشف كثير مما غمض على أفهامنا من أسرار الطبيعة وغرائب الكون فان الباحثين جازين الى هذه الغاية سباقا يبذلون النفس والنفيس ويجودون بالمال والارواح لغرض ترقية شأن العقل البشري والنهوض به من حضيض الجهل الى قن العلم وامله لا تغيب شمس هذا القرن حتى تبرغ شمس من سماء الحقيقة والعرفان تتجلي نورا باهرا على الافهام وتميط الطبيعة عن حياها الصبوح حجاب الابهام ومن يعش

## ﴿ رسالة التوحيد ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا  
لَا تَبَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ \* مُبِينٌ إِلَيْهِ وَأَنْتَهُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ  
المُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ  
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ \* (سورة الروم : ٣٠ - ٣٢ - ٣٣)

إن الله جلت قدرته ، وبلغت حكمته ، قد برأ هذا الانسان ، بظفرة أعلى  
من ظفرة سائر أنواع الحيوان ، أودع فيه شعوراً بلذات وآلام غير جسدية ،  
فكان له بذلك حياة غير الحياة الحيوانية ، انشأ مستعداً للإدراك معلومات غير  
محصورة ، اذ خلقه ليحيا حياة غير محدودة ، جعل مدارحياته على التعاون والاجتماع ،  
ليستعين بذلك على استجلاء ما في الكون من النظام والابداع ، أنشأ افراده  
متفاوتين في الاستعداد للعلوم والأعمال ، ليتيسر للمجموع النوع القيام بجميع العلوم  
والاعمال ، فأدناهم الخدم والبنائون والزارعون ، وأعلام السياسة والحكام فالانبياء  
والمرسلون ، فهؤلاء كالعقول والقلوب والارواح ، وأولئك كالأرجل والايدي  
والمعد والامعاء ، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج اليه ، ومنهم من يهديه الى  
أعلى ما يتشوف استعداده إليه ، مع احسانه التصرف فيما هو قائم عليه ، وهذه  
الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للانسان ، الناهض بها الى طلب  
الكمال في العلوم والاعمال ،

سار الدين بتكميل الفطرة البشرية على منهاج التدرج في الارتقاء ، كما هي السنة العامة في جميع شؤون الاحياء ، حتى جاء خاتم النبيين والمرسلين بالاسلام ، الذي بلغ بالانسان مرتبة الاستقلال التام ، وبين كتابه انه دين الفطرة للناس ، من جميع الشعوب والاجناس ، الموافق لهم في كل مكان ، المنطبق على مصالحهم في كل زمان ، فهو للقبائل الساذجة كالمرابي الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كما ساروا في العلوم والمدنية شوطا راوه المجلي في ميدان السبق ، ٤١: ٥٣ سدرهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،

لكن المسلمين قد خذلوا هذا الدين ، وصاروا حجة عليه عند اكثر العالمين ، اذ زينت لهم التقاليد والعادات ، ان يجعلوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات ، وان يتفرقوا فيه مذاهب وشيعا ، وينقصوا منه سننا ويزيدوا عليه بدعا ، وان يجعلوا كتب العقائد ملأى بالجدل والمراء ، بين اهل المذاهب من الاموات والاحياء ، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة الى الاسلام ، على الوجه الذي اشترطه علماء الكلام ، وهو ان يكون على وجه يحرك الى النظر ، ويدعو الى البحث والتفكير ، حتى قام الاستاذ الامام ، الذي كان في هذا العصر حجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه في دار السلام ، فكتب (رسالة التوحيد) في بيان حقيقة هذا الدين ، فجاء مع التزام الشرط بما لم يأت بمثله أحد من أئمة المسلمين ،

لاذ كر في بيان فضل هذه الرسالة ان مجلس ادارة الازهر قرر تدريسها في الجامع الازهر رسميا ، ولا ان علماء الهند ترجموها بلغة الأوردو ليدرسوها في مدرسة عليكده الكلية وغيرها ، ولا ان علماء الاقطار الذين اطعموا عليها قد كتبوا لمؤلفها من مشور الثناء ومنظومه ما يزيد على حجمها اضعافا مضاعفة ، ولا ان بعض علماء النصراري قالوا عند ما قرءوها: لو كان ما في هذه الرسالة هو الاسلام لكنا اول من يدخل فيه ، ولكنها حكمة الشيخ محمد عبده الذي نوؤ من فضله ، وعلو كعبه ، لا أشرح هنا شيئا من مثل هذا وانما أقول انه لا يقدر هذه الرسالة حق قدرها الا من كان عالما بمتى ما وصل اليه علم الكلام من الارتقاء في الاسلام ، وواقفا على

ما كتبه فلاسفة أوربا في الانتقاد على الأديان، مع ما كتبه في بيان مزاياها وفي علم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع البشري

لم تدع الرسالة شبهة على الدين الا وكشفتها، ولا عقدة من عقد المشكلات الا وحلتها، ولكن الشبه تذكريها غالباً بطريق الأيماء والتلويح، دون الأبانة والتصريح، وذلك أدنى ان لا يشك الضعيف، ولا يشتغل القوي عن المقصد الشريف، وقد أشار الى ذلك المصنف في قوله «راميا الى الخلاف من مكان بعيد، حتي ربما لا يدركه الا الرجل الرشيد»

كتب الاستاذ الامام هذه الرسالة في مدة قليلة وبادر إلى طبعها فلما قرأها في الجامع الأزهر على الألوف من العلماء ونجباء الطلاب ظهر له فيها أغلاط لغوية ومساائل تحتاج الى إيضاح وكلم جدير بالحذف فكان يكتب ما يراه من التنقيح في النسخة التي يقرأ بها الدرس ويزيد ما يزيد في هامشها، وقد انتقد عليه الشيخ محمد محمود الشقيطي (رحمهما الله) ذكره لمسألة خلق القرآن لانها مخالفة لشرطه في التزام مذهب السلف فأمر بحذف ذلك منها (راجع ص ٣٧ منها) وانتقد عليه حروفاً أخرى فأقنعه في بعضها واقنع منه في بعض. وقد جمع جميع ما صححه في جدول فكان ذلك في سبعين موضعاً أو أكثر. وبقي فيها كلمات نادرة قد سها المؤلف عنها مع تصحيحه مثلها، فأبقيتها على أصلها\* (الأكلمة واحدة في ص ١٣١ ولم أزد فيها من عندي الا الرقم الدال على عدد السور والآيات عند ذكرها

ولما كتب الى صديقي حموده بك عبده يأذن لي بإعادة طبع الرسالة اعطاني الجدول فصحت هذه الطبعة معارضة عليه وعلى نسخة المؤلف. وعلقت عليها هوامش قليلة سمعت بعضها منه في الدرس، ولولا انه نهى عن شرحها ووضع الحواشي لها، لجاز لي أن أكثر من هذه الهوامش، ولكن ما رآه رحمه الله هو الصواب، وما جاء به هو الحكمة وفصل الخطاب، فهذه الطبعة هي المعتمدة وعليها المعول ولا يستغني عنها من طالع الطبعة الأولى فرحم الله الاستاذ الامام، ونفع برسالاته الأنام، آمين

محمد رشيد رضا الحسيني

منشئ النار

\* مثل تعدية التكليف بالباء واتباعها الاصوليين وغيرهم ومثل لفظ الصدقة

## أثر علماء البرية

### مبادئ الاقتصاد السياسي

قد اشتهر بيننا ان الفنى والفقر إنما يكونان بالحفظ والاقدار ، لامدخل فيها لعلم المرء وعقله ، ولا لذكائه وسميه ، بل اشتهر بين الأدباء ان العلم والحجى ، ضدان للثروة والفنى ، وقد نظم أدباؤنا في القديم والحديث كثيرا من الشعر في هذا المعنى تداوله الناس وحفظوه فصارت به المسألة عندهم من القضايا المسلمات ، التي يتوهمون انها من البديهيات ، وكيف لا تكون كذلك عند الجمهور وهي مدعمة بطواهر ما جاء في الدين من اسناد كل شيء الى مشيئة الله عز وجل ، وللعلماء والصوفية فيها من الكلام ما هو أشد تأثيرا في النفوس من كلام الشعراء والأدباء . . . وما يؤثر فيها عن الامام الشافعي رضي الله عنه من آيات

لكن من رزق الحجى حرم الفنى ضدان مفترقان أي تفرق

ثم انهم يرون ظواهر الحوادث الجزئية تؤيد هذا الرأي وتثبتته اذ يرون مثل فلان باشا و فلان بك يعبثون بالالوف من الدنانير وهم على ما يعرفون منهم من الجبل والغاوة فاذا قيل لمن يمتدنون هذا الاعتقاد ان لتدبير الثروة علما يبحث فيه عن ينابيعها ومواردها ومصادرها فيعلم الواقف عليه طرق تحصيل الثروة وحفظها وتوزيعها ولماذا كانت تلك الامة غنية وهذه الامة فقيرة ولماذا يتراحم في البلد الواحد شعبان أو شعوب متعددة فيسبق قوم ويتخلف آخرون — إذا قيل لهم هذا قالوا إن العلم لا شأن له في هذا وإنما هي الحظوظ والاقدار ، ويسردون ما يحفظون من الآثار والاشعار ،

الاقدار هي المقادير والموازن التي أقام البارئ بها نظام الكون فهي تقضي

الاسباب لا تنافيا ، وان اشهر استعمالها يتنا فيما جهل سببه غالبا ، والحظ في الاصل هو النصيب الذي تناله من الشيء بسعي أو بغير سعي وان غلب استعماله فيما يناله المرء بغير سعي منه اليه ، ولا ننكر ان بعض الافراد ينالون الثرى والثروة بأسباب لا يعرفونها ، ولا يسعون اليها سعيها ، ولاننا نزع في تسمية ذلك حظا جاد به القدر ، على ما يتنا وين أولئك الناس من الخلاف في فهم معنى القدر . وانما نقول في إقناع المنكرين لفائدة علم تدير الثروة الذي وضع له اسم « الاقتصاد السياسي » : إن الواضعين لهذا العلم والمصنفين فيه والدارسين له والعاملين به يعرفون من أحوال أهل المخطوط ما تعرفون ، ومنهم من يؤمن بالقدر كما تؤمنون ، ولكنهم مع ذلك يعلمون من أحوال العالم ما لا تعلمون ، فضوا عليهم إلى علمكم ، ثم لكم بعد ذلك حكمكم ، إذا كنتم تعذرون فيما تحكون به على ثروة الافراد في كل أمة فلا عذر لكم إذا قسم عليها ثروة الشعوب والامم ، فسيروا في الارض فانظروا كيف صارت الامم التي عنيت بهذا العلم اغنى الامم وأعزها ، وكيف يدخل أفراد منها في بلاد أمة أخرى فلا يلبثون ان يكونوا هم المستقر والمستودع لثروتها ، بل القابضين على روح الحياة المالية والاجتماعية فيها ،

ألا إن أمتنا أحوج الى هذا العلم منها الى جميع العلوم الدنيوية لانه روح جميع العلوم ولاعمال ولكننا لانزال مقصرين فيه ، بقدر حاجتنا اليه ، حتى اني لم أرفي لفتنا غير كتابين وجيزين فيه طال المهد على وضعها ، وارتقى العلم بعدها ، فصرنا محتاجين الى خير منها ، وقد أحس بهذه الحاجة محمد فهمي افندي حسين المحامي ( المتخرج من عهد قريب في مدرسة الحقوق الخديوية ) فحملته الفيرة على أمته وبلاده على وضع كتاب جديد في هذا العلم يستمد مسائله من الكتب الافرنجية الحديثة وقد فعل وسماه ( مبادئ علم الاقتصاد السياسي ) وقد طبع الجزء الاول من عهد قريب فبلغت صفحاته ١٨٤ صفحة وجعل ثمنه عشرة قروش ضحيحة فحسى ان يرى من الإقبال عليه ما ينهض بهمه إلى إتمام الكتاب تأليفا وطبعا . وهو يطلب من مؤلفه ومن المكاتب المشهورة . وسنقل شيئا منه تنوينا به وإفادة لقراء المنار

## الاسلام روح المدينة

﴿ رد على لورد كرومر ﴾

لم يكذب ينشر كتاب لورد كرومر الذي سماه « مصر الحديثة » حتى كانت أول ما ترجمته الجرائد المصرية منه كلامه في الاسلام والمسلمين . ووعد بعض الأفراد وبعض الاحزاب بتأليف كتب في الرد عليه ولكن قد سبق الجميع الى ذلك صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي فبادر الى وضع كتاب في ذلك وطبعه في بيروت في أيام الاستبداد الشديد إذ كان يخشى المرء ان يحاسب ويعاقب على مثل هذا التأليف وعلى طبعه بدون رخصة من نظارة المعارف في الاستانة ولو طلبت الرخصة فيه لما أجيب الطالب الا الى العقاب . وقد بلغ من شجاعة مؤلف هذا الكتاب ان ذكر فيه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ونقل بعض كلامه وشيئا مما يؤثر عنه ونقل عن المنار ايضا وكان يومئذ الى ذلك بقوله : قال السيد في المجلة . وقد كان ذكر الاستاذ الامام أو المنار قبل إعلان الدستور في المملكة العثمانية جريمة من أكبر الجرائم وخطرا على من يذكر هذا اللقب « الاستاذ الامام » أو اسم صاحبه « الشيخ محمد عبده » أو المنار أو صاحبه ولو تلو بما من أشد الاخطار فشكرا للشيخ مصطفى على شجاعته وعمله . هذا ولم تنسن لنا مطالعة الكتاب ولكننا نرجو ان يكون خيرا مما كتب أكثر أصحاب الجرائد في الرد على لورد كرومر وناهيك بمن يستمد من كلام الاستاذ الامام ، في الدفاع عن الاسلام ، ومن يصدف عن ذلك ظاهرا ، وان لم يستغن عن الاقتباس منه باطنا ، ونحن الكتاب في مصر خمسة قروش صحيحة عدا أجره البريد ويطلب من مكتبة المنار فنحن الفراء على مطالعته

## ﴿ تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾

كتاب جديد يؤلفه جرجي افندي زيدان المؤرخ العربي الشهير وقد انجز الجزء الاول منه فاذا هو قد استمد مسأله من الكتب العربية والكتب الافرنجية في اللغات المختلفة . وبعض الكتب الافرنجية مزينة على العربية في هذا الموضوع

بما اكتشفوه من الآثار القديمة في بلاد العرب . وقد اقتبس المؤلف شيئاً منها لا يستغني عن الاطلاع عليه قراء العربية وهو على قلته يصح ان يمثل فيه بقول الشاعر

قليل ما أمرت به ولكن قليلا لا يقال له قليل

وقد نظرنا في الكتاب نظرة إجمالية فأفيناها حسن الترتيب جامعا لكثير من الباحث النافعة ولكن لم يتح لنا مطالعته لنحكم فيه على علم بما نرجو ان يكون قد جاء به من التحقيق فحسب ان ينتدب بعض من قرأه من أهل العلم والرأي الى موافقاتنا بمقال حافل في تربيته وتقدمه إظهاراً لقيمته ، وشكراً لفضل مؤلفه ، أما نحن هذا الجزء الذي صدر من الكتاب فمشررون قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

### ﴿ عروس فرغانة ﴾

هي إحدى القصص التي جعلها جرجي أفندي زيدان منشئ الهلال ملحمة لسني مجله « تتضمن وصف الدولة العباسية في عهد المعتصم بالله ( سنة ٢١٨ - ٥٢٢٧ ) وقيام الفرس لإرجاع دولتهم بالسيف ونهوض الروم لاكتساح المملكة الإسلامية ويتخلل ذلك وصف آداب الأتراك وعاداتهم في أقصى بلادهم ووصف سامراً عاصمة المعتصم وواقعة البذل في حرب بابك وواقعة عمورية في حرب الروم وغير ذلك » وهي تقع في ٢٠٤ صفحات حسنة الطبع وان شهرة هذه القصص في إيداع الفكاهة القصصية المسلية شيئاً من الفوائد التاريخية ورغبة القراء فيها مما يجعلها غنية عن التقريل والتثناء وثمن النسخة منها عشرة قروش وأجرة البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال

### ﴿ مجلة صراط مستقيم ﴾

صدرت في الاستانة مجلة إسلامية يحررها باللغة التركية طائفة من العلماء وقد كتب النا مديرها ما يأتي

إلى إدارة المنار

« تعاونوا على البر والتقوى »

شرعنا في نشر مجلة باسم الصراط المستقيم والله الموفق  
غرضنا خدمة الدين المين ولكن حال بلادنا من حيث الكتب والجرائد



حال محزنة . ولم نكن نرى من قبل تلك الآثار المصرية الثمينة وهل كانت رؤيتها من الممكنات ؟ والآثار التي كنا نملكها جعلتها الحكومة السابقة طاماً لمواقف الحمامات . وقد دخلنا منذ الآن في حياة جديدة . أما مجلتكم العلمية فهي مشهورة في جميع الكون فترغب ان يكون لإخواننا ساكنين الترك نصيب من مائدتكم العلمية ونحن مفتقرون في هذا الموضوع لمعاوتكم العلمية فندرجوكم ان ترسلوا لنا مجموعة من مجلتكم وان ترسلوا كل ما يصدر منها بعد في وقته . وان أنبأتمونا عن الآثار الجديدة المطبوعة بمصر نكن لكم من الشاكرين . واقبلوا فائق احترامنا

(المنار) قد سررنا سرورا عظيما بهذه المجلة ونشكر مديرها الفاضل حسن فطنتنا وسندي رأينا في منهجها ومقالاتها بعد ان يتيسر لنا ترجمة بعض مقالاتها ثم نكتب لمديرها ان شاء الله تعالى

### القطاس المستقيم

جريدة عربية جديدة أنشئت في دار السلطنة العثمانية (الاستانة) بعد إعلان الدستور . أنشأها الحاج محيي الدين افندي كريمة والحاج حسن افندي المجدوب من خيار أبناء بلدتنا (طرابلس الشام) المقيمين في الاستانة وقيمة الاشتراك فيها نصف ليرة عثمانية في بلاد الدولة العلية و ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ فرنكا في البلاد الأجنبية

فتمني لها من الرواج والانتشار في هذه الديار وغيرها ما يبعث أصحابها الى تكبير حجمها وتكثير فوائدها

## السبع والخمسين

## قُلْ لِبَقَائِكُمْ وَالْعَجَابِكُمْ

﴿ كتاب أبي معشر ﴾

كتب اليانا من سنغافوره وجاوه ان هذا الكتاب منتشر في تلك البلاد يجلبونه اليها من مصر وان بضاعة المستحلين للتنجيم والعرافة رائجة به وسألنا الكاتبون عن رأينا فيه وأرسلوا اليانا نسخة منه لننظر فيها ان لم يكن سبق لنا الاطلاع عليه فنقول بعد الاطلاع على عدة ابراج منه

اننا لم نر في لغتنا كتابا أجمع للمفاسد والمضار منه، فهو مفسد للعقل والدين والآداب، محرض على الفسق والفجور، مقطوع للروابط بين الأزواج والأهل والجيران، وهو على ذلك كله خال من الفائدة واللذة

أما كونه مفسدا للعقل فنعمي به انه يمد الضعيف في غيه فيزيده فسادا يقبوله لا وضع له من بيان ما يعرض للسوء في مستقبل حياته الدنيا .

لو فكر من له مسكة من العقل أقل التفكير في الطريقة التي بين بها هذا الكتاب حوادث المستقبل لجميع البشر في ٢٤ فصلا منها ١٢ برجا للرجال و١٢ برجا للنساء — رأى ان ذلك باطل بالبدهة فان من مقتضى ذلك ان كل من اتفقت اسمائهم وأسماء أمهاتهم وكل من اتفق العدد الحاصل من جمع اسمائهم وأمهاتهم بعد طرح عدد الاثني عشر منها حتى تبقى اثني عشر او أقل يكونون متفقين فيما يعرض لهم من الأمور والأحوال في اجسامهم من مرض وصحة وحياة وموت وفي ازواجهم وأولادهم وكسبهم وغناهم وفقيرهم واخلاقهم وآدابهم ومكانتهم في الناس وفي غير ذلك لا فرق بين أحد منهم الا من ثلاثة وجوه فان لكل برج عنده ثلاثة وجوه يعبر عنها بقوله الوجه الاول من نظر اليه كوكب كذا يكون كيت وكيت

فلما قل أن يجمع أسماء كثير من الملوك والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء والصناع والزراع والعمال والخدام - أسماءهم وأسماء أمهاتهم بحساب الجمل على طريقة ابي معشر ويعرضها بعد الاسقاط على ابراجه وينظر بعد ذلك فيما يشرحه من شؤونهم فهذه الطريقة يظهر له بطلان ما في ذلك الكتاب ان كان ممن يشته في بطلانه . ولا حاجة الى شرح ذلك وتفصيله فانه يكاد يكون من البديهيات الأولية وإنما بروج ما فيه على ضعفاء العقول من العوام والنساء لأنهم لا ينظرون في طريقته نظرة عامة للبحث فيها هل هي معقولة أم لا وإنما يفكرون فيما يلقي اليهم من كلامه الجمل العام الذي ينطبق على بعض أحوالهم مع الايمان والأذعان التقليدي بأن في أمثال هذه الكتب أنباء عن الغيب يتوارثها الخلف عن السلف ويسلمون بها تسليماً

أمثال هؤلاء الاغرار تسهل مخادعتهم فلو قرأت لاحدهم البرج الذي يؤخذ من اسمه واسم أمه بطريقة ابي معشر أو غيره من البروج لأخذ من كل ما يقرأه شيئاً ينطبق على بعض أحواله ووجد فيه شيئاً لا ينطبق عليها ولكنه لا يتفكره ما يمكن ان يصدق عليه يتشبث ويفطن له ويفي عن غيره ويظن انه غير مقصود به

واما إفساده للدين فهو مشترك بين إفساده للعقل باعتقاد الباطل الذي ورد النهي عنه في الأحاديث الصحيحة التي تسمى تصديق المنجمين والعرافين كقرا وبين إفساد الآداب التي يأمر الشرع بالمحافظة عليها والتحريض على الفسق وتقطيع الروابط بين الأزواج وغيرهم

المعروف من أمر النساء أنهم أحرص على البحث عن مستقبل حياتهم من الدجالين والعرافين والمنجمين وانك لتجد في بروجهم من هذه المفسدات أكثر مما تجده في بروج الرجال

مثال ذلك انه يقول للمرأة انها تتصل بكثير من الرجال بالحرام وانها تزوج عدة أزواج وانها تكون سعيدة مع الاخير منهم وانها تكون شديدة الخطوة والبول عند الكتاب أو الحكم . . . قتل لي بعيشك كيف تكون حال المرأة التي تعتقد صدق هذا الكتاب اذا سمعت من قارئه عليها أمثال هذه الانباء ؟ ألا يكون ذلك مجرثاً لها على العشق وعلى بغض زوجها . . . ؟

يظهر لي ان واضع هذا الكتاب كان حريصا على هذه المفاصد متعمدا لها وانه كان من كتاب الدواوين أو صديقا لهم لانه يرغب النساء فيهن . ومن خبثه الدال على تعمده انه يقول عن بعض النساء اللواتي يحرضهن على الفسق انهن يتبن بعد ذلك ويوفقن للحج الى بيت الله الحرام فانه بذلك ينال من افساد العقيدة المتدنية ما كان يعز عليه أن يناله لو لم يخبرها بأنها ستوفى بعد ذلك الى ما يكون كفارة لذنوبها وقس على هذه المفسدة ما يصفه الكتاب من أحوال أعداء المرأة ومن يكيد لها ويتر بص بها الدوائر فان ذلك يذهب بخيالها مذاهب في التطبيق على من تعرف من أهلها وجيرانها ومتى اعتقد الانسان ان احد الناس عدو له فانه يحمل اكثر ما يراه منه على ما يقوي اعتقاده فيه حتى انه اذا سمعه يثني عليه اعتقاده يتهم او يعرض بدمه وجملة القول أن هذا الكتاب من أقبح الكتب وأشدّها ضررا ولا شك في حرمة طبعه وبيعه فما قولك بالاكتساب به ألا يكون من كبار الآثم والفواحش ؟

بلى وان من قدر على منع طبع هذا الكتاب أو بيعه أو اتحال التنجيم به ولم يفعل فهو آثم ويغلب على ظني ان اهل سنغافوره واهل جاوه لو بينوا لحكومتهم ما في هذا الكتاب من الدجل والإفساد للأداب العامة ومخالفة الدين وطلبوا منع الدجالين من التنجيم به لأجابتهم الحكومة الى ذلك

ولو نهت الحكومة المصرية مثل هذا التنبيه لرجي أن تحاكم الذين يطبعون هذا الكتاب وتمنعهم من بيعه فحسي أن يتدب لذلك بعض أهل الفيرة وأن تحمل الجرائد اليومية على المتجرين بهذا الكتاب وأمثاله وتطالب الحكومة بمجازاتهم على ما يمنعهم منه القانون المانع لكل ما يخالف الآداب العامة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ﴿ سفر صاحب المجلة ﴾

سافر صاحب هذه المجلة من القاهرة قاصدا سوريا لزيارة الأهل والأقربين ، والأصدقاء والمحبين ، الذين حال بيتنا وبينهم الاستبداد إحدى عشرة سنة ، كان ذكر اسمه فيها خطرا عليهم ، يهددهم به من يستاء من أحد منهم ، قائلا : إما أن تفعلوا كذا أو تتركوا كذا وإما أن أبلغ الحكومة بأنكم تكذبون إلى صاحب المنار أو يكتب هو اليكم أو انكم على رأيه واعتقاده في حاجة الدولة والأمة الى الإصلاح ونحو ذلك

سافرنا قبل صدور هذا الجزء وأنا نكتب هذا في القطار بين القاهرة وبورسعيد . وسقيم في تلك الديار الى ما بعد عيد الفطر ثم نعود منها وندخل مصر إن شاء الله آمين وقد جعلنا أخانا وكيلنا عنا في إدارة المجلة ومطبعتها وعهدنا الى إدارة البريد المصري أن تمدد وكيلنا عنا وتدفع له كل ما يرد باسمنا من الرسائل والدراهم . فحسب ان تكون غيرة قراء المنار الأختيار على إدارة المجلة في غيبتنا أعظم مما كانت عليه أيام كنا فيها وأن يرسلوا اليها ما وجب عليهم من قيمة الاشتراك فان العمل فيها وفي المطبعة لا يزال مستمرا وإنا نتمنى من يرسل قيمة الاشتراك الى المجلة في غيبتنا من أفضل أهل الذوق والوفاء لنا، بل نعدله ذلك جميلا يذكركم، وفضلا يشكره.

### ﴿ مكاشفة في أول ولاية السلطان عبد الحميد ومدتها ﴾

كان كثير من أهل الاستانة وغيرهم من خواص العثمانيين يتحدثون بأن بعض المنجمين أو الصالحين بشر السلطان عبد الحميد بأنه يكون ملكا مدة ثلاث

وثلاثين سنة . وقد حدثني بعض كبار رجال الدولة في سياق الكلام على اعتقاد السلطان بالمشايخ الذين يدعون الكشف أو الجفر والزايرجه كأبي الهدي وعنايته بالشيخ ظافر - حديثا غريبا يروي عن السلطان نفسه وملخصه انه كان في المدينة المنورة رجل يعرف بأمين افندي الطرابزوني يشتغل بالجفر ويخبر بأمر المستقبل فأرسل اليه السلطان يتعرف منه هل يكون سلطانا فقال انه يكون سلطانا في سنة ١٢٩٣ قال هذا للشيخ ظافر وكان هو الواسطة بينهما فلما انبا الشيخ ظافر عبد الحميد ( افندي ) بذلك كبر عليه ان يصدقه لأن عمه السلطان عبد العزيز كان في صحته وعافيته وكذلك أخوه مراد افندي الذي هو ولي العهد وكان ذلك في أول تلك السنة ولكن لم يلبث ان صدق كلامه كما هو معلوم . قال الراوي هذا معنى ما سمعته بأذني من السلطان عبد الحميد وسمعت بعض الكبراء في الاستانة يزيدون في الرواية قائلين ان أمين افندي حدد مدة ملكه بثلاث وثلاثين سنة فقال يملك أو يحكم ٣٣ سنة

ومن يتذكر أن السلطان ولي في شعبان سنة ١٢٩٣ يعلم ان المدة قد تمت بحسب السنين الهجرية ويحتمل ان يقال في تأويل الشق الثاني من الخبر ان السنة الثالثة والثلاثين قد كانت خاتمة لحكم السلطان بنفسه وقبضه على زمام السلطة بيده فان إعلان الدستور قد حول الحكم الى الوزارة ومجلس الامة . ولعل السلطان نفسه يفكر في هذا التأويل فيشرح له صدره إذ كان ممن يصدق أمثال هؤلاء القائلين لا سيما بعد ان صدق الخبر فيما يتعلق بأول الولاية . وأما من لا يبالي بهم صدقوا أم كذبوا فلا يحتاج الى تأويل . وقد ذكرت هذا الخبر قبل إعلان الدستور لكثيرين وبعده لكثيرين منهم أصحاب المقطم .

### ﴿ الاحتفالات بالدستور العثماني ﴾

احتفل العثمانيون عامة بالدستور في بلادهم وفي كل بلد يضم طائفة منهم في مشارق الارض ومغاربها وقد كان السرور بالدستور مدرسة التربية والتعليم تعلم فيها ألوف من العثمانيين الخطابة وتربوا على الوفاق والمحبة ولكنها كانت مدرسة لا كالمدارس :

كان تلميها يشبه الوحي وتربيتها تشبه الآيات والمعجزات فانها قد علمت الخلق الكثير في يوم واحد وربت الشعوب المختلفة في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب والتقاليد والعادات في ساعة واحدة

لوصافح المسلمون النصارى في سلايك والاسانة ومصر فقط لكان لقاتل ان يقول ان ذلك امر طبيعي حصل بالسعي في الزمن الطويل فان احرار العثمانيين الذين على هذا الرأي كثيرون جدا في هذه البلاد وهم يسمون له من قبل . ولو واقفهم مثل أهل بيروت والشام لقال ذلك القاتل ان أهل هذين البلدين على مقربة من أهل هاتيك البلاد فيما ذكر من وجود احرار العقلاء المحيين للاصلاح فيهم ومن وقوفهم في أقرب وقت على ما كان من اخوانهم في هاتيك الامصار التي سبقتهم عملا وسعيًا الى ذلك فلم يلبثوا ان جاورهم او اتبعوهم

ولكن ماذا يقول ذلك القاتل في مواقة عمل أهل جدة ( ثغر الحجاز ) وأهل البرازيل وأهل الأرجنتين لعمل أهل الاسانة وسلايك ومصر والشام والعراق في وقت واحد وهم لا يطمون من أمرهم في ذلك شيئاً ؟

كتب اليّ وجيه من مسلي جدة كتابا يشرح فيه ما كان من أمر أهلها في الاحتفال بالدستور على الرغم من والي الحجاز راتب باشا الظالم الملحد في الحرم الذي كان يومئذ فيها كأنما لبأ الدستور ثم مشط اللهم عن الاحتفال به بعد ان أعلنته للناس جمعية الاتحاد والترقي . فقد قال الكاتب ان المسلمين والنصارى قد تزاورا وواعقوا في ذلك الاحتفال وطفق كل فريق يهني الآخر . وذكّر أموراً أخرى منها حسن تأثيره في نفوس الاعراب ومنها بعض مفاصد الوالي واتفاقه مع الامير الشريف . وقد أوقفنا على هذا الكتاب بعض محرري الأهرام والمقطم فلخصوه في الجريدتين

وكتب الينا جورج افندي حداد مؤسس شعبة جمعية الشورى العثمانية في البرازيل كتابا في الاحتفال الذي قام به العثمانيون في سان باولو قال فيه : إن الأرمن الذين هنا لم يكونوا يكلمون السوريين ولا يعاشرونهم فلما جاء نبأ الدستور أقبل بعضهم على بعض متعارفين متوادين وانتظم موكب الاحتفال من المسلمين والدروز والنصارى من الأرمن والسوريين وغيرهم . فهل يمكن ان يكون هذا

وذاك بتواطؤ أو تقليد؟ وذكر انه اجتمع للقيام بالاحتفال نحو ألفي سوري ومئة أرمني في أعظم مسرح في سان باولو وكانت الموسيقى العسكرية تشب من نار حماسهم وتضاعف سرورهم وجدلهم ثم انبرى للخطابة فريق منهم وخطب هو أيضا بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن إخوانه الأحرار مؤسسي جمعية الشورى العثمانية في مصر قال: «ثم سار الموكب تتقدمه الموسيقى وهورافع راية عثمانية كبيرة جدا صنعت لهذا الاحتفال خاصة الى دار القنصلية العثمانية ومد ابصرهم القنصل رفع الراية العثمانية وجعل يحيمهم بها وقد صعد اعضاء لجنة الاحتفال الى مكان القنصل وهناك بعضهم وقدم اليه عريضة طويلا ٨٠ ستمترا وعرضها ٥٠ فخواها الشكر للسلطان على رضاه باعادة نشر القانون الأساسي ونيل شعبه للحرية وينا كان القنصل يخاطب الاعضاء طلب الجماهير منه ان يشرف عليهم من إحدى النوافذ ويظهر ان الرجل من أرباب الحزب المحافظ ومن تأصلت في نفوسهم الكبرياء لانه لم يحفل بالطلب ولم يلب النداء فهاج الناس واضطربوا وصاحوا ان مولانا السلطان خاطب الشعب من النافذة مظهراً الرضى والسرور فكيف تأبى ذلك وانت من صغار مستخدمي دولتنا العلية؟ فاضطر القنصل لمخاطبتهم والاعتذار اليهم ثم تركوا دار القنصلية وطفقوا يطوفون بالشوارع العظيمة والحاصل ان هذا الموكب المؤلف من هذه الفرق التي كانت تحتم في نفوسها نار العداوة والبغضاء وكره الواحدة منهن للآخرى كان من أجمل المناظر التي تسر بها النفوس وتغبط لها القلوب»

وجاء في جريدة أبو الهول البرازيلية في ختام كلامها عن هذا الاحتفال مانصه: «اهتمت الصحافة البرازيلية والطليلية بالمظاهرة وذكرتها باثناء والتكريم وجرائدنا العربية لم يهتم منها بالحفلة الا الميزان . فالافكار ذكرتها بأقل مما تذكر عن حفلة اكليل وطلبت من الله في الختام ان يجعل الحرية طويلة المسكث في ديارنا ؛ والدستور ثابت القرار في وطننا ؛ وصاحب الافكار لم يحضر الحفلة وهكذا محرر المنارة الذي اهتم بالمظاهرة الخرجية أكثر من المظاهرة الداخلية اعتقاداً منه ان الاخيرة غير لازمة !

وقد اهتم جناب الأديب الياس افندي مسرة بالأمر وطير الخبر تفرافيا الى



جريدته في باريس فاستحق الشكر . وتكرم جناب الشيخ سابا الخوري نزيل الريو فأفاد اللجنة ان شركة هافاس نقلت الخبر إلى لندن ثم إلى بقية العواصم الكبيرة وقد شارك إخواننا الأرمن نزلاء سان باولو بهذا الاحتفال الذي كان فريداً في عظمته وقيمتها في محاسنه

وفي الختام نشي بلسان الحرية على اللجنة التي رتبت هذه المظاهرة ونشكر الخطباء الذين حركوا في صدور الجمهور الحماس ونهني الشعب السوري في هذا العيد الكبير عيد الحرية والمساواة »

ولا تزال جرائد أمريكا الشمالية والجنوبية تأتينا وهي ملأى بذكر الاحتفال بالدستور في معظم الولايات والأرجاء الأمريكية واشتراك جميع الطوائف والملل في ذلك وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه في صدر هذا المقال

وكتب لنا من المفازة في بلاد السودان محمد أفندي كمال الدين عدده سر تجار البندر يقول انه طاف بالناس بعد علمه بنبا الدستور ودعاهم إلى منزله للاحتفال بيعة الدستور من قبره فلبى دعوته خلق كثير من السودانيين وأشخاص من السوريين الموظفين في الحكومة قتلا عليهم خطاباً ألمّ فيه بماضي الدولة المظلم وما يرجى لها من النجاح والصلاح في المستقبل وشكر لرجال الأحرار الذين كانوا مبشورين في البلاد الحرة ومشتتين في اصقاع المعمور يسعون فيما اختطوه لأنفسهم وجعلوه نصب أعينهم حتى رجعوا إلى بلادهم والويرة النصر تحق فوق رؤوسهم وجنود الظفر تحيط بهم ثم قام بعده طاهر أفندي الخانجي باشكاتب المركز وشكر للحاضرين تليتهم الدعوة للاحتفال بالدستور وطلب من صاحب الدعوة بلسانه ولسان الحاضرين ان يكتب لرئيس الأحرار مهنتاً بهذا الفوز العظيم فأجاب الجمهور بأنه يعرف من رجال الأحرار صاحب المنار وانه سيكتب اليه بما رغبوا فتهنؤا جميعهم للمبارك وبعد ذلك انفرط عندهم وهم مسرورون بهذه الحال شاكرون للداعي إلى الاحتفال

## احتفال الارمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين

في اليوم الثالث من هذا الشهر احتفلت طائفة الارمن في كنيستها بالقاهرة باحياء ذكرى شهداء الحرية من جميع العثمانيين . فحضر الاحتفال خلق كثير من العثمانيين المقيمين بمصر ومن المصريين حتى اكتظت بهم الكنيسة على سعتها وبقي جمهور عظيم في رحبتها . وقد أقيم أمام محراب الكنيسة ( المذبح ) دكة كبيرة على جانبيها رايتان سوداوان بينهما راية بيضاء كتب عليها « اكرام شهداء الحرية العثمانيين » ووضع عليها مقاعد للقسيسين والخطباء ، ووقف من دونها جوقة من بنات المدرسة الارمنية كنّ يلقين بين كل خطبة وأخرى نشيدا مؤثرا وضع لهذا الغرض

افتتح الحفلة عظيم القوم وأسقفهم وتلته فتاة أرمنية بخطبة أحسنت القاءها فحسن وقعها وخطب بعض فضلاء الارمن بالارمنية وبعضهم بالتركية فأحسنوا وأجادوا ووصفوا لهم القوم تصفيقا . وخطب الدكتور شرف الدين بك أحد مسلمي الترك الأحرار وهو من أفضل من عرفنا أخلاقا وأدبا فذكر ما كان بين المسلمين والارمن من المودة قبل حوادث الارمن المشؤمة المعروفة حتى كان مما قاله ان المسلم كان يدعى الى الخدمة العسكرية فيذهب اليها تاركا امرأته وأولاده وأملاكه الى جاره الارمني يتعهدا في غيبته بما يجب كما كان الارمني يفعل مثل ذلك اذا احتاج الى مفارقة مكانه لامر ما . ثم ألمّ بذكر ما جرّ اليه الاستبداد من تلك الحوادث المشؤمة واستطرد منها الى ذكر الاصلاح الذي نشده الأحرار فأصابوه وقال ان المسلمين من الترك وسائر العثمانيين ليسوا متعصبين كما يصورهم بعض الناس فان أول حركة أتوا بها بعد أن نالوا الحرية في عاصمتهم هي زيارتهم لاضرحة الذين قضوا ضحية للظالمين .

وبعد أن أتم خطابه التفت الى أسقف الارمن ومن بجانبه من القسيسين نعاتهم واحدا بعد واحد فصفت الجماهير لهذا المنظر أضعاف تصفيقهم الكثير للخطيب ثم خطب الدكتور برتوكاليس بك الرومي العثماني باللغة الفرنسية فالدكتور

فارس أفندي نمر بالعربية فأحسنا وأجادا وكان كل أولئك الخطباء قد عهد إليهم بالخطابة وكتبت أسماؤهم في البرنامج المطبوع في بيان ترتيب الاحتفال كأدوا يختمون الاحتفال بمد خطاب فارس أفندي نمر لولا أن اقترح بعض المصريين الحاضرين على صاحب هذه المجلة الصمود إلى الدكة والقاء شي مما يفتح عليه به . وقد تمت معذرا بأن الاحتفالات المنتظمة التي يعين فيها عدد الخطباء وموعد اللقاء لا يحسن أن يتطفل عليها ففطن لذلك بعض العثمانيين من الأرمين وغيرهم فاختطفوني من مجلسي وأصعدوني إلى دكة الخطابة فلقاني الأسقف والقسوس بالحفاوة وبعد العناق التفت إلى الجمهور إجابة لما اقترحه المقترحون وقلت والتصفيق والتهاتف يكاد يبلغ عنان السماء ما خلاصته :

قد رأيتم أيها السادة أنني اختطفتم من مكاني إلى هذا الموقف الذي أترفي وجداني تأثيرا لم يدع لتصور الكلام وتدييره مجالا فهما سمعتم مني فأنا معذور بالتقصير فيه قد رأيتم أنني عانقت هؤلاء الأحرار والقسيسين وأنا رجل من رجال الدين الإسلامي ولا بدع في ذلك فإن شيخنا الأكبر شيخ الإسلام قد سبقني إلى ذلك فعانق البطرك في دار السلطنة وأن القانون الأساسي الذي نلنا به هذه المساواة التي نحتفل بها لم ننله إلا بمساعدة شيخ الإسلام الحال فقد روي لنا أن السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية المطالبة للدستور بالقوة فاستقى شيخ الإسلام في ذلك فلم يفته بل قال إن قتالهم غير جائز شرعا لأنهم يطلبون طلبا شرعيا . وقد كان أحد مشايخ الإسلام من واضعي هذا القانون مع مدحت باشا وأخوانه فهذا القانون قد وضع بفتوى من أحد شيوخ الإسلام وأعيد الآن بمساعدة شيخ الإسلام فهو موافق للإسلام لا أقول هذا تقليدا للشيخين فإني أقول ما أقول في الإسلام عن علم وبصيرة ويعلم كثير من الأرمين الحاضرين أنني من مؤسسي إحدى جمعيات الأحرار التي سبقت غيرها إلى التآليف بين جميع العثمانيين بالفعل قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في أوروبا بل إن هذا الفقير هو رئيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية التي من بعض أعضاء إدارتها أحد خطباء الأرمين النجباء في هذا الاحتفال وإنما احتججت بشيخ الإسلام السابق وشيخ الإسلام الحال تنويها بفضاها

وإقامة للحجة على من يزعمون ان المسلمين متعصبون أو ان دينهم ينافي الحرية  
والمساواة — وعلى بعض الجاهلين من المسلمين الذين يظنون انهم بالتعصب القديم  
يخدمون الدين وإنما هم ينجون عليه بذلك  
ثم انتقلت الى الكلام عن المساواة التي ابتهج بها العثمانيون كافة وبينت انها  
مما جاء به الاسلام ثم قلت :

يقولون ان فرنسا هي أم الحرية والمساواة . نعم ولا ينكر فضل فرنسا أحد  
ولكن العثمانيين أجدر من الفرنسيين بالفخر بالمساواة . ان فرنسا أمة واحدة ،  
جنسها واحد ، دينها واحد ، مذهبها واحد ، لغتها واحدة ، تربيتها واحدة ، فأى  
غرابة في طلب عقلائها وفضلائها المساواة بين أفرادها بعد ان عرفوا ما لهم على  
حكومتهم وما عليهم لها بل ما ينبغي ان تكون عليه وهم متفقون في هذه الوحدات  
كلها ؟ لا غرابة ولا عجب

أما نحن العثمانيين فإنا قد جمعنا من اشتات الاجناس المتفرقين في كل شيء  
مالم يجتمع في مملكة اخرى . نحن متفوقون في الاجناس والانساب ، متفوقون في  
اللغات ، متفوقون في الدين ، متفوقون في المذاهب ، متفوقون في طرق التربية والتعليم  
— أو تقول في الجملة اننا متفوقون في كل شيء ، يفرق فيه الناس . فان كنا على هذا  
كله نطلب المساواة ونحتفل بنيلها في المعاهد العامة والمعابد الدينية فلا شك ان في  
هذا مجالاً للفخر وموضعا للعجب

وقد يتساءل عن سبب ذلك ويظن انه مخالف لقوانين الاجتماع الانساني  
لا سيما بعد أن برّح الاستبداد بنا تبريحا زاد في مسافات الخلف بين الطوائف  
والملل اتساعا وملا القلوب إحنة وبفضاء .

ولكن المتأمل في ذلك يرى له سببا طبيعيا ظاهرا وهو ذلك الاستبداد الذي  
زاد في التفرق والتمزيق ، ذلك الاستبداد نفسه هو الذي مزقنا أولا ثم جمعنا ثانيا ،  
كيف كان هذا ؟ إنما كُنْ بالمساواة في الظلم وتميم الاستبداد فلولاً ان الاستبداد  
كان عاما واقعا على جميع العثمانيين بالمساواة في الجملة لما كان الاندفاع إلى طلب  
المساواة بالدستور عاما

كان ظلم الاستبداد واقعا على رأس المسلم والنصراني وغيرها ، كان عاما شاملا  
للتركي والعربي ، والارمني والكردي ، والالباني والرومي ، فهذه المساواة هي التي  
جمعت كلمة الاحرار العقلاء من جميع هذه الطوائف على تمني المساواة في العدل  
الذي قرره الدستور ، وهو الذي نهض بهمة العاملين من هؤلاء الاحرار الى طلب  
ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وهو الذي هز أريحية جميع العثمانيين للاحتفال بالدستور  
بعد الظفر به بسعي جمعياتهم وقوة ضباطهم وجيشهم — فاذا كانت المساواة في الشر  
قد أدت الى هذا الخير فما أعظم فائدة المساواة وما أعم بركتها : فحيا الله المساواة  
ففتح العثمانيين جديرون بالفخر بالدستور اذ غلبنا الأهواء والموانع الناشئة  
من اختلافنا حتى نلناه ، جديرون بالاتفاق على الاحتفال به واقامة الاعياد العامة له ،  
جديرون بالمحافظة عليه ، جديرون بالتبويه بالاحرار الذين نجحوا في نيله ، وبالبدعاء  
والذكر الحسن لمن مات منهم شهيدا في سبيله

ثم اعتذرت عن الاطالة بذهاب الوقت المعين وبما ألمّ بالحاضرين من الجوع  
والسامة . وقد كان لكلام هذا العاجز من حسن الوقع والتأثير فوق ما يستحقه .  
دل على ذلك ما ظهر على وجوه الحاضرين ولما كان من شدة التصفيق وتكرره ،  
ثم النهائي التي سمعتها في الكنيسة وبعد الخروج منها ، في ذلك اليوم وبعده  
أيام ، وكان أكثر المهنيين تطلقا في التهنة واطراء في الشاء أولئك الخطباء البلغاء الذين  
سبقوني بخطبهم المفيدة كالدكترة شرف الدين بك وبرتوكاليس بك وفارس افندي  
نرحى قال هذا الاخير ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير المنار في عشر سنين أي  
فيما يتعلق بمشرب المنار في التساهل والدعوة الى الوفاق والوداد بين المسلمين  
وغيرهم . ومن كرر لنا التهنة بذلك الدكتور نجم الدين بك عارف من فضلاء  
الترك السقيمين بمصر والعارفين بالعربية وجمهور أحرار الارمن بل كان ابتهاج هؤلاء  
عاما فتسأل الله تعالى أن يديم علينا معشر العثمانيين نعمة الوفاق والتوفيق لحفظ  
الدستور والاستفادة التامة منه .

## الصحف في البلاد العثمانية

لم تكند الاحتفالات تنتهي في عاصمة السلطنة وسائر بلادها ، حتى طفق أهل العلم والفضل يمدون الجرائد بأرائهم وأفكارهم ، وانبرى الأدبيات في الأستانة خاصة للكتابة ، بعد ان وقفن ذلك الموقف المشهود في الخطابة ، فأكد لنا الخبير الخبير وهو ما كنا نسمعه عن الارتقاء الأدبي العظيم في الأستانة وغيرها من ولايات الدولة ولا مرأ في ان هذا الانقلاب الأخير ، نتيجة ذلك الارتقاء الكبير

تسابق الناس الى طلب إنشاء الجرائد والمجلات ولا سيما في الأستانة حتى بلغ عدد ما أنشئ فيها وحدها حتى الآن مئتين وعشرين ما بين جريدة ومجلة وقد صدر في بقية البلاد ما يقارب ذلك ومن ذلك ثماني جرائد هزلية مصورة رأيناها معتصمة بحبوة النزاهة والادب بعيدة عن المحجون وسخيف الهزل ولا ريب في ان اعمال المرء هي مرآة لا خلافة ينطبع فيها ما يحمده وما يذم وعسى ان تكون هذه الجرائد الهزلية في مسلكها الادبي قدوة لكثير من جرائدنا الكبرى التي أصبحت مجموعة للشتم والتفنن في أساليبها حتى صار كثير من الأدباء يصدفون عن قراءة الجرائد العربية رأيت في جريدة « قلم » إحدى الجرائد التي نوهت بها في صدر هذا المقال رسماً أثرني تأثيراً لم أعرفه منذ وجدت ، أحدث في فؤادي اضطراباً ، وفي جسمي رعدة عظيمة ، وقشعريرة قوية الشكيمة ، حتى كدت لا أملك نفسي على دفع البكاء ثم تلا ذلك انكماش وسكون ، وقتور وذهول

ذلك الرسم يمثل هيكلًا منتصبًا من العظام يحكي رسوم علماء التشريح (Physiologie) التي توضع للدلالة على اعضاء الانسان ، لا نأوضعه صاحب الجريدة وهو تلاوة العفوع على هذا الهيكل من السلطان !! يرى الرأي ذلك الهيكل والأدهم والقيود مطوقة يديه ورجليه كأنه من بقايا المنضوب عليهم من نير ون الهاتي الروماني وأمامه رجل يتلو عليه نأ العفوع عن السياسيين ! فكأن الرسم يقول له : اعزب عني فقد جئت بعد وقتك بزمان طويل وما أكثر الذين ذاقوا من وبال حكومة الظلم السابقة ! يجعل هذا الرسم ينطبق عليهم تمام الانطباق

ورأيت رسماً آخر يمثل سجينا اخذت عليه السنون ، واذاقه الظلام عذاب الهون ، فتبدلت خلقته ، وتغيرت سحته ، وانسدل شعره على كتفيه ، وملاّت لحيته صدره ، وطالت اظفاره ، حتى صدق عليه قول عنتره في الاسد : « له لبد اظفاره لم تقدم » وما كانت حياة أبي الاحرار مدحت باشا في منفاه ( قبر الاحياء ) الا كحياة هذا السجين ظهرت الجرائد في حياتها الجديدة فرأينا فيها المباحث المستفيضة في السياسة وال عمران والاجتماع وكما تبدل على اختبار منشئها ، وسعة علم كاتبها ، وبعد غورهم في السياسة ، وحسن أسلوبهم في استمالة الدول ، ولا سيما صديقتي دولتنا القديمتين انكلترا وفرنسا ، حتى مالنا اليها وقرظنا احرارنا أحسن تقریظاً ، وحتى أصبح أحد وزراء فرنسا من قبل يقول في خطبة له : « ان احرار تركيا أعظم من رجال الثورة في فرنسا » وناهيك صدور هذا القول من فرنسي دع انه من مشهوري رجال السياسة لان الفرنسي يملأ ماضيه فخراً برجال الثورة ، ويعترف بأنهم فوق كل البشر ، بل أصبح ساسة الانكليز يكتبون عنا مثل الفقرة الآتية من مقالة لجريدة الدايلى تلغراف الكبرى : « وأكبر واجب على انكلترا في الحال الحاضرة ان تساعد بكل قواها رجال الاصلاح في السلطنة العثمانية وتراقب مراقبة حية عمل أية دولة تحاول بذور بذور الشقاق في البلقان أو أي عمل يراد به مناوأة رجال تركيا الفتاة في شؤونهم » واذا لم نجح من صداقتنا لهاتين الدولتين الكبيرين فائدة الا صدها لباقي الدول عن عرقلة مساعينا وايقاف سير أعمالنا لكانت خير فائدة

كانت الجرائد قبل هذا الانقلاب تكتب بغير اقلام أصحابها ، وأريد بذلك انها كانت تكتب ما يراد منها من اطراء أعمال الحاكين ، وتقديس البغاة الظالمين ، لا ما تريد من المباحث التي تعود بالنفع والخير على البلاد والعباد ، على ان كثيراً من أصحاب الجرائد كانوا مغبوطين بتلك الحال التي جعلتهم في مصاف الاغنياء والعطاء — عطاء ذلك العصر المظلم الذي كانت العظمة فيه عبارة عن الخيانة والباسوسية والوساطة بين الحاكين والمحكومين لهم بالرشى وأكل أهوال الناس بالباطل ولكن جرائد الاستانة كانت على شدة المراقبة والسيطرة عليها تكتب في شؤون الزراعة والصناعة والادب وما في معنى ذلك مما لا علاقة له بالسياسة كل

مفيد ، اما جرائد سوريا وباقي الولايات فكانت دون اخواتها في الاستانة في المباحث ، وأوغل منهن في تقديس السلطنة الخائرة ، والفئة الباغية الخاسرة ، ثم لا تزال بعد التمتع بالحريّة متخلّفة عنها بمراحل ، فمسي ان تغد في سيرها ، وتجهد في إدراك شأوها ، فلا تضع نفسها منها موضع الظالم من الضليع ، ورجاؤنا كبير في الذين عقدوا النية على إنشاء جرائد جديدة في تحقيق الأمل كصديقنا الشيخ أحمد حسن طيارة الذي أصدر جريدته ( الأتحاد العثماني ) وصديقنا عبد الغني افندي العريسي فانه عزم هو وحسن افندي بيهم الشهير على إصدار جريدة يومية سماها ( المفيد ) واذاع صديقنا جرجي افندي بني وأخوه صموئيل افندي نشرة ذكرا فيها انهما سينشآن مجلة علمية أدبية سياسية دعواها المباحث فسرنا هذا النبأ لأن الكاتين ضليعان بما اتديا له



استغرقت المباحث السياسية اقلام الكتاب حتى يكاد من ينظر في جرائد الاستانة في هذه الآونة لا يرى فيها مقالة أدبية أو بحثا اجتماعيا أو اخلاقيا الا فيما ندر وهم لم يتناولوا المرأة في بحهم البتة لذلك انبرت عاطفة جلال احدي فضليات بنات الاستانة وكتبت مقالة تستنكر فيها ذلك وقد بحثت في شأن المرأة بحثا مفيدا ودعت الكتاب الى مشاركتها في موضوعها ، نشرت المقالة في جريدة « ثروت فنون » بعنوان « اليس لنا نصيب في الرقي » وترجمتها « الجريدة » بالمرية وانا نقلها عنها بنصها مع تصحيح قليل قالت :

« تقرأ الجرائد فلا تراها تكتب في المرأة الا شذرات قليلة وبعض مقالات يكتبها بعض السيدات ، فنستغرب من كتابنا تركهم للمباحث الجليلة في رقي المرأة على أنهم يكثرون من كتابة المقالات الضافية الذيول الكبيرة الحواشي في اصلاح الحيوانات الاهلية ونراهم حلقوا باقلامهم في جو الصين واليابان وما فكروا قط في اصلاح أحوال المرأة ، كأن المرأة في نظرهم لا تعد من الانسان ، أو هي في درجة أقل من درجة الحيوان ، أو كأن المرأة لا تزال في اعتبارهم معدودة من الزينة غير المفيدة ، أو من متاع البيت



نرى حضرة المحرر الشهير والكاتب البارع مشاق بك يملأ أعمدة الجرائد بالكتابة عن شركة البواخر ولم نره يكتب عن اصلاح المرأة كأن اصلاح المرأة في نظره ليس له من الاهمية في الهيئة الاجتماعية بالشركة السفن ينصح لي بعض الاعيان بأن أقرأ ثلاثا واكتب واحدة ؛ حبا وكرامة فاني أقرأ خمساً واكتب واحدة واذا أرادوا الزيادة فلا أكتب شيئاً وأقرأ عشرًا ولكن هل لهم ان يتفضوا هم ويكتبوا فيفضوني عن الكتابة

نحن نعد أنفسنا من بني الانسان ونطالب أن يكون لنا نصيب في الهيئة الاجتماعية ولقد سكت الكتاب العثمانيون عن البحث عن حقوقنا مع ان الانسانية تقضي عليهم أن لا يسكتوا وان يطلبوا اصلاحنا قبل أن نطلبه نحن

نحن نرى مباحث الصحف منحصرة الى الآن في كيف تكون زينة المرأة كأن المرأة اذا ذكرت لا يتبادر من ذكرها الا انها (ألعبوبة مزينة) ولا يخطر على بال الباحث في هاته الصحف ان المرأة كالرجل لها ماله وعليها ما عليه . فيجب أن لا يقتصر الباحثون على زينة المرأة كلما أرادوا البحث في شأنها ومن يقتصر على ذلك يهين المرأة ويمرح عواطفها . ونحن نريد أن نزين عقولنا قبل أن نزين أجسادنا وهذا

لا يكون الا بالتربية والتعليم وفتح أبواب المدارس في وجوه الفتيات اقترحت حضرة فاطمة هانم افندي في مقالها التي نشرتها «ثروت فنون» أن تؤخذ سراي رضوان باشا وتجعل مدرسة للبنات، واما انا فأرى أن تفتح مدرسة للبنات حيثما كانت وكيفما وجدت . وقد استحسنت الكتابة أن يتضمن برديجرام المدرسة تعليم التطريز والامور المنزلية باللغتين التركية والانكليزية ورأيي انه متى كان التدريس جيدا مفيدا فليكن باية لغة كانت . واذا وفقت فاطمة هانم افندي الى انشاء هذه المدرسة فلتعديني خادمة فيها فان لم استطع ان أقوم بوظيفة التعليم والتدريس فاني أكون من جملة المتعلمات لأن في التعلم والتعليم خدمة للوطن، واؤكد أن بيننا من النساء من هي واسعة الاطلاع عارفة بحاجات الامة

المرأة تمثل في الهيئة الاجتماعية نصف أدوار قصة الحياة فلوعرف الكتاب الكرام هذه الحقيقة واعطوها حقها من البحث لقاموا بخدمة وطنية عظيمة، واظن انهم اذا فعلوا

ذلك بقيت عظمتهم الكتابية في المنزلة التي لا تمس بسوء فهل يرضى أولئك الكتاب ان يشتغلوا في كثير مما لا فائدة منه وانا وامثالي من الفتيات نادي بانشاء المدارس ونحن لا نزال في دور التحصيل ؟ اه

فمسي ان نرى في فتياننا من ينهج الكتابة القويم ويذهب مذهبها في وجوب التربية والتعليم

وقد ورد في الانباء الاخيرة ان مشيخة الاسلام اعلنت بانها ستصدر جريدة شبيهة بالرسمية، تنشر فيها مزايا الدين الاسلامي ودحض التاويلات وبيان فسادها، ورد الشبهات التي يرمى بها، هديا للناس، ودفعاً للخرافات والاهام، فسرنا هذا النبأ كثيرا لان مثل هذه الجريدة ستقطع السنة كثير من المشويعين والمخترقين، وتقضي على التقليد والمقلدين، فتكون عوناً للمنازل على تأييد مبادئه التي جاهر بها منذ سنين  
حسين وصفي رضا

## البرنامج السياسي

### ﴿ جمعية الاتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاستانة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحيانا نقله عنها لقراء المنار وهذه ترجمته بالحرف :

١ - جعل الوزارة مسئولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك عهد الوزارة مستقلة اذا لم تحز اكثر الاصوات في المجلس  
٢ - لا يكون مجلس الاعيان ( الشيوخ ) مقيدا بالمادة ٦٢ ولا يزيد عدد اعضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضاءه وتنتخب لامة ثلثه لمدة معينة

٣ - سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب درجة الاولى سواء كان من اصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من رعايا دولة ما عدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق

٤ - سيطلب اضافة مادة صريحة صراحة تامة للقانون الاساسي تبيح الحرية في انشاء جمعيات سياسية بشرط ان تراعي في ذلك المادة الاولى من القانون الاساسي  
٥ - سيطلب وضع قوانين خاصة لوجوب تنفيذ قانون توسيع السلطة الادارية في الولايات الوارد ذكرها في المادة ١٠٨ من القانون الاساسي بشرط ان لا يحل الرابطة الموجودة الآن في ادارة الولايات

٦ - يتوقف تعديل وتبديل التسميات الادارية في الولايات الآن على رأي مجلس المبعوثان وإنما يجب الاسراع في بعض التعديلات من حيث قرب القرى والنواحي أو بعدها باعتبار مواقعها مما يسهل ادارة الامور  
٧ - ان لغة الدولة هي التركية وستكون جميع مخبرات الحكومة بهذه اللغة  
٨ - أن يكون لمجلس المبعوثان حق وضع القوانين من غير قيد بشرط أن يطلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس على الاقل

٩ - كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة والمساواة مع كل الرعايا بصرف النظر عن جنسه ومذهبه وهو مكلف بما يكلف به كل عثماني بصرف النظر عن جنسه ومذهبه . وبما ان كل الرعايا العثمانيين متساوون أمام القانون ولم الحق في وظائف الحكومة فكل فرد تتوفر فيه شروط الكفاءة يوظف في الحكومة بحسب مقدرته وكفاءته كما ان الرعايا غير المسلمين ينتظمون في سلك الجندية  
١٠ - الاديان حرة وستبقي الامتيازات الدينية المعطاة للطوائف المختلفة على ما كانت عليه

١١ - سيطلب تنظيم القوى الحربية والبحرية حسب ما يقتضيه الزمان والمكان ومركز الدولة السياسي بين الدول وسيطلب تقليل مدة الخدمة العسكرية بشرط ان لا تضر بتمرين الجيش واستكمالها لاسباب القوة

١٢ - إلغاء الفقرة الأخيرة من المادة ١١٣ الواردة في القانون الأساسي المنافية للحرية الشخصية

١٣ - اقتراح وضع قوانين تعين حقوق العمال وأصحاب الاعمال المتقابلة

١٤ - سيطلب التدرج بالوسائل الموصلة الى توزيع الاراضي على الفلاحين

بشرط ان لا يخل ذلك بحقوق تصرف ملاك الأراضي المعترف بها قانونا وان تسهل السبيل لاقتراض الفلاحين القود بأرباح قليلة

١٥ - سيطلب قبول أصول (التخميس) في أمور الاعشار بصفة مؤقتة بشرط ان تبنى على أساس صحيح وتجرب في الحال وفي الجهات القابلة لمثل هذه التجربة وتطبق فيما بعد أصول (قاداسزو) بالتدرج

١٦ - التعليم حر التبة فكل عثماني له ان ينشيء المدارس حسب القانون الخاص بذلك كما ورد في القانون الاساسي

١٧ - كل المدارس تكون تحت اشراف الدولة والامل صيرورة تربية الرعايا العثمانيين كلهم على نسق واحد ونظام تام فنشأ مدارس مختلطة حرة عمومية تفتح ابوابها لكل العناصر ويكون فيها التدريس حرا وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي اجباريا والتعليم الابتدائي مجانا في المدارس الرسمية وأما التدريس الثانوي (الاعدادي) والعالي فانه سيكون في المدارس العمومية الرسمية انما ذكرها بشرط ان يكون التعليم باللغة التركية ويتسرع بالوسائل الجديدة لوضع بروغرامات تتكفل بالمصلحة وايجاد معاملات ومعلمين اكفاء . وتنشأ مدارس للتجارة والصناعة والزراعة لترقية احوال الدولة الاقتصادية . أما المدارس المنوط بها تعليم الدين بصورة خاصة فانها مستثناة مما ذكر

١٨ - توجه العناية الى ترقية احوال الامة والمملكة الزراعية والاقتصادية والعمرانية ويتوسل الى ذلك بالاسباب المؤدية الى المطلوب

١٩ - سيقترح تعديل انتخاب المبعوثان وجعله موافقا لهذا البرنامج بحيث لا يبقى أقل ملاحظة من قبل الحكومة تعرقل سير الانتخابات عن السير بكل حرية

٢٠ - سيقترح أن يكون لكل عثماني حائز الاوصاف المطلوبة الحق في

ترشيح نفسه لعضوية مجلس المبعوثان في أي بلد من البلاد العثمانية

٢١ - يمكن تعديل مواد هذا البرنامج حسب ما تقتضيه احوال الزمان وقرار اجتمع عمومي ويمكن أيضا إلغاء بعض المواد أو إضافة مواد أخرى عليه

فبشر عباده الذين يستمقون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

# المحكمة

١٣١٥

يؤتي المحكمة من يشاءه من بيوت المحكمة فقدا وتومي  
خبرا كبيرا ومباين صكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

( مصر - الأحد ٣٠ رمضان ١٣٢٦ - ٢٥ أكتوبر ( تشرين الأول ) سنة ١٩٠٨ )

## الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

ألقيناها على منبر جامع المجيدية في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب  
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري  
وعبدالرحمن افندي الكواكبي السوزي وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان  
وقد نلخص هذه الخطبة بعض من احصرها من الادباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح :

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، والصلاة  
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، و بعد فان الاسلام دين سهل  
سائع موافق للفطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خيرا قيام ، وليس لهم كتاب  
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الامر مصحفا مجموعا كما هو الآن ، وانما كتبت

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما ( المارح ١١م٩ )

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ، فالاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما بينه من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ( وأنزلنا إليك الذكريات للناس ما نزل اليهم )

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الارض ، وتقل البشر من طور إلى طور ، ؟ نعم إنه لهو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذها الأيون اغبرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غيره سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤلفون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأينا ان الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفا ، والمسلمين إلا خسفا .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فعمل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية وهم على ما تعلمون من التفرق والتعادي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهدبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى ( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربى ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الارض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية التي كانوا بها أئمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الاصنام ، ويتدون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه كان فيهم استعداد لهذا الاصلاح الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحملوه الى غيرهم ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر فيهم أولا من العرب ، ولكن لماذا ظهر هذا الدين الحكيم في تلك الامة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في أمة من أمة المدينة كالمصريين والروم ، واليونانيين والفرس ؟ السبب في ذلك

عظيم جدا يتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سداجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الاديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الاسلام قد أضعفت استعداد تلك الامم بما طبعتهم على التقليد والخضوع والخنوع لرؤسائهم ، والجود على تقاليدهم وعاداتهم ، فاذا دعي أحدهم الى إصلاح جديد قال من فوره : ان هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فان لم يمنعه من الاستجابة التقليد لسلفه في الدين ، منعه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين ، واما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقي اليهم من دين أو علم جديد ، ولم يكن لهم من الحكام المستبدين من يفسد عليهم بأسهم ، ويذهب بعزيمتهم ، بل أعدمهم لذلك بطبيعة البدواة وسداجة الفطرة ، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة ، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر ، فكان فيهم كثيرون إذا دعوا إلى الحق والخير ففهموا الدعوة ، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة ، لذلك أنزل الله عليهم كتابه ، وبعث فيهم رسوله ، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نمثلك ( أي نحميك ) مما تمنع منه أنفسنا وأهلنا ، وقام الاسلام بهم خير قيام ، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان ،

هذه مقدمة يمكتني أن أبين بعدها ماهي حقيقة الاسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين بسهل عليهم اليوم ان يعرفوا دينهم ويبتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الاسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية ، وماهي الفطرة البشرية ؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الأذعان للسلطة الفيبية واختيار ما تعتقد انه الخير والمصلحة قال تعالى ( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) إلا ان الفطرة يعرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فاذا ذكر صاحبها آيات الله فاهتدى بها رجعت الى أصلها ( لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ) فحصل مقصد الاسلام وحينئذ يجد المسامون سعة في الوقت لتحصيل

ما يحتاجون إليه من العلوم والفنون وما يترتب عليها من الاعمال والصناعات التي تقوى بها أمتهم وتعزز دولتهم

قلنا ان الأهداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والاعمال التي تستغرق الأوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الاول) إصلاح العقل بالعقيدة المطهرة للجان ، المبنية على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل ( الثالث ) إصلاح الاعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها أمر الافراد وترتقي الهيئة الاجتماعية

الاساس الاول يبنى عليه الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة الغيبية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الاسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه الا ما يتعامل به الناس بالاسباب التي سخرها الله لهم بحكمته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وانه منزه عما لا يليق به من صفات الحوادث وما يلزم بالبشر وغيرهم من النقص ، وانه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحریم . ويتلو ذلك تصديق الانبياء فيما جاؤا به من الوحي والإيمان بعالم الغيب من الملائكة والجزء على الاعمال التي تزكي النفس وترفعها الى عليين ، أو تدسبها فتلقبها في أسفل سافلين ، فهذه العقيدة تصلح العقل باطلاقه من العبودية لبعض البشر او المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الاوان ، والخضوع الاعمى للارؤساء المسيطرين ، وكل ذلك مبين في القرآن اكل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الاساس الثاني يبنى عليه تزكية النفس من الاخلاق الذميمة ، وتحليتها بالاخلاق الحسنة ، واذا تهذبت اخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج اليه من ذلك تفصيلا

الاساس الثالث تبنى عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالاجمال ووكل بيانه بالتفصيل الى النبي ( ص ) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعلمون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل احد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دونوا عبادتهم



في الكتب واكثرها فيها من الاقسام والفروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى ازمة  
صارت فيه هذه الكتب صعبة لا يتيسر للاكثرين درسها وتعلمها، كما السواد الاعظم  
وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمر يدي القضاء والفتيا والتدريس .  
على انهم على طول مزاولتها لا يستفنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار  
العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولما أراد ان يخرج لم يستغن عن المطوفين الذين  
يعلمون العوام مناسكهم بالعمل وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا وما لا بد فيه من القول  
يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس  
واحد ، فاذا عاهده على العمل به رضي منه وقال « افلح الاعرابي ان صدق »

التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولته ، وآية  
سهولة على المرء اسهل عليه من مجازاة فطرته وتقويم ما يمرض لها من العوج . فالاسلام  
يدعوك الى ما في فطرتك من الميل الى الاختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا  
الى التذكر في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول ( لعلكم تذكرون — لعمركم  
يتذكرون — وما يتذكروا الا من ينيب ) وانما يتذكر الانسان ما كان يعلمه ثم نسيه او  
غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعونا اليه من الخير هو مما اودع في فطرتنا  
ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية — فدين الاسلام اسهل الاديان لاجرج فيه  
ولا مشقة ( ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم  
وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون \* يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر )  
فاذا كان على سهولته ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأبي عذر لنا اذا أهملناه  
وتركنا هدايته ؟ ( ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ) يرضى بأن يكون  
كالدواب لا يهجمها الا علفها او كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضا

ربما يعترض بعض الناس على ما أقول من أن تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم  
والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعزبها الامة وتقوى الدولة حتى  
تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم  
يوجد فيها أمثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والاعطاط  
في الثروة والقوة

نحن اليوم في حالة لا تخفى على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يجن علينا وإنما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا إذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجبا كثيفة فأعرضنا عنه وعن العلوم التي تحفظ بها

بيضتنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندوسة ليس لها سوق نافقة عند أمة من الأمم فأحياها المسلمون عند مآظهم الاسلام وفقدت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترفون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من شائنا هم خيرة علمائنا !

## الانقلاب العثماني (\*)

### ﴿ تركيا الفتاة ﴾

#### الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تفسير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشرذعة، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الأمة ومصالحها وتصدها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب فإنه مهما آلم الأمة ورضضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم، ويصعد بها درجة في سلم

(\*) رسالة حفيلة جليلة ألفها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أرباب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن تقریظ لها نشرها في المنار لانها أصدق تاريخ لاعظم انقلاب

النجاح ، وأكثرت كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ، ويطلقون اسم الثورة على الانقلاب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلا ، بدل الانقلاب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ماروي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباستيل ( la Bastille ) واطلاق المسجونين فيها فقال: إذا هذه ثورة ( Révolte ) فأجابه المخبر: عفوا يا مولاي بل هذا انقلاب ( Révolution )

فمراد ملك فرنسا ان فعل الثأرين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب المخبر ينافيه ، وبين ان الانقلاب غير الثورة والعصيان ، فحنن اليوم أحوج الى تبيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ الى قدر المعاني ، لان الانقلاب السياسي من شأنه ان يحدث انقلابا في اللغة والادب ، فضلا عن انقلاب الاخلاق والعادات والافكار ، الا ترى الجرائد العثمانية الى اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمنية ويهودية ( أسبانية وعبرانية ) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الانقلاب ، وهجرت تلك الالفاظ الفخمة والتعابير السقيمة ، التي نطقت المعاني بستار المهابة حتى تستبهم على القارئ ، وتفيد فكركه بسلاسل التذليل والاستعباد

#### الاستبداد يولد الانقلاب

الذي يولد الانقلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار تفضيب والحيوانية ، لا من قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بحجة بمن تحت يدهم من الخلق ، لهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد والمستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في نخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي « ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

### الاستبداد والاسلام

فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والأخطاط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن كاسرة الفرس وقيصرة الرومان ، عن غاردة بابل وفراغة مصر ، عن جنكيز خان وتيمورلنك . والاسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وساوت بين أفراد الأمة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الأجانب المعاهدين فضلا عن افراد الأمة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الأمة ، ولم تكف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الأمة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم والا اولي الامر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الخليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لانهما من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما بتمكينه أو بالاستعانة بمنعة المسلمين » ولذا حكمت القضاة على اكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمائه ، وانزلتهم عن المنصة ، وأقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم

### الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان الخال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى أثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الاسلامي ، واقلبت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسؤول) كلوك الافرنج ليو مناهذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويرثون ... لك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لو يس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » و « أموال الرعية انما هي ملك للملكا فاذا

أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه!!» واستباحوا التصرف في نفوس الرعية وأموالهم وأعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية: وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكنند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن ، فالحسن هو ما استحسنته السلطان والقبيح ما استقبه السلطان ، ولا دخل في ذلك للعقل والذوق ، ولا للحكمة والشرع ، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم وأغراضهم

فإذا تصفحت تواريخ الأمم الإسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي ، وعلى جانب من الاستعباد الأفريقي ، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا المشورة المأمورة بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما قال الله لنبيه : (٣: ١٥٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمتم فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ) وقوله تعالى (٤٢: ٢٦) وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قریش تداعت إلى حلف الفضول الذي عقده قديماً قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والمفضل ، فاجتمعت وجوه قریش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه ، فتحالفوا وتعاقدوا إن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وكان ذلك قبل الإسلام ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لقد شهدت مع عمومي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» فأى شيء أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان ؟ لا بل من جمعية الاتحاد والترقي ؟ ولقد أحسن جداء العلامة المقري في جوابه المذكور في نفع الطيب حيث قال :

« سألني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم ، إذ لم يزل أمرهم من يسلك بهم الجادة ، ويحملهم على الواضحة ، بل من يفتر في مصلحة دنياه ، غافلاً عن عاقبة أخراه ، فلا يرقب في مؤمن إلا ولاذمة ، ولا يراعي عهداً ولا حرمة ! » فأجبت: بأن ذلك لأن الملك ليس في شريعتنا ، وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعاً

قال الله تعالى ممتا علي بني اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال تعالى (وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر ، وخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فاخرج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من آثر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، والخشونة لنا ، ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولثلا يتقلدها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ، اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل ملوك الافرنج مقدسين وغير مسؤولين

#### منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشترحهم على الجاه وطمهم في جمع الاموال وادخارها وفي انفاذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشون به ، وينصبون له اشراك المكيدة ، ويتهمونهم بانواع التهم ، وينسبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يبعده عن مركز الدولة ، وربما تسبوا في مصادره وقتله مع

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد. فتاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية . وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر ، ونتيجة القضيتين واحدة وهي الاستبداد ، وتغلب القوة على الحق . والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة ببصرها لا تظلم على خفايا السياسة وتدير الملك ، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لإخفائهم جميع ذلك عنها ، واستبدادهم بالامر عليها . ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحرار في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصايرهم ، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ما حرر في هذا الصدد ، وقد ذكرها المقرئ في الجزء الثالث من نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب . فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لاصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية ، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها ، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة ، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال ، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

قصر السلطنة العثمانية وتربية ولي العهد والكامر يلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول ، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي . وأول وظيفة على هذه الحكومة انزال الخان المعظم على الرحب والسعة ، واسكان من معه من الحریم والأسرة والاقارب والحاشية ، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم ، واستحضار النققات اللازمة لهم ولرؤساء ( العرضي ) . فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو « الصدر الاعظم » القائم مقام الخان المعظم أي السلطان والحامل لخطمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية ، وبجانبه « قاضي عسكر » لفصل الدعاوي وتقسيم موارد الجند والحفاظة على حقوق السلطنة ، وشيخ الاسلام انما هو « قاضي عسكر » وظيفته أحدث عهدا . فقضاء العسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتقلبة ، ثم « الدقتردار » الذي يقيد الاموال ويحجر الحساب ، وهو اليوم ناظر

المالية ، ثم « النيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والفرمانات وغيرها ، فهؤلاء  
أعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة ، واما جبال الخيمة  
فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :  
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من عمالك البيضان وطواشية  
السودان المحافظين على الحرم ، وكبيرهم آغة دار السعادة ويسمى أيضا آغة البنات  
« قينزل آغاسي » ، ثم آغة البستانين « بستانجي باشي » المكلفين بزراعة البساتين  
والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة  
« اثوابجي باشي » و « القهوه جي باشي » و « الأبر يقدار » و « السجاده جي  
باشي » . . . الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات ( العرضي ) مثل آغة  
الانكشارية « يكيجري آغاسي » وآغة الصباحية « سباهي » وآغة الطوبجية وهو  
« الطوبجي باشي » . . . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج  
كلهم في درجة واحدة بمثابة جبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشرقيات الرسمية  
والمعاشات والتعيينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ،  
والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والابر  
الخصي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لا تمييز بين « القهوه جي باشي » الذي  
لا يحتاج صناعته المعرفة طبخ القهوة وتقديمها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقفة  
صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي حمل الشاعر  
المفلق الأمير شكيب على ان يقول آياته المشهورة ومنها :

وألفت فيها أمة عربية يرى الترك منهم أمة الزنج اكرما

وانذا امتزجت الحياة البيئية بالحياة الدولية ، والمسائل النسائية بالمسائل السياسية  
واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي  
وسط يقال له الماين لانه بين « الأندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي  
الخارج . ويشتمل الماين على الكتاب والقرنات والمصاحبين وهم « الماينجبة »  
ويعدون كلهم من أهل السراي وخدمتها



فامتلات السراي السلطانية بالأسرى من السراري الجركيات والماليك والطواشية ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيح هذه العادة المستكرهة ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من يتعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغا من العلوم والمعارف ، لتلا يسول له الشيطان أمرا أو دسيسة سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السداجة والفرارة ، فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود تربي في حجر والدته الجركسية على دلال السراري والاعوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراري بالحظايا فيتخذ منهم حرما ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاعوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بحافظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادي العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة . فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوس في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحدا من الدنو اليه ولا المرور بجانب قصره ، فضلا عن محادثته في المسائل العامة والسياسية .

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشية السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يفات من أيديهم ، وفتشوا على أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم كثير حتى يكتشفوها ، فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانفاذ كلمتهم وجبر المنافع اليهم وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم . فيتألف من خدمة القصر المئوكة حزب قوي يسمى كامريلا Camarilla ، وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الأمور ، واذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اتقنوا عليه وساقوه بالاستتيم واقتروا عليه بإفكهم ، ونسبوه للعجز والتقصير ، وسعوا في تنزيل قدره وترديده . لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الغالب للقهوة جي باشي

والاثوابجي باشي والابر يقدر والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى الباطه جي باشي وهو الخطاب - نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجر المنافع وتوظيف المنسبين اليهم ، ولم تنزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والخديوي المعظم ، ولم بالفرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمرء الافرنج وابناء ملوكها العظام ، ولم ينزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

### شروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوروبا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العوجاء سير مملكة الصين ، أوساطنة المغرب الأقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد ان كان لها في العمران قدم راسخة ، بسبب مهاجرة الاندلسيين اليها ومتاجرتهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوروبا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدينة العجيبة التي بهرت العالم ، وغيرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أوستريا ( النمسا ) وروسيا والبنديقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط واتقهر ، وبدأت في الاصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت معملاً لسكب المدافع ، واقبل السلطان سليم الثالث مهمة عالية واقدام على القيام بالاصلاح ، ورتب إدارة الطوبخانية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوروبا ، وأحدث النظام الجديد ، فأغاثته أيدي المنون بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء مبرم على الأمة والدولة ، بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ، ومفاخر كثيرة مسطورة في تاريخ أوروبا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وازال غائلة الانكشارية ، ونظم العساكر الجديدة ، واجرى من الاصلاحات ما هو مفصل في تاريخ العثماني . واصاب اندولاه العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون بونابارت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا ، وتبه دللي علي باشا ، وحرب الموره ، واستقلال اليونان ، وحوادث جبل لبنان . وتداخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي الحماة عن المسيحيين : فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي ، وفرنسا على الكاثوليك ، وانكترا عن مبشري البروتستانت ، وجميعهم يحرضن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد ، ويطالبن الباب العالي باجراء الاصلاحات ، ووضع القوانين والنظامات لمنع التمدي على النصارى ، ولساواتهم في الحقوق مع المسلمين . والباب العالي يجد الاستفادة من العداوة القديمة التي غرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العساكر وتكبد المصاريف الحربية لتسكين الفتن واخماد الثوارث . وهكذا جرت المذابح وارتكبت الفظائع التي تقشع الجلود من سباع وصفها ، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذابح الروم في حرب المورة ، ومذابح لبنان في حادثة الشام ، ومذابح البغار في حرب روسيا الاخيرة ، وهي التي قام لها غلادستون وقعد ، وارغى وازبد ، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي ، وآخرها الفظائع الارمنية المعروفة ، وهي نقطة سوداء في صحيفة التاريخ .

مدايرة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس سائت بهض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسته اوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية ، وكان لاكثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالاصلاحات على عهد محمد علي باشا . ونبغ من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي متولي . وقف السلطان بايزيد ، وكان مولده في الاستانة (١٢١٤هـ) فقرا القرآن ومبادئ العلوم الاسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئا من مبادئ اللغة الفرنسية ، ودخل في معية نسيه الصدر السابق اسبارطه لي علي باشا ، وذهب الى مصر مرارا وخالط رجالها وتقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره ، فاكل تحصيل اللغة الفرنسية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها ، وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات اوربا بسبب اجتهاد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطعمها في الاستيلاء على القسطنطينية . وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها

نفوسا وأشدّها خطرا على الموازنة السياسية . فكانت الدول الأوربية وفي مقدمتها  
انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية  
الى القيام بالإصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية  
الدول سندا منيعا امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبدالمجيد خان ( تموز «يوليو» سنة ١٨٣٩ ) كان مصطفى  
رشيد باشا سفيرا في لوندن . فتمين ناظرا للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل  
كبير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال  
الدولة وأعيانها والسفراء الأجنبية الخط لشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت  
قراءته في كلخانة (أي دار الورد) وهي من دوائر السراي القديمة (طوب قو)  
التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانة واشتمل على تأمين  
الرعية على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال  
الاميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والفاء الامتيازات ، وطرح  
التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والفاء  
المصادرة والانغارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك  
بما هو مدرج في هذا الفرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية

فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات إرضاء لاوربا ولا سيما انكلترا .  
والامة الاسلامية لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح  
والاموال والاعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز  
والتعدي على الارواح والاموال والاعراض ، وحاشاها من ذلك . فالبلاء لم يكن  
سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد  
المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحها التنظيمات لم تكن شيئا  
مذكورا بجانب الحرية التي منحها القرآن لو زال عنه الاستبداد والجهل المستوليان  
على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نوايس المدنية الحاضرة كما  
فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت

قانونا لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الايالات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كهصيان الارناؤوط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه . ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاستانة ونظمت محكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م - مصدر هذه الاصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفة اللغة الفرنسية والادبيات الثمانية . فسعى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابه الغامضة والالفاظ والتركيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده ونحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلوم العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فوتين وأدخل في الادب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية كما فصلنا ذلك في كتابنا «تاريخ علم الأدب»

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجمية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتهقلا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وأنشأ شناسي جريدة تركية سماها (تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع متخبات (تصوير افكار) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

عالي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المتعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ونبع منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين عالي باشا وفؤاد باشا ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جارشلي علي رضا افندي اي المنسوب

لسوق مصر وهو سوق العطارين . والثاني ابن الشاعر الشهير كجه جي زاده عزت ملا الذي نفي للاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . فتعلم امين مباديء العلم واجادة الخط وقرأ الفرنسية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهيايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسمية كل داخل باسم يتميز به عن سمية ، ولم يصطلحوا كالعرب والافرنج بتسمية الولد باسم ابيه أو أسرته . وكان امين قصير القامة فسمي (عالي) تسمية بالصد تفاقولا بعلوهمته . فذهب الى أوروبا في كتابة السفارات واتقن الفرنسية وانتسب لرشيد باشا وامتاز في فنون السياسة والمعارف العصرية وعين عضوا في ( انجمن دانش ) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق الكادميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنسية والتركية كتابة وانشاء ، وتقلب في وظائف كثيرة مهمة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحا في العسكرية ، ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخارجية ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العلية وحضر الى سوريا أيام الحادثة وكان اذ ذلك ناظرا للخارجية ، ثم ذهب بجمية السلطان هيد العزيز الى معرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في نيس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط ، وكان في اللغة التركية أدبيا شاعرا وضع مع جودت باشا القواعد العثمانية التي لم يؤلف للآن احسن منها ، وخلف الفريق كجه جي زاده عزت فؤاد باشا الكاتب الشهير

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نوابغ السياسة العثمانية وواضعوا الاصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجانب ارضاء لدول اوربا ولا سيما انكلترة ، ومماشاة لها لحرصها على تقوية الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا فأمر هؤلاء النوابغ بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والاورام المدرجة في الدستور ترجمة حرفية ، ولم يجدوا لهم وقتا لدرس احتياجات البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حق درسها ، ولا لنشر الافكار الجديدة بين المسلمين المفاخرين بسابق مجدهم ومثانة شرعهم ، ولذا لا موا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها توئل إلى قلب البلاد وجعلها

افرنجیة محضة . ولذا كانت الاكثريه لحزب تركيا القديمة ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الا فئة قليلة ، درسوا العلوم الجديدة درسا سطحيا و بعضهم زار اور با مرة أو مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور باليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكثره وفرنسا وساردينيا اي ايطاليا ، فحاربين روسيا وانتصرن عليها في حرب القرم وعقدن معاهدة باريس ( ۳۰ مارس سنة ۱۸۵۶ ) واعترفت اور با بمقتضاها بتمام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع اية دولة من المداخلة في امورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ أيضا مؤيد لخط كلخانة ، ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ۱۸۶۱ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه الفرمانات والخطوط الشريفة السلطانية لم تنم تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد على ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما اصلحوا وجاق الانكشارية والصباهية وقلبوها الى النظام الجديد

#### حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا لمصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ۱۸۳۰ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تعين ناظرا للمعارف في الاستانة ، ثم ناظرا المالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكروب الاقتراض قد تنشى في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم القدية ، حتى بلغت الديون ما بلغت فأتقلت كاهل الأمة ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، ومترجم تلياك للتركية الترجمة الاولى العويصة ، وكان عالي باشا في نظارة الخارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العدلية ، ثم في نظارة الحرية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الالد لعمر باشا المجري . وكان فؤاد باشا تعين حكما لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث أبيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والاصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لأخته الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الغطاء عن عورات الدولة ، وبين اسباب الضعف والأخطا وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المايين ولا سمعوا بمثها قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت به فئة من الشبان فأكرم مشايرهم وأنفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لا يهتم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والنام ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة ، فظموا الشعر وألغوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ هـ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل المتع ، واشهره على نسق اشعار فيكتور هوغو في طلب الحرية وتدير الملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقر سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الأديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها ( البحيرة ) ، وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم بو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديهة عجيبة لم تبلغها إلى الآن مطابع الشرق ولا مطابع أوروبا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة



الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الأستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا لباريس وغيرها وناظرا للخارجية ، وتزوج بأكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي خانم التي اقتفت أثر والدها وزوجها الاول في تعضيد حزب تركيا الفتاة ، وساعده بالمال والجاه هي وشقيقها الامير محمد علي باشا

لائحه فاضل باشا للسلطان عبدالعزیز

نخص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحه المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبدالعزیز خان وقال فيها :

« تصور أوروبا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للمعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال أنواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والعسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تتحيز لهم وتحمي عنهم ، فرعايا جلاتكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لاحد له ، والمظلومين بلاشفقة ولامرحمة ، والاولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلاتكم والتي اغتصبوها - إغراء وتشويقا إلى جميع الرذائل . وأما الآخرون فتفسد اخلاقهم أيضا بعلاقتهم الضارة مع سادتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكاياتهم الصحيحة إلى أعتاب سدتك الملوكية ، لان ظلما لهم يرون هذه الاستغاثة - مع الاحترام - بحكومة جلاتكم من أكبر المفاسد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، »

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، ويعدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية ، والاسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف ( ۱۸۶۲ م ) ، وهاجر إلى باريس ( ۱۸۶۵ - ۱۸۶۷ م ) وانصار هذا الحزب هم جميع المظلمين على

الكتب الفرنساوية وأدب الطريقة المدرسية أو على ما ترجم منها بالتركية ، والذي طلق عليه هذا الاسم هم الفرنساويون الذين قالوا ( جون تركي ) كايهولون ( جون فرانس - جون ألمانيا - جون ايتالي ) فترجم تركيا الفتاة وقيل بالتركية ( كنج تركلر ) ، ولذا قال هانوتو: إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنساوية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جراته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بواسطة بعض الاجانب ، ثم حرم من مبرات الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور الفرمان السلطاني بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد ان كان ينتقل إلى الأكبر فالأكبر من الأسرة ، كما هي القاعدة في جميع الممالك الاسلامية ، لما علمت من ان الاسلام ليس فيه ملك موروث ، وفي سنة ١٢٧٨ هـ و ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة اشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواها الصدر الاعظم علي باشا صاحب الاعمال الكثيرة في تنظيم ادارة الحكومة ، ووضع ميزانية للمالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والاقواف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم اصول المحاكمات واستعمال الاصول الاعشارية ، وغير ذلك من الاصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والنظامات عن الفرنساوية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها فترجموا مثلاً قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل النكاح و ( الدوتة ) واشترك الزوجين بالاموال وعدمه ، كما هو مختص بالأوربيين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة علي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا ومال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر اموال الخزينة وأصبح آله في يد الجنرال اغنائيف سفير روسيا في الاستانة

#### صدارة نديم باشا الاولى

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، قربي في داره على الاستبداد والارتكاب ، وتعين واليا كايه ثم ناظرا للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير البغض للاصلاحات الجديدة والحرية . تقرب الى السلطان عبد العزيز خان بالتملق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي العظمة ، فدرس له بانه تحت وصاية

## ( التاريخ ١١٩٠ ) الاختلال في صدارة نديم . صدارة مدحت باشا الاولى ٦٦٣

فؤاد باشا وعالي باشا مع انه خليفة الله في الارض ، والقابض على رقاب خمسين مليوناً من الرعية الذين هم عبيد جلالة !! ، وان بيت المال هو حق من حقوقه له ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد !! ، وكانت الميزانية المالية وضعت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا وحدد فيها مصارف المايين ، فاقبلت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالامر ، وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودر بهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة الموظفين ، فاستبدل بهم المرتكبون وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية ، حتى كان الضابط يرتقي إلى المراتب العلى في أقرب وقت ، ويصبح مشيراً ، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير بينا السرايات التي لا روم لها وإنشاء الاسطول الذي صار ترا بعد عين كما زاد الانهالك في المذات والشبوات ، وكانت أوروبا وصيارفة الأستانة تهرض الاموال بالربا الفاحش والديون تتراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم فقراء الرعية من أصحاب الاعشار والاغنام يؤدونها من كدّ اليمين وعرق الجبين .

ومن الغلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين ا كسارخوس للبلغار مستقل عن بطريرك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغنايف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبقدان والجلبل الاسود والهرسك روما تابعين لبطريركية القسطنطينية لاشتراكهم جميعاً في الدين الارثوذكسي . ومن الغلطات المالية أيضاً إعطاء المثري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكة حديد الروم ايلي المروفة بسكك الحديد الشرقية ، واضراراً لخزينة الالاه من وراء ذلك ضرراً كبيراً ، وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة ،

### صدارة مدحت باشا الاولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونه (بلغارستان) على ضفة نهر الطونه (الندانوب)

البنى، ولما كان من صفار الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادي العلوم وحسن الخط  
المعدود في ذلك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والترقي فيها،  
وأدخله على حدائه سنة قلم الصدارة فتخرج في اقلام الباب العالي، وتعلم بالمشاهدة  
والتجربة والاختبار، وتعين مأمورا في الولايات ومكث سنتين في دمشق الشام، وترقى الى  
أن صار باشكاتب في مجلس (والا) وهو شوري الدولة، وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب  
للتحقيق عن القبر صلي محمد باشا، والفت باستعداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعالي باشا  
وفؤاد باشا ورفعت باشا ناظر الخارجية اليه، فاجلسه معه رفعت باشا لسمع المحاوراة التي داوت  
بينه وبين البرنس منجيكوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت  
باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨م تولى الصدارة عالي  
باشا فأذن لمدحت بالذهاب الى اوربا لمدة ستة اشهر، فذهب الى باريس ولوندره  
وبروكسل وفيينا، وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والترقيات العصرية. وما زال  
يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بلغارستان الحالية) فأجرى فيها  
اصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الأيالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا  
في سوريا، ثم عين واليا لولاية بغداد ومشييرا لهما كرها فسكن عصيان نجد، واهداه  
السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة له على خدمه، واذ كان الصدر الاعظم محمود  
نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية  
ادرنه، فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية واراها طرق الخلل وسوء  
الادارة وعاقبة الامر، فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا  
لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر، وكان سبب عزله على ماروي: ان احدى سراري  
القصر بعثت اليه مع الطواشي طالبة تعيين احد خدامها قائما في أحد الاقضية  
فأجابته مدحت « سلم على الخاتم وقل لها ان تلتمس هي بنفسها من أفندينا ذلك »  
واشدد غضبه من مداخلة السراري وتابع رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة  
أو خمسة عشر شهرا، ثم عاد الى الصدارة محمود نديم باشا وكان العود غير احمد،

فزاد الارتكاب ، وبيعت الرتب والنياشين ، كما بيعت الوظائف بالمزاودة ، بحيث اصبح يحتجها الذي يزيد في الثمن ، واختلت الموازنة المالية ، حتى قضت باعلان الافلاس في ۵ تشرين الاول ( اكتوبر ) سنة ۱۸۷۵ ، وطمع المدوني البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان الجرائد حرة في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة « وقت » التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، والتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفتاوات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو خمسة عشر الى عشرين الف طالب .

هياج الصوفتاوات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة اوسمة آلاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ۲۲ ميس ( مايو ) سنة ۱۸۷۶ ، وذهب آلاف منهم إلى سراي طوليه باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالبين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا إلى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقيصري أحمد باشا نظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة الخارجية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

خلق السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كمال بك وضيا بك وروؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا إلى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم إلى هذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفعت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبد العزيز في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ و ٣٠ مايس ( مايو ) سنة ١٨٧٦ بفتوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري اليوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجنرال اغنايف سفير روسيا أكثرهم غما ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة العوجاء ، ونقل السلطان عبد العزيز من سراي طوليه باغجه إلى سراي طوب قيو المقابلة لها على ساحل البحر . ثم نقل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطوليه باغجه على ساحل المضيق ( البوغاز ) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا المعدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فمن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثر بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى مأربهم بدون إراقة دم ، واستحقوا إجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيئة مثل هذه

حادثة الجركس حسن بك وخلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجركس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سورياب قلا وأحمد آغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين ، فأثرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلس السلطان عبد الحميد

جلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلان القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكال بك

كاتبين خاصين للماين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحريصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتميحه . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للماين ، وازككين سعيد باشا رئيسا للياورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر الاسبق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للماين

مؤتمر الاستانة وعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا الثانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجبل الاسود والبلغار وتأفهم من الظلم والاستعباد، وهطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وأدب اهته، بعد ان كان الدين المسيحي الارثوذ كسي يجمعهم تحت ساطة بطريك القسطنطينية . وكانت اور باطالب الدولة العلية باجراء الاصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف، فمقرر عقده مؤتمر (قونفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا، اثنين من انكلره وهم اسفيرها السير هنري اليوت واللورد سالسبوري، واثنين من فرنسا، واثنين من اوستريا ( النمسا )، وواحد من وسيا وهو الجنرال اغنايف، وواحد من ايطاليا، وواحد من المانيا، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا، فمقدوا جلستهم الاولى في ۲۳ كانون الاول (دسمبر) سنة ۱۸۷۶ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلظه . ولم يكديتم افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع، فوقف صفوت باشا قائلا: ايها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطاننا الاعظم، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء، وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر، فأصبح انقاده وعمله من قبيل العثيات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلان القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم، واطلق لدى اعلانه دة مدفع ومدفع في جميع المدن والملك العثمانية ذات القلاع . وكان مدحت باشا هو روح هذا الانقلاب العظيم وهم القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن ( صدر اعظم ) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك محمد رشدي باشا شيخنا مسنا منقاداً له ولحزب تركيا الفتاة ، وبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا الشيخوخته ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يرض الجنرال اغنايف بهذه الاصلاحات بل اصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئحة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني ( يناير ) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية ايام ، فكانت من قبيل ( الأوتوماتوم )

#### عقد المجلس العالي ورفضه لأئحة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلساً عالياً مؤثماً من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحيين واغبان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئحة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وان ردّها يؤدي الى الحرب ، فتشاوروا بكامل الحرية وابدى كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رفعت باشا ناظر الخارجية الاسبق إذ ذاك : الحرب كداء الحمي يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئحة المؤتمر كداء السل الرثوي عاقبه القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : اننا نختار الموت على إهانة شرفنا ، وألقى وكيل بطريك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقترحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والنسيرة على منافعه ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع المساكر العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفصالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رياسة بطريك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانية ، فبناء على جميع ذلك أجاب الباب العالي في ٢٥ كانون الثاني ( يناير ) برفض مطالب الدول المذكورة في الأئحة ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوروبا والباب العالي



نقاب حزب التقيقر وكتاب مدحت للسلطان

كان الحزب المخالف للقانون الاساسي يسعى في التخلص من هذا القانون ، فبعد تعيين مدحت باشا في الصدارة انعقد مجلس الوكلاء برياسته في دار الداماد محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا في القانون الاساسي ، فارتأى أحمد جودت باشا ناظر العدلية ( الحقانية ) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (؟) بسبب جلوس السلطان الحالي !! ، وكان أحمد جودت باشا من المنسبين الى الداماد محمود جلال الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاه مشهور في الأستانة والولايات ، وعلان القانون الاساسي يسد على المرتكبين أمثاله باب الارتكاب ، فيأصرار مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكمال بك وغيرهم من الاحرار الذين مر ذكركم وبجريدتي ( وقت ) و ( استقبال ) والمقالات الشائعة المحررة فيها — صدر الخط الشريف السلطاني إلى مدحت باشا باعلان القانون الاساسي ، وحمله الباشكاتب سيد بك الى الباب العالي ، وتلي في الميدان الواسع الذي امام الباب بحضور جماهير الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي افندي مقبي أورفه وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح في طلب اجتماع المبعوثان ، ويجهد في تأليفه من الاحرار ، والمالين يؤخر ذلك ويفرق جميع الاحرار ، حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرا في برلين لتلاي انتخاب مبعوثا عن أهل الأستانة . فضايق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب إلى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الا نحو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسؤوليتهم ، وتأمين جميع الناس على حريتهم ، حتى ترثي البلاد في معارج الارتقاء — الى أن قال — واني لكثير الاحترام لشخص جلالكم ، ولكن الشرع الشريف

---

يوجب علي أن لا أطيع امورك ( أو امركم ) اذا لم تكن موافقة لمنافع الامة »

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى فاضل باشا كما تقدم . وبالخطبة ان احكام الشريعة الاسلامية وفتاوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السلطان بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في أموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، واطاعة المخلوق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

عزل مدحت باشا ونفيه وصدارة ادهم باشا

ف عزل مدحت باشا ونفي على الباخرة (عز الدين) الى ايطاليا ، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمود بك و خليل بك مديرى دارالعاديات (الموزه خانه) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد وفق افندي لرياسة مجلس المبعوثان موقتا ، لان انتخاب الرئيس ميين في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء و مندوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس غورجقوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) يطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (!) ، والا اضطر القيصرو حده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغنايف الى اوربايقول : بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعااهدة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيالاغيا ، فترددت دول اوربا ولا سيما انكلترة في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

رأت الدولة العلية اصرار اوربا على اصلاح الروم ايلي فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحق الحكم ، فلم يبقه الناس اذ ذلك معنى هذه الحرية ولا قدرها حتى قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشتغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي يقدونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نحرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون : ألم يكفنا منادينا من المجلس والدوائر المشجونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتتكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتتنظم ادارتنا بجميع ما نراه امام  
أعيننا من النظارات والدوائر العظيمة المشتمة على الالوف من الموظفين اتراه يصلح  
بمجلس المبعوثان ؟؟

هذا ما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ، فما بالك في مرا كز الولايات  
والالوية ، اذ كان المنتخبون لا يوصون مبعوثيهم الا بطلب الرتب والوسمة والالاقاب  
والمناصب والمخصصات والرواتب لهم ولا قاربهم وذويهم !! ولمن لا ذنبهم وحام حول  
حامهم ، أو باعفاتهم من التكاليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب  
والمكوس عنهم ونحو ذلك ! ، مما يعود على الوطن بالخراب لا بالعمران ، كأن خزينة  
الدولة كنز لا يفنى ، تمطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

#### افتتاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتتح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة  
١٢٩٤ و١٩٠٩ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طولنه  
باغجه بمحلة بشكطاش ، وتلى النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« أيها الاعيان والمبعوثان

« انني أبدي الامتان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في  
دولتنا العلية ، وجميعكم تعلمون ان ترقى عظمة واقتدار الدول والملل انما هو قائم بالعدل ،  
حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من  
مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف الرعية .  
وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها اجدادنا العظام المرحوم السلطان  
محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد  
سلكوا على هذا الاثر ، فليقع في هذا المطلب خال في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان  
الحفاظة على السنة صنوف رعيننا ومليتهم ومذاهبهم منذست مئة عام كانت النتيجة  
الطبيعية لهذه القضية العادلة . والحاصل ينما كانت روة الدولة والملة ( الامة )  
وسعادتها صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة  
ووقاية القوانين — أخذنا بالأنحطاط تدريجا بسبب قاة الاتقياد للشرع الشريف

والقوانين الموضوعه ، وتبدلت تلك القوة بالضعف . . . . . الخ  
ثم ذكر إزالة السلطان محمود غائلة الانكشارية ، وسبقه لفتح باب إدخال  
مدينة أوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتفاء السلطان عبد المجيد خان أثره ،  
واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف  
قابل الجميع هذا النطق بالخضوع والركوع (!!!) وخصص لاجتماع المبعوثين  
بهو كبير في سراي المدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفق افندي الذي  
صار بعد ذلك باشا ، وعين للرئاسة بإرادة سنية لا بالانتخاب! ولذا كان رقبيا على  
مدحت باشا ، وقد اتهمه حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة  
بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،  
فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الأنغام وائتلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة  
مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما بينها

#### مذكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذكرة في المريضة التي ينبغي تقديمها من  
مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فخررت مسودة الجواب واستقط  
الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن فقرة « المحافظة منذ ست مئة عام على  
السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الاستانة  
وقال ما محصله : « لا يمكننا ان نقبل إسقاط كلمة تدل على أمن امتياز لنا ، لان  
لساننا — نحن معشر الروم — هو ثروتنا ، فمن سوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة  
سلطاننا الاعظم ان نمحو كلمة أثبتت جلالته بنفسها وكروت منحنا ذلك من جديد »  
فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لساننا غير اللسان  
العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى ! » أي حسن  
كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس  
ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت  
آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! اوت أفندم ! » أي  
نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي !

( لها بقية )

## العمل (\*)

لئن كان للطبيعة حق الأولوية في أحداث الثروة سواء في أرضها الخصبة، أو في أحراشها الكثيفة، أو في مناجها الكثيرة المادنة، أو في مراعيها الغزيرة السكلاء، أو في أنهارها المتدفقة بالخيرات، فإن المدار في استثمار كل ذلك على العمل ولو قليلا . فلا بد من فلاح الأرض وبذر الحبوب قبل أن تجود الطبيعة بنعماتها، وتبدل الأرض غلتها، ولا بد من احتفار المناجم قبل استخراج كنوزها، ولا بد من جني الثمار قبل التمتع بلذيق طعمها . فالعمل ضروري العمران، ولازم لكل موجود، وهو المورد الطبيعية التي هي ينابيع الثروة بمثابة الدلو من البئر، إذ لولاه ما قدر أحد على الاعتراف منها .

وقد وفي الدين العمل قسطه من المدح حيث حث على التمسك به ، فقال عز وجل في سورة مريم ( وهزي إليك جذع النخلة نساقت عليك رطبا جنباه فكلي واشربي وقري عينا ) وهو أمر به ، لانه إذا كان جل شأنه يأمر السيدة مريم وهي في وقت المحاض بهز جذع النخلة قبل أن يتساقط عليها الثمر ، مع انه قادر على أن يكفيها مزونة ذلك التعب، فمن البديهي انه يأمر كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية بالسمي في تحصيل رزقه، ولا سيما إذا كان صحيح الجسم . وقال تعالى في آية أخرى ( وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا ) أي وقتا يلزم فيه السعي لتحصيل العيش وترقب الرزق بالعمل، وقال ( فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ) وهو أمر بوجوب جوب البلاد والضرب في طولها وعرضها ، رغبة في العمل والانتفاع بما خلق جلت عظمتة من الخيرات ، وقال ( فابتغوا عند الله الرزق ) أي

( \* ) وعدنا قراء المناج في الجزء الماضي بأننا نقل لهم طائفة من كتاب الاقتصاد

السياسي المفيد ، وهذا ما اخترنا نشره وقاد بالوعد ، ونحريا للنفع

اعملوا حتى تحصلوا على ما يقوم بضروراتكم ، وقال ( فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ) وقال ( وأن ليس للانسان إلا ما سعى ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا ويح هذا لو كان شبا به وجلده في سبيل الله ، فقال النبي « لا تقولوا هذا فإنه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » وقال « احث لدينك كأنك تعيش أبدا » وقال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب ، خير من أن يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وهكذا فضل النبي العمل في اية حرفة على الاستئمانه الى الكسل ، وارقة ماء الوجه في الطلب . وجاء في الانجيل ما مضاه « تأكل خبزك بعرق جبينك » وهو حث على العمل طلبا للارتزاق . وروي إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد ، قال ومن يعولك ؟ قال أخي ، قال : أخوك أعبد منك . وقال عمر بن الخطاب « سامن موطن يأتي الموت فيه أحب إلي من موطن اتسوق فيه لا هلي أبيع وأشتري » وقال « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقيل للامام أحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي ، فقال أحمد « هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال : تغدو خماسا وتروح بطانا ، فذكر انها تغدو في طلب الرزق » هكذا يحث الدين على العمل ويرغب فيه مراعاة لتقدم العمران ، ومحافضة على النوع الانساني من الفناء ، ومن ذلك تظهر حطة أولئك الذين يرون التوسل وسيلة للارتزاق ، والتسول حرفة للتهيش ، أولئك الذين لم يعرفوا مزية العمل وعلاقته بالسعادة ، ففضلوا مد أيديهم للسؤال على مدها للمعل ، واستسهلوا أن يكونوا كالكلاب تأكل كل ما يلتقي اليها ، أولئك هم الذين يحمل الشقاء بالبلد الذي يحلون

فيه، فهم يستنفدون ثروته، ويستنزفون خيراته، بدون أن يسعوا في احداثها.  
العمل هو أساس الثروة فكيف ينظر النجاح بدونها، وهو دعامة كل ما نراه في العالم من  
التقدم في المدنية . ما رأينا بلدا تمسك أهله بأهداب العمل إلا وتحولت فيه الصحارى  
القفراء الى حدائق غناء، وجادت الارض بكنوزها، وانساب الذهب إلى جيوب  
أهلها . لولاه لم يصر التراب تبرا، وتبدل المفاوز بمعاهد للعلوم، ومعابد للنسك، ومعامل  
للصناعة. لولاه ما ضحكت الارض من بكاء السماء، ولا ابتست الأزهار في الأكام،  
ولا حلت الأشجار لذيد الثمار من كل زوجين اثنين، إذ أنه لا بد من غرسها  
قبل أن تصير دانية ظلها، مذلة قطوفها، ولا غنى عن تعهدا قبل ان ترعرع  
أغصانها، وتصير دوحة تناطح السحاب . لولاه ما استنبط الانسان الوسائل التي  
يسخر بها القوى الطبيعية، ويتقلب على الصعاب، ويقرب المسافات بالبخار والكهرباء،  
ويجعل كليهما رهين إشارته . لولاه ما أخذت الارض زخرفها، وبلغت من المدنية  
غايتها، وبدت آثار العمران في أنحائها، وصارت معمورة يتزايد سكانها في كل عام،  
وتتضاعف ثروتها آناً فآناً .

من ينكر فضل العمل في إحداث الثروة، فليرجع يبصره الكرة الى  
« استراليا » في الماضي يجدها في آخر درجة من الأخطاط، لنحول سكانها  
الاصليين، وكثرة اتكالم على الموارد الطبيعية، ويشاهدها الآن وقد نالت  
من العمران حظا وافرا، وجرت في المدنية شوطا بعيدا . ذلك لان قوما عرفوا  
مزية العمل استوطنوها، فنهلوا من تلك الموارد، وعملوا في برها وبحرها، واحتفروا  
المناجم واستخرجوا كنوزا دفنتها الارض في بطنها اجيالا، وحافظت عليها لمن يقدر  
العمل حق قدره . فطبيعة تلك البلاد لم تتغير وانما تغير سكانها . بل مالنا ولتمثيل  
باستراليا، وأمانا شبه جزيرة العرب التي كانت محط رحال المدنية، ومهبط العلوم  
والعرفان، ومصدر العمران، ما لها قد عفت آثار مدينتها، ودالت دولة ملوكها،  
واندرست معالم علومها، واندرت معارفها، وصار ذلك المجد القديم، والسودد الماضي،  
أشبه بحلم حالم؟! أليس السبب هو ان ذلك السلف الصالح خلف من بعدهم خلف

## ٦٧٦ رأي الفلاسفة في أصل الثروة . ادوار العمل . عصر الصيد ( المراجع ١٩م )

أضاعوا الجد الموروث، وأهملوا العمل، وتمسكوا بأذيال الكسل، حتى صاروا قديما في عالم جديد ( وتحسبهم أبقاظا وهم رقود )  
كان « كسناي » وأضرابه يعتبرون الأرض الوسيلة الوحيدة لأحداث الثروة، ويبخسون العمل حقه في الأحداث، وذلك زعم صحيح من جهة ان الأرض ينبوع المواد التي تقوم بها الصناعة، فلا يقدر الصانع على نسج ثوب بدون قطن، ويستحيل عليه صناعة آلة حديدية بدون حديد، ولكن « كسناي » بخس العامل حقه، وأنكر عليه تحويله الحديد من شكله الطبيعي حيث لا ينتفع به، الى شكل يصير بواسطته آلة تجارية يتهافت الناس على ابتاعها . أنكر على العالم الكيماوي تركيبه لدواء فيه شفاء للناس من مواد طبيعية لا تفيد كثيرا، وهذا مالا يرضاه العدالة، على انه بعد « كسناي » كما قدمنا أتيج للعمل ان يأخذ « آدم سميث » بناصره، ويظهر فضله، ويطلب في مدحه، ومن ثم أخذ مقامه في الصمود، ونجمه في السمود، حتى لقد قال فيه العلامة « جيد » انه هو الجدير دون غيره أن يكون الوسيلة في إحداث الثروة حقيقة، إذ الانسان هو المنتج الحقيقي لها، وما الطبيعة إلا طوع ارادته، يجر كما كيف شاءت تلك الارادة

### ﴿ ١ - أدوار العمل ﴾

#### عصر الصيد

في ذلك العصر كان الانسان قليل العمل، كثير الاعتماد على الطبيعة، يعيش من صيد البر أو البحر، وكان رحالا كالا نعام السائمة، يسكن البقاع الكثيرة القنص، كما تأوي هذه الى المروج الغزيرة الكلاء، ويلقي عصا الترحال اذا قل الصيد، كما تفعل هي اذا اغيض الماء، أوجفت المراعي. وقد كان في ذلك الدور مهددا بخطر ين : الوحوش الكاسرة، والمجاعات المهلكة، لقلة ادخاره، لما يقنص به في اعساره، فالويل له اذا أصابه مرض أقعده عن الصيد، أو اتابه حر أو برد منعه عن مطاردة فرسته، والويل له اذا كان ضعيف النكاية أعداءه ( كذ في الاصل ) الذين يداهمونه لسلب ما اقتنصه . وكان عدم ادخاره راجعا الى أسباب كثيرة، منها عدم احترام الحقوق، فكان حقه مزعزا لا يقدر هو على حمايته، وليس هناك حكومة تدافع عنه، ومنها عدم وجود مسكن له او ذرية في



أغلب الأحيان، ونذا لم يوجد عنده ما يدعوه الى الاحتفاظ بالقوت تحرزا للمستقبل .

#### عصر الرعاية

ولما رأى نفاه معرضا للمجاعات القتالة التي كانت تجتاحه من وقت الى آخر ، ورأى أنه ملزم بنفقة على زوجته وأولاده ، توجهت همته الى تدجين الحيوانات النافرة كالابل والحيل والغنم وغيرها ، مما كان لا ينتفع به كثيرا . ووجد من أهله وذويه من يساعده على رعي تلك الابل والغنم في الوديان والمروج الفسيحة التي تحيط به ، والاتقنل بها من مكان الى آخر . وفي ذلك العصر ازداد عدد الناس ، كما كانوا عليه ، وتآلفت منهم قبائل كثيرة كانت ثروة كل واحدة منهم تقدر بعدد رؤوس الابل أو الغنم التي تملكها ، كما كانت الحال عند العرب والتركمان ، وكما هي الآن عند العرب الرحالة والزط . ويمكننا ان نعزو كثرة عدد الناس الى سببين (الاول) كثرة نتاج الحيوانات التي كانوا يربونها حتى صاروا في سعة من العيش ، فكانوا ينتفعون بالبانها وأوبارها ولحومها وجلودها حتى قلت المجاعات بينهم (الثاني) ازدياد العصبية في كل واحدة من تلك القبائل ، مما جعل حق الملكية مضمونا نوع ضمان ، وحبب الى كل فرد اقتناء الحيوانات فزادت الثروة وزاد العدد .

#### عصر الزراعة

وكانت النتيجة الطبيعية لزيادة عدد السكان هي الازدحام على المراعي بالحيوانات مما جعل حشائشها التي غرستها يد الطبيعة غير كافية لسد الحاجة ، فعمد الناس الى معالجة الزراعة من اثاره الارض ، وبذر الحبوب فيها وتمهدها بالسقي ، حتى نبت ما يكفي لمؤوتهم ولا نعمهم . واستخدموا في الزراعة كثيرا من تلك الحيوانات ، ومن ذلك العصر ظهر العمل بمظهر أجلى ، إذ لم يعد الانسان مفوضا كل أموره للطبيعة ، يأوي حيث نبتت حشائشها ، ويرحل اذا جفت خيراتها ، بل أخذ يعول على معواه ، فيحول به الارض المجدبة الى مزارع كثيرة الخيرات ، وانبنى على رغد عيشه تقدم عظيم في أحواله الادبية ، فظف معيشته وظهرت الحكومات لاول مرة بالمعنى الذي نراها به الآن ، ولا حاجة بنا الى القول ان معظم الأمم التمدينية في الزمن الماضي كانت تعالج الزراعة في أول أمرها قبل ان ترسخ قدمها في المدنية . والسبب في ذلك بساطة الزراعة ، وعدم

احتياجها الى كثير تفكير أو كبير عناء ، على ان تلك الام نفسها وجهت همتها بعد ان تم لها الامر الى استجادة الصنائع على اختلاف انواعها .

#### عصر الصناعة

الصناعة أثار من آثار المدنية تتوجه الهم اليها عند بزوغ شمسها ، وتستجد اذا زخر ببحر العمران ، والسبب في ذلك راجع الى أمرين (الاول) ان الانسان لا تتوق نفسه الى الكماليات كالصناعات المختلفة الا بعد تحصيل الضروري من مأكل وملبس ، (الثاني) هو ان معظم الصناعات تحتاج الى الممارسة والتعليم ، وهما لا يوجدان في وسط الام المتوحشة ، ومن الصنائع ما هو مقدم كصناعة النجارة والحداذة والبناء والحيطة ، لان منفعتها ظاهرة لبناء المسكن وعمل الملابس ، ولذا توجد احيانا بحالة ساذجة ، ومنها ما لا يوجد في الامة الا اذا قهنت وتنوعت أساليب مدينتها ، كصناعة الرسم وصناعة الطباعة وتجليد الكتب (١) وكلما علا كعب الامة في العمران ابتدعت الصنائع المختلفة ، واستنبطت الاختراعات المفيدة ، وارتقت فيها الاعمال العقلية الضرورية للصنائع كالتعليم والتأليف .

#### عصر استخدام البخار

على انه مهما يكن من تقدم الصناعة عند بعض الامم في الاحقاب الغابرة فان اختراع البخار في القرن الماضي جعل صناعة الزمن الحاضر متقنة ، وصار العامل بدل ان يستغرق وقتا طويلا في الصناعة ، يدير الآلة البخارية فتكفيه مؤونة التعب .

### ﴿ ب - الاعمال العقلية ﴾

ولا مشاحة في ان عمل الانسان في الادوار التي تقدمت لم يكن يدويا محضا ، بل لا بد له من أعمال عقلية ولو قليلة ، لانه لا ينتظر أن يصنع الانسان عدة للصيد أو آلة لفلح الارض أو يندر الحبوب إلا بعد التفكير الذي هو المميز للانسان من الحيوان ، ولا يتصور أن يستوعب الصنائع إلا بعد أن يعرف دقائقها من المعلم ، ويعلم العلوم المرتبطة بها ، ثم هو لا يقدر على تعهد الارض مالم يوجد هناك حاكم يمنع عنه تعدي الغير ، ومهندس يسهل له الري ، ولم ينتفع بالآلات البخارية في

الزراعة والصناعة إلا بعد ان أجهد المخترعون « كيمس وات » وغيره قرائهم حتى وصلوا الى استخدام البخار. فالاعمال العقلية ضرورية للاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة، وهي مقدمة عليها حتى في أحقر الصنائع .

### ﴿ ج - الاعمال المنتجة للثروة ﴾

اختلفت الآراء من عصر الى آخر في تحديد الاعمال البشرية التي تكون نتيجتها زيادة ثروة الامم، أما العرب فكانوا يرون - كما يؤخذ من كلام الحريري وغيره من الحكماء - ان المعاش اماره وتجارة وفلاحة وصناعة، وقد قال الخليفة المأمون « الناس أربعة : ذو سيادة أو صناعة، أو تجارة أو زراعة، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » ويفهم من ذلك ان تلك الاعمال الاربعة هي التي كانت معتبرة محدثة للثروة، بمعنى ان عمل الحاكم الذي يقي البلاد شر العدو، ويرد المظالم، وينظم الري، هو عمل يزيد في الثروة، وكذلك عمل الصانع الذي يوجد منافع للمواد الأولية، والتاجر الذي يتوسط في جلب تلك المصنوعات وتسليمها طالبيها، والراعي الذي يقوم باثارة الارض وبذر الحب فيها حتى تنبت ما يسد الحاجة، وأما اعمال غيرهم فلم تكن محدثة للثروة، وأما الطبيعيون وهم (كسناي) ومن كان على مذهبه فقد تقدم انهم كانوا يعتبرون ان المحدث للثروة من الاعمال ما كانت متعلقة بالارض من إثارتها وحرثها وبذر الحبوب فيها، وبناء على ذلك قسموا الناس الى ثلاث طبقات: طبقة ملاك الاراضي وهم المحدثون للثروة حقيقة، وطبقة الفلاحين وهم الذين يساعدون على هذا الاحداث، وغيرهم من السكان كذوي الامارة وذوي التجارة وذوي الصناعة، وكانوا يرون هؤلاء عيالا على الطبقتين الاوليين. ولكن « آدم سميث » لم ينسح نحو أولئك الاقتصاديين، فقد اعتبر الصناعة والتجارة والإمارة من الاعمال المنتجة للثروة، وتبعه من أتى بعده من الاقتصاديين .

ويمكننا أن نقسم الاعمال (أولا) الى ما هي مباشرة لإعداد سلعة من السلع للقيام بسد حاجة من حاجات الانسان، وهذه محدثة للثروة بلا خلاف، مثال ذلك العمل الذي يتكبد كل من حارث الارض و باذر القمح وحاصده ودارسه وطاحنه

وعاجنه وخايزه ، لان كلامها موجه إلى إعداد الخبز مباشرة ، وان تنوعت حالات القمح المراد جعله خبزا ( ثانيا ) الى غير مباشرة لإعداد الصنف ، وهذه إما يدوية أو عقلية ، أما الاولى فلا يخلو حالها من أحد أمور خمسة ( ا ) الاعمال التي يتكبدها الناس في استخراج المواد الاولية اللازمة للصناعة كاحتقار المناجم وتشذيب الاشجار وغير ذلك ، وهذه بالطبع منتجة مادامت نتيجتها تستخدم في الصناعة ( ب ) الاعمال التي تصرف في إعداد الآلات اللازمة لصناعة الصنف ، مثال ذلك شغل الحداد في تجهيز المحراث أو آلة الغزل ( ج ) الاعمال التي يكون من شأنها بناء المحلات المعدة للصناعة كالمعامل والاحواض ، وهكذا لانه لولا تلك المحال لما توفر إعداد البضائع القطنية مثلا أو المراكب ( د ) ما يوجه من الاعمال الى الحصول على طعام وكساء ولوازم للصناع مادامت تلك الحاجات غير خارجة عن حد الكفاية ، أو للحصول على الفحم اللازم لتسيير الآلات البخارية في حالة ما اذا كان الصانع لا يشتغل بيده ( هـ ) الاعمال التي بواسطتها يمكن نقل الصنف الى حيث يطلبه الناس ، ويدخل فيها عمل الحمالين في البر وصناعة المراكب والآلات البخارية وبناء الاحواض والارصفة وأعمال أمناء النقل والمراكبية وجميع التجار والتسبين والسماسة والاعمال التي تحسنت بواسطتها الطرقات وغير ذلك . أما العقلية فمنها ما هو متعلق بالصناعة أو الزراعة أو التجارة ، كالاختراع والتأليف وتعليم الصناعات والتفنن في ابتداعها وترويضها ، ولاشك في ان هذه منتجة ، ولا فرق بين أن تكون هذه موجهة الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويدخل تحت هذه أعمال الري على اختلاف أنواعها ، وجميع ما تعمله الحكومة أو الاهالي لترقية الصناعة أو التجارة أو الزراعة ، ولا جناح علينا اذا نحن عددنا ضمن تلك الاعمال ما يبذره الفلاسفة والحكباء من الافكار لتعضيد الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تبذره الحكومة من بث العدل في الربوع ، والمحافظة على الامن ، سواء بسن القوانين أو الاعمال الحربية برية كانت أو بحرية

( المراجع ) : ان بعض ما أورده المؤلف من الاحاديث لاصحة لاصله أو بسنده

وان كان صحيحا في معناه ووضعه

## باب المناظرة والمراسلة

### سورة المائدة

بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام\*

﴿لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان﴾

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما فصحا قيا ففيلسوبا لغويا فنسابة فروا ثيا مبتدعا فمؤرخا فمؤرخا خياليا قصاصا . ثم هم يستقبلون منه الآن مؤرخا اسلاميا محققا . ولا ندري ما يعرف منه اهل سورية قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جلية قلما يخلص بعضها لافذاذ العلماء ونوابغ الرجال . وهي بخلوصلها لحضرتة افادت من لا يحصى عددهم من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشرقيات من الاوربيين وغيرهم ممن لا يحبون مطالعة الكتب العربية أو لا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالممكن والمستحيل والمستلح والمستنكر فكنا لا نعرض لها بمسوخ أو نسخ لعلنا ان الذي قاده الى هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يفضي بصاحبه في النثر الى مثل ما يفضي به في الشعر فيكون أعذبه أو كذبه ، ولا اعتقادنا ان نفعها اكبر من اثمها ، وان الكتب العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان الغث من السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه لهوى النفس والسخائم الدينية والعصية الجنسية بله الخطأ والغفلة أثر أي أثر ، الا ماشاء

(\* بقلم الشيخ احمد الاسكندري

وندر ، فلما قرأت تقریظ حضرة الفاضل ( المغربي ) أحد محرري المؤید لكتاب ( تاريخ العرب قبل الاسلام ) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولفنا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤید ببارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاعراب مما لو قبله القارىء لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاريخ جاهليتها الاولى المنقبور في بطون القدم قد نبثه المؤلف من ناووسه ، فراني قوله - والبنفة تريب - ولم أر الامر يخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظه ولم يقرأه كمادة أكثر محرري الصحف لضيق وقتهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - وللصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للعشور على الضالة المشرودة والحلقة المفقودة من تاريخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزيز على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن عني بهذا الموضوع عناية شديدة قرأت الكتاب بالهاف أخذ مناقص بتناقص أوراق الكتاب فاذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة هاجت في نفسي ميلا الى تقده ولا ينقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب ( تاريخ العرب قبل الاسلام ) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وانما ذكر فيها كعادته في كعبه غموض تاريخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تعذره الا على من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات الحية والميتة والبحث والتنقيب في آثار الامم الخالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم تمهيدا في مصادر تاريخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والقوش الاثرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوربية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والأثرية وغيرها ( كما يقول ) فاذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة اخماسه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نورا يسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب بامعان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

### فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاوردية يستفيد من الكتاب  
أولا — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية  
غثة كانت أو سميئة

ثانيا — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب  
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثا — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي نقلها من رحلات  
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا

رابعا — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبلي والتدمري عن العربي  
الفصيح وهي فوائد تشكر للمؤلف اذا عتمها في كتاب مستقل

### الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع  
وتشبهه بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات  
قامت بذهنه فقط

فمثل الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب اواسط الجزيرة وشمالها  
الى قحطانيين ( يمانين ) وعدنانين مال الى انكار هذا التقسيم ورأى رأيا عجيبا لا يخطر  
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فعنده ان مثل طي  
وكندة وثلج وجدام ومذحج وهمدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد  
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و١٨٣) قال :

« وكل هذه البطون أو القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي  
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجتماع لا يخلو  
ذكرة من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعدنانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذا تدبرت احوال هذه الدول من غسان وحمير وكندة رأيتها تنطبق على العدنانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فانتالم تر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير بل لغة العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بدو الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل الدولة ويعدونهم الملوك كما ينظر البدوي الامي الى المتحدين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا ترى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أثرا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سبل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السبل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يعدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة واخوانهم الحميريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغني الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو العدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نحوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبئية أو اليمنية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط



ونحوهم ومنها الحارث وشعبة وجبله والنعمان وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين أسماء بلوك حمير من أمثال هذه فإن أكثرها مبدل بأسماء شالية وإنما عمدتنا في ما ذكرناه على الأسماء التي وقفوا عليها في الآثار المقوشة

«فلا دليل على قحطانية هذه الأمم إلا أقوال النسابين وهي أضعف من أن يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال أن تكون تلك الأمم قد انحلت الانتساب إلى عرب اليمن التماساً للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سبها بعد أن تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عمالهم » اهـ

وتقول في دحض هذه الأقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فإن الاختلاف فيها إما أن يكون في الأصول وإما في الفروع أما الأصول فإيكن بينها خلاف جوهرى لأن لغات العرب كلها من أصل واحد كما اعترفت به حضرة وأما الفروع فلم ينكر أحد سواء وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الأعراب والتصريف والقلب والأعلال والأبدال ملء به كتب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والأدب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها إلى ازهاق الأرواح كما في حكاية قتل مالك بن نويرة وقومه وكذا يعرف ماهي المعجزة والشئنة والاستنطاء في لغات اليمانية

وأو كان بعض الاتفاق في اللغات بين القبائل المختلفة يجعلها من أصل واحد لقد كان المحتم على حضرة المؤرخ أن تقول أن قبائل حمير التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضاً لأنها من العدنانيين في الأصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الإسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثيراً من مقالات وفود الحمير بين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية إلا في معاني بعض المفردات . وإنما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (الوسط) والجماع والأسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه أن اليمانيين كانوا هم الأقوياء الغالبين فذلك على فرض تسلمه

لا ينهض حبة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في اقرون القرية من ظهور الاسلام من القارب في جميع الاحوال حتي قبائل حمير نفسها بعد غلبة الحبشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للحرف المسند من جهات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لام سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيرا عن ان أم حمير انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كالفم الصفوي والثمودي والحياي وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم إلى الصحارى المجربة بلا سبب عظيم وأن سيل العرم لا يكفي لتفرقهم يادي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أتت الأعم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة إلى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو ان الأرض قد ضاقت عليهم فالتمسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه القفار بل كانت ريف العراق ومشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الحيرة والابار وفي سورية وفلسطين فلتقد احتلوا في الأولى جميع الأراضي التي بين دجلة والفرات حتي سميت العراق العربي وثانياً ثانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية اليمانيين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بعد منافسات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكتفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى ( وخذوا أنفسهم فجملناهم أحاديث ومرزقناهم كل ممزق ) فان الظاهر من الآية ان التمزق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا يدخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) واما ادوى الحاديث في المعرودات فلان سلم انها كلها كانت عدنانية من كانت خليطاً من كل الاديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

وهي من معبودات أهل الجنوب كما تهوّد وتنصر أهل الجنوب واليهودية والنصرانية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك إرث من طبيعة الجوار والبيئة وتمازجهم في كل شيء كما يسمي الاقباط الآن انفسهم باسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب واترك وكما يسمي الترك انفسهم باسماء عربية مع انهم هم انغالبون للعرب وكما يسمي السوريون انفسهم باسماء انجليزية وفرنسية على ان هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود اسماء عدنانية بين اسماء الحميريين تقض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث نقل عن غلازر الالماني احد الاثريين الذين وجدها في اطلال السد وهذا كته ابرهة قبل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقيال الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كبش ومرة وثمامة وحنش ومرند وكل هذه اسماء عدنانية كما ان مهديكرب الزبيدي إسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميريتها

وأما الأدلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نثني بها جميعها في هذه المقالة وهي بالغة بمراحتها الى أفق البدييات

فمنها اعتراف جميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضر بين بعد الاسلام وتمصب المضريّة واليمانية في الفتن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب

ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما أثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمفاخرات وقصائد الشعر من الحاسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لايات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضمافا (لها بقية)

## ﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (٥)

(الكلمة الثالثة) -- في بيان ما استشكله الاستاذ الشيخ الياضي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن -- ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (مانسخ من آية أو ناسها نات بخير منها أو مثلها) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما قلنا ملخصه عنه في مقالة النسخ والمنسوخ وقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأييد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يمحو الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك (مانسخ) فالمجرد النسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيهما وهما مفسرتان بعضهما لبعض

يقول الاستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان التقدير فيها : ما نسخ من مثل آية أو ناسها نات بخير منها أو مثلها . وتقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى (وما منعا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون) فان تقديره : وما منعا أن نرسل بالآيات التي تقترحونها إلا أن كذب بمثلها الاولون وقوله تعالى (نات بخير منها أو مثلها) فانما المثلية في قوة الحججة والاقناع لا في كنهها وماهيتها فأبي عيب يراه الاستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الخ الآية التي سبق ذكرها؟؟

فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسبها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى بمثلها في الاقناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان ويقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقتها وأعم فائدة وأتم دليلاً وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآت أم الظهور فرى العلماء اليوم في أوروبا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتوني أنبياءهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى ( أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى ( ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون لقال : ألم تعلم أن الله عالم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولما قال بعدها ( ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل ) فقد سأل بنو اسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما اراهم عنادا وكفرا ( فقالوا أرنا الله جهرة ) . فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ ؛ وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت بحديث « ألا لاوصية لوارث » فلم لم يأت بدلها في القرآن ؟ وأين البدل (المنار ج ٩) (٨٧) (المجلد الحادي عشر)

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رضعات معلومة يحرم من ، الذي نسخ على زعمهم بقوله ( خمس رضعات معلومة ) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل للفظ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجهما البتة وغير ذلك كثير ! !

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالاتنا السابقة فتزيد على تفسيرنا لها أن قوله تعالى فيها ( فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة ) الخ معناه إن لم تفعلوا ما نذرتم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قد رجع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يعاملكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يعتكم بشيء مما أوجبه عليكم فلذا نذبتكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرأفة والرحمة فأقيموا الصلاة الخ فقوله ( وتاب الله عليكم ) قد ورد هنا بمعنى الرجوع إلى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والعدول عن معاملتها كما بقيةها لأبغضى التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى ( علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما يشق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين العفو عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الأستاذ الفاضل الشيخ الياقوبي متقدا على تفسيرنا لآية ( وإذا بدلنا آية مكان آية ) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . ونقول ان صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والموافقة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فلذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فانهم وافقوا أهل الكتاب منهم في دعائهم الباطلة وآمنوا بهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن ( أضغاث أحلام بل ايقراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الآءون ) فانهم لا يؤمنون برسول الاولين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن خالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاظه له ولذلك ترى في القرآن آيات

كثيرة أمثال هذه التكذيات اليهودية أو النصرانية واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب قائمهم جميعا كانوا متضامين ومتحدين بعضهم مع بعض على بغض النبي وتكذيبه وعرقلة مساعيه فهم - وان اختلفت أديانهم - أمة واحدة ويد واحدة على رسول الله . فمن أمثلة هذا التضامن والاتحاد في التكذيب قوله تعالى ( وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ) ولما كان اليهود هم الموعزين الى المشركين بذلك عنادا لرسول الله وحقدا عليه ومكابرة له قال تعالى له ( قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يحملونه قرطيس الآية وهي واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب للسبب الذي ذكرناه وهو أنهم أمة واحدة ومتحدون على بغض الرسول وتكذيبه وتلقين بعضهم بعضا صنوفا من الشبهات والتشكيات غير مبالين بمخالفتها لمعتقداتهم فلذا صح أن ينسب ما يقوله بعضهم لهم جميعا لاتباعهم له وتعويلهم عليه في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في جميع اللغات المعروفة ينسب عمل بعض أفراد الأمة إلى الأمة جميعها خصوصا إذا رضيت به وأقرته وان اختلفوا عقيدة فما بالك إذا كانوا جميعا يأتون الشيء ويعملونه

ومن أمثلة ذلك أيضا قول المشركين ( لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ) مع أنهم لا يؤمنون بموسى ولا بما جاء به وهو يدل على أنهم كانوا يقلدون اليهود تقليدا أعمى ويطيعونهم في جميع ما يوعزون به إليهم وإن نافي معتقداتهم كما قلنا إرضاء لهم واستجلابا لودهم ومعاونتهم لهم على الرسول . فكثير من مثل هذه الاقوال كان صادرا عن اليهود ثم تبعهم فيه المشركون وصادروا يرددونه عنهم فلذا اتبعوا اليهود في تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن القرآن نسخ بعض شرائع التوراة كالسبت ومحريم بعض الاحوم . ولذلك جاءت آية ( وإذا بدلنا آية مكان آية ) في سياق الكلام مع المشركين مع أن القول صدر أولا من أهل الكتاب وقدمهم فيه المشركون تقليدا أعمى كما قلدوهم في غيره مما سبق بيانه وجاءت به الآيات في سياق الكلام معهم

هذا وإن الاستاذ الفاضل قد استمكن جعل قوله تعالى ( إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولم يعذبهم الله وهم عذابهم ) وصفا لليهود وفاته أن الله تعالى قد وضعهم

يمثله في آيات أخرى كثيرة كقوله ( وكيف يحكونك وعندهم التوراة — إلى قوله — وما أولئك بالمؤمنين ) وقوله ( مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ) ( الكلمة الرابعة ) — بيان أسباب أن أحاديث الآحاد لا تفيد اليقين

أولا — قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصالح والتقوى لسبب ما من الأسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فينفر به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئا يجرحه لشدة احتراسه ونسره . وقد يكون بعض المحدثين مؤمنا صادقا مخلصا صالحا لكنه يتخذ لظاهر هؤلاء المنافقين فيأخذ الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المنافقين وظواهرهم وتجنب إساءة الظن والتجسس لشدة ورعه وتقواه أو بساطته وسذاجته في بعض الاحوال . وكثرة الكذابين وكثرة ما يضعونه من الاحاديث يشوش على الناقدين الباحثين عملهم ويوقعهم في الارتباك والخطأ كثيرا فيقبلون أحيانا ما ليس صحيحا ويرفضون ما هو صحيح . ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله كذب وقد يكون منفردا بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقا فيه . وقد يكون المرء صالحا صادقا ولكنه يضطر في بعض الاحيان الى أن يكذب ولو واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من ان يكون فيه بعض الكذب او المبالغة

ثانيا - قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه يخطئ المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقدا انه صحيح . والتحديث بالمعنى كان عندهم جائزا . وقد ينسى شيئا مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن ذلك أن رجلا من اصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث



ثالثا - إثبات عدالة رجال الاسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فان ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم وربما أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا - أكثر الأحاديث والروايات مقتضبة فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسبتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجاً كلياً أو جزئياً

خامسا - من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا نقصا عسير جدا على الناس إلا من شد وقليل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مفتر كذاب فالنقل في أغلب هذه الأحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الافتراءات والاختلافات والأكاذيب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة

سادسا - قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل رواتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذاكرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الأستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأشعر . ومن اعتمد على ذاكرته فقط لا يبرئه من الخطأ والنسيان في جميع الأحوال معها كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطوء مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وان أراد أن ينكر ذلك الأستاذ الياغمي زاعما أنها تفيد اليقين

وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكثر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف  
عن الأمة الإسلامية من العناية والنمحيص في الروايات والنقد والبحث في رجال  
الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك

ولا خوف على الدين الإسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردناها على  
روايات الآحاد فان حجته ناهضة بالتواتر فيه والمجمع عليه فليهدأ المسلمون بالألا

(الكلمة الخامسة) - في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لاجل الحديث

قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرضون) . في هذه الآية

- وأمثالها في القرآن كثير - يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل (وان

نطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخرصون - الى قوله - وان كثيرا يضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا اذا

اضطررنا إليه كما في بعض الأحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فانه محرم على الانسان أن يحمل شيئاً أو

يحرمه لدليل ظني فما بالك بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الأستاذ الفضل الشيخ الياضي بأن الظن إنما يذم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثيراً ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الآحاد وهي لا شك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الأمثلة على ذلك : -

(١) خالفوا قوله تعالى ( كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لوارث »

(٢) حرّموا أكل الحجر الاهلية التي كانت تأكلها العرب كثيراً لما رووه من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّمها مع أن القرآن الشريف يقول ( قل لأجد فيما أوحى إلي محرّما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة ) الآية . ويقول (إنما حرّم عليكم الميتة والدم) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجرمة استعمال الذهب والفضة والحريز للاحاديث التي رووها والقرآن يقول ( قل من حرم زينة الله التي أخرج لمباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا ويستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحطون فيها من أساور من ذهب ولوؤلوا ولباسهم فيها حريز (٤) حرّموا أن تنكح المرأة على عمّتها أو خالتها للحديث وخالفوا قوله تعالى (وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من يفتن المرأة على عمّتها أو خالتها

(٥) أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث ، والقرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطبي بالظني وهو مما نكرهه ونذمه وقدّمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الأستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهبهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل يعقل أن الله يبيح للمسلمين ما كان ينم لاجله غيرهم في كتابه ؟ ١١

أنا لأقول إن جميع هذه الاحاديث يجب ان تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يغلب الظن أن له أصلا صحيحا وأنه كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الاسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأمّلها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم نأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كقرآن الشريف وتزول من بينهم بزوال علل وأسبابها كما سنبيته ان شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

حدة لطلوها . فالسالمون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الاحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لاجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا أسبابها ولا الظروف التي قيت فيها مع أن معرفة أسباب الاحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف ولذا لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الاشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الاحاديث التي يسلمونها ما يوجب الطعن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرنا إليه في الكلمة الاولى . فلولا تقاليمهم في اعتبار الاحاديث لما وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والاشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عمرا والسهل لغزا

وإني لأعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يازمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يختمهم أم عليهم العمل به بمجرد نسبه إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الأمر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فساده وأما الأمر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يقفي حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا ان التقليد في الإسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال ويقدم ويمحص كل ما وصله في الاحاديث وما يصله بنفسه والابقي ديننا ناقصا . فأبي حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد على رجال الاسانيدو بعدهم مكانهم وزمنهم عنا . والله يقول ( ما جعل عليكم في الدين من حرج ) ( لها بقية )

## مناظرة عالمين \*

### ﴿ في مجلس المأمون ﴾

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قد بما لانه يكون اذ ذك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وان أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع أو مصحف مصنوع كن حادثا

هذه المسئلة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاثر وآل الامر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقتل ويغذب . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بان القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث - ويسمى (المعتزلة) - فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثم كانت صولته أشد ، وعامل جبروته انفذ ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وثقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، وكان الناس لهبه يستمرون في بيوتهم ، وينقطعون عن شهود الجمعة والجمعة ، ويتسللون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والارهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من تعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشرا المريني ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخالفتهم قيسد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جها أو نفي من الارض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفا على أنفسهم وفي الباطن يراون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه الحنة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خبرها

﴿ لصديقا عبد القادر افندي المغربي الطرابلسي تزيل مصر

(المأرج ٩) (٨٨) (المجد الحادي عشر)

ويتعودون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكفائي (الذي ناهض هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) انصل بي وأنا بمكة ما ابتلي به الناس في بغداد وكيف استظال عليهم بشر المرسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه ، فأطال همي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلامتي حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي . ثم إن عبد العزيز جهل بعد وصوله إلى بغداد يتهل إلى الله أن يسدده ، ويثبت عزيمته ، ويرشده إلى طريقه يتوصل بها إلى قهر تلك الفئة الجائرة وكف عاديها ، فبداله ان يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل ان يسمع كلامه ، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتسفيه آرائهم وطلب محاجتهم ، فإن إشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون اغتياله قبل مناظرته ، واستماع قوله ، ولم يكذب ينتهي الام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الأول حيا القبله والمنبر صوت رجل مكّي الرزي واقف على قدميه ينادي بأعلى صوته ابنه الصغير الذي اقامه قبائله عند الاسطوانة الأخرى :

الاب — ما تقول في القرآن ياني ؟

الابن — كلام الله منزل غير مخلوق ياأبي

فارتاع الناس لهذه المحاورة وهربوا على وجوههم خارجين من المسجد ، وأسرعت

الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذلك عمرو بن

مسعدة » وكان جاء ليصلي الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس — أمجنون أنت ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — موسوس ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — معتوه ؟

عبد العزيز — لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة

الرئيس - فمظلوم انت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لاصحابه - مروا بهما سحباً الى منزلي .

فاحتلمهما الشرطة ، وجعلوا يعدون بهما سحباً شديداً ، وايديهما في ايديهم يميناً ويسرة ، حتى صاروا بهما الى منزل الرئيس على هذه الحالة الفليضة ، فادخلا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه ( ۱ )

الرئيس - من اين انت ؟

عبد العزيز - من اهل مكة

الرئيس - ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القرية الى الله ورجاء الزلفى لديه

الرئيس - هلا فعلت ذلك سر من غير نداء ولا اظهار المخالفة لامير المؤمنين !

ولكن اردت الشهرة والرياء والسوؤد لتأخذ اموال الناس

عبد العزيز - ما اردت الا الوصول الى امير المؤمنين والمناظرة بين يديه

لاغير ذلك .

الرئيس - او تفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسي ماترى ، وتفريري بنفسي

وسلوكي البراري انا وولدي وجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في

كتابه ، وما اخذه علي وعلى العلماء من البيان ( ۲ )

الرئيس - ان كنت انما جعلت هذا سبياً لغيره من المطالب اذا وصلت الى

امير المؤمنين فقد حل دمك .

عبد العزيز - ان تكلمت في شي غير هذا ، وجعلت هذا ذريعة اليه ، فدمي حلال

فوثب الرئيس وقال لاعوانه اخرجوه بين يدي ، فاخرجوني انا وابني بين يديه

وهورا كب على فرسه ، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا ، وايدينا في ايديهم ، حتى وصلنا

( ۱ ) الشوار : اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر ( ۲ ) فيعتبر علماء هذا الزمان

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد . فدخل الرئيس على المأمون ، و بقيت  
أنا وابني في الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمر بي :

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين مخبرك وما فعلت وما سألته من الجمع  
بينك وبين مخالفتك للساظرة بين يديه ، وقد أمر أطال الله بقاءه وأعلى أمره باجابتك  
الى ما سألت ، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم  
الاثنين الاذني ، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه ، ويكون هو الحكم بينكم  
عبد العزيز — أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا  
حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عزك ، انا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد  
أحدًا ، ولا يعرفني من أعلياً أحد ، فمن أين لي من يكفل بي ، خاصة مع اظهاري  
مقاتلي ، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لتبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني .  
الرئيس — نوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم ، وتنصرف  
فتصلح من شأنك ، وتفكر في أمرك ، فلعلك ترجع عن نيك ، وتتوب من فعلك ،  
فيصفح أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فأفعل ما رأيت . ولما جاءت غداة يوم  
الاثنين حمل عبد العزيز مكرماً الى دار الخلافة ، وأدخل الى حجرة ، نيس الشرطة  
فسأله هذا عما اذا كان لم يزل مقبلاً على رأيه ثم نصحه ، وحذره وخامة عاقبة مخالفة  
أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظرود ، وانه نيس حينئذ إلا السيف ، وانه إن ندم  
ورجع عن مقاله سأل أمير المؤمنين الصصح عنه ، وضمن له جائزة وقضاء ماله من  
حاجة ، فأجابه عبد العزيز بأنه ما خرج من يده إلا رجاء إقامة الحق .

الرئيس — وقد وقف على رجله — قد حرصت على خلاصك جهدي وانت  
حرص على سفك دمك حينئذ

عبد العزيز — معرفة الله أعظم وألط من أن يداني ، وعدل أمير المؤمنين  
وسه من أن خذني



وكان قد صدر الأمر إلى بني هاشم أن يرتكبوا، وإلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا، واقواد والاولياء (١) فركب القوم بالسلاح لإحداث الهبة في نفس عبد العزيز وسائر الناس الذين يوشك أن يفسدهم، قال عبد العزيز ثم أدن لي فلم أزل أنقل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن (٢)

الحاجب - إن كنت تحتاج إلى تجديد الوضوء؟

عبد العزيز - مالي إلى ذلك حاجة

الحاجب - إركع ركعتين

عبد العزيز - ركع أربع ركعات ودعا الله

الحاجب - استخر الله وقم فادخل

فأزاح الستر وأخذ الرجال (التشرقيات) بيدي وعضدي، وجمل اقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبي وطقوا يعدون بي، ونظرني المأمون وأنا أسمع صوتاً دخلوا عنه، وكثر الضجيج من الحاجب واقواد بمثل ذلك، فخلوا عني، وقد كاد يتغير عني من شدة الجزع، وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلاح، وهو ملء الصحن وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها

قال عبد العزيز: فلما أوصلني الحاجب إلى باب الديوان وقعت فسمعت المأمون يقول ادخلوه قربوه، فلما دخلت من باب الديوان وقعت عني عليه، وقبل ذلك لم أنتبه إليه لما كان على باب الديوان من الحاجب واقواد، فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قال أدن مني، فدنوت منه، ثم جعل يقول أدن مني، فدنوت منه، ثم جعل يقول أدن مني، فدنوت منه، ثم جعل يقول أدن مني، فدنوت منه، حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون ويسمع كلامهم، والحاجب هي يقدمني، فلما انتهيت إلى الموضع قال لي المأمون اجلس فجلست

(١) يريد بهم المؤمنين بالخلافة لأهل الباطن كما هو اصطلاح أهل العصور

المنخرة (٢) أي صحن دار الخلافة وهذا الحاجب بمثابة سر تشرقيات اليوم

وسعت رجلا من جلسائه يقول - وقد دخلت الديوان - يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، في الله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهانه، فسعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا، على ما كنت فيه من الجزع والرعدة .

قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظري وأنا ارتعد خوفا وانتفض، واحب ان يؤنسي، ويسكن روغي فطفق يكثر كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كلة إناسي، وجعل يطيل النظر إلى الأيوان ويدبر نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد اتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد اتفخ وسيعم فبادرني قلمه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون - ما الاسم ؟

عبد العزيز - عبد العزيز

المأمون - ابن من ؟

عبد العزيز - ابن يحيى بن مسلم

المأمون - ابن من ؟ ( يسأله عن جده )

عبد العزيز - ابن ميمون الكناني

المأمون - أو أنت من كنانة ؟

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون هنيهة لا يتكلم

المأمون - من أين الرجل ؟

عبد العزيز - من الحجاز

المأمون - ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز - من مكة

المأمون - ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز - يا أمير المؤمنين قل من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الارجل  
ضوى (لجأ) ، اليها أو من جاور بها ، فاني لأعرفه .

المأمون - اتعرف فلانا وفلانا ( وجعل يعدد جماعة من بني هاشم )

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم

المأمون - وأولادهم وانسابهم . ( وذكر شيئاً من ذلك )

عبد العزيز - نعم . ( وأجابه عما سأل )

قال عبد العزيز : وانما يريد أمير المؤمنين انبساطي ، وبسطي للكلام وتسكين  
روعتي وجزعتي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقتني من الجزع ، وجاءت المعونة من  
الله عز وجل ، فقوي بها ظهري ، واشتد قلبي ، واجتمع فهمي ، ثم اقبل المأمون عليّ وقال  
يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامت في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن  
كلام الله الخ . بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستنك بذلك من الجمع  
ينك وبين مخالفتك على القول لتناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت  
المخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، بينكم فان تدين الحجة لك عليهم والحق  
معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك ، وان استقلت اقلناك .  
ثم اقبل عليّ بشر المرسي وقال : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وانصفه .  
فوثب بشر من موضعه كالاسد يثب الى الفريسة فرحاً ، فأنحط عليّ فوضع ركبته  
وفخذ الايسر عليّ فخذي الايمن فكاد أن يطمه ، وغمز عليّ بقوته كلها ، فقلت مهلاً  
فان أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي ، وانما أمرك بتناظرتي وانصافي ، فصاح به  
المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني .

ثم اقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز ناظره علي ما تريد ، واحتج عليه ، وبتحج  
عليك ، وتسأله ويسألك ، وتناصفاي كلامكما ، تحفظا الفاظكما ، فاني مستمع عنكما  
فحفظ الفاظكما . فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان  
يشرع في مناظرة خصمه مالم ينتقم من ذلك البغيض الذي عابه لامير المؤمنين  
بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف حاوأت الله عليه  
الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه و بالا عليه ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تعبير الرؤيا ، صبره على خزائن الارض ، واعتزل الامور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المنزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال احدثني علي خزائن الارض اني حينئذ علم ، ولم يقل اني حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أفتح مما هو معي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتزييله . فقال المأمون وأبي نبي : أردت بهذا القول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ فقلت اني سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفيك من كلام هذا قبح وجهه » فأبي عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ، فقلت يا أمير المؤمنين : قدر أيتك تنظر هذا النقش في الحائط ، وتكر اتفاح الجص ، وسمعت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وقت الحق . فهذا ( يعني جليس سوء ) يعيب ربي لم خلقتي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تقضى مسائل المناظرة او تلخصها لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك ان بشرنا سأل عبد العزيز سو الأء وكلفه جوابه ، وواقفه المأمون قائلا هذا يلزمك يا عبد العزيز فعند ذلك جعل ابن الجهم وغيره من شيعة بشر يضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وطعموا في قتل عبد العزيز ، وجنا بشر على ركبته ، وجعل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق الهراة وأماك عبد العزيز فلم يتكلم ، فقال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقال سأني بشر وهو المناظري ، فضحيج هو لاء ايش هو ؟ وأنا لم أتقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، ولست تكلم ما لا يسكتوا ، فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، وقبل شي وقل تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فسكلم وأخذنا في المناظرة

قال عبد العزيز: وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين يتكلم  
لجاء بألف شيء، فقلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه  
بالضجيج والترويح بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى  
يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزهقه، فصاح المأمون يبشر أقبل على صاحبك ودع  
هذا الضجيج وكان المأمون قد قدم منا مقعد الحاكم من الخوصم .

قال عبد العزيز: وكثر تبسم المأمون من قولي حتى غطي يده على فيه واطرق  
يكتب في الأرض بيده على السرير

ومما استدلل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء، والقرآن شيء، من  
تلك الأشياء المخلوقة .

فأجاب عبد العزيز بما خلاصته: قال تعالى «ويحذركم الله نفسه» فله نفس وقال  
تعالى «كل نفس ذائقة الموت» فتقول يا بشر ان نفس الله داخلة في هذه النفوس؟  
فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوري الصوت معاذ الله معاذ الله .

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبد العزيز  
يلحظ حجاج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له  
أحسن يا عبد العزيز ثم أمر بشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من  
مجلسه على أحسن حال وأجملها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق وقمع الباطل  
وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفتها من النغم والحزن وجعل الناس ينجئون الي  
أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا ،  
قالوا لا بد أن تلي علينا ما جرى لنعرفه وتعلمه فببت ذلك وتخوفت سوء عاقبته ،  
فلما ألحوا علي قلت أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حجب  
في ذكره فرضوا فأملت عليهم أو واقفا مختصرة لا تظلمهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي،

# بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

## سياحة صاحب المجلة

### ﴿ في سوريا ﴾

بيروت

وافيت بيروت في السادس والعشرين من شهر شعبان وقد صحح الجمهور من نشوة الفرح بالدستور، وثابوا الى التفكير والتأمل بعد تلك الرياضة في روض الوجدان والشعور، وكان مما يحمد عليه أهل بيروت ويندكرون به أنهم قد انتقلوا من خمول الاستبداد الى نشوة السرور بالحرية ومن هذه النشوة الى السكون والروية، ولم يكن منهم غلو مذموم كما يحصل عادة في مثل هذا الانتقال بمقتضى قاعدة «رد الفعل» وقد اشتهر ما كان من تحوّل الضغائن والاحقاد بين المسلمين والنصارى منهم الى المسألة والوداد وكان المسلمون هم البادئين بهذا الخير، كما كانوا في الغالب يبدئون وكان يقال بالشر،

وقد رأيت فضلاء المسلمين في هذه الايام مهتمين بأمرين عظيمين أحدهما مشترك بين جميع العثمانيين وهو ما تفكر فيه جمعية «الجامعة الثمانية» من انشاء مدارس لتعليم جميع الطوائف وتربيتهم على الوحدة الوطنية ونحو ذلك من الاعمال. ولا بد ان يكون فضلاء النصارى متفقين معهم على ذلك وانما اشدت الاهتمام به الى المسلمين عن علم وجعلت مشاركة النصارى لهم من قبيل الاستنباط العقلي لاني لم أجمع بأحد من علماء هؤلاء وفضلائهم فأعرف بالاختبار ما يهتمون به من الاعمال في عصر الدستور. إذ كان أهل العلم والفضل من المسلمين هم الذين استقبلوني في البحر وأكرموا

مشواي في البر. وما كانت إقامتي بينهم الا ثلاثة ايام ضاقت عن ردّ الزيارة لجميع الزائر ين منهم ، ولو طالّت لتصدّيت للقاء أهل الرأي من غيرهم ،  
والامر الثاني مما يهتم به المسلمون خاص بهم وهو ما توجهت اليه همة « الجمعية العلمية » من إحياء المدارس التي اسستها من قبل جمعية المقاصد الخيرية وكانت تدير نظامها شعبة المعارف التي قضى عليها الاستياد فاجعل هذه المدارس أثراً بعد عين .  
ولا أذكر ما سمعته من الآراء في إيجاد المال لهذه المدارس واختيار كتب التعليم لها بعد النظر فيما بين الأيدي منها وجلب مثله من مصر وانما أرجو أن أكتب بعد قليل من الزمن من أخبار اعمال هذه الجمعية ما يحقق أفضل الآراء وأنفعا  
رأيت مسلمي بيروت مستعدين لقبول كل إصلاح ديني ومدني ورأيت فيهم نفرا من أهل الغيرة المليّة والميل للاعمال التي تنهض بالامة وترقي شأن البلاد وقد أحييت ان يكون لي حظ من معرفتهم وسمي في جمع صفوة أهل الاخلاص منهم ومكاشفتهم بما أراه من أصول الإصلاح وقد سررتني من حديث من اجتمعت به منهم أنني رأيت التفاوت بينهم غير بعيد ، وانخلاف بين طبقاتهم غير شديد ، والتنافس بين أهل الظهور لم يهبط الى دركة الحسد ، ومقاومة الجامدين للإصلاح لم ترتق الى درجة المقاومة ،  
والسبب في ذلك على ما ظهر لي أن أذكاء النابتة الذين يحبون الإصلاح لم يربوا تربية أوربية تبعدهم من الدين وتشوه مدنية سلفهم في أعينهم وتجبب اليهم الانسلاخ من كل قديم ، وتزين لهم الاقتان بكل جديد ، كما قن كثير من المترجمين في الاستانة ومصر وتونس ، ولم يتوسعوا في علم الكلام والفقه فيجعلوهما مع فنون العربية كل المطاوب لارتقاء المسلمين ، ولم يحرموا منها حرمان من يهادي الشيء لجهله به ، - وان المشتغلين بالعلوم الدينية والفنون العربية لا يوجد كثير من المتقنين لها والبارعين فيها الذين يخشى ان يكونوا زعماء قادرين على تأليف العصبيات لمقاومة الإصلاح كما هو شأن رجال الذين الجامدين في كثير من بلاد المسلمين  
ونتيجة هذا ان قلّة اشتغال مسلمي بيروت بالكتب الاسلامية المتداولة وعدم افتنانهم بالتفرنج قد جعل نفوسهم مستعدة للإصلاح الذي لا يرتقي المسلمون بدونه وهو الجمع بين هداية الكتاب والسنة وبين العلوم والمعارف المعاصرة بغير معارضة قوية

رأيت من النابتة المصرية من يقول يجب علينا ان نعمل بمعدل عن الشيوخ  
الجاهدين ولا نبالي بهم رضوا أم سخطوا ، ومن يقول لا بد من مقاومتهم والقضاء  
على نفوذهم ، ومن يتوسط فيقول بوجوب مسالمتهم ومداراتهم والاستعانة بهم لان  
جانبه منهم ، والمرجح عندي ان العاملين في بيروت لا يجدون مقاومة يعتدُّ بها ،  
وأحوج ما يحتاجون اليه المال والزعيم الذي تجتمع عليه القلوب ومتى وجد أصحاب  
الهمم من الرجال سهل عليهم إيجاد المال ، والزعيم انما يشترط لائقان العمل وكأله  
فلا يتعذر على أهل الغيرة الأبتداء بالعمل مع فقهه . ومتى تكونت الاعضاء تكوننا  
طبعيا ثبت لها رأس طبيعي ،

أما حكومة بيروت فهي سائرة في طريق النظام بهمة واليها ناظم باشا وحزبه  
ودرايته ولكن هذا الوالي لم يأت بعمل ما في ملحقات الولاية كما يعلم من الكلام  
الآتي عن طرابلس ولولا قرب عهده بالحجى الى الولاية لقلنا ان حسن حال الاهالي  
هو الذي حسن حال الحكومة في مدينة بيروت فهو لا يدل على فضله ولا يقوي الرجاء  
في إصلاح حال الولاية بحسن إدارته ولكنه لقرّب عهده لما يتمكن من تنظيم إدارة  
داره فلا مجال للومه

#### طرابلس الشام

واقبت هذه البلدة وقد أهوت شمس يوم الجمعة (وهو التاسع والعشرون من  
شعبان) الى الغروب والناس يرقبون غروبها ورؤية هلال رمضان بعده فأقبلوا  
يستهلون فبدأ الهلال لعين واحد منهم فحكم القاضي بشهادته وأصبح الناس من  
ليتهم صائمين

مكثت في دار صديقي الصديق الشيخ محمد كامل الرافعي أسبوعا كاملا  
استقبل وفود الزائرين المهتمين من العلماء وعمال الحكومة والوجهاء ورجال الجمعيات  
الثلاث : جمعية الأتحاد والترقي وجمعية الجامعة العثمانية والجمعية العلمية . وقد ظهر  
لي مما دار بيني وبين صفوة الناس من الطبقات العليا والوسطى أن استعداد مسلي  
طرابلس للإصلاح الديني والمدني دون استعداد مسلي بيروت  
فذلك بأن مسلي طرابلس أكثر من أهل بيروت اشتغالا بدرس كتب



## (المنار ج ٩ م ١١) أسباب ضعف استعداد الطرابلسيين . حكومة طرابلس ٧٠٩

الفنون العربية والعلوم الاسلامية التي وضعت منذ القرون الوسطى بعد انحطاط مدينة المسلمين ؛ ضعفهم في العلوم وهي مما يضعف الاستعداد لانه يشغل الفراغ ولا يكملها فيكون عاقبها عما سواه كما أشرنا اليه في الكلام عن استعداد أهل بيروت وربما نوضحه في فرصة أخرى ، على أن أهل طرابلس قد قلّ اشتغالهم في السنين الأخيرة لحكم الاستبداد ، التي اضطهد بها العلم وكتبه أشد الاضطهاد ، هذا سبب معنوي من أسباب ضعف استعداد أهل طرابلس وسيعده أكثرهم غريباً أو باطلاً بالبداهة محتجين بأن من كان أوسع علماً في فن أو علم ما كان أقوى استعداداً لغيره ، ولا محل هنا لدحض هذه الحجة أو إبطال هذه الشبهة . وثم سبب آخر وهو الفراغ والبطالة في طائفة كبيرة منهم وعدم المنافسة والارتقاء في العمل عند أكثر العاملين

ومن الأسباب في ذلك قلة احتكاك أهل طرابلس بمن هم أرقى منهم في العلوم والأعمال من الأجانب والعثمانيين فان طرابلس أصبحت كأنها بمنزل عن العالم المدني ، لا يهاجر اليها المرتقون في العلوم إذ لا مدارس ولا تعليم فيها ولا المرتقون في الأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية إذ لا رجاء لأحد في الكسب منها ومنها ما هو أثر طبيعي لما قبله من عدم وجود الجرائد اليومية فيها وعدم وصولها الجرائد اليها من بيروت لانها غير متصلة بها بسكة حديدية فالقيم فيها لا يعرف شيئاً يمتد به من أحوال العالم

من أجل هذا وذلك كانت حكومة طرابلس شراً من حكومة بيروت في وقت الاستبداد ، ولم تنل نصيباً من الإصلاح في زمن الدستور وقد كان فسادها الماضي وضعفها الحاضر علة لكثرة الأشقياء فيها المستعنين بها على السلب والنهب والنيل من اعراض الناس ودمائهم ، فان لهؤلاء الأشقياء زعماء يشتركون ذمة كبراء الحكام ويشاركونهم بما يتمتعون به من أموال الناس وأعراضهم ويرضخون لافراد الشرطة والزبانية بدرهات يستعبدونهم بها فإذا رفعت على أحدهم قضية كفاه أمرها رجال الجحيم فإذا جاء البلد حاكم جديد وحاول ان يقرر فيها الامن ويقيم ميزان العدل وانفذ الشرطة الى بعض هؤلاء الأشقياء المتهمين بالقتل والضرب أو

السلب والنهب عادت اليه الشرطة قائلة انهم قد فروا هاربين فلا يعلم مكانهم وانما يكونون هم الذين لقنوها ما تقول

حادثة الاعتداء علي وسببها

ما كنت لا ذكر هذه الحادثة في المنار ، لو لم تشتهر في الاقطار ، ويظلم بها أهل طرابلس على الاطلاق ، حتى وجب علي ان أبرئ المظلومين ، وأبين سبب تقصير المقصرين ،

حقيقة الحادثة انني دخلت طرابلس باحتفال عظيم لم يسبق له نظير فيها فقد استقبلني عند الباخرة في البحر جمهور من أهل العلم والوجاهة ووفود من الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العلمية وجمعية الجامعة الثمانية ، وكان في الانتظار على رصيف الجرك في الميناء جماهير من جميع الطبقات وجوقة مويسقي أرسلتها جمعية الاتحاد والترقي فلما اقبل عليهم الزورق الذي يحملنا مرفوعا عليه العلم العثماني ( أعزه الله تعالى ) همدحت المويسقي وبعد السلام على كثير من المستقبلين ذهبنا إلى موقف الترام الذي بين الميناء والبلد فاذا بمركبة كبيرة من مركبات الترام همدت لنا من قبل جمعية الاتحاد فقبولناها مع خواص اعضاء الجمعيات وجوقة المويسقي في مقدمتها والناس من حولها يطلقون البارود . فوقفنا في نافذة من نوافذ المركبة وشكرت للقوم أريحياتهم وسارت المركبة حتى إذا ما بلغت الموقف من البلد استقبلنا فيه جمهور آخر وسرنا حتى إذا كنا بالقرب من الدار التي نؤمها في أشهر شوارع البلد وأسواقها فاجأنا شقي من أولئك الأشقياء الذين أشرنا اليهم اسمه كامل المقدم فقال أين هذا الذي تسلمون عليه ؟ فعرفني بالقرينة فضررتني بعصا في يده وقعت على جانب رأسي ثم رفعها ثانية وأهوى بها فتلقاها الشيخ محمد كامل الرافي وكان عن يساري في مقدمة الناس . فأخرج الشقي مسدسا وأطلق منه رصاصة واحدة اعتقدت انه يريد بي قتلي واعتقد الجمهور ذلك فيما يظهر فانهم ارجعوني واحدقوا بي وأرادوا ادخالي لاحد البيوت المجاورة لتلك المكان . وتقدم اليه اكثر من واحد منهم فظردوه ثم استأمننا الدبر إلى دار الرافي وكانت قرية منا وهناك اخبرني القوم بالمعتدي وانه ابن عبد الرحمن افندي المقدم الذي كان يجلي وأنا طالب علم أشد

## (المناج ٩م ١١) سبب الاعتداء على صاحب المنار . اهتمام الناس به ٧١١

الاجلال على ما كان عليه رحمه الله من كبرياء حتى انه كان يستقبلي ويشيفني عند الباب

ذلك انه كان قد اعتدى على اخوتي من قبل بايهاز عصبة من تلك العصبة التي أشرنا اليها «والشر داعية الشر» فالظاهر ان تلك العصبة ثقل عليها ان يعتز من اعتدت عليهم بأخ لهم لانها تحب ان يكون شرها دائما لا ينقطع . وقد رأيت جميع الناس من جميع الطبقات يعتقدون ذلك ولولا هذا الاعتقاد لأظهروا استيائهم ولقاءت قيامتهم على هذا الشبح البالي من حكومتهم على عدم تقمهم بها بل لاستنفضوا همة حكومة الولاية الى معاقبة ذلك المعتدي الذي عدوا جريمته إهانة لهم كلهم أي إهانة لأهل البلد لانه أساء الى المئات من فضلائهم بالمعتدي على الضيف الذي يحدقون به تعظيما له وتكريما ، وقد سمعت من الناس وعنهم ما جرمت به وأيقنت بأن الاستياء العام كان شديدا وأن بعض أهل الجراة جهروا الزعماء عصبة ذلك الشقي وله بسوء هذا العمل وبمقت الناس لهم لأجله وحدثني بعض الكبراء والمتوسطين ان أولئك الزعماء أقسموا جهد أيامهم بأن هذا الأمر لم يكن بايهاز منهم وانهم وبخوا الشقي الفاعل وكادوا يطلقون عليه الرصاص !! ولكنهم مع هذا يهددون من دعتم الحكومة للشهادة ليكتبوها او يحرفوها ويخفون الشقي عن عين الحكومة ويطلبون المصالحة قبل القبض عليه !!

هذا هو السبب في سكوت جمهور أهل طرابلس وإغضائهم على القدي ولو رثقوا بحكومتهم وأمنوا بقوتها شر تلك العصبة لأظهروا سخطهم لها وللناس قولا وكتابة فهم ممدورون في سكوتهم . على ان فيهم من تحمس ليذهب بوفد الى الولاية ليخاطبوا الوالي في الأمر فلم أرض بذلك ، ومن شجعانهم من تمنى لو كان حاضرا لينتقم من المعتدي عند الاعتداء

أقول هذا جوابا للأولئك الفضلاء الاخيار الذين كتبوا اليانا من بيروت ولبنان والشام ومصر يقولون اترك « فيحاء الاشقياء » تنعي من بني اول حجر فيها وارحل اينا حيث تلني من الكرامة كيت وكيت ، ويقولون لو كنا معك لعلمنا أهل طرابلس كيف يوجد من عارفي قدرك من يهديك بدمه ،

وكتب اليّ صديقي رفيق بك العظم ينصح لي بأن أقضي بقية إجازتي في بيروت ودمشق وحمص وحماه . وقد تحمس أهل النجدة من بيروت واتسمروا بينهم ليرسلوا وقداهم يحضرنني من طرابلس وعصبة من الشجعان لينقموا لي من المعتدين بالقوة اذا كانت الحكومة عاجزة عن ذلك أو متهاونة فيه وكتب اليّ أكثر من واحد يستشيرني أو يستأمرني بذلك وقد تطوع نحو خمسين رجلاً من فدائية بيروت ( الابضيات ) بذلك فكتبت اليّ بعضهم إنه لا حاجة اليّ ذلك واتي في طرابلس عزيز كريم

أراد ذلك الشقي أن يحط من قدري غلوا في الانتقام من إخواني ، فكان عدوانه مزيداً في كرامتي ، وإهانة له ولعصبة الاشرار ، في القرى والأقطار ، بل إهانة لأهل بلده الاخيار منهم والفجار ، فقد طار البرق بالحادثه منذ تلك الليلة إلى بيروت ونشر الخبر في جرائدها فعلم به الناس في سوريا ولبنان ومصر فطفقوا يذمون طرابلس وأهلها قولا وكتابة وقد نقل ذلك اليها كثير من كان من أهلها في بيروت . وتلك سنة الله : رجل يهين أمة ورجل يشرف أمة ، كما اطروني برسائل البرق والهريد وتحذثوا بخدمتي الصغيرة للإسلام والدولة والملة فكبروها تكبيراً يمثّل البرقية التي وردت الي من شيوخين من أشهر أهل العلم والأدب في مصر ونصبا « منهي » العلم والدين بنجاة ركنهما الركين ، ومثل البرقية التي وردت من فاضلين من أشهر أهل بيروت علماء وأدباء ونصبا « الهناء لكم ولنا والمسلمين بسلامتكم التي تهمننا جميعاً » وهناك برقيات كثيرة بهذا المعنى من بلاد كثيرة منها برقية بامضاء بضعة عشر رجلاً وهم خيرة أهل بيروت ولا تسل عن رسائل الهريد ، وداً فيها من الاطراء والتنديد

ولست الرسائل الواردة بما ذكرتها من المسلمين بل منها ما جاء من فضلاء النصارى فكانت الحماسة فيها أشدّ ولسان الاطراء والقده أحد ، كرسالة صديقنا قولا افندي شهادته من رحله التي يمثّل فيها بقول السيد المسيح عليه السلام الذي معناه انه لا يهان نبي الا في قومه وبلده ، ورسالة صديقنا رثيف افندي شدودي من جنونه الذي تمنى فيها كما تمنى كثير من أهل بيروت لو كان معي وقت الحادثه فيري أهل طرابلس

كيف يفديني بدمه ( حماه الله ) فأشكر لجميع أولئك المهتمين أريحتهم وفضلهم وأكرر لهم الاعتذار عن أهل طرابلس في المنار كما اعتذرت عنهم فيما كتبت إلى الكثير من المهتمين ، وأصرح لهم بأنهم لم يقصروا في الحفاوة بي بل بالغوا وأغرقوا حتى كنت أحنجل مما أسمع من شيوخ العلم وكبار الوجاه ، من جمل الثناء والاطراء ، مثل : بيضت وجوهنا بيض الله وجهك ، شرفت بعملك سوريا والعرب ، أحييت بخدمتك العلم والدين ، عملت للدولة كيت وكيت . حتى قال لي أحد العلماء ان هذا المجد الذي نلت لم ينله أحد من أهل طرابلس فيها . وقال لي أحد أدباء النصاري إن الناس يستقبلونكم أيها الأحرار كما يستقبلون الفاتحين ، لا كما يستقبلون الأجزاء الغائبين . واني أشهد قراء المنار على نفسي بأني لا أستحق هذا الثناء والاطراء ولا بعضه ، واني ذكرت منه ما ذكرت وأنا في حجل شديد ولولا قصد تبرئة أهل وطني الذي ربيت فيه مما جناه عليهم ذلك الشقي المسكين لما ذكرت ما ذكرت من الإشارة إليه . وسأذكر في رسالة أخرى ما كان من اهتمام دولة الوالي بالحداثة وما كان من أثر ذلك

ومن آيات رضي أهل طرابلس عن هذا العاجز دعوة الكثيرين من أهل الرأي والمكانة منهم إياه لترشيح نفسه لمجلس المبعوثين وتصريحهم في الملاء بأنه أجدرهم بذلك . وليكتفي لم أترك ما عندي من اليقين بعجزني لحسن ظنهم بي ولذلك كنت اعتذر لكل داع بما أرى أنه يقبله مني

#### طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس

وقد سرني في طرابلس سرورا عظيما أن رأيت فيها فئة من طلاب العلوم الدينية يرغبون عن التقليد ويذمونه ، ويميلون إلى الاستقلال في العلم ويتحلون به ، ويعترفون بأن حياة الدين إنما تكون بالرجوع إلى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وترك ما عداها من الآراء الكثيرة ، رأيت هؤلاء وذا كرتهم بعد أن كتبت ما هدم من المقابلة بين أهل طرابلس وأهل بيروت ولم أر مثلم من الطلاب في

بيروت ولكنتي أظن أنه يوجد فيهم من هم على هذه الشاكلة وربما كان عددهم أقل لأن الطلاب في طرابلس أكثر،

وقد رغبت من لقيت من هؤلاء الطلاب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة العصرية، فأفيت آذانا واعية وقلوبا راغبة وأذهانا مستعدة، ولكن وسائل العلم غير متيسرة لهم الآن وربما لا يتيسر السعي له إلا بعد حين من الزمن. ولهذا لم أرجع بعد لقي هؤلاء النجباء عن رأيي في ترجيح استعداد مسلي بيروت للعمل على استعداد مسلي طرابلس وإن كان في الكلام عن هؤلاء الطلاب نوع من الاستدراك على ما تقدم

#### الجمعيات في طرابلس

الف اهل طرابلس ثلاث جمعيات غير فرع جمعية الأتحاد والترقي كما فصل أهن بيروت. الأولى جمعية الجامعة العثمانية ولها ناد يجتمع فيه أعضاؤها وهم الآن يفكرون في عمل مالي يتكون لهم منه ريع يمكنهم من الخدمة النافعة للبلاد التي توثق بها عرى الجامعة العثمانية وما أظن أن ذلك ميسور لها الآن فقائدتها محصورة في اجتماع أعضائها في ناديا فقترح عليهم أن يطالعوا فيها الكتب النافعة التي تفذي العقول وترقي الأفكار والآداب ككتب التربية والأخلاق والمجلات العلمية، وإن يترنوا فيه على الخطابة في السياسة والآداب وشؤون الاجتماع والعمران، وإن يكون لهم في كل شهر مناظرة في مسألة علمية أو سياسية أو اجتماعية، فبذلك تكون جمعيتهم نافعة منذ اليوم، فإن تيسر لهم بعد ذلك جلب المال وانفاقه على عمل من الاعمال، كانوا به أبصر، وعليه أقدر،

والثانية الجمعية العلمية ورأيت بعض أعضائها يتحدثون بجمل تعليم الفنون العربية والعلوم الشرعية بطريقة منتظمة في مدرسة كبيرة يخرج فيها المستعدون للتدريس والقضاء الشرعي والمحاماة. ويقول آخرون منهم إن إنشاء هذه المدرسة لا يكون إلا بمال كثير، وهو عسير علينا غير يسير، على أنهم لو وجهوا همتهم إلى جمع المال لتيسر لهم جمع مقدار يكفيهم لاستئجار دار يعلون فيها، وأكثر الشيوخ لا يسألون على التعليم أجرا، والطلاب هم الذين يشترون الكتب لأنفسهم، وليس

من مقاصد الجمعية تعليم العلوم الطبيعية التي يتوقف تعليمها على الآلات والمعلمين بالأجور فتححتاج إلى المال الكثير ، ولكن أعضاء الجمعية مختلفون في الأمر وهو غير عظيم ، فبعضهم يشعر بهمة في نفسه تصغر له الكبير ، فيرميه الآخرون بالغرور والتفكير ، ولعلمهم يشجعون في التعليم بالطرق المستحدثة والكتب المختارة ولو في المساجد إلى أن يتسرحم وغيرهم من المسلمين تحويل معظم الأوقاف الخيرية للتربية والتعليم ، وعسى أن لا يكون ذلك بعيدا

وأما الجمعية الثالثة فقد أطلق عليها اسم الجمعية الخيرية ، والذي يفهمه القراء من هذا الاسم أنها جمعية تجمع الأموال لإعانة الفقراء والمعجزة ، ولكن الذي وصل إلينا من خبرها أنها شركة مالية أسسها بعض الأغنياء لاجل استغلال أموالهم بالأعمال الكبيرة التي يرجى ربحها ، وسمعت كثيرين من أعضاء الجمعيات الأخرى يطلقون على مؤسسي هذه الجمعية أو الشركة لفظ « حزب التفقر » ويقولون أن أكثرهم من الذين عزلوا بعد إعلان الدستور لخياتهم وفسادهم في الحكومة الماضية أو استقالوا لعلمهم بأنهم لا بد أن يعزلوا إن لم يبادروا بالاستقالة . ويقولون إنهم أعداء الدستور ويطعنون دائما بجمعية الأتحاد والترقي ويكابرون أنفسهم فيدعون أنها لم تعمل عملا وقد ذكر لي اسم ثلاثة منهم لم أسمع من أحد منهم شيئا مما يحكونه عنهم ، ولكنني سمعت من شابين من حملة الأقلام كلاما صريحا وتهكما شديدا في ذلك ، وقيل لي إن هذين الشابين من أعضاء هذه الجمعية أو انصارها وربما كانا لسان الجمعية الناطق وقلها الكتب

وفي هذا المقام اشكو مما سمعت في طرابلس من طعن الناس بعضهم ببعض حتى في المحافل والأندية العامة ، وأرجوا أن يفتح الله لهم في أيام الدستور من الأعمال ، ما يشغلهم عما يضر ولا ينفع من الأقوال ،

العمران في طرابلس

رأيت داخل طرابلس على ما تركتها عليه منذ إحدى عشرة سنة كأنه لم يتبدل ولم يتحول فيها شيء ، حتى خيل لي إن ما رأيته في الدكاكين ومخازن التجار هو الذي تركته فيها بعينه ، ولقد رأيت أحدا من أعرافهم اتقل من دكانه سواء كان

مالكاً أم مستأجراً . واما ضواحي البلد فقد تجدد فيها دور وقصور كثيرة على عدم نمو الثروة الطبيعية . فالزراعة لا تزال على حالها وعليها مدار معيشة السواد الاعظم . والصناعة كذلك على حالها وليس في طرابلس منها ما يعد مصدراً لارتقاء ثروتها ولم تتصل بها سكك حديدية ترتقي بها تجارتها فأكثر الذين أثروا فيها هم من عمال الحكومة آكلة أموال الناس بالباطل

#### شعائر الدين

لعل أهل طرابلس أشد أهل سوريا محافظة على شعائر الدين من صلاة وصيام، وأبعدهم عن الجهر بالمعاصي، وحبك من هذا أن صاحب قهوة احضر في هذه الأيام بعض النساء الراقصات ليروج بها قهوته فقامت قيامة أهل السلم من المسلمين عليه، وتعصب لهم الجمهور حتى ألزموا الحكومة بمنعه من ذلك

## تسامح الدين الاسلامي

جاء في جريدة اللواء تحت هذا العنوان ما يأتي مع تصحيح قليل :

« نشرت جريدة ( ريج ) الروسية أن مخبرها الخصوصي في الاساتذة العلمية قابل سماحتو شيخ الاسلام وطرح عليه أربعة أسئلة طالبا الجواب عن كل منها وهي :

١ - ما رأي شيخ الاسلام في تطيم المرأة المسلمة  
٢ - ما رأي شيخ الاسلام فيما نشرته الجرائد التركية من وجوب ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

٣ - بأي نظر ينظر شيخ الاسلام إلى المدارس الفنية العثمانية

٤ - ماذا يفهم شيخ الاسلام من الاقوال القائلة بالحرية في الدين ؟

أجاب سماحته عن السؤال الاول بقوله « ان القرآن الكريم يأمر الرجال والنساء جميعا ( بالعلم ) فيلزم كل فرد من أفرادها أن يتعلم القراءة والكتابة ولهذا السبب تقابل - بانسراح صدر - انتشار التعليم بكل أنواعه بين النساء زيادة



على تحصيلهن العلوم الابتدائية لاني أرى من الأوفق والأصوب أن تتولى الطيبة أمر معالجة المریضة المسلمة، لذلك يجب أن تؤخذ الفتيات الى المدارس الطبية، وأما مسألة قيام النساء بوظيفة المحاماة والقضاء فأمرها لم يتم بعد في البلاد الأخرى ولا أدري بأي نظر ينظر الأهالي هذه المسألة في بلادنا »

وقال سماحته مجيباً عن السؤال الثاني :

« فهم القرآن واجب على المسلمين مطلقاً ، لذلك لا نعارض فكرة ترجمة القرآن الى اللغة التركية بل نعد بذلك كل مجهود في ابراز هذه الفكرة الشريفة الى حيز الوجود دينا عظيماً علينا ولكن حيث إن في القرآن كثيراً من المواضع يصعب فهمها على العامة واشترطت حلها كثرة العلم والتعلم لذلك نرى من الواجب أن تعهد وظيفة ترجمة القرآن الى أفاضل الفلاسفة المسلمين الذين لهم الملم تام بلغة القرآن وروح الاسلام وأدبيات العرب حتى لا يخشى من تغيير معانيه الجليلة »

وأجاب عن السؤال الثالث بما ترجمته :

« إنا معشر رجال الدين وظيفتنا النظر في شؤون المدارس الدينية وأما الفن فأمره ليس بأيدينا بل هو راجع الى الحكومة والأهالي لذلك نحن لا تتداخل في أمره وعلى الحكومة أن تنتخب لمدارسها من الفنون ما ينجم عنه رقي الأهالي وقوة الدولة وحضارة البلاد ولا نطالب من الحكومة تسليمها لنا ولا أن تكون مدارسها الابتدائية تحت نفوذنا

ولا يوجد في المدارس الفنية من الدروس الدينية غير حصة واحدة وأكرر القول بأن الفن والصناعة ليسا من عمل رجال الدين بل من عمل الحكومة ولكنها ليسا بمخالفين للدين ولهذا السبب نسلم أمر هذه المسألة تماماً الى الحكومة »

وقال مجيباً عن السؤال الرابع :

« نحن على جانب عظيم من الحرية الدينية ولكن لا تتداخل في أمور ديانة الامم وخصائصها ووجدانها في أي حال واذا تداخلنا فإما يكون ذلك باللسان فقط . ويأمر الدين الحنيف كل مسلم متزوج بزوجة مسيحية ان يرسل زوجته مرتين في الاسبوع ازينة أقر بابها ولم يأمر نبينا الكريم الناس بما لا طاقة لهم به حتى أتت

تركيا لم تضغط ولا في الازمنة التي كانت لها فيها قوة كبرى على رعاياها المسيحيين في أمورهم الدينية فينبغي أن ينفذ حكم الحرية التامة في أمور الديانات ليأمن كل على معتقده وديانته »

### شأن المرتدين عن الاسلام

وهنا قطع الخبر كلام سماحته سائلا رأيه في المتقلين من الاسلام إلى المسيحية فأجاب قائلا « افرضوا أن فرقة عسكرية فرت من بين صفوف المقاتلين لاشك انكم تعتبرونها خائنة شر خيانة وحينئذ تحكمون عليها بأشد العقاب ونحن كذلك أمة واحدة ندوب أسفا على كل خارج من صفنا ونستاء منه استياء شديدا وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبنية على أساس أن كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين من الدين أو تضغط عليهم بالقوانين والتضييق كما لا يحكم على الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي ولا يمكن اجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية واذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا يمنعا مانع عن اظهار كراهتنا له ونفورنا منه

### زواج المسلم بالمسيحية (١)

وسأل الخبر سماحته أيضا قائلا « ان الاسلام يصرح لمتحليه بزواج الفتاة المسيحية

(١) المنار : كتبنا منذ ست سنين تعليقا على كلام الاستاذ الامام بشأن زواج المسلم بالمسيحية في كتاب الاسلام والنصرانية هذا نصه :

« يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتائية ليعلم البشر التألف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتائي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لانهم أقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره بيفضها ويفض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة ، أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم »

فأي شيخ الاسلام موافق لرأينا في روح المعنى وان خلفه في الاستنوب

(المنار ١١م ١٩١٩) مسلمو روسيا . علماء الدين والحرية الدينية . جريدة النظام ٧١٩

ولماذا يمنع الفتاة المسلمة من الزواج بالمسيحي ! فأجاب بقوله « تعرفون أن نفوذ الزوج فوق نفوذ الزوجة في المنزل وهي تابعة له ونحن معشر المسلمين نعد كلام اليهود والنصارى من أهل الكتاب ونؤمن بكتبهم ونصدق برسالتهم ولهذا السبب الصراح تقدر على الإقامة مع اليهودية أو النصرانية بلا أدنى تمد على عقيدتها ولا تعرض لامورها الدينية وأما اليهود والنصارى فليسوا بمؤمنين بالقرآن ولا بمصدقين بنبينا الكريم بل يعدونها كذبا محضا لذلك حرم على المسلمين إن يضعوا فتياتهم تحت نفوذ قوم هذه حالهم مما يحرمه ديننا الخفيف »

مسلمو روسيا

ثم عرج سماحته بالكلام نحو مسلمي روسيا فقال « اني ما زلت أنصح لمسلمي روسيا بأن يكونوا مطيعين ومخلصين لوطنهم بيد أنه يجب عليهم أن يضعوا بالتواجد على حقوقهم الدينية وعلاقاتهم الجنسية »

العلماء الروحانيون والحرية الدينية

ثم فتح باب الكلام أيضا بشأن الحرية الدينية اذ قال « اني في جانب من يقول بالحرية التامة نحو الدين وأعتقد أن جميع العلماء الروحانيين إذا اعتقدوا أن جميع البشر اخوان وانهم عبيد مستوون عند الله الواحد القهار زالت من بينهم المجادلات الدينية وطمست آثار المظالم والفتن »

ثم قال المحبر تعليقا على ما تقدم « فليفهم القراء علو منزلة رئيس علماء المسلمين وليحكموا على بقية رؤساء الأديان الأخرى » اهـ

(المنار) : إن قراء المنار يعرفون رأينا في هذه المواضيع وربما عدنا اليها في جزء قادم

﴿ جريدة النظام ﴾

جاءنا من ادارة جريدة النظام ما يأتي :

« يسرني ان انهي الى علمكم انني قد عولت بعون الله وحسن توفيقه على اصدار جريدة يومية سياسية اسمها (النظام) بالحجم المعتاد للجرائد الكبرى ، سيكون شعارها

الدفاع عن مصالح مصر بالأخلاص والصدق اللذين اعتادهما القراء منا في الخمسة عشر عاماً التي مضت من خدمتنا الصحافية . فاذا تفضلتم بالإشارة لذلك في صحيفتكم القراء بشكل يجذب الأنظار فانكم تعجزونني عن النهوض بواجب الشكر لكم . وإذا اردتم تلك الإشارة برجاء ممن يريدون مراسلة الجريدة أو التوكيل عنها في الجهات أن يخاطبونا منذ الآن في ذلك بحيث لا تتعدى طلباتهم منتصف شهر نوفمبر فانكم يجعلون الفضل فضلين والشكر لكم عليه شكرين والسلام »

محمد مسعود

صاحب جريدة النظام بمصر

و ( المنار ) يرحب بالنظام ويرجوه نجاحاً وفلاحاً ، وتوفيقاً للسير على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وان في خبر صاحبه لمزاوته الكتابية بضع عشرة سنة ، وتفننه الصحافي ، وذوقه الأدبي ، ما يرجي معه رواج النظام ، ورغبة محبيه فيه

( الجزائر ) - وجاءنا من عمر افندي راسم الجزائري انه عزم على إنشاء مجلة علمية أدبية تهذيبية « سماها الجزائر ولقد ضاق هذا الجزء عن التنويه بها بأكثر من هذا فدعوه بالتوفيق والنجاح

### ﴿ تصحيح ﴾

سقط السطر الأخير من ( ص ٥٦٨ ج ٨ - ١١ ) وهو: « ثلاثون رجلاً . اي صدقكم الله وعده ونصركم على قتلكم وكثرة المشركين واستمر هذا » فيكتب بالقلم

### ﴿ بيان ﴾

اصدرنا هذا الجزء من المنار عبر مصدر بالتفسير والفتاوى لان صاحب المجلة لا يزال في سياحته

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

# المعجزة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ - ٢٣ نوفمبر ( تشرين الثاني ) سنة ١٩٠٨ ﴾

## اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة  
وذهبوا مذاهب مختلفة في تبين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي  
وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه ( اعجاز القرآن ) الذي  
جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس  
المنشئين سلك سبيلاً أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يترض  
الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم  
والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابتا واقعا واليك كلامه :

بث الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة ، وأشد ما كانت عدة ، فدعا أقصاها وادناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة ، وصار الذي بينهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة ، نصب لهم الحرب ونصبوا له ، وقتل من عليتهم واعمامهم وبنى اعمامهم ، وهو في ذلك يحتاج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباح مساء الى معارضته — ان كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات بسيرة ، فكما أراد تحديا لهم بها وتقريرا لهم بمعجزهم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا .

قال فها تاولو مقتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته ، لأن سورة واحدة وآية بسيرة كانت انقض لقوله ، وبلغ في تكذيبه ، واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الاموال ، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبيل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، ولهم الاسجاع واللفظ المشور ، ثم يتحدى به اقصاهم ، بعد ان ظهر به عجز أدانهم ، فمحال — أرشدك الله — ان يجتمع هؤلاء ، كلهم في الامر الظاهر ، والخطاب المكشوف البين ، مع التفرع بالتقصير والتوقيف — على المعجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد أعمالهم ، وقد احتاجوا اليه والحاجة تبث على الحيلة في الامر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ، كما انه محال ان يطيقه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة ، فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل وهم يبدلون أكثر منه ،

## تتمت الخطبة الاولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لما نشر في (س ٦٤١ ج ٩ م ١١)

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضعف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالة بمحقوقها أمر عسير غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولا سيما إذا كان امة . فهذا سبب ما كنتم تقاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للمتهمين به وهو عندها أشد الجرائم !!!

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحدا من الامم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبته في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يفتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المناقبين : تنقص بلادهم من اطرافها وتسقط في أيدي الاجانب ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتدون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه ، بل يعتمدون ويتكلمون على ما لا يتكلم عليه من كرامات الاولياء ومدد الاموات ؛ ولم يجعل الله ذلك سببا للنصر بل أمر باعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذ كر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أندروا هجمة وروسيا عليهم فلم يهدوا لها ما يستطيعون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حماية شاه قشبندي ( هو الولي الذي تعزى اليه الطريقة القشبنديية ) فلما

( المراجع ١٠ ) ( ٩٣ ) ( المجلد الحادي عشر )

زحف عليهم جيش الروس لم يملكو من نجدة هذا الولي لهم شيئاً ، بل انقلبوا على أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين  
 فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الأمة أن تعدّ لأعدائها ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، واتكلت في حياتها السياسية والاجتماعية على الاموات ألا تكون جديرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهذه هي حالنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من المجددين من يعلمنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام :  
 ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوربية وعرفوا أحوال العالم فرأوا ان جميع الامم تقوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية تترقى وتعتز ، ودول الاسلام تتدلى وتذل ، وبحوثا في سبب ذلك فرأوا ان المسلمين مؤلفون من كل جنس ، ومتبوئون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سببا مشتركا بينهم لا يشاركهم فيه غيرهم ، الا تقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من الافرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركه والاخذ بما عليه أوروبا !! ، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من نابتة الترك والهنود والمصريين والتونسيين

فهذا صنف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي يمقت العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصنفان يتجادبان سائر المسلمين ، ذاك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذاك يمسكهم ليقوا على ما هم عليه وما هم بياقين ،

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفتت الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ما هم عليه حرصا على دينهم وقالت لهم ان نيتكم صالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم وبين هذه الكتب الكلامية والفقهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أتم



## (المناجح ١٠م ١٩١٠) السيد جمال الدين . الدعوة الى الاصلاح . الحاكم المستبد ٧٣٩

قادرون على حملهم على تعلمها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبحثوا معنا عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق بفطرة الناس في أفرادهم وجهياتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمال تنافي الدين فنفرتم المسلمين عما به قوام أممهم ودولتهم

والتفتت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين فقالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبذون من جهة وتهدمون من جهة فيقل نفكم فيما تبذون لعدم الثقة بكم ، ويعظم ضرركم بما تهدمون من أساس التقوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطائفة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يجمع لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى . طرق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هذا ، ولكن يوجد فيكم من لا يعرف شيئاً من أنبائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم من استقرأ أخباره ، وتبع آثاره ، وجمع كثيراً مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسلام وإحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحبيهم ، ويجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا مقام فيها للاصلاح والاستقلال بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هداية القرآن الذي يجعل

أمر المسلمين شوري بينهم ، وإنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجعلهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم كشأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمراً من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبراء أصحابه كما فعل يوم أحد؟! (وذ كرنا ملخص الخبر فيها في الخطبة ) ألا ان أولئك المستبدن يحاولون ان تكون رتبهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدماً له ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تعبد ، يستخفون الامة ويستعبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

ذاسمة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال «أنا ربكم الأعلى»  
لذلك أقول لكم عن خبرة و بصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى  
الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة  
الشورى، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو  
النيابي، وكان من أعضاء حزبه توفيق باشا ولي العهد للإمارة المصرية يومئذ، وقد  
عاهده على ان يجعل لمصر — اذ يصير الامر اليه — مجلسا نيابيا ويحول الحكومة  
بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشورى المقيد، ولكنه لم يك  
يستقر على كرسى الامر حتى نفي السيد جمال الدين من مصر جبا في الاستبداد،  
وتلذذاً بالاستعباد. ولكن السيد لم يمل ولم يأس، بل صبر ينتهز الفرص، فجدته الايام  
الى بلاد الفرس فاستأنف فيها العمل لانشاء حكومة الشورى ففاه الشاه من البلاد،  
ولقي من البلاء في ذلك ما لم يلقه الا قليل من العباد، ثم قذفت به القادير الى  
الاستانة فأحسن السلطان اليه، حتى طمع فيه، ولكنه ما عتم ان يئس منه، حتى مات  
هناك غير راض ولا مرضي عنه، هكذا قضى حياته في التطويق في البلاد ولم يتخذ  
له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان للسيد مر يدون كثيرين يردون ينبوع معارفه، ولكن لم يصدر أحد منهم  
ريان من مشربه، ويثبت على مذهبه، الا الشيخ محمد عبده، فقد كان هذا الامام  
الجليل تربي تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة، فقد مكث زمانا طويلا  
لا يكلم أحدا، وزمانا أطول من ذلك الزمن لا ينظر الا الى الارض ولا يهتم بغير  
إصلاح نفسه، الا ما كان من درس يقرؤه لآخوانه المجاورين في الازهر، ثم رجع  
الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب، ولقد دخلت عليه مرة يته فرأيت  
يطالع في السيرة النبوية ودموعه تجري على لحيته، خشوعا واعتبارا بما لقيه (ص) من  
الاذى في سبيل ربه، وكان في كل سنة أو أكثر يعتر به تنبه عصبي من إطالة الفكر  
في سوء حال المسلمين حتى هم في ليلة من ليالي رمضان أن يطيع هذا الوجدان فينزل  
الى جوار الاز بكية حيث مجامع اللهو وينادي: أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من  
العييب حتى تركتموه؟ اخبروني لعلي أبين لكم خطأكم. وأرسل الي مرة يخبرني بأن

مرضا ألمّ به فنغه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فجنّته فاذا هو في حجرة النوم  
واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، فقلت له ماهذه الكتب وما هذا المرض ؟  
فقال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المقعدة عن القرآن  
فقد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التنبه العصبي الذي تعرف حتى  
أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبتي أتألم

اشتغل الاستاذ الامام بالسياسة زمنا مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في  
مصر قترك السياسة واشتغل بالأصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى  
عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجيب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد  
بأن طريقة الاستاذ الامام هي الطريقة المثلى لإصلاح حال المسلمين ، ويوجد في  
المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغباوة ، أو تقليد للمرجفين عن  
بني وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية  
الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات ( الاولى الجامدة ) وهي التي  
تحرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتنفر من العلوم العصرية والمدنية الغربية  
وأهلها هم الاكثرون ( الثانية المارقة ) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند  
حدوده في شيء ، وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا الضعيف ولا يرجي منهم  
خير لأمتهم ( الثالثة المعتدلة ) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع  
المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجي منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون  
التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم مجلة المنار . وقد  
كتب اكثر من واحد من الافرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد  
كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتنا أيها الاخوان في الاصلاح . نريد ان نجتمع لأمتنا بين مصالح  
الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الافرنج واعترفوا بفائدته فلا ينبغي للمسلمين  
انفسهم ان يجهلوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات العصرية التي تقوى بها

أمتنا وتميزها دولتنا . ولا يكون الخير في ذلك تاما لنا إلا اذا أقننا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الأمرين ، فنحن اذا لم نجمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا تقوم لنا قائمة . فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا اليها حكما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو اليها المنار ويناضل عنها ، وهو مستعد بمهونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدنية الصحيحة وبين الكتاب والسنة ، ومن اشبهه عليه شيء في ذلك فليكتب اليه به يفصله له تفصيلاً

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الاقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الأستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إليّ يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه . فهم على علم بطريقتنا في الإصلاح على كون المنار كان ممنوعا عنهم وقليلا يصل الى الأستانة جزء منه ، فندعو جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان الى هذه الطريقة بل ندعو اليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لسكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمته في دينها ودنياها ، فمنهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعده بحاله ، ومنهم من يساعده بماله ، والسلام على من اتبع الهدى » ورجح العقل على الهوى ، اه ما كتبه ذلك الاديب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاتته

(استدواك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازما عليه من التنويه بصديقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الاصلاح الديني والاجتماعي بكتابه ( سجل جمعية أم القرى ) والاصلاح السياسي بكتابه ( طبائع الاستبداد ) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه

## الانقلاب العثماني (\*)

### ﴿ تركيا الفتاة ﴾

٢

بروتوكل لندره ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك ( اوت افندم ) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم - والحق يقال - فئة عارفين بمصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لندره وليس للدولة العلية مندوب معهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارث ( مارس ) سنة ١٨٧٧ على ( بروتوكل ) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقدا الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لتكون لسانهم سلافا ودينهم مسيحيا !!! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان ( ابريل )

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون تتيحتة اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزيتها ، وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

( \* ) تابع لما نشر في ( ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١ ) من رسالة محمد روجي افندي

الخالدي العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لائحة مؤتمر الاستانة ، وكانت اكبر الصعوبات من  
 المسرة المالية ؛ وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين  
 على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحماسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ،  
 وكان مبعوثو الأرنالوط المجاورة بلادهم للجبل الأسود أشدهم اعتراضا ، وقام  
 بمبعوث الأكراد فقال ما ملخصه : تزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا  
 تصديق ذلك وأتم في هذه البهجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن  
 الاثاث والرياش والعربات والخليل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا  
 بؤس الصيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لما كنت في بلادي لم يكن علي إلا  
 البسة مرقعة بالية بكمية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتمكم ترتدون أحسن  
 الالبسة وتتألق على صدوركم النياشين المجوهرمة خجلت من نفسي فاشتريت الثوب  
 الذي ترونه علي من سوق الدالين !! وأنا مرهق ، لا من المخازن الكبيرة وأنا  
 موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحافظة عليه تقضي علي ببيعها فأنا أبيعها وأنا  
 منبوط وأعود الى ثوبي المرقم .

ثم قال الرئيس في ختام المذكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل  
 لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية  
 عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ابلي ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة  
 مؤرخة في ٩ نيسان ( ابريل ) سنة ١٨٧٧ احتج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم  
 بدون اطلاعه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على  
 ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة  
 باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب  
 العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاكوف في بطرسبرج بنشرة رفعها الى  
 الدول في ١٩ نيسان ( ابريل ) مضمونها : ان الباب العالي وفض اجراء الاصلاح  
 الموعود به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى إيفاء واجباتها نحو  
 الاهالي المسيحيين !!!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاحات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطا لحقها  
وايزراء بشرفها وعبئا باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس .  
وصارت الفشرات ( سيركولير ) والمحمرات السياسية تنطير من عواصم أور باوالانذارات  
( ميموراندم ) والمذاكرات تنساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا  
بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان ( ابريل ) سنة ١٨٧٧

مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه

بمآ المجلس بعد ذلك في لأئحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذك  
في اللأئحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء يتخب نصفهم من المسلمين  
والنصف الآخر من المسيحيين ، فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي  
هو داعية للتفريق ، وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم ( عثمانين )  
بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاكثرية في مجالس الادارة تكون  
من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدفتردار ( رئيس المحاسبة ) والمكتبجي  
ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ، وطلبوا إخراج المفتين من بين الأعضاء  
الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحيين .

فقال الرئيس : ليس للمفتين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحيين ، ورغم انتشار  
هذا الزعم الفاسد فالفتي ماهو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشريعة ،  
وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ، وانما هو من  
علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم ( Jurisconsulte ) واعترضوا أيضا على  
تسمية ( متصرف ) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد  
والاذلال والاستعباد ، فهو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين  
عن احوال معسكر الاناضول وقصان التجهيزات العسكرية ، وعلى تعيين احد الخدمة  
قائمقام وقد كان ( شوبجي ) اي حامل قصبه التدخين عند بعض الكبراء ، الى  
غير ذلك .

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدريج بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فحاولوا اقتراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ما طلبته الحكومة منه ونختم جلساته في تموز ( يوليو ) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا الينا مبعوثين او فر عقلا و كثر وقوفا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبدايتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياستها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم بنظر الوصي إلى الصبي !!!

#### الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر ( نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧ ) وبرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة ما دل على حياة الامة وفتوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الإدارة كانا سببا في انتصار الروس في أوروبا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة ( الدانوب ) وجبال البلقان ، وأخذ القصر ومحاصرة ارضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلغنا في الروم ايلي ، وقد أظهر عثمان



باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم  
وقدروهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الأعداء » ١٠ كانون الأول (دسمبر)  
سنة ١٨٧٧

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضعفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة  
من الاموال ، لكثرة الإنفاق وانقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ،  
فقرر إعادة التمام مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض  
لوندرة ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمر ( أوامر ) مؤقتة لا كما  
يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ٧ ذي الحجة سنة  
١٢٩٤ و ١٣ كانون الأول (دسمبر) سنة ١٨٧٧ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء  
الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية  
الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة  
العلية السلطانية أدهم باشا الصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجالس  
العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة  
وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان  
عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا  
ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق  
من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من  
ناحية اليمين على صفين ، واطراف مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة  
صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم  
الرقم المشتمل على نظمه السعيد باشا ما شكاتب الماين فتلازه على الحاضرين وهو :

« يا أيها الأعيان والمبعوثان

« اني اكتسبت الممنونية بفتح المجلس العمومي وبشاهدة مبعوثي المسلة ( الامة ) — ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على المليّة أي القومية واللغات وحتى المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين — وختمه بقوله:

« يا أيها المبعوثان

« ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمان منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة ارباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي ( وهو اليوم باشا من النظار ) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول ( ديسمبر ) وكانون الثاني ( يناير ) وأوائل شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدل بين المبعوثين وبين الحكومة — لا بين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان — وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة ( فرسان الشرطة ) في الولاية التي بعثت منها تنهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على ابطال الحق وإحقاق الباطل ، والضابطة تهذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد المساكر ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية « إن اعتزال أدهم باشا مدة للأعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته ودرايته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى . . » الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوماً ، وفي غرة صفر سنة ۱۲۹۵ و ۱ شباط ( فبراير ) سنة ۱۸۷۸ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب ( مصدر أعظم ) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية ( تبعة ) الوكلاء أي النظر كما هي الحال في وزارات أوروبا ، فحضر ( الباش وكيل ) الأخم إلى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي احكام القانون الاساسي ، ولذا استبدلت رياسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسئولية لا ترغب الا في سلامة الدولة وترقيتها ، والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، واكنهم يرجونه ان يقبل في بعض الاحيان وكلاء عن اعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم . . . » فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

ان مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة إحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، تقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الاساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لأننا نحن الذين نمثل القانون الاساسي ونحافظ على احكامه ، وأنتم الذين تحاولون تقضيه وإبطاله . . . » فأحيلت المسألة على قوميسيون مخصوص ليدقق فيها في ۵ شباط ( فبراير ) وكانت الحرب أوشكت أن تضع أوزارها ، وعسا كروسيا استولت على أدرنه ونجاوزتها ، وطلبت اوستريا ( النمسا ) أن يجمع في فينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتقبح المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، وانتوفيق بين احكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبمقت

انكلترا بأسطولها الى بحر مرمره في ١٤ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨

### المجلس العالي

تداخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعدن الى المناقشات والمفاوضات — على عادتهم — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما يبين من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحانيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الأستانة وهو الحاج احمد افندي كتبخدا الاسترجية ( الككش ) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فمجلس المبعوثان يتنصل من كل تبعه تلقى عليه الامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعه في الحال الحاضرة .

### تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وجنح لسياسة جده السلطان محمود خان في أعمال القهر والاستبداد ، منفذاً هذه السياسة اعتقاداً منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسييرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الأستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان نخلو بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، ففي ١٤ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية التفاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!!

### استنحاء المبعوثين والاداة لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعزرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطة المتطرفين منهم بالخسوفين على الكلم وإيقاظ افكار الامة وجوب المهاجرة من الأستانة !

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية . ولم تعلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان ، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات ! كأنها جمل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجري  
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا تكبر

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كبعوث القدس الذي كان - بجزائه - يثبت على بطاقة الزيارة ( كارت فيزيت ) انه مبعوث القدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لهم في الاستانة ، والى سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوروبا . ولما اجتمع بصديقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشي المقالات الرنانه في جريدة الدنيا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبيل وفاتها - آخذة لكتابته في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق ( Ex - Député ) فحكا كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة وانتخابها ، فهي لا تزول عن صاحبها إلا بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلقاء وانما عطل الى اجل غير محدود ، فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكنات الجائزة عقلا ونظاما . ولكن اكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها ، ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكرهم بها مذكرا ولا وعظهم واعظ !! ولا حيرت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر استحوذ عليه الامة بالغلبة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، ولقد كانت الامة حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب ، لا دار الا وفيها أتم ، ولا اسرة الا وقد أصابها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البجران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات ( النقود ) فكانت الاسرة تبعث خادها الى السوق لشترى القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فتطوي على الجوع وتفتت اكباد الوالد

ليكأه اهلناهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات والقري ، والعساكر المنظمة ، المدربة على الحرب ، المسلحة بالاسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الاستانة ولا سيما المسلمون فإنه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لأن جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عائنون في ظل الموظفين ، والعساكر المسلحون واقفون لهم ولاهل الولايات بالمرصاد ، وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن العساكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لان قيام كل ملة على انفراد يقضي بتقسيم الممالك وتفريقها وضعفها ، وإثارة اضغان العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والأديار بإيعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفظائع ومداخللة الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخايل شريف باشا فإنه لم يكن في عهد مدحت باشا الا فئة قليلة من صفار الموظفين وضباط العساكر والمعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سميد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك ، روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الأوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا الحجري ، ونوري بك ابن المرعي دوشاتونيف الفرنسي ، وكثير غيرها ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوريات وربوا أولادهم تربية أجنبية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدينة الأوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المعنوية الفكرية ، لأنهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطروهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لا مريهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

( التاريخ ١٠١٠م ) حادثة جراجان . استبدال الصدارة بمجلس الوكلاء ٧٥٣

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الأوربية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الإسلامية ، وشتان ما بين المدنية الأوربية والدين المسيحي ،

سماوي أفندي وحادثة جراجان

على أن بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعامة علي سماوي أفندي ، وكان من طلاب العلم المعروفين بالصوفيات ، مطلعا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الأفكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفر إلى باريس ولوندره ونشر في الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيما مما ينفحه به بعض رجال الأستانة ، ثم عاد إليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الأساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الأرنؤوط أحد الضباط وجمعا فنة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهجموا على سراي جراجان لاجراج السلطان مراد منها ومبايعته ، واسترداد الحرية والقانون الأساسي ، ففاجأهم الصاكر بالسلاح فشتت شملهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رياسة صادق باشا لمجلس الوكلاء .

صدارة رشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لبث احمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فكتب فيها فقه الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لها خير الدين باشا الجركسي الاصل والتونسي النشأة ، وهو مؤلف التاريخ العربي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، ويجول في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الأفغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ وبقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقي

( المجلد الحادي عشر )

( ٩٥ )

( التاريخ ١٠ )

جلس بيته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الأستانة. فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمة والعباسيين ، وهو مخالف لحقيقة الاسلام ، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية ، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالأمر ، ويحول بينهم وبين مآربهم ، وهو اشد وطأة عليهم من القانون الاساسي وحزب تركيا الفتاة .

صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير ( كجوك سعيد ) تمييزا له عن سمية ناظر الداخلية الكردي الاصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محررا في جريدة «حوادث» فاتصل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته الماين وصار باشكاتب له ، وهو المنسب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الاساسي ، وإعلان الحرب ، وعزل القائد (السرदार) عبد الكريم باشا وإخلائه موقع (بيله) امام بلغنا ، ومدخلة الماين في إدارة جميع الشؤون العسكرية ، واصدار الامور من السراي السلطانية اثناء الحرب ، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستافانو التي تقعتها معاهدة برلين . الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب الماين وتوقيعه ، ولهذا كان مفوضا من حزب تركيا الفتاة لانه كان آلة وعونا على الاستبداد ، وعلى ادارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع أن باشكاتب الماين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة العظمى ، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضابط والمقررات والانهات واستصدار الارادات السنية بها ، ولم يكن لباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في ادارة المملكة ، ولا سيما في أيام رشيد باشا وفؤاد باشا وعالي باشا ، فلما توفي عالي باشا وتولاها محمود نديم تدنت اهميتها بسبب نفاقه وتملقه للماين وتهديه اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حماب . ولما ولي سعيد باشا باشكاتبه زالت اهمية الصدارة بته ، وانحصرت



الاعمال والادارة في المايين ، وصار للباشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا الصدر الاعظم الى المايين ويبلغه الارادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين !!  
تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالزاهة والاستقامة ، فلم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهم والاستبداد فيهم ، ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف إيرادواف من واردات الحصة التي أضيفت الى الاعشار ، ونظمت نظارة العدلية وأصول المالية ، وأسست إدارة الديون العمومية ، وبوشرفي مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الطرق والمهاجر ، من دون ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور الاخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف أحكام القانون الاساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب المايين ، لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكامريلا - لانه نشأ وتربى في المايين - ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكاتبها ، وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك أعمال سعيد باشا موضعا للريبة ، وكثرت الوشائيات به فصار مبعوضا منفوراً منه ، ووضعت عليه الميون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم للترجمة في المايين وانجمن التفتيش ( مجلس التفتيش ) والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها ( ١ ) على زعمهم وبحسب اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجنبية في الباب العالي . هذا ما عدا دوائر وشعب الخفية ( الجواسيس ) المتعددة المحدثه التي مركزها في المايين تحت نظارة السرخية ( رئيس الجواسيس ) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في الحقيقة والواقع فذهب بإصلاحاته ادراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب احتلال البلغار للروم ايلي الشرقية ، واصمراره على ارسال العساكر كما تصرح بذلك معاهدة برلين ،

صدارة كامل باشا الصدر الحالى

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الحالى بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص وعمره في مصر وطنا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الأجنبية و بإدارة الدولة ، لانه تقلب في جميع وظائفها ، فن قائمقام الى متصرف الى وال الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آله في يد المايين ، مطيع لما يلقى عليه من الأمور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريبة في أعماله وشؤونه مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا و ضعف الدولة

لمولي الصدارة جواد باشا قوبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يخطر تعينه ببال ، لانه من أمراء العسكريين وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من النابتة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كانت الغرض من تعينه هو الإيهام بالعود الى الاصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه !! ، كما كان رئيس الوزارة الالمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسئول امام الريشستاغ ! فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المايين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافعة ، وكانوا يتناولون الرشي من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بانزاع الممتلكات من أيدي أصحابها بالثمن البخس ، وإقامة الموظفين فيها بعرضون بنفوذهم موظفي الحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المايين حكومة صغيرة قرية !! داخل حكومة كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة نقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية !!

## الجاهلية في الدولة العلية

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تندهور بسرعة إلى دركات التأخر والانحطاط، بعد أن خطت خطوات حمودة في سبيل التقدم أيام صدارة سيد باشا، واقطع أمل الأحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد أن كانوا يؤملون تخليص الدولة والمملكة من المرض الذي منبتا به قديما . فاضطهد هؤلاء الأحرار واهينوا وعوملوا أسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد المذاب الوجعاني والأدبي، وصار أمر الدناءة والفساد يقتربون إلى المابين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ؛ ومنهم من تجسس على أمه وأخيه ففنيا من الأستانة ، فكانوا — بمقترياتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الأعظم كالوحوش الضارية تريد اقتراسه وتزع تاجه ، ويزينون في عينه الاستبداد ، ويعيدون عنه الخيرين بأمر الدولة العارفين بطرق الإصلاح ، زاعمين انهم من ذوي الأفكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الأحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الأصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت إدارة الأمور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت إلى التسلي والانهطاط ، رغم الأبهة الظاهرة ، والعظمة الكاذبة ، ولا سيما في موكب صلاة الجمعة إذ تصطف المساكر في ساحة المسجد الحيدري امام باب السراي صقفا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الأجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي وده المشيرون وكبار رجال المابين حاقون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الإيمانية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا ، وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم ياشين الجوهر تحطف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والعسكرية ( الخفانية ) والالية والمشیخة الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة ، ويقسمونها هم وكبار الموظفين ، فمن اشترى وظيفة بمئة

أيرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله يارهاق الاهالي وظلمهم  
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليهما !!

الميل عن: نكلترا الى المانيا ، الحوادث الارمنية

انحرفت سياسة الماين عن انكلترا الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير  
الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو المانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقسر  
الاستبدادي ، فجنح بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم  
السرية التي في لوندرة ، و اشار عليهم بعض رجال السياسة كغلاستون بالقيام والهيجان  
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذاب البغار هاجت الافكار العمومية في أوروبا ،  
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البلغار والجل  
الاسود والصرب . و يساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين  
فقد جاء فيها ما معناه « تعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات  
التي تقتضيها حال البلاد الداخية في الولايات الآهلة بالارمن ، وبمحمايتهم من الجراكسة  
والاكراة ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في  
هذا السبيل للدول المشرفة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية انقلابية ارمينية (١) لتحرير الارمن التابعين  
لادولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها  
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الانقلابية والسياسية ،  
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .  
فأحس احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشاوروا ، وخبر بعضهم  
كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا محل لاصلاح ولايات ارمينيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، فالواجب  
طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة  
الحاضرة ولكن انظروا والاستبداد يساهم وجهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تألفت جمعية هنجاق ارمينية ومعنى اسمها الجرس

والاترك وعموم المسلمين والمسيحيين ، فانهم جميعهم يثنون تحت اثقال التكليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وحسد هم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقعدهم عن زرع الأرض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد، وان اتفاق الأرمن والأتراك على القيام بطلب الإصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والغبرة الوطنية ، ولكن قيام الأرمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيبه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية وضرا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الأرمن كانوا لدى تجنسهم بالجنسية العثمانية لا يزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الغنى والثروة والرفاه ، ويدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق واتلاف تام مع الأتراك حتى اذا أطلقت كلمة « ملت (١) صادقة » لا تنصرف إلا الى الأرمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والأرمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طاب بعض احرار الترك من معتبري الأرمن وعقلائهم إفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوروبا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبد التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا الصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالإصلاحات في جميع أرجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل المهادنة والإرجاء ، واوروبا -- ولا سيما انكلترا -- واقفة للدلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فن الحادثة الارمنية

(١) المنار : يراد بكلمة « ملت » عند الترك الأمة ، والملية هي القومية فكل ما يرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكره على اننا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيرا لها

## ٧٦٠ جمعية الأتحاد والترقي . مبادئها . أحمد رضا بك ( المخرج ١٠م ١١ )

الى المشكلة الكريديفة الى المسألة المقدونية وهم جرا . . . ورجال الماين أكثرهم جهلاء  
أغبياء ، لاخبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم  
شياطين ابالسفة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى  
خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخوفون السلطان من حزب تركيا الفتاة ومن  
القيام بالاصلاحات . ويشيرون بانخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من  
المذابح والفظائع التي نسبت الى الاسلام ، والاسلام يبرأ الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لاآي الحق ان وجبا  
والمرء يعيه قود النفس مصحبة للخير وهو يقود العسكر اللجبا

### تأسيس جمعية الأتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الادارة والاستبداد والسف بالامة أن تأسست  
في الاستانة جمعية الأتحاد والترقي لأتحاد نار القتمن المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية  
والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامم — المؤلفة من  
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بعثت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)  
فريقا من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطبية — الى  
باريس ليؤسسوا فرعا للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في  
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على نفقة  
الحكومة العثمانية او نفقة اخصه ، و بعضهم يدرس ويشغل بالمسائل السياسية وأشهرهم  
احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

### احمد رضا بك ومبادئه . جمعية الأتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاستانة منذ خمسين سنة تقريبا ووالده انكاز علي  
بك وأمه مجرية ، وسمي انكاز لعله الانكليزية ووقفه على المدينة الاوربية كما  
مر يانه ، والا فهو من الاتراك المسلمين وكان من معتبري المواطنين الذين نشأوا  
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فتخرج أحمد رضا بك في مدارس الاستانة

وعين مديرا للمدرسة الاعدادية في مدينة بروسه فأحس من نفسه بلزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدنيتها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شقوي بك الذي كان يصدر جريدة « استقبال » في ايطاليا ثم في فرنسا وهو من رجال السلطان مراد . وكاتب رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لأئمة منصلة مشتملة على رسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لأئمة مصطفى فاضل باشا ووصيه فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرها من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أسباب الانحطاط وعلة الفلسفة .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوكوست كونت وخطيقته يبير لافيت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم التفاني في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينفرون من الانغماس في الشهوات وتبذير الاغنياء لان المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون النكير على الذين يتزور الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويصبون بالحقوق العمومية ، فالرتكب الملوث بالرشوة يعدونه ساقطا مما بلغ علمه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبادئه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزى بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الاذى والمكاره ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قائلا : لو وضعتم الشمس في يميني واتهمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » ود فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتمصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح ادارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في ككل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الأهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع موج في بيت صغير ( Appartement ) في الطبقة السادسة فقصد اليه الوفد وذا كروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عزمتم على شيء فاني لأرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة اليزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو ادارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طبية لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

#### معاكسة المايين للاحرار في اوربا

أم باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العاظم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا ما دب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت هم رجال المايين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب تعط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة . وكان العطاء حاتما



بل اكثر، كان سلطانيا شاهانيا!! وصار طلاب الوظائف والمهزولون يقصدون باريس  
فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم . ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين  
لم يبلغوا الخامسة عشرة ، والتونسيون حتى الاجانب من الصليان والبونان ، واصبحت  
سفارة باريس مرجعا للجميع كاهل اعظم دائرة من دوائر الباب العالي!! . واقدم الجرائد  
التي ابطلت جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضوا في شوري الدولة ،  
ففسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة عقابته ، وكثرت في سبيل الوصول الى ماوصل  
اليه . وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية  
والالبانية وغيرها ، منهم أصحاب صدق وقناعة ، ومنهم ذوو طمع وشعوذة . ورجال  
الدولة يتقربون باسترخائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بجلب  
اهل الظلنة من الشيوخ واصحاب الكرامات كالمرحومين الشيخ ابي السهود من  
القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان ، والشيخ السن من صيداء والشيخ  
العمري من طرابلس الشام ، وكذا المشايخ الذين كانوا في المايين وخاتمهم استاذنا  
الشيخ حسين الجسر مؤلف الرسالة الحميدية . فلو اطلمت على تراجم هؤلاء الشيوخ  
ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتقاء الفكر التدريجي الذي  
حدث من عهد السلطان محمود ، ولرايت للانقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية  
التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا ايبصال الشككية من سوء الادارة  
الى مسامع الحضرة السلطانية ، وافهام الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بأن  
لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي ، فكادت أوروبا  
تعتد بوجودهم كما ظهر من التصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة «مشورت»  
يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيراجيه القاضي  
بالساح عنه . وبيدنا كان المايين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا  
الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واتعادة القانون الاساسي واذا بالتملكة الكريدية  
ولدت الحرب بين الديانة العلية ونيونان ( نيسان - مارس ١٨٩٧ ) ونم النصر فيها  
للمساكر النممانية فأخذته المرة بردام على سياسته الاستبدادية وقعدت همه الاكثريين

من حزب تركيا الفتاة فخصوا لاحكام الاستبداد جبراً وقهراً، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذاباً شديداً بسبب غملاء أوروبا وكثرة الأتفاق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من عليهم باللغة التركية أو العربية ومعاونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدهم بشيء ، الا بعض الأبراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم أمدوا بعضهم بالاموال وكانوا عوناً لهم . اما الجمعيات الارمنية والمقدونية الانتقالية فان أصحابهم وأغنياء أمتهم أعانواهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علت عما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جمعية الأتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان الميانيين لجمعياتهم هو موت النعرة الوطنية في نفوسهم وقد الحماسة القومية وكونهم لم يفقهوا معنى الاجتماع والتعاون .

#### غرور المايين واستئصال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية السمانية فتوة الامة العثمانية وحميتها وسلامتها من عوارض المرض أو الهرم كما يصفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد العساكر وكفهم عن النهب والعبث بالأداب وغير ذلك من الافعال الهمجية ما يخلد لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوروبا

زاد غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصوره ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لاعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الانتفاة والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينتقل من الباشكاتب الى السكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحمة) الى شفي آغا الى لطفي آغا الى فهم باشا الجبار العاني . أولئك الذين ألفوا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذنب حيران ، حتى لم يعد لأحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أميون ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بله غيرها من لغات أوروبا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثر الخطأ السياسي وسوء الإدارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

( لها بقية )

## البلاد العربية والسكة الحجازية \*

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظمها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الامن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بقاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصبا ، ولهذا كانت تسمى قديما (العربية السعيدة) الا انها محاطة بصحاري رملية منخفضة شديدة الحر قليلة المياه ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحاري ورمال مع ان هذه الصحاري لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين إلى مئتين ميلا يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال الثروة وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وضما

(١) المار : الشفرة في اللغة العربية هي الحاطبة بالارقام بطريقة لا يعرفها الا المتخاطبان وهي مأخوذة من كلمة ( جفر ) العربية

(٤) بقلم رفيع بك العظم المورخ المشهور

حيث الوديان الفسيحة الخصبة والسهول المكسوة بالخضرة والجبال ذات النايح  
الغزيرة والاشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع  
لهم المجال وتساعدهم الحلال ومع هذا فان بلادهم مفتقرة الى اصلاح كثير  
وعناية من الحكومة كبيرة، لتقد الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنبات أنواع  
الزرع وقصد الراحة والامن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام  
وتزعج بين الخاكم والمحكوم له كادت تنفضي الى خراب البلاد

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران  
الطبيعية ثمة لا كان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم ببضعة عشر مليوناً من  
الديارات ، وأهم أصول الاصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة  
والاهليان هي :

(أولاً) إن مياه الامطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكون مجاري وسيولا  
لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الارض  
على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار ، فاذا تبعت مظان هذه المخازن وحفرت فيها الآبار  
ثم استكثر من عمل الخياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا  
دائمة في أكثر اطراف اليمن ونحوت تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة  
دائمة بالزرع والضرع ، ويساعدها على ذلك ما منحتهما إياه الطبيعة من قوة الانبات  
والخصب ، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن  
والقمح والنبات وأنواع البهارات وغيرها ، ويمكن ان تزدرع في السنة ثلاث مرات  
ويؤتي ثمرها ثلاث ثلاث ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنبات جميع أنواع النبات  
التي تنبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كاليمن اذا بلغ نظام الري  
فيها ما بلغه في الهند منهم فإنه يكف بلا ريب من اثني البلاد العثمانية  
بمجرد ما يمددوا بشبكة الحكومة والاسابن اذا أضيف الى ذلك تمية

بمجرد ما يمددوا بشبكة الحكومة والاسابن اذا أضيف الى ذلك تمية

والثالثة تعز، لكي يتسنى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشرفا حقيقيا يضم اليه اطراف البلاد المتناثية وينشرواية العدل والراحة والأمن على كل البلاد ، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الأتراك ، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عزمت عزما أكيدا على اصلاح البلاد اليمنية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

( ثالثا ) إصلاح مرفأ الحديدية وجعله مرسى امينا للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدية الى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدرج بقدر ما يمكن مالية الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الارحاء يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الأرضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات ، ولقد عرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب ويظن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم ينزل موجودا بكثرة فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعاً منه ممتزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كأن استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسعى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجه فعاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

وعما لا ريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليمني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة والدولة خاصة ، فانها متى بانغت مكة ومد منها ناشط الى جدة سهل مدها الى الحديدية عن طريق القنطرة أو طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديدية الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وافصاها في الشمال ، وأقرب اتصال بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك الموالي مده من حلب ، وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا يتكر قدره ومنفعته ولا سيما بعد

ان صار البحر الاحمر مزدهرا لعدة دول اجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية  
ويجدر بنا أن نطلب من رجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور ، وفي اصلاح  
شؤون بلاد العرب والتوفر على عمرانها . وقد يرون ان الدول الاجنبية تبذل مزيد  
الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها  
وضف الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمرانها والانتفاع من  
ثراتها كستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فما أحرى الدولة العثمانية بأن  
تنافس الدول بقطر عظيم فسيح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل  
العمران اذا أعطي كل العناية والالتفات ونال حظا من اصلاح عظيمها ، ولاسيما في  
عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة  
العثمانية جماء ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي نتمنى أن تكون خير واسطة لعمران شبه  
جزيرة العرب في مستقبل الايام اذا اتصلت باليمن فقد انتهى منها الآن قسم  
عظيم وبلغت المدينة المنورة على ما كنا الصلوة والسلام . وقد افتتح هذا الخط  
باختقال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لاتمام الخط الى مكة  
البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها معدة على ما نعلم ، وطول الخط من  
دمشق الشام الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة وكيومترات يضاف اليه الخط من  
حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا ، فيكون مجموع ماتم من الخط الى  
الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين  
ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة  
وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٥

كيلومترا

والخط يمر من الشام الى معان في سهول منبسطة وأراضي خصبة مشهورة فيها  
القرى الآهلة بالسكان ، الا ان حوران أكثر سكانا وعمرانا من معان وربما كانت  
أراضي معان أخصب من أراضي حوران



## (المنار ج ١٠ ص ١١) السكة الحجازية . الأراضي التي تجتازها . محطاتها ٧٦٩

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواء وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فانها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ مترا وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شي . كثير ومنها الملعب ( Amphithéâtre ) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر ( بلاطة ) وهي أعجب وأبدع ما رؤي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان و عمان أكثرهم من عرب البادية ويشتغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى لمهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجملها بقاعا . ولقد هم كثير من الناس بابتاع الأراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان و عمان لحياء مواتها واستغلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الأراضي الفسيحة الى الجفالك (المزارع) السلطانية أو يستأثر بها أفراد من المقربين ولم يكن شي من ذلك الى الآن . فارجو ان توفق الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استثمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين واذا مضت المدة ولم تصح الارض وتستمر سائح للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيرا من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الأراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همه الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل ( ورشة ) لاصلاح القواطر ومحازن للسكة الحديدية ، ويلبها في العظم محطة تبوك والأراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلا فانها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفواكه والنخيل وتوجد في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها بارعون في فن الزراعة لان أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن



الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة. ثم يعودون الى بلدتهم لاجل الأعمال في الارض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنهم من التوسع في إنشاء الحدائق والا كثار من زرع أنواع الفواكه والبقول والأبجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزرع النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لاتفحوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوها لا يناسبها في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمدَّ ناشط من هذه السكة الحديدية من مهران الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلومترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذلك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كسير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهمة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لارجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على اتمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مضاعفا جزاه الله وكل العاملين لانجاز هذا الخط خير الجزاء

## باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر واخبار الاحاديث والسنة ﴾

رد على الأستاذ الفاضل الشيخ صالح البافعي (٥)

(الكلمة السادسة) — في التواتر

أهم ما يطمئن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد للتعليم والحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرائن أخرى قطعية فهو هؤلاء الآحاد الذين كان يعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها أن يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والنسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات يحققوا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والاعتقاد بهم وقيل أن يحققوا ذلك لأنجب عليهم طاعتهم ولا الأخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد تيقنهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنهم مطيعون لله ولرسوله ولأولي الأمر فإذا قالوا لهم إن الرسول قال كذا فاعملوا به ووجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لأنهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لأنهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا إذا علموا بكذبهم وحينئذ يرفعون الأمر إلى رسول الله فيحكم بعزله عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو هؤلاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لأمر يسمعون منه من أولياء أمورهم

(٥) تأييدنا لشرفي (ص ٨٦٦ ج ١١٩) من مقالة الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي

بأدائهم فيأخذون به و يسمون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أول  
قوله فالعهدة فيه على روايته

فإن قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن والإكيد  
يوفق بأن هؤلاء القوم لا يلبثون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت إن الرسول إن لم يعلم ذلك  
بما يقى الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن أصحابه البصيرين عنه  
كأهو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والايان  
وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمانا طويلا حتى علم اخلاقهم وأماهم  
وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدنا — وإن كان  
ظنره أضعف من نظر الرسول — بصدق صاحبه واخلاصه بعد معاشرته له زمانا طويلا  
في أحوال مختلفة . وإن بقى في النفس أدنى شك في ذلك أو يجوز للخطأ أو النسيان عليهم  
فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات منقطعة عن المسلمين بل كان بينهم  
و بين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين  
مرات عديدة في السنة للزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك وينهب اليهم  
المسلمون لمثل هذه الأغراض فاذا حاد المبعوثون عن شيء مما تلقوه عن رسول  
الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ  
أو يعزهم او يعاقبهم . فبالوحي وبقوته الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمانا  
طويلا وبأخبار الناهيين اليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ  
عنه في تلك الجهات ومهيئا عليه فان حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به  
مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا  
قليلاً فينمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية  
في مبدأ الدعوة حتى يم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا  
متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع  
معلمي المدارس وتلقينهم العلم عنهم وعملهم به فإن الأمة رقية عليهم فإن أخطأوا في  
شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يصل الى علم الأمة وأولياء أمورها فيتلافونه  
في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا لان رواها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى يجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الأمر ولم يتم رقيبا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الحالتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إلفات نظرهم إليه وتبنيهم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الإيمان لاجلها إلا بعد الثبوت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتمهيد للدعوة الحقيقية بوصول الدين إليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته

والخلاصة أن القرآن الشريف يندم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن ان الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان أمرا لهم بما يندم به غيرهم ويلومهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة الرابعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الاخذ به في الدين فدلينا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) - معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنة صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدقته صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلانزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالاتنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وانفردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن ديناً عاماً لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت اليهم لاحوال خاصة وظروف مخصوصة أو انها كانت للإرشاد والندب لالوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاماً بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ ( السنة ) ولفظ ( الأحاديث ) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيداً حتى لا يقع في الخلط والخطب . وقد أدرك الإمام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل أهل المدينة على الأحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صححت أسانيدها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما نسية الأحاديث مطلقاً بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالاتنا الى تقييد لفظ السنة بقولنا ( العملية ) فان السنة لا تكون الاعمالية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأ يجري عليه العمل دائماً فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلاً قد أكون متبعاً لسنة الاستاذ الإمام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعاً سنته فان سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لافي التزام كل قول من أقواله التزاماً أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الأمور الدنيوية المحضه وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصاحفة في زماننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعاً سنته صلى الله عليه وسلم فان سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الأخبار المتعددة المصادر المختلفة المعنى المتحددة المعنى وكما جرى عليه عمل كبار المسابن وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوحى به إليه في ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وليس سنته في الجور والاعتقاد

## ( المارج ١٠م ١١ ) السنة النبوية حقيقتها . آراء الأئمة في أخبار الآحاد We

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كانت أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لا رأيهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنته فان سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح المباد ومجري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبعد ثمانه بعض أقوائه وبعض ما حكم به مراعاة للمصلحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة وفقنا الله لطبها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور تعلم من نصوص الكتاب العزيز وماتواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة . سنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والاقداء به والجرى على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا اقتطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

( الكلمة الثامنة ) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها

وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما معناه : إن الأحاديث الواردة في تفسير

عبارات القرآن الشرف لا أصل لها . كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الأتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل

بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين « إنها غنية »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في العقائد »

(٦) وقال كبير من الأئمة كالكافي عياض «إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة ولو كانت موثوقا بها»

(٧) وقال جميع المحدثين «إن الموضوع منها كبير وتميزه عمير وفي بعض الأحوال مستحيل» راجع ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس «إن الصحيح منها قليل جدا» حتى أنه لم يأخذ إلا بصفة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه «إن عمل أهل المدينة مقدم عليها» وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون النياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تاقضها كبير ومعرفة ناسخها من منسوخها عمير أو مستحيل وكذلك

أكثر أسباب قولها

(١٢) قام الدليل الحسي على أن الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل

والزيادة والتقصان

(١٣) لم يجسها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يلقوها إلى الامم بالواتر مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الاسلام

إلا لضرورة

(١٥) أهم نبوا عن كتابها وأمرها بالحراق ما كتبه منها كافي الروايات التي

صحت عندكم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفعالهم أقل الناس حديثا ويصدقون عنه ولو كان واجبا لا كان

هذا حالهم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجروه كما فعل عمر

بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوا له جنون كافي كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أهدى إلا خالف في

مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يعتن المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأبي فائدة منها ترجون ؟ وأي ثقة بها تتقون ؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدعة حتى أرمى بالكفر أو المروق ؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن تقدر أخبار الآحاد قدرها ولا يعمينا الجهل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ الياقبي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وباملأته على ما عرفوه إذ ذلك من أنواع القرطاس ( كل ما يكتب عليه ) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سورته مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وانما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد ( كالورق الآن ) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتابا ما كان معروفا لهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو رقي في الصناعة التابع لرقبهم في المدنية بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعلموا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثناث ( راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المنار ) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدينية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الأخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتابا كما أنه لم يوح اليه بتعليمهم أي



صناعة أخرى بل تركوا شأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان  
والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول  
وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجازاة الترقى في الصناعة .  
وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت  
الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الاحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلمه الواسع  
استاذ المثار فلا حاجة للتكرار

( الكلمة التاسعة ) - أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي -  
إعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالاقناعي) وذلك ان محتج على الخصم بما هو مسلم  
عنده كأن محتج على النصراني ببعض ما في الإنجيل الحالي وان كنت غير معتدله .  
فأنا أورد الاحاديث غالباً لا لا ثبت معتدي نفسي بل لا تقع من لا يقع الا بها  
ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فما اذ كره من الاحاديث إما  
لاقناع المسلمين وإلزامهم بها او التأكيد من الأدلة بضم ضعيفها الى قواها ليقوى بها مع  
استعمال مبدأ الاستنتاج والتقدم فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المصريين  
فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت  
من الاساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجاهل من الحقائق بعد ان يستنبروا في  
دياجير ظلماتها بمصاييح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين  
حكاياتهم شيئاً من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويتقنونها من  
وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ما التقطوه بالاقيسة المنطقية والقضايا العقلية فاذا  
أراد بعضهم ان يعرف مثلاً أصل الحجر الأسود عندنا عمدنا الى رواياتنا فيه وحكمنا بحك  
التقدم والعقل فاذا سمع رواية : ان الله استودع الحجر أبا قيس حين اغرق الله  
الارض زمن نوح عليه السلام وقل له اذا رأيت خليي يني يدي فأخرج له فإنتهي  
ابراهيم لجل الحجر نادى ابو قيس ابراهيم فإذ فخر عنه فجعله في البيت . استنتج  
منها بعد ان يزيل قسورها واولعها حبيبة عند الحجر وهو ان اصله قطعة الخبز ابراهيم  
فيه السلام من احجار جبل ابي قيس السوداء التمرية من الكعبة عرضها في احد

أركان الكعبة علامة على الركن الذي يقفأ منه بالطواف يعرف الطائف كم مرة طاف بالبيت وليتدنى الناس بالطواف من نقطة واحدة حفظا للنظام وتسهيلا للطائفتين (١) وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيرا من حقائق تاريخ اليونان مثلا مما يجدونه عندهم من الأشعار والحكايات القديمة كإلياذة ( هو مير ) فإذا كان هذا ما يفعله العلماء في الأساطير فهل يستنكر مني أن استشهد بقوم بأحاديثهم الصحيحة المسئلة عندهم وهي التي يقولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالتي بشيء من ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من القول ولو كان صحيحا ما خلت أحاديثنا منه فاتها تكاد لا تقادر شيئا ( إني والله لفي حيرة من أمرهم !! ) على أن كثيرا مما أذكره في مقالتي مروى عن كثير من الصحابة بالأسانيد المسئلة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول بأنها جميعا موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لأرواء غلثهم وإشباع نهبهم في العلم فلا بد إذا من البحث والتقيب . ولو رفض المسلمون الآت ما ألزهم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أفما

(١) حاشية للكاتب - تقبيل الحجر الأسود هو كتبيل آثار رجال التاريخ العظام احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وحبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أو دواة شكبير وقلمه إن وجدت ولكل أمة آثار موروثه عن رجالهم العظام ويقبلونها وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بناء الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الأمة العربية فلذا قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمون في ذلك إلى اليوم وإن لم يقل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئا من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الأفرنج يسمون قبيلا لهذا الحجر عبادة - مع أن التقبيل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة - ولا يسمون سجدتهم لصورهم وصلبانهم وقد يسميهم وقد يسميهم والخبر في قربانهم - لا يسمون ذلك عبادة لهذه الأشياء مع أنه شتان ما بين السجود والتقبيل فانظر وتعجب !!!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التمييز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟  
 فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأثر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبينا  
 إمامنا وقدوتنا ولا تخزنا يوم يمشون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

## المامة

### ﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾<sup>(\*)</sup>

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآنف الأمر الأول من الأمور التي تؤخذ على المؤلف وهو  
 « تودده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . وتشبهه بتحقيق  
 بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذمته  
 فقط » ومثلنا للشق الأول من هذا الأمر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل  
 الثاني ونأتي على بقية الأمور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني — انه عند ما تكلم على دولة النبط في بطرا نقل عن التوراة وعن  
 كاهن ميرا الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا  
 عرباً وانهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الادوميين عن بطرا واحتلوها ثم رفض  
 كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر  
 الأول من اسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفوس من غير ان يذكر برهانا واحداً  
 على تقضاها واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليلين : الأول ان اليونان  
 حينما ذكروهم سموهم عرباً (ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بترية  
 في الشمال وسيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليلان

(\*) تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الاسكندري

يتضاء لان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين  
 انعكاسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لاله . ونحن نفي أولا هذين  
 الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية  
 اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البترية هي تسمية جغرافية  
 كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي  
 الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبيجة  
 لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني اتيفونوس وابنه  
 ديمتريوس أنه وجد حولهم قبائل يظهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك  
 ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر ضومط عن يوسفوس ( جزء ثالث - مجلد ٣٣٣  
 مقتطف ) على ان سفر المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافهم  
 حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان  
 الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاء  
 وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد  
 من تاريخ يوسفوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية انجلزا لان امبراطور الهند  
 انجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على  
 ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعبرية مع اننا  
 عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف  
 واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يقم عليه دليل وما كان  
 أحوج المؤلف الى ذكره لو وجده

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن  
 الآراميين الذين جاءوا مع بختنصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط غير  
 العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم تخالف العربية وتنال حظا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية . بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غير العرب وان الآله انتم من الادوميين وضربهم بغارة يختصر قدمر عليهم وأورث الارض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أدوارهم احرافا لليهودا المكابي وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الاجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من ان النبط بقوا مستقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن ارستو بولوس بن يوحنا هر كاتوس بن سيمان أخي يوناتان ويهوذا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاترمير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أمم نازحة من العراق و بابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر اذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان يختصر أباد الادوميين تحميقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهم بلاءه ويجعل جبال عيصو خرابا وميراثا لذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يقتلهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وثقاة لتجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية ثم امتزجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما يرى في لغتهم من الالفاظ العربية لايربو على ما يوجد في العربية المصرية من الالفاظ العبرية

على ان المؤلف بالاحسن تضعف دليله عن تبرره تلك الحجة التي صاحبها في

## (المراجع ١١٠م ١١) نبط الشرق الزعم بأن مينا امة قديمة لم تعرفها العرب ٧٨٣

اكثر من خمس صفحات من كتابه مع يقنه ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا  
زعم بلا دليل ان لغة نحاظهم غير لغة كتابهم ثم رجع وقال:

«على اننا لانظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة  
العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الارتفاع»  
هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد  
واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا  
تمام الاظهار ان هذه اللغة العربية الفصيحة باعرابها واشتقاقها وكثرة اساليبها التي  
لا تنهاى قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل  
قبل هذا الوقت ولا سيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم ابعد الناس  
عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه  
(٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وبقوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون  
نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم  
يدل على أنهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنوا لنبطي تشهد بذلك  
فان كان نبط الشام خالطوا قضاة فنبط العراق خالطوا الخا وجزا ماو بكر او تغلب وعبادا  
ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبته بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على دول  
اليمين ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقضى على أثر  
ذلك بأن استظهر انها امة قديمة جدا تبثديء أخبارها منذ أر بعين قرنا قبل الميلاد  
اعشورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسامري «ان زام سين حمل  
على مغان وقهر ملكها معنيوم» واستنتج ان مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم  
في «معنيوم» للتسوين وبالطبع يعتقد ان اللفظ حرف واختزل حتى صار (معينا)  
وكذلك نقل عن سفر الاخبار «أن الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين  
بجوار بعل وعلى المعونين» أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث  
حدثت في برية الشام والامة يمانية

أيها المنكح الثريا سهيلا عرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى  
ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبنى عليه تاريخ أمين لقدحق لنا ان نقول  
على التاريخ العفاء

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا أنهم من جالية الآراميين أتوا من العراق  
في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الأمر بأن المعينين لو كانوا  
من العراق لكتبوا بالخط المساري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من  
الفينيقي فلم يرحل لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المساري الخط  
الفينيقي لسهولة هذا الأخير في نظره !! ولكن كل هذه العراقة في القدم لم تمنعه من  
وصفهم في موضع آخر أنهم كانوا معاصرين للسبئيين الذين لم يتبديء دولتهم على  
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة ( ١١٦ ) ان هذه  
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم يتشبهت في موضع آخر بأن  
القحطانيين السبئيين كانوا يهد المعينين أو أنهم ورثتهم أو أنهم حبشان أو أنهم  
عمالة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة  
وأرباك يهون عليه معهما نبد كل هذه التخريعات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت  
قبائل متجاورة في مخاليف متقاربة أعظمها مأرب  
الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

#### هذه مواضع

منها ادعاؤه ان اساء ملوك حمير لم يكن بينها اساء عدنانية حتى قال في صفحة  
(١٦٦) لم نجد لذلك أثرا في الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثرا عظيما لا برهة  
الجبشي وفيه يسمي ولاته من حمير واقبالهم يزيد وكشة ومرة وثامة وحنشا ومرند  
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر  
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال «جبا مدينة الفاخر  
وهي لآل الكرندي من بين ثامة آل حمير الاصغر» مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر  
من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئيين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) ان  
المعيدين القادمين من العراق نقلوا معهم حضارة العراق ونظام حكومته وقسموا اليمن  
الى محافد وقصور وطعموا في جيرانهم واخضعوهم وانشؤا الدولة المعينية  
والسبئية والحيرية

ومنها تناقضه في ان المعيين لم تعرفهم العرب مع انه نقل في صفحة (١١١)  
عن الهمداني في كتاب الاكليل ان «محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف  
الرحب مقبلتان فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة» وروى ان مالك بن  
حريم الدلاي يقول فيها

ونحى الجوف ما دامت معين بأسفله مقابلة عرادا

وفيهما وفي براقش يقول فروة بين مسيك

أحل يجابر جدي عطيفا معين الملك من بين البنينا

وملكنا براقش دون أعلى وانعم اخوتي وبنينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث  
انهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحزرة الاصفهاني  
معرفة نبط الشام وان بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا  
الى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه العجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء  
والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته ادوار تاريخ العرب وكتسميته  
الامة التي سماها استرابون اليوناني جرهيين بالقريين نسبة الى قرية وهي اسم اليمامة قديما  
وهم الذين قال فيهم استرابون «انهم أغنى أهل الأرض ويكثرون من آنية الذهب والفضة  
ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة» فتي كان أهل اليمامة  
أغنى أهل الأرض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة!!؟  
أليس كلام استرابون أشبه بالخرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم  
ذات العماد) التي ييكت حضرة جرجي افندي زيدان جهلة مؤرخينا على ذكرهم  
(المنارج ١٠) (٩٩) (المجلد الحادي عشر)



٧٨٦ ذهاب مواف تاريخ العرب وراء الظنون ( المئارج ١٠م ١١ )

لها! ولكنه لا يبيكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) بلفظ (قرية) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسمها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف اوتياب القارئ في تهجينه اخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر يرعش وأسد ذي كرب في آسيا وأفريقيا في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون وهيريدوت مع انها لم يدخلها بلاد العرب ولم يراها . واقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة ( ١٣٨ ) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« وذكروا استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريباني بابيه فبعد ان أورد اشترك كل عائلة بالاموال والتماع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بأرعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ملتهم واحتالت على منهم بمصي اصطفتها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطفتها على مثلها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيء أحد يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبديل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم باب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها السوء فشكاها إلى أبيها ولما اطع على عذرها برأها . هذه حكاية استرابون ولم نذكرها إلا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اد .

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتذر بهذا العذر مع انه عندنا يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدعجه ويحمله فيه ويحيل القارئ على الكتب الاخرى !!

الامر الخامس سوء التمييز من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن (٩) الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه اغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم هم ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتى انه لا يرى المطلع على كتابه خبرا مبرهنا على صحته بدليل مقنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريبه الاعلام تخريبا غريبا قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن عرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد الصيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكامل لله وحده

## أثر عمال كسرى

### ترجمت الخنساء (\*)

هي السيدة ثماضر الصحابية الشهيرة الجليلة بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من سرة سليم ، كانت رضي الله عنها من شواعر العرب المشهود لها بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالظبية لان الخنس من صفات الظباء وهو تأخر

(\*) خلاصة درس القاه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي

الأستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الانف عن الوجه مع ارتقاع في الارنبه ، ويقال لها خناس على سبيل التليخ ، وقد كانت من أجمل نساء العرب وأفصحهن ، نشأت عزيزة حرة لانفتاح عشرينها عليها بأمر من ربها دريد بن الصيعة فارس هو أزن وسيد بني جشم وهي تنها بعيرا لها فالتخع له على كبر سنه وانصرف الى رحله وهو يقول :

حيوا ثَمَاضِرَ واربعوا صحبي      وقفوا فانك وقوفكم حسبي  
أخناس قد هام الفؤاد بكم      وأصابه تبل من الحب  
ما إن رأيت ولا سمعت به      كاليوم طالي أيتق جرب  
متبدلا تبدو محاسنه      يضع الهناء مواضع النقب (١)  
متحسرا نضخ الهناء به      نضخ العير بربطة العصب (٢)  
فصليهم عني خناس إذا      غص الجميع هناك ما خطبي

ثم عدا إلى أبيها فخطبها إليه فردته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية أن يشفع له عندها فأبت بعد امتحانه وقالت : أترك أولاد عمي كعمالي الرياح وأتزوج شيخا من بني جشم هامة (٣) اليوم أو الغد !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها أتكرهني هبلى على دريد وقد أصفحت سيد آل بدر معاذ الله يرضعني جبركي قصير الشبر من جشم بن بكر (٤) فبجها دريد فقبل لها الاتيمينه ؛ فقالت والله لا أجمع عليه أن أردده واهجوه

ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحرمتها وعزتها عند قومها

وقد كانت في أوائل أمرها تقول اليتيم والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الأولى سنة ٦١٢م وقتل أخوها لا يها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبرين طويلين ، أكثرت من الشعر واجادت وأنسيت بهما من كان قبلهما وأكثرت المراثي ، وأجود مراثيها ما خلط فيه مدح بتفجيع فانه يكاد يكون الغاية من كلام الخلوقين ، كقولها في معاوية :

(١) الهناء : القطران ؛ والنقب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير  
(٢) النضخ كسفع : الرش . والعير اخلاط من الطيب والريطة هي الملاءة  
أو الثوب اللين الرقيق ، والعصب : ضرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف القهور (٤) الجبركي : القصير الرحابن الطويل الظهير . والشبر : الخبز والغطاء

سأحمل نفسي على حالة  
 تهين النفوس وهون النفوس  
 فانت تك مرة أودت به  
 فيوما تراه على هيكل  
 ويوما تراه على لذة  
 فخر الشوامخ من فقدته  
 وكقولها في صخر

الا يا صخر ان أبكيت عيني  
 دفعت بك الخطوب وأنت حي  
 اذا قبح البكاء على قتيل  
 وقولها فيه

أعني جودا ولا نحمدا  
 ألا تبكيان الجري الجميل  
 طويل النجاد رفيع العما  
 اذا القوم مدوا بأيديهم  
 فقال الذي فوق أيديهم  
 يحمله القوم ما عالهم  
 وان ذكر المجد الفيته

وقولها:

يا أم عمرو ألا تبكين معولة  
 فابكي ولا تسأمي نوحا (١) مسلبة  
 فقد فجعت بيموت تقيته  
 فس لنا ان رزئناه وفارقنا  
 قد كان سيدنا الداعي عشيرته

على أخيك وقد أعلى به الناعي  
 على أخيك رفيع الهم والباع  
 جم الخارج ضرار ونفاع  
 بسيد من وراء القوم دفاع  
 لا تبعدن فنعم السيد الداعي

وزائيتها المشهورة التي تقول فيها

كان لم يكونوا حتى يتقى  
هم سعوا جارهم والنسا  
بييض الصفاح وسمر الرماح  
وخيل تكدس بالدارعين  
جززنا نواصي فرسانها  
فمن ظن ممن يلاقي الحروب  
نعف ونعرف حق القرى  
ونلبس في الحرب نسج الحديد

اذ الناس اذ ذلك من عزبزا  
ء يحفز أحشاءها الموت حفزا  
فبالبيض ضربا وبالسمروخزا  
وتحت العجاجة يجمزن جمزا  
وكانوا يظنون ان لن تجزا  
بأن لن يصاب فقد ظن عجزا  
وتتخذ الحمد مجدا وكثرا  
ونلبس في الامن خزا وقزا

ورائيتها السائرة مسير الامثال

اغر البلج تأتم الهداة به  
جلد جميل الحيا كامل ورع  
جمال الوية هباط أودية  
لا يمنع القوم ان سالوه خلقته

كأنه علم في رأسه نار  
وللحروب غداة الروم مسطار  
شهاد اندية للجيش جرار  
ولا يجاوزه بالليل مرار

وقد فاخرتها سلمى الكنانية وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ ففخرتها

في حديث مشهور

رتبة الخنساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها  
وقد كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بعكاظ على  
كرسي فينشدونه ، فيفضل من يرى تفضيله ، فأنشدته الخنساء فأعجب بشعرها وقال  
لولا أن أبا بصير انشدني آنفا لفضلتك على شعراء الموسم . فأعناظ حسان بن ثابت  
(رض ) من تفضيل الأعشى على شعراء الموسم وقال للنابغة انا أشعر منك ومن  
أيك ، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء انشديه فأنشدته فقال ما رأيت امرأة أشعر منك قالت ولا أفلا

فقال حسان أنا والله أشعر منك ومن أيك حيث أقول  
 لنا الجففات الغر يلعبن بالضحى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما  
 ولدنا بني الضياء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا  
 هتالت الخنساء ضممت افتخارك وانزرته في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت  
 لنا الجففات والجففات مادون العشر فقلت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر،  
 وقلت الغر والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكان أكثر، وقلت يلعبن  
 واللعب شيء يأتي بعد الشيء، ولو قلت يشرق لكان أكثر لأن الاشرار أكثر  
 من اللعان، وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان أكثر في المدح، لأن الضيف  
 بالليل أكثر طروقا، وقلت أسيفنا والأسياف دون العشرة، ولو قلت سيوفنا لكان  
 أكثر، وقلت يقطرن فدللت على قلة القتل ولو قلت يسرن لكان أكثر لانصباب  
 الدم، وقلت دما والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك!!  
 فسكت حسان ولم يجر جوابا وقام منكسرا منقطعا، وقد سئل جرير من أشعر  
 الناس؟ فقال انالولا الخنساء، قيل بم فضلتك؟ قال بقولها  
 ان الزمان وما يفنى له عجب ابقي لنا ذنبا واستوصل الراس  
 ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس  
 وكان بشار يقول: لم تفل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه قبيل له او كذلك  
 الخنساء؟ قال تلك غلبت الفحول

#### الخنساء في صدر الاسلام

انتقلت كلمة الرواة على ان السيدة تناصر الخنساء رضي الله عنها كانت مصحابة  
 قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم، بيد  
 انها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسلبها (١) على ايها واخويها، وقد بلغ من  
 وجدها على صخر انها عمت من البكاء، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه اقبل  
 بها بنو عمها عليه وقالوا يا أمير المؤمنين لو نهيتمها، فدخل عليها فوجدها على ما وصفت  
 من تهرج ما قيها، فقال لها ما افرح ما آتي عينيك يا خنساء؟ فقالت بكائي على السادات  
 (١) تسلبت المرأة لبست السلاب وهو الحداد والتسلب هو الإحداد على الميت

من مضر ، فقال حتى متى ؟ اتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام ،  
وانه لو خلد احد نخلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الذين تبكبن هلكوا  
في الجاهلية وهم اعضاء اللهب وحشو جهنم ، فقالت ذلك أطول بعويلي عليهم ، ثم  
استشدها فأشدهته ارجعالا :

سقى جدنا اكناف غمرة (١) دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله  
وكنت اعير الدمع قبلك من بكى فانت على من مات بعدك شاعله  
فرق لها عمر وقال خلا سبيل عجوزكم فكل امرئ يبكي شجوه  
وقد رآها مرة تطوف بالبيت محلوقة تبكي وتلطم خدها وقد عقلت نمل صخر  
في خارها فوعظها وقال انه لا يحمل لك لطم وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكفت  
عن ذلك وقالت

هريتي من دموعك واستفقي وصبرا ان اطقت ولن تطيقي  
بباقية فان الصبر خير من النعنين والرأس الحليق  
ولا لامتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها ان الاسلام قد  
هدم كل الذي تصنعين انشأت قول :

الا يا صخر لا انساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسي  
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذ كره بكل منيب شمس  
فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي  
وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي  
فقد ودعت يوم فراق صخر ابي حسان لذاتي وأنسي

فقالت عائشة ما دعاك الى هذا الا صنائع منه جميلة ، فقالت نعم ان لشعاري  
سببا ، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر بالقداح ، فاتفق فيها ماله  
حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا ، فأتيته  
وشكوت اليه حالنا وقلته ذات اليد بنا فشاطرنى ماله ، فانطلق زوجي قمامر به فقصر  
حتى لم يبق لنا شيء ، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فعاد لي بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والاكناف النواحي

فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة خلعت بصخر امرأته فعذلته ، ثم قالت ان زوجي  
مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلتي فأعطيها أخس مالك فانما  
هو متلف ، والخيار فيه والشرار سيان ، فانشأ يقول :

والله لا أمنعها خيـارها وهي حصان قد كفتني عارها  
ولو هلكت قددت خـارها واتخذت من شعر صدرها (١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك اتخذت هذا الصدر ، والله  
لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حييت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة  
وهي أحزن نساء العرب على فقيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجهها الى  
رضوان الله وابتغاء ثوابه ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بنيتها الاربعة يوم  
القادسية سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت  
مع بنيتها الاربعة وحضرت الواقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني  
انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل  
واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت  
حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل  
في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله  
عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ) الآية فاذا أصبحتم غدا ان شاء  
الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وباللـه على أعدائه مستنصرين ،  
فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظى سباقها ، وجلت نارها على  
أرواقها ، فتميموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمفتم  
والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين  
فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم  
في مستقر رحمته . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدر ثوب بلاكين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ويصح

أن يطلق على ما يسميه المصريون الصديري وانشاميون الصدريه

(المنارج ١٠) (١٠٠) (المجلد الحادي عشر)



أولادها الأربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنة ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

## بَابُ الْحَبِيبِ الْأَخِي

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

( أقوال الصحف فيها )

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشي هذه المجلة وهو في سياحته معلنة الأسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأكثر مما ورد على إدارة المجلة من سائر أنحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والاستانة وكلها تبدي الاستياء الشديد والتعريض والتنديد وتنهى صاحب هذه المجلة بسلامته مما كيد له وتعدت نجاته عناية من الله بالعلم والاسلام وانا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الثناء عليهم وعلى الآخريين وقد تناولت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبته بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغرانه بوصول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضربه بعضا فجرحه في رأسه ثم ابتدره باطلاق الرصاص فأخطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بان الاستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص تلغراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

« وصل الاستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبين يربو على الخمسمائة شخص ، أرسلت شعبة جمعية الاتحاد والترقي العثماني عربية

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البلدة بكل احتفاء تحفه الامل والاحباب إلى ان اقترب الجميع من سوق العطارين فتصدى كامل المقدم الذي كان ضرب صالح وأدهم رضا سابقاً ووقف امام الاستاذ وابتدره بضربة على رأسه بعصا فلم تصبه تماما فأراد أن يضربه ثانية فتناحها الشيخ محمد الرافي بيده وممسك بالمصاحي أخذها من كامل فما كان منه إلا أن أشهر مسدسين وخطر كل من يقرب منه بالموت العاجل فاقرب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد رده فاطلق عليه عيارا ناريا فلم يصبه وبعد ذلك فرّ

وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القرية فأخذ بعد ذلك لدار الشيخ محمد الرافي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من يدهم أمر الضبط، الكندر عمومي من جراء ذلك، الاستاذ لم يبد عليه أثر كندر بل تحمل ذلك بصبر كما هي عادته . لم يبق أحد من الوجوه إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما يرام وقد استغنى أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوسة »

فهنيئ صدقنا الامتاذ بسلامته ونطلب من الحكومة بكل إلحاح التحري على المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تكيلا له وارهابا لغيره (الأمجاد العثماني)

\*\*\*

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد رشيد أفندي رضا صاحب مجلة المنار وافي الفيحاء مساء الجمعة الماضي على انه قبل وصوله إلى الدار المعدة لتزوله هجم عليه أحد الاهالي وضربه بعصا على رأسه رغما عن شدة ازدحام الناس الملاقين حوله . ثم اطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الاسواق وكأنه لم يأت شيئا مذكورا

قول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نظن الذي أقدم على هذا العمل الفظيع إلا مغرئ مدفوعا بيد أعلى فعسى أولياء الامور ان يبحثوا ليقفوا على الحقيقة لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدوها على الاقل (لسان الحال)

\*\*\*

صرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصحاب أهله وذويه وأصحابهم من اضطهاد المتدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقفت وقتئذ في وجه الظالمين وقفة طويلة . ولما أعلن الدستور سافر السيد رشيد إلى طرابلس فمر ببيروت حيث قابل مقابلة شائقة جديرة به وبعد الإقامة في بيروت أيا ما سافر إلى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٤ الماضي . فنزل لمقابلته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس وأعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلمون . وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير ومعهم الموسيقى فاستقبلوه بكل اجلال وأعدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص المحبين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقى وإطلاق البارود إلى منزل فضيلة مضيفه الأستاذ الشيخ محمد الراهبي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه . وحدث في أثناء الطريق ان شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعضا وضربه بها فأصابته شظير رأسه ولم تؤلمه

فهجم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ بإطلاق النار على الجمهور وفر هاربا وكان هذا العمل مدعاة للمغامرة بالسيد رشيد ووردت عليه تلفرافات التهينة من والي بيروت وجمعية الاتحاد والترقي والوجهاء والأعيان والعلماء . وزاره القومندان وأعرب عن أسفه وظهر ان الشقي مدفوع بأيدي اناس من الحساد ثم زار القومندان والضباط وأعضاء نادي جمعية الاتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه ان يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطابا جميلا كان له احسن وقع

وقد اهتم والي بيروت بالاعتداء على السيد رشيد اهتماما عظيما فأرسل وكيلًا لتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن اذا شكرنا أعيان طرابلس للحفاوة بعالم منهم هو فخر بلدهم بلا نزاع ولا جدال فانا نأسف لوجود انذال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملنا ان يساقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقابا صارما شديدا يكون عبرة لسواهم ( الأهرام )

\*\*\*

اعتداء ذميم — ورد كتاب من طرابلس ينفي بأن أحد الاشقياء المدعو كامل

المقدم هجيم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنارينما كان جمهور عظيم يحتفل بقدومه وضر به بهصاعلى رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تنقوا الصاقبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء . فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الأتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلانيك تستشيرها في إعلان الأحكام العرفية في طرابلس بعدحادثة السجن وهذا الحادث الموجب للأسف . أما الجاني فالهمة مبدولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشترا بهم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الامن (الجريدة)

\*\*\*

اتانا من غير مكاتبتنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الأتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفأ لرؤيته واعدت له الجمعية عربة خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأه هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعها من يد ذلك الشقي . فشر هذا مسدسين وجعل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هارباً ولم يصب أحد بسوء والحمد لله . وظل حضرة الاستاذ مع ذلك ساكناً رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة . وقد وردت الرسائل من أنحاء سورية تهنتته واستنكار فعلة ذلك الشقي . وقد طير البرق خبر ماجرى الى دوة والي يبرت وجمعية الأتحاد والترقي فيها فأرسل دوة الوالي وكيلاً لمتصرفية طرابلس وطالب قوة عسكرية من دمشق بهدماظهر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دولته بالقبض على الجاني الذي يقال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه . ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمون منزل الشيخ الرافعي تهنتة ضيفه الكريم بالقدوم والسلامة (المقطم)

\*\*\*

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد

سافر في الاسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت الأحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمنا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد العثماني والأحوال ما خلاصته ان حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق العطارين تصدى له كامل المقدم ( وفي رواية الأحوال انه عبد القادر مؤذن ) وابتدره بضربة على رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي ونزع العصا من يده فما كان من الرجل الا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافعي ولم ينزل هناك وقد اتفقت الأحوال والاتحاد العثماني على توائي من بيدهم أمر الضبط في هذه الحادثة . والمؤيد يأسف لهذا الحادث ويستنكر هذا الاعتداء ويرجو أن يكون ناشئا عن تهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناء وسرور في زيارته لوطنه

( المؤيد )

## الدولة العلية وبلغاريا والنمسا

ما أ كثر العبر في أعمال البشر وما أقل المعبرين ! إن الخطيئة التي يأتيها الفرد في بيته عسى لا يشعر بها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في العراء لا يحس به سوى خياطه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها ، وتأتيه حكومة بعد تقريره في دار ندوتها ! ! وان ما يمر على الذائرة من اشباه هذا ونظائره كثير جدا ولكن قل من يتدبر ويعي ، ذلك ان أعمال الافراد لا يلاحظها إلا علماء الاخلاق والاجتماع وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره مما لا سبيل إلى كتمه واخفائه ، بل هو مما يصل إلى كل حس ويقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون ان اقرار مجموع عاقل على الخطأ مستحيل ولكن هذا القول لا يصح على إطلاقه إلا اذا كانت النهب والاحتلاس في عرف الفلاسفة

أمرًا حلالًا طيبًا ، والحق الذي لا مرأى فيه ان الانسان مهما استكنه أحوال البشر فإنه لا يحبط على الأجزاء يسير من كلِّ كبير ، وعليه فلا تريب على من قال وهو يظن نفسه مصيبا ، بل على من فعل وهو يوقن انه مخطئ ،

أعلنت النمسا في السابع من أكتوبر الماضي انها ألحقت مقاطعتي بوسنة وهرسك بملكيتها وانها صارتا بهذا الأطلاق جزءا منها ؛ ؛ فقلب هذا الحادث كان السياسة الأوربية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى ما يراد بها فصرها عن القيام بالأصلاح الداخلي ، وكانت بلغاريا سبقتها فأعلنت استقلالها قبيل ذلك يومين ، فكان هذا وما سبقه صادقا بالدولة العلية عن الأهتمام بما تقتضيه أحوال البلاد الداخلية بله الخارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجيء في عالم السياسة حربا ضروسا تشتعل جذوتها في ( ترنوفو ) ثم تمتد الى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان ، وتنبأ فريق بأن ذلك قد يحمل بعض دول أوربا الكبرى على خوض عمراتها ، فيكنّ اذ ذلك من جناتها وكلماتها ، وفي ذلك من الولايات والمصائب ما فيه على ان هذا الفكر والذهاب إليه ليس من باب الخدس والتخمين ، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة الامارة النزقة لحلم الامر وجف القلب ، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات اخبار الفلج والخلدان

عظم على العثمانيين صنع بلغاريا والنمسا واستغرب صدورهم آخرون ، على أنه لا محل للخرابة فان بلغاريا تتحفز لهذا الامر منذ أمدميد ، وإنما دعاها الى التسرع ما توقعه من سيدتها (الدولة العلية) إذا هي استجمعت قواها ومضى عاينها نصف عقد من الاعوام وهي دستورية حرة ، فانها اذ ذلك تخشى أن تعبت بحقوقها وتستعين بسيادتها فأسرعت الى اعلان استقلالها وهي تكاد لا تتوقع من وراء ذلك الا احتجاجا يتلوه سكوت ورضى ، لأنها مستيقنة بأن رجال الدولة العقلاء لا يرون من الصواب الدخول في حرب اقل ما يخشى فيها من الخسار ان تقلب الحال الى ما كانت عليه - لا قدر الله - وفي ذلك البلاء الجم والمصائب العمم

إن استقلال بلغاريا يتألم له الصائبي الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة

فان بلغاريا قد استقلت فعلا في أيام حكومة الجواسيس الخائنين ، فليس من الكياسة ان يجعل استقلالها قولا من المصائب التي نزلت بالعثمانيين ، على اننا ربما نزال شيئا من حقوقنا التي اغتصبناها من قبل بسبب هذا الاستقلال الا ان صنع النمسا لموشر صنم يقع أو يتصور ، وشرمنه أقوالها بعد وقوعه ، ومن العجيب أن يكون القول انكى من العمل !

لم تكده هذه الدولة النهمة تعان الخاق هاتين المقاطعتين بمملكتهما حتى قام العثمانيون من سائر النحل والملل في كل أرض يتبأونها يعلنون استيائهم واستهجانهم عمل النمسا ، وعز عليهم أن تؤذيهم بالفعل وأن يؤذوها هم بالقول فصمموا على الأعراض عن مشتري سلمها ، وهذه الحرب الاقتصادية — كما يسمونها — من أجل ما تحارب به أمة عدوا لها ولا سيما إذا كان هذا العدو كالنمسا : أمة تجارية بحتة . ومن دلائل الحياة في الأمة العثمانية اجماعها على ذلك في جميع بلاد الدولة ، فقد كانت البواخر النمسية تغادر الأستانة كما تغادر بيروت ويافا واللاذقية وغيرها من دون أن تأخذ شيئا أو تعطي شيئا حتى أضبارات البريد ، وغلا كثيرون في ذلك فطفقوا يمزقون ملابسهم من الملابس النمسية على كونها — حال عزيقها — ملكا لهم !! وكان لمصر وغيرها من مدن القطر حظ من هذا العمل ، فكان لمجموع هذا الأعراض أو المقاطعة — كما يقولون — تأثير شديد في مماثل النمسا ومصانعها حدا بالأكثريين من اصحابها الى مخاطبة حكومتهم ناعين عليها ذلك الاطلاق ، الذي يخشى ان يؤدي الى إملاق أي إملاق ، فما كان من هذه الحكومة المنصفة (؟) إلا أن أوعزت الى مصلحتها في الأستانة بأن يمتنع على حكومتها !! طالبا منها حمل رعتها على نبد المقاطعة !! هذا هو القول الذي قلنا عنه فيما تقدم انه انكى من العمل ! اليس من الاعاجيب ان تقرر النمسا في دارندوتها الخاق بوسنه وهرسك بمملكتهما وسلبا من الدولة العلية جبارا وتحظر على الأمة العثمانية أن تسير وراء ميولها ورغائبها ؟ ان من المتعذر على دولة مستبدة ان تحمل رعتها على مشتري سلمه دون أخرى قسرا فكيف يكون ذلك ميسورا للحكومة دستورية !! ان في هذا المواطن للعبر وموضع للتذكير فهل من معتبر أو مذكر !!

حسين وصفي رضا

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

# الملك

١٣١٥

فبشر جادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر الخميس ٣٠ ذى القعدة ١٣٢٦ - ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨



## الاسلام والمدنية الحديثة (\*)

هل يتفقان ؟

اني اخترت موضوع البحث في الاسلام لأول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية لسببين : الاول ان المسألة الاسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الاسلامية الاخرى اذ كان بين الاسلام والنصرانية على شواطئ البحر الابيض المتوسط نضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب . والثاني لأننا نحن الفرنسيين نعيش مع المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلها لارتباطنا معهم بمصالح دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليوناً من المسلمين ولكن الانكليز لا يختلطون بهم اختلاطاً دائماً وفي مصر وهي أكثر بلاد الاسلام مدنية لا يختلط الانكليز كذلك بأهلها اختلاطاً يفضي الى الاستعمار الحقيقي والاوربيون لا يقطنون سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا مع العنصر الوطني في مستعمراتنا الافريقية على ان المسألة الاسلامية يجب أن تقدم على غيرها من المسائل الاخرى التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم لا يكون الاستعمار موطد الاركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة نجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الاسلامي الذي يربط الامم المختلفة الاجناس والمشارب المنتشرة بين المحيط الاطلسي وخليج قابس

(\*) خطبة لموسيو رينيه ميليه القاها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد المصرية بالعربية فأثرنا تلخيصها نقرأ المنار لما فيها من الحقائق والانصاف

(المراجع ١١م ١١) الافرنج ظنونهم بالشرقيين والاسلام . الاسلام سرعة انتشاره ٨١٩

ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار اعتبارا آخر أكبر منه شأنًا وأعم فائدة وهو أن ظنون الغربيين بالام الاخرى قد بدأت تتغير تماما وأذ كر اني كنت أسمع وانا يافع ان الامم الآسيوية لا تقوم لما قائمة وانها ستبقى رازحة تحت اعباء الأنحطاط والجمود ، وفي الغالب كانوا يلصقون التهمتين مسابها على ما فيها من التناقض اذ حينما توجد حركة تأخر لا بد وأن تتبعها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لانزاع فيها ان الصين امة جامدة وان اليابان امة ليس لها الا مدينة سطحية وان الهند لا يمكن أن تصلح شؤونها وكانوا يتهمون الاسلام بهذه التهم نفسها وان الذين هم في سن موافقة يد كرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداها ان المسلمين في جمود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والتفضاء والتقدير ولست في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسها كبرياء الغربيين قديتين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكن دوت في أقاصي آسيا وأصبحت الامم التي كنا حكمنا عليها بالموت والجمود مظهرة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستوراً وهاهي الاسنانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجمعها وما كان يخطر ببال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطراً تغيير على برنامج دواستهم وهو الامر الذي أصبح لا بد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

واننا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجهداً من التساؤل عن الجمود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شينها بتهمة الخول التي ألصقوها باليابان وما لبثت أن اضحلت وظهر بطلانها !!

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي ينتشر ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حد محدود لا تتجاوزها البتة وقد أصبحت هذه المسألة لانزاع فيها ولكن ماذا تقولون اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع يطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها ومن ذلك انه أنشأ بقوته الذاتية وبالهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم المتدين دمشق

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومترا! وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات مما أنفق عليه؟

وان لفرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم فاذا كانت مدينة الاسلام هي تلك المدينة الجامدة المزعومة فيجب علينا ان ذلك ان نعامل هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضفط والشدّة خلافا لما جبلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء ما يبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنة في صدور المسلمين حتى البعدين عن الدين منهم؟) ومن الامور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناسا مازالوا محافظين على بقية من أوهام الحروب الصليبية ضد المسلمين

وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلت في كل مكان عكس ذلك فمن الواجب أن نمد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية ونقودها معنا في طريق المدنية وهذه القطعة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم ان امامنا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فمنها الطريقة التي يمكنني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكتب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر يهشون للعلوم ويقبلون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسالمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة ضالة المؤمن يتشدها انى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

هذه الطريقة تصلح لاقتناع قومنا بان الاسلام يحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها ( الاولى ) اني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام لنا بحجة في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

منها ( والثانية ) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يحيدون عنها ويأخذون بأقوال الفقهاء والشراح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلو عرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ماقرره الامبراطور بيزانطين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القرار على الدولة البيزنطية من المشاكل أعقدها .

ولقد كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان ديناً يتلمع الديانات الأخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البيزنطية باب الآلام والمهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطورة متوفرين على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعف ملكهم واتقراضه . فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيعها الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقية » !!

وان مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الاقانيم التي نعتقدها الآن بكل سكينه واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدل فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الأولية فأحترمت الصوامع ورفعت عن أهالي الخدمة العسكرية وعاقبتهم من دفع الضرائب

فلم يكدر يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف وملئت  
جوانبها بالخلافات الدينية

إذا فما هو الاسلام ؟ الاسلام دين جاء بخلاف سبيل ذلك فقد احتاض  
عن تعدد درجات الادارة بسطة واحدة يرجع اليها الحل والعقد في كل الامور  
ولم يقرر شيئاً من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى  
على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى  
أيضاً على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة معا  
وبالجملة فقد أتى الاسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات  
الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الاسلام ارجع الدين الى حاله الطبيعية ولم يأت بشيء من تلك العقائد  
المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » وبذلك خلا الاسلام  
من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الاوربية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى  
في حالة اسياء من تسلط الدولة البيزنطية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الاسلام وهم يعلنون أنهم  
أهل التسامح مع مخالفيهم في الدين لا يطلبون منهم الا ضريبة يستهينون بها على  
اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تثبيط  
دخول الذميين في الاسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرههم عليه لان اسلامهم  
يقلل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموجد يمكنكم ان تتصوروا كيف نضبت ينابيع  
الحياة في الدولة البيزنطية واتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتعسف مع انها  
لم تقلل من فساد الاخلاق - ويمكنكم ان تدركوا كيف ان التبعة الآسيوية اعتبرت  
ظهور الاسلام ايذانا بنجاحهم وسعادتهم .

وأذكر أني أيام كنت أدرس تاريخ الاسلام كان الأساتذة يقررون سرعة  
انتشاره من دون ايقافنا على أسبابه، وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طبيعة

( المارج ١١ م ١١ ) الأملام . ارشاده الى البحث . نبوغ العلماء من اهل ٨٢٣

حرية وان خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها!! مع ان الحقيقة ان الفتوحات العربية كانت على البغال الا ان العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تثقل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الانقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

وإذا كان ذلك كذلك أدركتم ما تبع هذه النهضة من الاعمال الجليلة .

أنى العرب بمقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل إلي انه كانت على أبصار مسيحي القرون الوسطى غشاوة من تنسك منعتهم من إدراك الأشياء على حقائقها

وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث .

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟

كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخيالات أفلاطون ، نعم كان كل اهتمامهم بكتاب ذلك الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة ثم انهم مالوا الى الاشتغال بطول الطبيعة و برعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — وافرط تقديرهم للحياة الدنيا نبع فيهم الشعراء المجيدون الذين قالوا اشعرا اذا وصفناه بانه أرضي فذلك لانه قريب من العقول ينفذها وينعمها وانه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تحبب الغرب المسيحي في تماثله وأوهامه وانزوائه!!

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانا يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما يتبادر الى ذهن الباحث النزيه وهو ان الإسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت اليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب .

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدينة الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في اسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأين لكم الآن ان اقتراق هاتين الروحين كان وبالاعياها معا

كان الباحثون في الاسلام يمتدنون ان الدين نظام كامل لا يتبدل ولا يتغير فيكفي ان يدرس مستقلا عن كل عامل اجنبي عنه للوقوف على قيمته واكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة آهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفا عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم ورقبيتهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبد الرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعلق بتاريخ الاسلام في اسبانيا:

«اعلم يا بني ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه من يشاء فاحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصاً أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وسأو في حكمك وقضائك بن الفقراء والاعنياء ولا تول أمور الناس الا من عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جنديك بالشدة واللين معا ليكونوا حماة الدولة لا عوناً للظلمة من الحكام . وواجب عليك أن تظل الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بموتك ، لانهم مورد حياتنا وحرص على محبة الرعية لك واهلهم بك . . الخ

اني أود أيها السادة أن أسمع منكم هذه الوصية من رئيس وزارتنا في زمننا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لاني أخشى أن تهموني بعمل مقارنة تشوّه سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل

لبثت هذه المدينة التي أتت بالمدهشات والتي لا يزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الأندلس في سنة أو سنتين ثم لم تنتزع من أيديهم الا بعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب واذا أضفنا الى هذه المدة المئتين أو الثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الأتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية

ولكن ثمة أمرا يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن ( موضوع التوفيق بين المسلمين ) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطئ البحر الايض وفي الاندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتألفهما

ابتداء هذا التعارف في الاندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتنكم أن ما يرويه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في جملة لانهم يمثلون « السيد » في قصة الفبا ( كورنيل ) بطلا مقدما أعده قومه لمجاهدة الكفار ( يريد المسلمين ) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل انما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرئ لاطوار العلاقات بين النصارى وأمرء الاسلام في الاندلس يعلم ان الأمرء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبناءهم مرض وكثيرا ما كانوا يفتدون الى قصور الخلفاء و يقيمون بها حتى يتم شفاؤهم فترون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بة ما يرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

لقد لزم مسلمو الاندلس التسامح مع النصارى وموتهم حتى في الدور الذي



## ٨٢٦ الاسلام في الاندلس . تسامحه . تأثيره في أوروبا ( المارچ ١١ م ١١ )

اضطحت فيه دولتهم وأخذاء المسيحيين يقصونها من أطرافها فإذا اتيج لاحدكم أن يتجول في أنحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ما شيده في دور اضطهادهم ليستخلص من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور لضعف سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتسامل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوروبا وكان كل من يريدون أن يستثشقوا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الامراء المسيحيون وهي مهد القسوة والنظم هناك يعاقب الامراء من بأسروهم في ساحة الحرب بانقائهم الى كلاب مفترسة تمزق أجسامهم إرzá إرzá

لم يكن ذلك مقصورا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة لبثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارتهما مع الشرق وتعلمون ما استفدناه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذاك فقد كان لا كثير من البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفى كم ان من أسعدهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى فقت الكنيسة الكاثوليكية على أبنائها من سرعان روح الاسلام اليهم ونظرت بعين الخوف الى تنازع المبادئ الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آقهم وعدوهم اللدود :

هذا وان هناك حقيقة يجب أن نبينها وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية في هذه الفترة التي تعارف فيها المدينتان المسيحية والاسلامية - كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوروبا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يعد في امكانها ان تدفع ثمن كل ما اشتريه ، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع امراء أوروبا في

(المراجع ١١م ١١) الاسلام . أخذ أوربا علومها عن أهلها . تعصب أسبانيا عليه ٨٢٧

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الأثر إلى فقر أوربا واعواذها من  
الحاصلات التي تبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فإن أوربا لبثت ثلاث

مئة سنة تقتبسها من الاسلام وكانت المدنية الغربية تجني ثمارها اليانعة

ولكن حادثين عظيمين أوقفنا سير ذلك التيار الكهر باني الذي كان يحيط

بالبحر الابيض المتوسط وهما : استيلاء الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣

واستيلاء الأسبانيين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الأحماد الدينية حتى انك ترى آثار التعصب

الاسباني في تاريخ عرب الاندلس كالتقطعة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصعة

ولاسيا في ذلك الوقت الذي حالف فيه الأمير يوسف جماعة القسيسين . وفي

رأبي ان تعصب الأسبانيين كان أفضح وأقل عذراً لأنه جاء في زمن كانت القوة والعدد

لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يفتخر به الأسبانيون والذي يحسبونه بجمل

عصر فرديناند ويزابلا لم يكن في الحقيقة الاعمال وحشياً بربرياً لم أعهد في التاريخ

أقبح منه ، خصوصاً وان اماره غرناطة لم تكن تهدد أسبانيا في شيء لاستيلائها على

ما حوالها من الأراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها - ولا

بد ان يكون الا كليروس الاسباني أو الطليطلي رأى ان يحقق هذا الجمال ويزيل

المدنية البديعة خدعة للمسيحية والمسيحية بريته منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم

أخلفوها وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها قتلذوا بمنظرها وظنوا أنهم بمعلمهم هذا

قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم . ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية

كافة ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعهم زمرا زعرا وحبسوهم في غرف واسعة ورشوهم

بالماء اشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم ! -- ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المتنصرين

لا يزالون يفتنون طمعوا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آت لا آخر . ومن ذلك

ما وصل الينا من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمل

اللغة العربية والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هذا الامر الاخير ان الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرما لا يغفر !!!  
ولقد زرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحيطة البناء البديعة النقوش التي أمر فيليب الثاني بتهديمها حقدا منه على المسلمين ومطوعة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها ماوى الشياطين !! . في هذه الحمامات كان العرب ينتظفون وبها يتطيبون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاستحمام النافع وانكم تعلمون كيف طرد المسلمون الحجج برون على التنصر من وطنهم سنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسلام المتمدن بربريا نعم لما انفرد الاسلام بنفسه بينما كانت أوروبا تخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كاشجرات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجرع ولكنها تثمر ثمارا غير جيدة هذا ولا تظنوا ان أوروبا لم تتأثر من مفارقة المدينة الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنقص — ثم هل نحن في حاجة إلى بيان ما وصلت اليه أوروبا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الأجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن أذكركم بفظائع دخول الاسبانيين أمريكا لتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيقود الأمم الأجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الاخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرأيتم ان اتساع سلطة أوروبا وانتشار نفوذها إنما كان باسترقاق السود وتعذيبهم ولرأيتم ان غرضها إنما كان جمع المال لا تخرج من اتيان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مفادرة الاسلام لها واقترافه عنها — ولقد بلغ من غاوها في الظلم والاعتساف أنها رأيت في بعض الاحياء أنه لا يستقيم لها بلدا اذا استأصلت أعمله وأهلكتهم وهكذا فعلت انكلترا في أمريكا

نعم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين أيديهم . ثم انهم تحملوا المشاق وقاموا بالاعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يفقهوا مدنية أجنبية عن مدينتهم وأن يقفوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالهم في خطتهم الاولى وشرعوا يتلمسوت خطة جديدة غايتها تقدير نفوس الاهلن الاصليين ومعرفة صادقة

فهذا التفسير التاريخي كاف لا يقاومكم على أسباب ارتقاء الاسلام تارة وأسباب أفول نجمه تارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهتين الدينية والفلسفية لانا اذا قصرنا إبحاثنا على ذلك انسد أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الأشياء فنجدير بنا اذن أن نتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لنعرف طبيعته واستعداده للارتقاء

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا تقبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فمن الظلم أن نحكم على تلك الأمة بالسقوط الابدي و باستحالة يقظتها وارتقائها لان الأمة التي أمكنها أن تهض في وقت ما يمكنها أن تعيد عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين ويهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدم والتي قال العلماء وكتبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير ان يبدي مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قرره المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فاذا نقول عنه في المسيحية ؟

ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية واني أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكنني أجب عن هذا السؤال متبعا للطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائجه من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان ينتحله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربوع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء بهيرون عن طور الحضارة في بلاد ذات هواء قاس تحمى بأهلها الى اجهاد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة، وكذلك كان الامر في الاسلام إذ لم يعرف المسلمون الاولون الاستسلام للحوادث، بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير أن يثاروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدررون على الخلاص منها مكثفين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالمبادئ الدينية تفسرها الامم بحسب ما توحيه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامة وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها

أفل نجم المدينة الاسلامية بعد ما أثمرت واينعت قدرة طويلة من الزمن ولكن هذه المدينة تكفيها نعمة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها

أيها السادة: اذا كان الاسلام قد أخطأ فخطؤه في تلك السذاجة التي اختص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها . لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقد كانت في العصور الوسطى نعمة على المسلمين الا انها انقلبت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحلها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل . انظروا مثلا الى نظام

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عمالهم في الولايات فلم يكونوا متبئين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شؤون الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفتوحات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة وتشتت الاعمال فلا يعود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنابته في فروعها كافة

وإذا أردتم ان تفقوا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكس لجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا بقيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يجبي الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصادف كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة تقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة تقيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقيد البتة

إني أذكر ان سلطان مراكس السابق قضى حياته في الحروب الداخلية قضاهها على ظهر جواده منتقلا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلا هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي تتبعها لا يحتاج في جباية الضرائب الى ازهاق الارواح بل يكفي ان تدفع الوسائل النظامية التي تسكفل القوة العامة بحمايتها وتحقيق غايتها هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا خطأ — ان صح ان نسميه كذلك - ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصبغة العامة اللينة التي اتصفت بها مبادئ الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا ينافيها بل يقابلها بصدر رحيب ولذلك ترون المسلمين المستنيرين لا ينفرون من المنظمات التي أنبتتها مدنيتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها أما في دائرة الفكر فيقتص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عزه بل في

٨٣٢ الاسلام . حاجته الى توزيع العلوم . الجمعية الخلدونية ( المراجع ١١١ )

العصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان يبتغ فيما اتدب له وانه يحضرنى الآن مثال على ذلك :

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الأكبر في تونس . اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لا ينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من الدينين فقلت لاحد اولئك العلماء :

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاوية زاهرة في العصور الوسطى وانها أمدت أهل أوروبا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحنا الآن أعلى منكم كعبا في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل ؟

ان السبب الذي أراه هو انكم متبعون الآن نفس الطريقة التي كنا نتبعها في القرون الوسطى ، انكم لا تتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق بفرع منها بل يعمل كل منكم «معتقدا أن في امكانه تحصيل العلوم كلها ، أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكنا أن نخرج من حالنا السابقة فيمكنكم أنتم أيضا أن تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

تقد شاهدت بنفسي أيها السادة أهل تونس يقبلون على العلوم الحديثة وآنت فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتقاء في هذا المضمار . وكأن محادثي مع علماء تونس وترغبي إيائهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثمرت وأتت بالنتيجة المتبغاة لانها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين النيرين دعورها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروها على الأعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استعداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقي اخوانهم ثمار هذه العلوم

ولقد سبني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأبر وأحد أعضاء هذه الجمعية فطفت يسرد الأدلة على اتفاق الاسلام مع المدنية الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يفوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقها القائمون بالحركة الإصلاحية من أنصار القديم فانه وان كان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل المدن الغربي سهلا فان هناك فريقا كبيرا يطعن على هذه الحركة ويحاربها . فكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار . وإنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حيث الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها في مبدأ أمرها لان كل اصلاح لا بد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة ولقد كثر أعضاء هذه الجمعية وصار طلبة مسجد الزيتونة بعد أن يتلقوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يفتدون إلى دار هذه الجمعية فيستشيرون بما يلقي فيها من العلوم الحديثة وان هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لا ينافي المدنية .

بقيت مسألة جديدة بان نبحث فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا . واني معبر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع النقط التي تناولها بجثي اليوم

ان هناك أمرا يجب أن تقف على حقيقته وهو هل تقدر على ايقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكملت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تقلب علينا وتتجه ضدنا وتم على ما لا نرضاه ولا يتفق مع صالحنا البتة



ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين اللذين  
ينهض فيها الاسلام بل هناك مصر التي حدثتكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في  
نهضتها وهناك كثير من البلاد الاخرى التي حي فيها الاسلام حياة جديدة  
على ان هناك اعتبارا اشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعوننا الى ان  
لا ننظر بعين الكره والسخط الى يقظة المسلمين وهوان هذه الحياة الجديدة التي  
ابتدا يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها ان تقرب بين العالمين المسيحي  
والاسلامي وتوفق بين المدينتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نفرض ان المسلمين يسبرون في طريق المدينة الغربية  
سيرا حينئذ فلماذا نعتبر ان ستكون هناك مدينتان ولماذا لا تفتى المدينة الاسلامية في  
جسم المدينة الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولان العلوم هي اساس كل  
مدينة ؟ على اني لا اشارك اصحاب هذا الرأي في رأيهم لان العلم له دائرة محدودة  
لا يتعدها وما وراء هذه الدائرة توجد افكار ومعتقدات لها تأثير كبير في احوال  
الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقفون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون ان العلم يعترف بوجود  
دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه فقد ابتدا الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك  
الحقيقة الثابتة وهي ان العلم معها اتسعت دائرته فلا يزال امامه عالم غامض ومهما  
استجلى الصلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول اوسع بكثير من  
دائرة العلوم .

انه لا يمكن للعلم ان يمحو سلطان الاديان على النفوس مادام عالم ما وراء المادة  
مكتنفا بالمدهشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين  
الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملائمة للفطرة والذي سمد حظه بان امتد ظله  
على ضفاف البحر الابيض تحت سماء صافية الاديم لم تتلبد بالغيوم كما تلبدت سماء  
بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلالتا في تلك البلاد المتناثية الأطراف ولم  
تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرباني الساطع

أيها السادة : ان مبدأ التفريق بين عالم الادة وعالم ما وراء الادة قد تبينه المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن أتخذ من التونسيين برهانا على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم انما يتبعون الخطة التي نوحيا اليهم والتي تقصد منها إفراغهم في قالب فرنسي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية . بل أقول لكم انظروا إلى الأتراك وكيف وقفوا بين الدين وجنسياتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الإسلامية قابلة لمبدأ الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطبغ بمبادئ حكوماتنا الحديثة .

ان الحكومات الإسلامية لسعة مبادئها قابلة للتشكل بأشكال مختلفة وهذا التشكل هو الكفيل بارتقائها . اتذكرون أيها السادة ما قاله الأقدمون في المسيحية؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الأديان فلو ان الإسلام اتخذ شكلا من أشكال الحكومات وظل باقيا عليه لا يعدل فيه ولا يفسره ليات موته أبدية وافضى ذلك الى ضرره وضررنا .

واسمحوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها ماسيو جوناك حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدرية وهي : « ليس المقصود من الفتحاح مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ما هو اسمى غرضا من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .

## الخطبة الثانية (\*)

﴿ من خطبنا في الديار السورية ﴾

وهي من الخطب السياسية

أيها الاخوان الكرام

اقترحتم علي ان أقول شيئاً في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالا ، ولم يغادروا لمن تأخر عنهم متردّما ، فرب فكر فيه أريد ان أقيه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد على مسامعكم ، ووجال في مجامعكم ، فيقف الفكر ، ويتلثم اللسان ، ولكنتي لم أحضر تلك المجمع ، ولم أسمع شيئاً من تلك الأقوال ، فإذا قلت شيئاً مما قيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكرر يجاو ، ورب إعادة ، فيها افادة ، المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره بيد من تختار من أفرادها ، لا بيد رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه واراادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهل والانحطاط أتدررون ماهي القاعدة النظرية التي يبنى عليها المستبدون هيا كل سلطتهم الجائرة؟ هي ان الامة كالمجنون أو السفينة أو الولد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي يقوم بمصالحه ، وولي يتولى تدبير أموره!!!

(\*) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير الالاي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطابا في الدستور والاجتماع فارتجلنا خطابا نثبت هنا ما تذكر من مسائله ولعله معظم كلياتها ولا نزيد شيئاً الا ان يكون في العبارة كزيادة السجع دون جوهر المعنى

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحتمونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفيهة كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمرها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، و يكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكيم العدل ، والعامل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ، ؟

كلا إن ذلك أمر غير معقول ، وحكم استبدادي غير مقبول ، المشاهدة تقضه ، والتاريخ يفنده ، فقد قرأنا في سير الغابرين ، ورأينا في حال الحاضرين ، ان اكثر الملوك والامراء المستبدين . هم أعرق أفراد أممهم في الجهل ، وأوغلهم في أفن الرأي ، وأشدهم فسادا في الارض ،

أي قاض من قضاة العدل حكم بمجنون الامة أو سفها ، ووجوب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ؟ أي شرع يبيح للوصي ان يتصرف في حال السفه أو القاصر تصرف المالك في ملكه ، ولمن كان في وصايته كثيرون ان يتبع في معاملتهم هواه ، فيمنع بعضهم من حقه ، ويعطي الآخر ما لا يستحقه ، كما هو شأن الملوك والامراء المستبدين !! ألا ان هؤلاء الادعاء في وصايتهم ، المعتدين في ولايتهم ، ليسيتون التصرف في ملك الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، وبالقوة القاهرة يمنعونها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي ، بل يحولون بينها وبين معرفة ما تملك ، وما لها من حق الرأي والتصرف ، لتبقى عالة عليهم ، راضية ببقاء الامر فيهم ، ولهذا يمقت المستبدون العلم ويقاومونه اشد المقاومة ، وقد رأيتم ذلك في انفسكم فقد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تدفنونها في حنادس الليل تحت الارض ، خوفا من زبانية الاستبداد أن تدمر على بيوتكم قتراها ، فتزل العقاب الشديدين اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهربون السلاح ، ويساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق ، فقد كان كل ذنب مباحا أو متساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الاذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يهبون فيها بالأوراق المضرة ،

لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فتطلبها من طريقها ، واذا يجرمون من التمتع بذلك السلطان المطاق ، والتنصرف بتلك القناطير المقنطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المنصوبة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه هو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا ننقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لعظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة من كانت كلاءة الله ظلًا ممدودًا فوقهم ، وسنته في النجاح صراطًا مستقيمًا أمامهم ، ألا ترون أن الحكام المستبدين يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لعلمهم ان الحق لا يغالب اذا وجد نصيرًا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هياكل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا بعهد عنكم وانتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية شورية ،

أرايتم لو أن أحدًا همس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وانتم تثنون من ذلك الظلم الفاحش قائلًا : ان نفرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجرة لهم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافتون بينهم في تدير الحليل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

على الدولة العلية ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء القانون الاساسي ، فما هو رأيكم في هؤلاء المجتمعين ؟ ألا يقول اكثرهم مجانين ( مجانين مجانين ) بلى ولكن قد علمنا الآن علم اليقين ان هؤلاء نفرهم الذين قوضوا تلك السلطة الظالمة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الاخير على الدولة العلية ، فما الذي أقدركم ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وأوف كثيرة من الاعوان والانصار ، القابضين على زمام الاحكام ، كانت ترتد من ظلمهم الفرائض ، وتضطرب لتصور استبدادهم القلوب ؟ ليس هو الاجتماع للطالبه ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الانصار الاخيار من اليائسين ، كما كان اكثر العثمانيين ، لما نالت الامة العثمانية هذا النصر المبين ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كثير من ساسة أوروبا وكتابها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لان المعهود في التاريخ أن هذه الغاية لا تتال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وطلاب الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما عملنا الآن شيئاً ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الامة وظهيرها ، فما عدا مما بدا ؟ أليس قد أتمد بعض ضباطه اهل العرفان والحجوة ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحريه ، فكان العلم والرأي هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني  
نلنا الحريه والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه بطلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، واثبات رشد الامة وأهليتها للقيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الامة حقيقة وصارت أهلاً للتصرف النافع ، الذي تحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الامة العثمانية عسير جداً . فانها على اختلاف شعوبها في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب متفاوتة تفاوتاً عظيماً

في التربية والتعليم اللذين يؤهلان الامم للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه التربية من مجموع العرب، والارمن أرقى من الأكراد، والأستانة والولايات الاوربية، أرقى من الولايات الآسيوية، وولايات سورية وسط بين ولايات أوربا وبين العراق والحجاز واليمن، وأنا نرى الاستعداد في سورية ضئيلا فإذا تقول فيما دونها، فكنا كثيرا ونحمن في مصر لنختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الأحرار الشجعان ليؤلفوا لنا شعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نعثر في أكثر المدن على من تثق بقبوله لدعوتنا، ودخوله في جمعيتنا، دخل في الجمعية رجالان من أهل بيروت كل منهما صديق للآخر ولم يكشف أحدهما الآخر بذلك إلا بعد إعلان الدستور، وناهيك بجماعة أهل بيروت

إن العاقل الراشد إذا منع التصرف في ماله بالقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أبيع له العمل وهو غير متمرن عليه يحار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه أن يجري فيه على طريق السداد . وقد اهتدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء ( المرحوم محمد باشا المحمد ) فقسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه وبين أولاده ليتمرنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضيعات لتفاجئهم الثروة فيموزهم حسن إدارتها وحفظها، وغفل عن ذلك كثير من الأغنياء فلم يأذنوا لأولادهم بالتصرف في إدارة ثروتهم ولا بالتمتع بما تستشرف له نفوسهم منها، فلم يلبث أولئك الأولاد بعد موت والديهم إلا قليلا، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا، كما رأينا وشاهدنا في مصر كثيرا، وإذا كانت إدارة الثروة الشخصية لا تصلح إلا بالعلم والتمرن معا فكيف تكون إدارة الممالك وسياسة الامم ؟

لا يمكن أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي أراحنا الله من شرها، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلأت القلوب رجاء في خيرها، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينجح الأحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لوقعت الأمة

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبته ، وإنما قلت ما قلت آنفا لأنه الأفكار إلى حقيقة  
حالتنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الأمة العثمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فإن فيها من الأحرار  
المرتقين في المعارف والأخلاق من جميع الشعوب من يرجى أن يقوم بهم هذا الحكم  
خير قيام ، ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الأمة في  
كثير من البلاد يحملهم مشاق كثيرة في إقامة العدل ، وإصلاح حال الملك ، ومقاومة  
كيد المتفهرين ، أعوان المستبدن الظالمين ،

لا تظنوا أن الأحرار الكرام الذين نلنا الدستور بسببهم كانوا غافلين عن  
هذا ، كلا إنهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها أن  
تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضعه إلى أن يبلغ أشده ويستوي ،  
فانشأت لها شعبا ورجالا في كل مركز من مراكز الولايات والألوية والأقضية في  
المملكة ، وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان :

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لاجل أن تنفذ الشريعة والقوانين  
في دائرة الدستور ، ويحفظ الأمن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان . والمقصد  
الثاني نفخ روح الحياة الدستورية في الأمة وتحبيب الحرية إليها بث الآراء والأفكار  
النافعة فيها بالخطب والمحاورات ، وحثها على التربية المليية والتعليم العصري الذي  
يجعلها أمة دستورية بالطبع ، تأبى الاستبداد وتنفر منه كما تنفر من الأسقام والأدواء .  
فحيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وأنه يجب على الأمة كلها أن تساعد في سعيها فإنه  
لا حياة لنا إلا بالتربية المليية ونعلم فنون العصرية . . .





## الانقلاب العثماني (\*)

### ﴿ تركيا الفتاة ﴾

٣

تفتن المايين في اكل الرشى ومنح الرتب والاوسمة

كان لرجال المايين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطله كير ماش اورمانه كوندر يورم » أي اني أرسلك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذت تحت المحاكمة ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتمدنة ، ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعدها كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من المايين مباشرة ! تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الانقلاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقرونا بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجبه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بائعوا الرتب يعتمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجبه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتناقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

(\*) تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

القارىء ان تلبك توجيه جديد كقلب كونت أو مركز عند الافرنج، وامتلات دوائر الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاهم بالعمل الذي هم فيه، ولم يكن الغرض من التمييز التحري على موظف قادر على ايفاء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للمقربين والمتمسك لهم أو للذين يخشى بأسهم ١١٠ فزاد عدد الاعضاء في شورى الدولة عن المئين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضواً، وكذلك مجلس المعارف ومجلس التفتيش والمعاينة الضاغطة على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي يحا من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل بحرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد... كما غيرت اسماء الموظفين من عبد الحميد وسليمانى ونحو ذلك الى اسماء اخر وبعضها حرفت وكتبت سلتاني، وامتلات نظارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الا خبر لما عرضوا عليه الميزانية: أولا وجود معاشات المعلمين لامكتبي وضع الموازنة ١١٠ فكانت معاشات المعلمين تضايقتهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسومية عن ثمانين عضواً، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والسكرية والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمعينة الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقلام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجد له كرسي الجلوس عليه ١١٠ وكانوا يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم.

#### اختلال المالية وارهاق الفلاح

اختلت الموازنة المالية اختلالاً عظيماً ادى بها الى حجب نحو نصف رواتب الموظفين والعساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في جنبة الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتساوق الموظفون الى الزاودة بأعشار الاقضية والااوية، وعدوا ذلك فضيلة وسبباً مشروعاً للمكافأة والترقي، والمكلفون من الزراع والفلاحين يشون تحت اقبال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم، رغماً كان يمر على القرية شهرين دون ان يأتيها المشردين وجباة الاموال الاميرية ونصيب المعارف ومصرف (بنك) الزراعة وادارة

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسأهم الروحانيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع أراضيهم وتزويج بناتهم ليأخذوا صداقهن ويمطوا للحياة ما يطالبونهم به من الأموال الأميرية !! فصار الفلاح يتجنب زراعة الأرض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيوم مؤلف روح القوانين : « ان الأراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها الا بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الأرض الموات وجعلها خصبة بعمله وحرثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه الخصبه مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحيثما توجهت فيها لا ترى الامروجا نصرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال المابين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبعث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية ( Budget ) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في اوربا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلا ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الألمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الأهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الإدارتين

اختلال الادارة العسكرية بادارة الجواسيس لها

اختلفت ادارة العساكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

واصابة المهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدث الانقلاب !!  
مم ان دول أوربا ولا سيما المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة  
بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع اولاده وأسرته وجميع ضباط  
السفارات الاجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني  
الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لطول  
مكثه ، فصدأت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلست أموال  
كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر  
والمدرعات ، وصار الترقى في المراتب لا يبني على التدم والاضطلاع والاستحقاق ،  
بل على الالتماس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة  
في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندية معنى حتى ولا احترام من فوقة في الرتبة ،  
وكان الضباط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسماسرة بأثمان بخسة ،  
حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حلة ( بدلة ) العسكري التي تشتريها  
الدولة بمئات من القروش بعشرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلة كان  
يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلة  
من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسماسر فيعطيه  
هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السماسر مع المحاسبه جي ومن فوقة ويربحون  
الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر ( ايراد ومصرف ) كأنها جرت على القاعدة  
والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية  
البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في  
شوارعها وحاراتها !!

اشتبهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوربا وخدموا  
الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فابتدعوا عن الاستانة  
وأشغلهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون  
الاسامي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين  
شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد

باشا الشهير وتألم باشا وهو صهر عالي باشا - وأصبحت قيادة العساكر وادارة المدارس العسكرية بأيدي اناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل التجسس على أصحاب الافكار النيرة وابتداهم عن مركز الادارة، وكانوا يعدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والمحافظة على الخلافة الاسلامية !!! فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة ، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانعامات !! .

فكان الجواسيس ينظمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة، ويختفون المسائل ويفترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة يبندها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم ، وما ذلك الا لظهار خدمتهم واثبات تيمظهم ومغالبتهم لنيل المكافأة ، والمالين لا يكل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في مئة كاذبة واحدا صحيحا، فاذا قالوا : « فلان له قصد سيء بالخليفة » أو « له مخامرة مع حزب تركيا الفتاة » أو « عنده أوراق ضارة » كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله واباده ، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكية والمس يحقوق الخلافة الاسلامية ، على انهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة اسلامية وهي المعبر عنها عند الافرنج بقولهم « بان اسلاميزم Panislamisme » كما توجد سياسة سلافية « بان سلافيزم Panslavisme » وسياسة جرمانية « بان جرمانيزم Pangermanisme » ولا نجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص بالمصالح الاسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الاسلامية دراسا تاريخيا علميا للوقوف على افكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية ، وعلى أحوال العالم الاسلامي في مشارق الارض ومفاريها ، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة و يقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية . فقصدتهم من السياسة الاسلامية انهم رأوا كل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه بنبى العباس لم تشر الحكومة أمرا جديا ل عمران البلاد واستخراج روثها الطيبية والسير بها في معارج التلمن والرفاه ، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد ، بل ما كانت جميع المشروعات الوطنية فكانت لا يمكن من فتح المدارس

الخصوصية أو تعليم الأولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلدان الأجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حمية أرباب المهنة تذرعا بأنها تؤدي إلى الثورة والانتداب، فحكم نظر الولاة والمتصرفون شزرا إلى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو إلى مدرسة سلطانية أسسها الجماعة أو إلى شركة صناعية أو مالية عقدها الأهالي، وسرعان ما كانت تعطل ويحجى أثرها، وكم منعوا الآباء من إرسال أولادهم إلى المدارس الأجنبية أو إلى مدارس أوروبا، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجرته الحكومة من سد بعض الخطوط الحديدية وإصلاح المرافئ التجارية وتطهير المستنقعات إلا اجابة لطلب الشركات الأوروبية وتوسط بعض المتنفذين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية، فتمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به فرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز، ويبقى النصف الآخر بحاصفاليه في مقابل اتعابه بالذهاب من الماين إلى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم إلى كبير القلم أو الدائرة، وكل زيارة تحتاج إلى اكرام و(شوفة خاطر) !! روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مدسكة حديدية كبيرة على أخذ أربعين ألف ليرة عثمانية، وانه لم يقبل أخذ حوالة على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتكاب، واشترط ان يكون ذهباً عينا، قال الراوي فجاؤا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرخمة عمداً عمداً وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة تصفوقاً متوازية، ملزوزة، وللأصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب، فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقياً على فراش الموت (تمامي؟) يريد هل العدد تام فقبل له نعم ياسيدي تام، فأخرج الختم من كيسه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا !! ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المتقطرة من الذهب ويتقبض رواتبه سلفاً، ويويل لعالم الخزانة ان لم يدفعها - وفريق يتضور جوعاً وهو ينتظر رواتبه المتراكمة دينا عند

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يعول عليها في الاتفاق على نفسه وعياله النفقة الضرورية ، وكان ضباط المسافر مظلومين أكثر من سواهم فكانت روايتهم وتعييناتهم على قلبها - لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرتشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يثقب في قلب الانسان ثقباً وعملاً حقدًا »

#### سقوط هبة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الإدارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا أصولاً مرجعية لاني سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وإنما أصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الأمس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الأشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الأجنبية فتحرج أن على تهديدها حتى في المسائل الحفيرة كسألة تونسي دلوران دو التي أوجبت خروج الأسطول الفرنسي الى جزيرة مدلي (ملاين) ، فصرخ إذذاك ما رسل سامبا زعيم الاشرافيين في مجلس النواب الفرنسي قائلاً : ما هذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحركوا ساكناً في المذابح الارمنية ولم تتدخلوا فيما توجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية ، والآ ن تكبدون النفقات باحراق فحم الأمة وارسال الاسطول لحماية نفرين من المرابين اقروضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضاً في نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم في الديار الأجنبية يأنفون ان يكونوا من رعيها ، فكانوا يتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، وبعضهم استبدل التابعية الأجنبية بالتابعة العثمانية .

كان أرباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعين الاسف والاستياء ويعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الأمة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب لمدحت باشا وان لم يكن كله من بنات افكاره . فكان الاستبداد ضاغطاً على جميع افراد

## ( المارج ١١م ١١ ) نهاية الضغط . جمال الدين . اتحاد الارمن والترك ١٨٤٩

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقرين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لعقد النكاح أو للختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مرضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص وارادة سنية لحركاتهم الشخصية وفعالهم البيئية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العامر) فقال: اية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتهيت أكلة بفتك (شواء) أو نشر فكري جريدة أو التنزه في ناحية من المدينة لا استطيع . أيها عيش الانسان بغير الحرية او لهذا فر الى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفر الى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

### اتحاد الارمن والاتراك في طاب الحرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثائرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوافيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليلفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، تم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قافقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غالينزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التتر المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذابح باكو وفضائلها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط



الذين سبوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، قتل بليف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديزفانه كلفهم خسائر جسيمة ، فعدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفتاة فعدت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان اخندي الارمني الشهير وقدمت اتفقتهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاضرة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع رعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلامية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المستبدة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفلت المدارس وحسبت المعلمين ونفت التلاميذ وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس اتقصت التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التحريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعذالة لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة والعمران ، بل على الجواسيس والجرائد المويذة للظلمة المحبذة لاعمالهم ولا سيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لايهام الناس ومخادعة أوربا عن احوال الممالك العثمانية .

فنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذكار الجواز ( Passes-port ) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وقعدان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراهبة وقعدان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المدينيات السابقة خرابا ، وأراضيها قفرا بلقعا ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا ، ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالهجرة والقحط أكلا العمل الذي بدى بالمذابح واتسج الخراب البلاد وخلوها من السكان . فجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الاقلاب

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية وتوقيف الخطاطبا - تلك خلاصة المذكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

نهضة جمية الأتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الأتحاد والترقي العثمانية في أوروبا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وفارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيرها من المنشورات وكان الدكتور نظمي بك السلانيكي الاصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الأتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعابها أرباب السياسة ولم يعتدوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخويف المايين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك معاندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، مفضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تداخلت الدول الاوربية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناسير وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادارتها تحقيقا لرغبة أوروبا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم - وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته ( Comité ) فسموا الداخل فيها ( كوميته جي ) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم واوزاعهم ، وكانوا يبذلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف - وكانت الحكومة المحلية تهاجمهم وتلاطمهم وتستميتهم رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والاوناوط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلالاً كلاً أو جزءاً كعمانا ، العرب ، الحما ، الاسد ، الهه ، الهه ، الهه ،

والبوسنة والمهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقي في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقسم على ضمير يراد به الا الاذلان غير الحبي والوند  
مالنا لا نفعل كالروم والبلغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه؟  
ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابوهم بان الاسلام يساعد ويحض على ذلك ،  
ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الأتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ،  
عارفين بما ينتج ففلمهم من الفوائد المادية والمضوية ، فتشكل لهذه الجمعية مركز  
في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، ولقد بلغ  
عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون  
لا يدرون من أمرهم شيئا ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة  
يعتقدون بانه سيصيب بلادهم ما أصاب كريدو ولاية الرومي الشرقية والبوسنة  
والمهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على  
التظاهر بذلك .

#### الامير صباح الدين وسياسته

اكتب الامير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده  
فاستثار فكره ، وجنح للحرية والاخذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا  
يعرف بحزب ( المشروطية وعدم المركزية مع التثبيت الشخصي ) ولسان حال الحزب  
جريدة ( ترقى ) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك  
كاتب الجمعية . فعدم المركزية ( Décentralisation ) يقسم إلى قسمين عدم مركزية  
سياسية مثل مستعمرة كندا الامريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو  
عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية  
فيها كما أشير اليه في المادة ( ١٠٨ ) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا  
فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان  
ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

حسن بك . فراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتثبث الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشهم حتى لا يكونوا منتظرين سيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائماً الاعانة من أسرهم والأسر من أر باب مجالسهم وأر باب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة اللاتفة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

#### نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتعرض تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الازهان كدر من الامس وخوف من الغد ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ونفرة زائدة و بغض وحقدا كامنان في النفوس ، وعلم المقر بون انهم على وشك الاتقراض ، فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قهال كوا على ادخار الاموال واقتناء العقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور باو أمر يكاء وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فناوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستماتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعائم ، ومنحو الراحة من الخدمة العسكرية وهم ومن انتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا انصب الانعام على فرد أو أسرة انهم كالفيت المتواصل وانصب

كله في زرع ذلك الفرد أو الأسرة دون أن يفيض منه شيء على المزارع المجاورة ، ولهذا قال أحد الفضلاء :

أمر المؤمنين فذلك نفسي ونفس (أبي الضلال) لما فداء  
أنهيه وهتلنا جميعاً لعمرك إن ذا هو البلاء  
فلا والله ما هذا ببدل ولكن أنت تتصل ما نشاء

واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل ضبطوها ضبطاً بلا حكر ، وباعوا امتيازات الأمور النافعة للأجانب فاضروا الدولة بذلك اضراراً جمة ، وشرعت نفوسهم للعجب وتلقت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع المزايا الإنسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقترس ، ينقلب يوم سقوطه وابعاده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من أفعال فهم باشا وهو منفي إلى بروسه الذي أهلكه الأهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كما أشرنا إلى هذه المظالم المنكرة المكثرة ، وإلى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد أن بدّل المراقب فيها وحرف كما أراد ، ظناً منه أنها تخفي وراءها خبيث على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الاستانة واطلع عليها الملدوغون صدر الأمر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الأستناء تنفجر منه فوهات في عدة جهات ، لأن بقاء الخال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً وأن البلاد العثمانية متوسطة بين أوروبا والشرق الأوسط والاقصى . ومما زاد اختلاطاً بالعالم المتمدن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الأجنبية على شعورنا ، ومشاهدتنا صور السيفياتوغراف وسباعنا اصوات الفونوغراف ، وركوبنا الترام الكهربائي والحوافل والدراجات كل ذلك كان من نواعي اختلاط الأمم وانتراجها ، وأصبحت المسافة بين الاستانة وباريس أقل من ستين ساعة بعد أن كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية ، أو في المدارس الأجنبية التي افتتحها الأوربيون والامميكيون في الشرق رغم من الحكومة

المسلمين من دخولها والتصديق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك ، أو في المدارس الخصوصية التي استنها طوائف الروم والأرمن واليهود والبطاركة تعلمت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الأجنبية ، ووظاعوا الجرائد والكتيب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة ، وادركوا محل الخلل ، وحصار يتخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم متشجعون بفكر الحرية ومنتخبون بالاخلاق الاوربية والحماسة الوطنية . فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجهال المستبدين بالأمر ، ففضضوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهادا كبيرا كثيرة شتى كالنفي والحبس والمراقبة ودمور المنازل وتفتيش الاوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ،

فلا حدث الانقلاب في ۲۴ تموز (يوليو) وانفجر في سلازيك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحزب تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي ، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مستأون حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الحال الماضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما اغتصبوه من الاموال لان كلامهم كان يتطلب اكثر مما ناله ، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكن اذ ذلك مدهشا دمويا

انفجار بركان الحرية وحدث الانقلاب في ۲۴ تموز

تسمى جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في سلازيك اخفاء أمرها مدة ولكن وانحتها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاختفاء ، فاحس بها جواسيس سلازيك وبعثوا بتقاريرهم إلى القايين ، فأرسلت الجواسيس من الأستانة فقررت الجمعية اعدام الذين ثبتت لديها تجسسهم وحياتهم للوطن ، وعينت فدائيين من اعضائها بالقرعة أو بالتراضي

وكان القائم ناظم بك قومندان مركز سلازيك يبذل مجهوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذلك إلى الأستانة ليرض معاوماته ، ورجع منها نائلا لثاني فرس ضيا على راتبه فراد اجتهاده وتحريره ، وطلب تانية إلى الأستانة وبيتنا كان على

أهبة السفر اذ فوجيء بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلانيك صادق باشا وماهر باشا وأميرالوواء يوسف باشا وبعض الياوريه وعدة من موظفي الملكيه ، ونظموا دقرا باسماء كثيرين من المتهمين بعضويه الجمعيه ، وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم ، فقام في مناسر صلاح الدين بك قائمقام ارکان حرب والبيكباشي نيازبي بك الارناؤطي بتشكيل فرقه من العساكر الوطنيه وذهبوا للناحيه ( رسنه ) وهي في الغرب الشمالي من مدينه مناسر على مسافه ثلاثين كيلومترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البيكباشي صهر ناظم بك قومندان سلانيك وكان طلب الى الاستانة ووعد بمكافئه كبيره ولكنه اختار نفع وطنه على منفعتة الذاتية

ثم قتل في سلانيك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلعا عظيما وطلبت مقبي الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال ، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش !! وبينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير ، وهرب الجارج من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته ، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى ( رسنه ) الفريق الاول شمسي باشا قومندان ( متروبيجه ) فاختر من يعتمد عليهم من الضباط وتابورا من العساكر وحضر على القطار الى سلانيك ومنها الى مناسر وذهب تو الى إدارة التفراف لخبرة المايين ، فخرج عليه أحد الضباط وقتله ، وامتنع من معه من الضباط والعساكر عن الزحف على ( رسنه ) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من عساكر الاناضول ، ولما وصل منهم إلى سلانيك الثلاثة توأير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضدوا اليهم أيضا ، فأحس المايين بأن سوق عسكر الاناضول الى الروملي إثناء لقوة الجمعيه فأوقف ارسال بقية عساكر الاناضول الى سلانيك ، ثم اجتمع في ( فيرزوبك ) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز ( يوليو ) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلانيك

## ( المآرج ١١ م ١١ ) اعلان الحرية بسلانيك . خلاصة أسباب الاقلاب ٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات محتومة بمختم الجمعية أي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تدعوهم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يتملوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أولمبيوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلانيك وضح الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طنّف (بلكون) خندق ( أولمبيوس بلاس ) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك نجيب محرر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المحصورة ( فوق العادة ) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فليحي الامة » ، فليحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسلية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé

وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قاتلك أي أهل وطن شان كونلري كلدي » وفي ليلة الجمعة وردت رساله برقية إلى حلبي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدور الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

### الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسفك دماء

حدث الاقلاب العثماني بلاسفك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

( ١ ) المآرج : هذا البيت من أبيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالمرية

ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد واني

( المآرج ١١ ) ( ١٠٨ ) ( المجلد الحادي عشر )



الملكة كما حصل عند باقي الأمم من الإنكليز والفرنسيين والأمريكان والمجر والروس وغيرهم، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة: « لا تبت الحرية مالم تسقى بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها:

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسميها الأفرنج (Théocratique) وإنما هي مقيدة بأحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة. فالانقلاب لم يضع حقوق السلطنة والخلافة كما يضع انقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الآلهية ١١١١ حتى اتصرت لفريقي من الناس وقتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور.

(٢) عدم وجود امتيازات لصنف من أصناف الأمة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للإشراف والرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الأراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الانقلاب الفرنسي وحرّمهم من حقهم المشروع على زعمهم واعتقادهم، أما الانقلاب العثماني فلم يضع لأحد حقا فإن الحقوق التي كانت على الأراضي للدره بكوات (دره بكر «\*)» المعروفين عند الأفرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة التي تبت بعد التثكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان، وأعطى لأصحاب هذه الحقوق ضمانات ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة، ووضع أخيرا قانون الأراضي الموافق لأحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضما وترتيا كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق. فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والضيع وغير المسلمين « لهم مالنا وعليهم ما علينا » أما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(\*) المناج: يراد بكلمة (دره بكر) في التركية أصحاب الزعامة والنفوذ الفعلي

في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الأناطول فإن الساطة والنفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

الفاخ للروم وأقرّهم عليها والامتيازات الاجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الاجانب تفضلاً منهم واحساناً لا يجرى وغلبه فسيجري الاتفاق عليها بصورة هنية يرضى بها الجميع .

(٣) ان الافراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الامة والدولة بالباطل ، كما يعترف الاذكاء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وفائدته ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعدهم على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الامة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لهم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الامة ان تلقي على قارعة الطريق جماغفيرا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعياهم غير ما كانوا ينقدونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضا في حق الظالمين لتم سعادة الامة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وفلاقل في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة ( Réaction ) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تمحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تحملمهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اه

## افتتاح مجلس المبعوثان

﴿ ثلاث ارجالية في الاحتفال به ﴾

بطرابلس الشام ﴿٥﴾

خلاصة الخطبة الاولى في ميدان التل

أيها الامة العثمانية الكريمة

أهنتك بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين وانني  
لاهنئك بأمر عظيم ، أهنتك بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول  
في في ، وأجبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار يصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم  
تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .  
يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجمع العظيم الذي  
يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده ببعض بقوانين ومصالح مشتركة .  
فالاجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المؤلفة من جماعات بعضها أكبر  
من بعض أديانها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي  
منتهى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا  
عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

(\*) احتفل بطرابلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤  
ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيئتي  
الحكومة الملكية والعسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام  
الهيئتين ثم في نادي جمعية الأتحاد والترقي وهذه خلاصة ما قال

الاجتماع حتى في الاسرة فقد صار الاب يهرب من ابنه والابن يفر من أبيه والاخ يفر من أخيه خوفا من تجسس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والمآتم مخوفا ومهددا في دار السلطنة !! «منع الاستبداد الماضي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة المحاضر» وفرض عليهم ان يشكوا منفردين وان كان ما يشكون منه مشتركا بل منع شهادة التواتر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالافراد الذين ينعون من أصغر أنواع الاجتماع ويهددون بالعقاب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرقى أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد تحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارتهم الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكام العاملين فهذا الاجتماع تحقق تكوّن الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العام لجميع العثمانيين فان ما عداه من الاعياد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الاديان والمذاهب ، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردي والارمني ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثا كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به مجتمعين ممتزجا بعضهم بعض لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالا من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمراء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة ممتزجين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر أصناف الامة من الزراع والصناع والتجار والعمال وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم انني أهني الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنفيذها فيقروا ما يشاؤون ويفيروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من المتصرف الخ

## ٨٦٢ حكم الأمة لنفسها . خطبة صاحب المنار بنادي الجامعة العثمانية ( المارچ ١١١١ )

ما يشاؤون لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يعيدوا انتخابهم ، وإنما كان هذا من الأمة فهي التي أنابتهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الأعلى وجميع الحكام من أعلامهم إلى أدنانهم مستأجرون لها بما لها لأجل ان يقوموا بما لا بد لها منه ولا غناء عنه من المصالح

المعمومية ملتزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الأمة هذا الشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح

لها ان تقول ولا ان تفعل الا ما يدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية

بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الأمة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها وانتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كعلاقة الدولة مع الدول الأجنبية وليس منه ما رأيناه من تجمير بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة لإلزام بعض الحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين الفوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق نوابنا إلى ما فيه خير الملة والأمة .



### خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة العثمانية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الأمة ودوام الدستور: سمعت كثيراً من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسوئي من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيرة وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكفله ان يفشل أو يصيبه كيد الكائدين ، ويظفر بمراة حزب المستبدين المتقهقرين ، ويسوئي بما يظهر من فحوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتغليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من اللسان متدفقا عن القلوب ،

انني أدعو مع الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويجعل النهاية خيرا من البداية فاننا لا نستغني عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، ولكنتي أدعو وأنا ممتلي القلب بالأمل والرجاء ، ولست أرى للخوف محلا بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الامة الاول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملاما ، بل كان بردا وسلاما

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جدا ، ان ذلك المجلس لم يكن بسمي الامة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا ابي الحرية وبعض اخوانه الوزراء والكبراء فهم الذين وضعوا القانون الاساسي ، وبسعيهم ألزموا السلطات بقبوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منقدا ، وفرق ما كان مجتمعا ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من ابطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الامة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه ويعضده ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقية اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندوبه: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا منتصرين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؟ انها هددت المبعوثين ذوي الجرمة وأذرتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة ، فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من بقائهم ان يحدثوا هنالك تأليا للناس ويحملوهم على المطالبة ببقاء مجلس الامة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الامة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواما بأقوام ، فقد نلنا الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسعي احرار الامة النابغين ، ومساعدة الجند وضباطه المستيرين ،

لابسعي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيبهم ما أصاب مدحت باشا واخوانه من نفي واغتيل فيذهب الدستور ومجلس الامه ويموتان بموتهم . كلا إن من ورائهما ذلك الجند الباسل الذي ساعد احرار الامه على نيل هذه الرغبة ولولاه لم نصل الى هذه النعمة ، من غير خطر على الدولة والامه ، ومن ورائهما احرارنا المنبثون في جميع الولايات العثمانية ينفخون روح الدستور فيها

تشهد أم أوروبا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدها بأسا وثباتا في ميادين الجلال حتى قال الجنرال مولتك القائد الالماني الشهير الذي نكل ذلك التكتيل بالفرنسيس : اعطوني مئة الف جندي عثماني افتح بهم أوروبا كلها . ولكنهم كانوا يقولون ان هذا الجيش الباسل ينقصه الضباط والقواد العارفون الصادقون . والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم وتربوا أعلى التربية وهم الذين كانت تطاردهم السلطة المستبدة الماضية خوفاً أن يقضوا على استبدادها حتى شئت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون ومنهم الهاربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح الله البلاد العثمانية من شرها فهل نخاف اليوم على مجلس الامه وقد عاد أولئك الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا الى اخوانهم العاملين في الجيش وكل منهم يفدي الدستور ومجلس الامه بروحه ويذلل دونها آخر نقطة من دمه ؟ كلا ان العارف بحال الدولة والجيش وبما آتته جمعية الأتحاد والترقي من الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الامه لا يتخالج صدره أدنى خوف على المجلس في هذا اليوم وإنما كنا نخاف على الدولة في دور الانقلاب من الخارج ، كنا نخاف ان تقوم في وجهنا أوروبا فتفسد علينا عملنا وتضطرنا الى الدخول في حرب لا تؤمن عاقبتها ، أما وقد لقينا من الدول الاجنبية ميلا وانعطافا عظيمين الا ما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنه والهرسك الى أملاكها ومن إعلان البلغار الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة ولله الحمد والمنة ، بل رأت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الامه العثمانية ما جعلها تندم على ما فعلت وتود إرضاء الدولة العلية

أما المشاغب الداخلية التي يحررها في بعض الولايات انصار الاستبداد من حزب  
التقهر كالعراق والشام والحجاز فلا خوف منها ولا خطر فاذا قام مثل طالب الرفاعي ،  
يثير حربه من أكلة الافاعي ، ليفسدوا في الارض ويؤلبوا الاشقياء في ولاية البصرة  
على الدولة فان قيامه هذا لا تأثير له ، ولا يعجز الحكومة الحرة استئصاله ، فان لديها  
من الرجال من يأكلون أكلة الافاعي ، فلا يعجزهم التنكيل بهذا الرفاعي ، كما نكلوا  
قبله بذلك الشقي الكردي ، فسيحبط عمل المفسدين ويستقر الامن في جميع الولايات  
العثمانية عن قريب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من يخاف ان يفشل مجلس الامة ويعجز المبعوثون عن القيام بما  
نيط بهم وعهد اليهم من مصالح الدولة والامة ، وانني أصبح بأعلا صوتي ان هذا  
الخوف في غير محله أيضا . ان المجلس السابق على ما كان عليه من الضعف وما قبل  
من ان جميع أعضائه أرادوا ان يكونوا من حزب الحكومة حتى لقبوا بكلمة «أوت  
أفندم» لخضوعهم لما يراد منهم - على هذا كله قد ظهر من بعضهم أفكار وآراء  
حسنة واستقلال يرجى خيره لودام فكيف يكون مجلسنا اليوم وقد ارتقت الامة  
بالنسبة الى زمن المجلس الاول في الاستعداد والمعارف والافكار بالرغم من اضطهاد  
الحكومة الاستبدادية للعلم والحرية حتى انها بنوع الكثيرين من رجالها قد انتصرت  
على الاستبداد وهو - كما قال الاستاذ الامام - في عفوانه ، والظلم قابض على  
صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد

نعم ان مجلسنا الذي نحتفل بافتتاحه اليوم مؤلف من طائفة من الاحرار المتطرفين  
وطائفة من المحافظين الجامدين ، وفيه عدد قليل من المعتدلين ، وكثير من رجال العلم  
والدين ، وانني أرجو - كما يرجو كثير من محبي الاعتدال - ان يكون تأليفه من هذه  
الطبقات المختلفة التي تمثل الامة كلها أقرب الى النفع وأبعد عن الخطر فاني أعرف  
كثيرا من احرارنا المتطرفين يميلون الى العجلة في الاصلاح ، وقد يكون من المستعجل  
الزلل ، ومن تأتي نال ماتمى ، والعجلة في طور الانتقال من حال الى حال لا تخلو من  
خطر أو ضرر فان خاب الامل ( لا سمح الله ) وضعف المجلس عن الاصلاح المطلوب



## ٨٦٦ جمعية الاتحاد كفايتها الدستور. خطبة صاحب المنار في ناديها (المنار ج ١١ م ١١)

الآن فان جمعية الاتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالة الدستور تسمى عند الانتخاب الثاني او تجتهد في جعل جميع الاعضاء أو اكثرهم من نابغي الأمة ونحمد الله ان في أمتنا من النابغين ، من يشهد لهم بالفضل والعرفان ماسة الاوربيين ، ناهيكم بأولئك الكرام الذين احدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي ادهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال من الخطأ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الأمة في زمن قريب فان التدرج سنة الهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطالبها العقلاء ، وإنما واثقون - مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه - بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ما تقتضيه مصلحة الأمة في حالها الحاضرة ، آمين

\*\*\*

### خلاصة الخطبة الثالثة في نادي جمعية الاتحاد

انا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للأمة العثمانية أكبر عيد ، كانت أسباب سرورنا في الأشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سرورنا منذ اعلان الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نؤخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا نستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلا أو نهارا للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالاوراق الضارة أو « المظرة » ، سرورنا بأننا صرنا أحرارا لا يمنعنا أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الاعمال ، سرورنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالا لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتقه أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا - كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور منذ أعلن الى اليوم معناها سلبية تفسر بلا لا لا في هذا اليوم بتبدى المنافع الايجابية فقد اجتمع وكلاء الأمة الذين أنابهم

عنها للقيام بما يميز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا نتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينبغي ويزيد مع الايام والسنين الى آخر الدهر ، اننا ننهي أنفسنا بأن الامة قد صارت منذ اليوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؟ يجب أن تُعنى بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متعلمة بالمعارف والاخلاق التي تستزبها الامم بأن تحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلا لان يختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه وتوجه اليه هو أن تتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا نتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم مناعون ومساعد على ذلك ، وأن تتولى نحن سائر الامور التي تحتاج اليها الامة كتربية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن نتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمهد لهم خطوط الحديد ، وان اتكالم الامة على الحكومة في كل الامور العامة صار منذ اليوم من التناقض أو مما يستلزم التناقض ، فبينما هي تتفتخر بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لامورها اذا هي تبتأ من كل عمل لها وتلذذ بالحكومة لزا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم بما لها للقيام بأعمال مخصوصة لا تستغني الهيئة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارهم لذلك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الأمرين !!!

انما فشل مجلس المبعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافلة له ولا عارفة قيمته ، ولم يكن المرحوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا

## ٨٦٨ تربية الامة . كفالتها بقاء الدستور . التربية والتعليم . وجوبهما (المنارج ١١م ١١)

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي يثبت ويدوم إنما يكون بتربية الامة وتعليمها حتى تصير أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطعة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامسة ممتدة اليها ، وبرائتها ناشبة باطراف جسمها ، فعزموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعملوا ماعملوا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي . ولا يشك عاقل في كون الاصلاح اذا جاء من جانب الحكومة ، يكون أسرع من مجيئه من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المنال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل المحال ،

ان الإصلاح في الأمم لا يأتي الا بالتدرج وهو انما يكون أولا بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الام الحية العزيزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طائفة بعد طائفة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويحجى الجيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسميه ( الدافور ) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراءه . ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت باشا وإخوانه من قبيل ( الدافور ) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه همتنا وعنايتنا اليه ، ونعول في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكتران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قلبوا لنا الحال ، وولنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الواقفين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك . وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشهور بسوء حال الدولة وبما ينذرنا من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى ان الصائح بكلمة الدعاء

( المارچ ۱۱م ۱۱ ) وجوب اعتماد الأمة على نفسها . قيامها بذلك بالجمعيات ۸۶۹

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة « بادشاهم جوق بشا » ففتح التلاميذ أفواههم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يملأ جوها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور المحزن فعمد ألسنتهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم يجتهد في تعميم التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا أمثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لا يكون لهم خلف وما الموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم ينتجوا ويحجيء بهم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الأمة فان التاج والنماء هما ثمرة الحياة والمقصد منها

يوجد في أكثر الولايات بل البلاد العثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار العصرية ، ومعرفة طرق ترقى الامم والغيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الامة ان تقدروهم قدرهم وأن تستعين بهم على ما ينبغي لها في هذا الطور الجديد لست أعني باعتماد الامة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لا تبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الامة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الامة جميع ما يحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الامة نفسها

كيف تقوم الامة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هلم أعلمك ؟ لا لا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترتق أمة فيه بغير الجمعيات ، وحسبكم ان بعض الجمعيات عندنا قد اسقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأبي برهان أقيمه لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بكركه بألسنتكم

لا ينتشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الامور العامة الا بالجمعيات فعلينا ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئنا المدارس والكتاتيب ، وان نعزدها بأموالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي تعزبها الامة

ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي

كان يضطهد العلم ويؤيد الجهل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده أكثر فائدة وانمي زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء وإن في بلادنا ما هو أخصب من أرض مهمر تربة كأراضي الجزيرة بين النهرين ( دجلة والفرات ) التي قال هيرودس أبو التاريخ انها كانت توئي غلتها من مئة ضعف الى مئتي ضعف أي ان الشنبل ( كالاردب ) من القمح كان ينقل لصاحبه مئتي شنبل . أيجوز ان تبقى هذه الارض التي لا نظير لها خرابا لا ينتفع منها بشيء ؟

حسبنا من نعمة الدستور اننا صرنا احرارا لا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستغل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سعم من بعض الخطباء كلاما في الحرية فمن لي في هذا المقام أن ازيد شيئا وجيزا على ما قالوا فان المجال ذوسمة

الحرية تقابل الرق والعبودية فمعي كوننا صرنا احرارا اننا كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو اننا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادرا على ان يمنعنا من التصرف في انفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزا عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل ان نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والاعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا ان نخرج من المضيق الحيوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه ان يجعلنا رعية ويكون لنا كالراعي للبهائم ، صار يمكننا ان نكون اناسي وبشرا يتمتعون بمزايا البشر . يقول العارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري ان استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فانه يمكن ان يكون ارتقاؤهم فيها متصلا ومستمرا ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حفاة عراة في صحاري أفريقية وجبالها وفي بعض جزائر المحيط وبين هؤلاء الذين

( \* ) ذكرت لهم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاوبان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعا باستبداده فقال له انه ذكر يخطب أثني فسألته ان يهرها بضعة خربة فقال لها اني أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضيعة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندنا بحيث تصير أرض الجزيرة مهرا للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي ينقل من الخارج

يخاطب بعضهم بعضا بالقول والكتابة بواسطة الاسلاك الكهر بائية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم ونتائج المدنية الغربية ما وصل أهل المدنية العالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إليه من العزة والكرامة الا بإطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج النكمال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الظليل وحماية الدستور العادل

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استعدادا للعلوم والاعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تظفي نور فطرتنا ونحجر على استعدادنا فلا تسمح لنا ان نظهر اسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا ان نتمتع بما سمح لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : ( هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ) وقال تعالى ( وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا )

كان العالم منا إذا أراد ان يؤلف كتاباً نافعا قال نذير الاستبداد إياك ان تفعل فان مولانا لا يريد ذلك ، واذا حدثت محب الفلسفة نفسه بأن يحل إشكالا ناجاه منه الاستبداد في سره إياك ان تفعل فان مولانا لا يحب ذلك ، واذا خطر في بال أحد ان يبحث في اسرار الخليقة ليخترع شيئا ينفع الأمة اسر له رسول الاستبداد : إياك ان تفعل فان مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على إظهار أثر علمي أو عملي برقي الأمة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الا وجد الاستبداد له بالمرصاد ، وناله منه ما تعلمون من الاضطهاد ،

فالحرية هي نحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشرا ، لا غنما ولا بقرا ، فالارتفاع من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستعداد الانساني إلى العلوم والاعمال التي ترقى بها الأمة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا باتباع الشهوات ، واتباع الفواحش والمنكرات ، ولهذا كانت الحكماء ومحبو الانسانية ينشدون الحرية ، ويبدلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم ، ولا غرو فهم العالمون بالاسرار الالهية ، المودعة في الفرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر الا في دائرة الحرية ،

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في بيانها الخطباء فأحب ان أزيد عليهم كلمة في إزالة شبهة للناس فيها : يظن بعض الناس ان الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من المحال الذي لا ينال بالدستور ولا بغيره وانما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — فالغني والفقير ، والصلوك والأمير ، والعالم والجاهل ، والنبه والخامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد ان يعتدي على أحد في نفسه ، ولا ماله ولا يراعي الحاكم أحدا منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والفرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من الخلق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والثياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والاخلاق ، هو الذي مكنتهم من القيام بما ترون من الآثار والاعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا يد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن الوقودين لوضعه في النار وهذان العمالان من أشق الاعمال وأصعبها . أفرايم من كان مستهدا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل تتوجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يقذفه في النار ؟ أو تتوجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وانما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعميم التربية والتعليم ، فنسأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

## باب التعليم في الاستانة

### ﴿ اصلاح التعليم الديني في الاستانة ﴾

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الاستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الاستانة ان طلبهم قد اُجيب :

- ١ - تدريس التفسير الشريف بتقرير معاني القرآن الحكيم الظاهرة وأسباب نزوله وبيان الناسخ والمنسوخ وتطبيق ذلك على القوانين الفلسفية
- ٢ - تدريس الحديث الشريف وان تكون مدة تدريس البخاري أربع سنين
- ٣ - تدريس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانيد
- ٤ - تدريس أصول الفقه وبيان قواعده الكلية وتقرير تعاليمه وتفرعاته وتدریس الفروق في القواعد والاصول بين المذاهب الأربعة
- ٥ - تدريس الفقه مع بيان القواعد الفقهية والفروع ، وماخذ ذلك من الأدلة الشرعية الأربعة مع إيضاح الحكمة الشرعية في ذلك وفلسفة الاحكام
- ٦ - تدريس التاريخ الاسلامي
- ٧ - تدريس تواريخ الاديان المشهورة
- ٨ - تدريس السيرة النبوية بالتفصيل
- ٩ - تدريس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدريس التوحيد القديمة ويلقى علم التوحيد إلقاءً عملياً يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الالوف من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به
- ١٠ - تدريس الدين الاسلامي وبقية الاديان : وذلك بتدريس المقاييس بين أصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الاديان وقواعدها



- ١١ - تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
- ١٢ - تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
- ١٣ - تدريس الحكمة والفلسفة على الطريقة الجديدة
- ١٤ - تدريس علم الاخلاق نظرياً وعملياً
- ١٥ - تدريس علم الروح
- ١٦ - تدريس التاريخ العام
- ١٧ - تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
- ١٨ - ايضاح تشبث المسيحيين ولاسيما البروتستانت بنشر دينهم وأساليبه
- ١٩ - تعليم القاء المواعظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

## بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْأَعْيَانِ

### رحلة صاحب المنار في سوريا

(٢)

#### القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعاً زارني في أثناءه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستمعونني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر أفرادهم من الشبان والكهول والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلثه ونصفه بين القلمون وطرابلس، وأكثره من الشيوخ والنساء والأطفال والمسافة كلها ساعة ونصف كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطلقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم ان يكفوا عن ذلك فامتثلوا حتى اذا ما وصلنا الى الموضع المعروف بأبي حلقة الفينا فيه نفرا من شبان طرابلس

فحيونا بإطلاق البارود والرصاص في الهواء فأجابهم من معنا بمثل تقيتهم بل أحسن  
منها فلم أنكر عليهم ذلك لعلهم بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا .  
وكذلك فعلوا عند ما شرفوا من راية «ظهر الرويات» على القلمون لا يزالان من  
بقي فيها بقدمنا وعند ما وصلنا إلى دارنا أيضا لأنه من قبيل سلام المفارقة . وقد ذكرت  
هذا لأنه من الطادات التي لم أكن أعرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في معناه  
وكان من حفاوة أهل القلمون بي أن يحمل بعض نسائها عجامر العود الهندسي  
وخيره من البخور أملي من طرابلس إلى القلمون وكان فيمن خرج للقاء بمن بقي  
فيها من يحمل الجمار أيضا . وقد راعني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من  
بنين وبنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتعسفون الطريق ويتسلفون الروابي  
بين الأشواك والحجارة ، تبعوا في ذلك آباءهم وأمهاتهم وأخوتهم وأخواتهم وكان  
النساء يفتنن ويغرندن ولهن في ذلك أعالي مناسبة لل مقام ، وهذه العادة قديمة عند  
نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب  
ان النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن  
يضربن بالدفوف وينشدن الأناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج القاتنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسعين  
وعشر المئة من السن وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى إلى طرابلس أكثر من واحد  
من هؤلاء المصريين . وأهل القلمون يعمرن لا اعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم  
الدائمة بالعمل في الأرض مع جودة الهواء والماء فالحر لا تدخل القلمون ولا يشر بها  
أحد من أهلها والفاحشة غير معروفة فيها والله الحمد والمنة ، وهاتان الكيرتان هما  
افتك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلا من هؤلاء الشيوخ ( هو الحاج علي طوط ) عن سنة فقال : أربع  
وسبعون سنة . وهو يواظب على صلاة الفجر في المسجد غاسا وربما يجيئه قبل

طواع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كئذه الايام . ويمشي عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلاً آخر ( هو السيد عبد القادر علي ) عن سنه فقال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها انه كان ملاحاً في البحر فجاه مرة علي طوط ليعمل معه عمل البحر فلم يقبله لانه صغير لا يستطيع ان يحرك الجذاف . فالظاهر من هذا انه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الأولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويعمل في أرضه بالعزق وشبيه غير تام . فليصبر بهذا بعض الشبان والكهول المفرجين في مصر وغيرها الذين يزبن لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولو عقابوا لعلموا ان البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى ان أكثرهم ليتناول الادوية والعقاقير والمياه الممدنية لاجل إصلاح المعدة والمعى وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فماذا تراهم يفعلون إن شاخوا ؟ على انه قلما يشيخ منهم أحد !

ومما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين ان أهل القلمون كانوا يهدي بيتنا أبعده مسلي بلادنا عن البدع كما انهم أبعدهم عن المعاصي . ولما انتهى دور الارشاد فيهم إلي رأيت عندهم من البدع انهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصيباتي الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الامهات وثانيها قبر بني حديثا عند عليقة على شاطئ البحر وكانوا يربطون بهذه العليقة خرقة صغيرة يقطعونها من ثيابهم الخليفة يسمونها آثارا لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذلك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهارهم وأعظهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالا وصار من يزور القبور منهم يكتبني بالسلام على الموتى والدعاء لهم والتفكير في الموت والآخرة كما هو المأثور وكان أكثر النساء من غير أسرتنا تاركات للصلاة وجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجعلت لمن مكاناً أعظهن وأعلمهن به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكن أسرع امتثالاً من الرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت اختلف اليهم في بيوتهم وأذكر انه استعصى واحد من البلاد الخيامين فأمرت الشبان فسحبوه

سحبا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فاكتفيت منه بوعده مكذوب . وكان فيها رجال يسرقون الثمرات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، وكان عمدي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متفقهون في دينهم يستحضرون مالا يستحضروه كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصيادين

على هذا تركت القلمون عند ما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهدي الزاهدين ، وبقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المعتبر الشيخ عبد الباقي الافغاني رحمه الله تعالى : لو بقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا . قال هذا عندما ذكر سفري له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لا يرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ، ولما عدت اليها في هذه الايام علمت انه قد قن كثير من أهلها قتركوا الصلاة واتصل بعضهم بالدين اعتدوا على بيتنا من أشقياء طرابلس فأغرامهم هؤلاء بقطع الاشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة . أغروهم بالمال وغروهم بأنهم بحموتهم من الحكومة وإن سلبوا ونهبوا وضربوا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب بيتنا ، وتقطيع الاشجار من بعض بسايتنا وكرمنا ونحمد الله ان كان هؤلاء المفرورون قليلين ، وأن كان أكثر الأهلالي لهم ولمضليهم من الكارهين ، ونحمده أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثال الهداية والدين في نفوسهم قد صغر وتضاءل في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خيالنا مقرونا بشيء من الخرافات فقد كان الرجال والنساء والاطفال يقدون على دارنا ليلا ونهارا ومعهم الضعفاء والمرضى والمُخدجون يتمسون الشفاء مني باللمس والرُّقى وكتابة النشرات وما يعبرون عنه بالحرز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأيي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر ما يسمح به المقام ويليق بحال المخاطب وأحثهم على المداراة الصحية والتداوي ومراجعة لاطباء عند الحاجة وقد سبق للمنار البحث في هذه المسائل والجمع بين الأحاديث

## ٨٧٨ القلانة وصاحب المنار شيخ الطريق . دده والكورة ( المارح ١١ ١١٣ )

الواردة في الرق كحديث إقرار الذين رفقوا المنشوخ بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسترقون على أن إقناع النساء بلباب الحق في هذه المسائل عسير ، ولا يتم ولو مع الإرشاد في زمن قصير ، ونسأل الله تعالى أن لا يجعلنا فتنه لأنفسنا ، ولا لمن يحسن الظن بنا ،

قلت مرة لعبد الرحمن أفندي الكواكبي (رحمه الله) لو تيسر لنا أن نجعل بعض محبي الإصلاح المتصمين بالكتاب والسنة شيخاً للطريق لا يمكن لنا بذلك هداية العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيخاً لطريقة من الطرق . فقال إننا قد جربنا ما ذكرت فأقنعنا رجلاً من المصلحين المستيرين في حلب بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعتهم وخرافاتهم ويهديهم إلى طريق الدين السويّ قبل بعد إباء ونفور فلما رأى إقبال العامة عليه واشتدادهم صلاحه وبركته فتن بذلك وجاراهم في اعتقادهم فكانوا سبباً لضلاله بدلاً من أن يكون سبباً لهدايتهم وخسراؤه خسارة لا مطمع في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أوفي المنار)

عقدت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حضري القرية قتاب الناس توبة يغلب على ظني ان اكثرهم صادق فيها ولا أخشى من الاصرار على الفساد الا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أشرت اليهم فيما سبق من القول . وقد الفت لهم جمعية شنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعية التعاون التي سميت بتأسيسها في طرابلس

### دده وسائر الكورة

بدأت الوفود تفتد من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا إليها كرئيس دير البند ووجهاء البلاد من المسلمين والنصارى وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل - بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالأغاني فتلغاهم

( المارچ ۱۱م ۱۹۱۱ ) احتفاء اهل دده والكورة بصاحب المنار . خطاب السلطان ۸۷۹

شبان القلمون في خارجها وأدخلوهم باحتفال يناسب ما هم فيه وقد قيل لي ان من الرسوم المتبادلة في ذلك أنه لو لم يخرج شبان القلمون للقائم لادخلوها لأن ذلك يسد من الاهانة في عرفهم . وعند وصولهم الى دارنا تحلقوا أمامها وطفقوا يهزجون ويطلقون العبارات النارية الى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيمين مشكورين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الامير علي عبد الرحمن الايوبي وجميع الاناشيد التي هزجوا بها مناسبة لمقتضى الحال ولعل أكثرها رنجالي فانه في الترحيب بالقادم (صاحب هذه مجلة) وفيها إطراء له بالأعمال السياسية والطبية وقد ذكر بعض القوالين المسلمين فيما أنشده عبارة معناها : لولاك يا فلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه رقيق له من النصارى بعبارة معناها انه ليس لكم وحدكم وانه قد طبع لنا الأبحيل يعني بذلك أبحيل برنابا ! وقد أضحكتم هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بأبحيل برنابا . فخذنا هذه السذاجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حدث عليه أهل دده حمدا جميلا ( للرحلة بقية )

## خطاب السلطان

### ﴿ في افتتاح مجلس المبعوثان ﴾

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعته مروض الأجراء عند ارتقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطرار الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون وارجي . عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ، وقفت عنايتي على إيجاد الرقي في جميع أنحاء بلادي ، وفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا و بناء على الرغبة التي أعلنت ولأن هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم تردد — رغم الدين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور

ثانية وأمرنا بإجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تغيير طريقة الحكم الإداري أسندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا .  
وبينا كان مجلس النظار المؤلف تحت رياسته عا كفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الروملي الشرقية عن حدود الأمانة لسلطنتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بضم البوسنة والمهرستك اللتين سلم اليها احتلالهما وقتيا بماهدة برلين . فبلغت اقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثن العظيمان اللذان بخترقان حرمة المعاهدات ويمسان الصلات . سببا لنا اسفاً عظيماً

وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الأمل انه مع معاونة الدول صديقاتنا تحل المسائل السياسية

وانا نود من صميم الفؤاد تنظيم المالية ، وتسوية موازنة الميزانية ، ومواصلة تحسين حالة سلطنتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام ، وابلأغ جيشنا وبحريتنا درجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين شتى ستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها

وعلى أمل ان مبعوثاننا سيدلون كل جهدهم في هذه السبيل نعمن اليوم اذا فتح مجلس المبعوثان

ومتهمي متمننا سعادة الامة ونجاحها وأقصى رغبتنا وآكدها وعزيمتنا الثابتة التي لا تغيران تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها ( المار ) : بعد ان تلا رئيس كتاب المارين هذا الخطاب نطق السلطان بهذه الجملة بصوت خافت « انني كثير السرور بروئيتكم مجتمعين امامي هنا وسأل الله ان يكال أعمالنا بالنجاح والتوفيق » وقد كان للخطبة وقع سيء في الأستانة وانتقدتها الصحف ثمة انتقادا شديدا

بوق الحكمة من يضاء من بوق الحسنة فقد أوتى  
غيرا كبيرا وما يذبحه الا اولو الابواب

الملك  
١٣١٥

بسم عبادي الذين يسمونني اتول فينبون احب  
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر - الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ - ٢٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩

## خطب ودروس

### صاحب المنار

في هذه الديار

ان لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والتربية وهو سورية فاني نشأت  
في قرية القلمون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في  
طرابلس . ووطن العمل وهو مصر التي اقامت فيها إحدى عشرة سنة اذ دعوا الى  
الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي واقرأ الدروس واعمل في بعض الجمعيات .  
ولما أقر الله عيوننا معشر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت الى زيارة  
وطني الأول لرؤية الاهل والاصدقاء ولاختبار حال البلاد بعيد ان اشتدت عليها  
(٥) نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني البيروتية الصادر في

٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦



وطأة الاستبداد ومساعدة محبي الإصلاح والترقي في التنبه لما يجب ان تترجمه  
اليه الهم .

زرت بيروت وطرابلس والقلمون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت الى  
دمشق الشام فبعلبك فحمص فطرابلس . وقد أقيمت في أكثر هذه البلاد خطبا  
ودروسا وجرى لي مع أهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوقفنت على ما أحببت  
الوقوف عليه . أما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم العصرية التي عليها مسدأ رزوة  
الأمة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التناقض والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم  
من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصحابة  
الكرام والتابعين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم إلا الاهتداء بالكتاب  
العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا  
الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهديه أفضل الهدى  
وطريقه أقصد الطرق . وبيئت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والأعمال

(٣) أما العقائد فبيئت ان الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام  
لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجدون منها  
مخرجاً . ذلك بأنها لم تؤلف الا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما  
بينه حجة الاسلام الغزالي في كتاب ( الجوامع العوام عن علم الكلام ) وفي غيره  
من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال  
عليها بيدع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والأنهار والجبال  
والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيعتمد في تعليمها على الآيات الكريمة  
والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات ، الآمرة بالمعروف والباقيات

الصالحات ، المنبهة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة ، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة — وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهديهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الأعمال كالوضوء والتيمم والصلاة والحج فقد بينت أنه ينبغي ان تعلم بالعمل كما ورد في الأحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » وإذا قرأ الإنسان جميع الكتب ولم يتلق الأمور العملية بالقدوة فإنه لا يحسنها على ان الأقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب ان هذه الطريقة هي التي يمكن تميمها في مدة قليلة ترجى فائدتها ويظهر أثرها وأنه من استطاع ان يعلم الناس كلمهم أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليفعل بالطريقة التي تقترحها لا تكون مانعة له بل تكون مسهلة عليه ولكنني أرى ان من المتعذر تميم تعليم هذه الكتب فلنبداً بالمكن الأسهل طريقاً الذي لا بد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لانشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الأول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم والآداب المنكوبين والمهوزين عند الحاجة لتكون طبقات الأمة متعاطفة متراحة يحترم فقيرها غنياً ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الأتحاد والترقي على اتمام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الإدارة ، ومن بث الآراء والأفكار التي تنفع روح محبة الدستور والمحافظة عليه في قلوب طبقات الأمة العثمانية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الأمة إلى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاة الدول التي توالياً ومعاداة الدول التي تعادياها ومجازاة هذه الدول بالاقبال على بضائعها أو بالأعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فإنه لا شيء يهم أوربا من بلادنا مثل رواج تجارتها فيها . ولما جاءنا

(الخارج ١٢م ١١) مقاصد خطب و دروس صاحب المنار . واجبات تحقيق الوحدة ٩٠٧

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنة والمهرسك الى أملاكها واعلان البلغار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة للبلغار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب ألقته في نادي جمعية الاتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة ألقته امام الثكنة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الأمة بالمال دون تطوع الرجال لان ما عندها من العسكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة ألقته في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(٩) بيان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، وفت الأذهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الأمة العثمانية واشتراكها في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتعمر بلادها، وهذا الاتفاق والائتام من نتائج التقارب في التربية والتعليم ، فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالتربية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الاتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والاساءات العاقبة وخيف ان تساعد أوربا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتجعل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(١٠) تكريم الشعب وتنبهه الى انه أهل لكل مكرمة وكل خير ، وان العامي إذا اتقى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورجب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا يرفع الأمة بغضاه ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثير من الفقراء

يمكنهم ان يبدلوا شيئاً قليلاً من الصدقة على قدر حالهم للجمعيات الخيرية وبذلك يمدون من خدمة الأمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان يفهمها المتعلم والعامي :  
هذا يفهم فهمها اجالياً ، وذلك يفهم فهمها تفصيلاً ، وقد رضى بها وأثنى عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في اندهامها ، لما عليه أهل بلادنا من الذكاء ، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العلم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت ألقها في المساجد : هل انتقدتم عليّ شيئاً فاتني العود إلى مثله ؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ماسموا مستحسننا عندهم غير متقدّم .  
ذكرت هذه الكلمة تمهيداً لما يأتي

#### حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها اني سافرت من الشام ليلاً والصواب اني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس . وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدع في مجلس الدرس اني قلت شيئاً وأخطأت فيه وانما تكلم كلاماً مستقلاً في مسألتين لم أعرض لهما في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام باثبات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقاد فضلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم . وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضراً ذلك المجلس فإياه أسأل دون أولئك الأثوف التي كانت حاضرة الدرس : هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع ؟ ان كان سمع شيئاً مخالفاً فاذكره بالميثاق الذي أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب « ليعيننّه للناس ولا يكتمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يبعث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه ، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم . وسأكتب اليه كتاباً خاصاً أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة في عيد كاتب العلم

كشف شبهتين او ثلاث

إذا كنت لم تعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالأموات الصالحين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني اني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . واذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الاجتهاد والتقليد فقد علم الكثيرون اني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما أكتبه ولا أزال أعرضه لقد العلماء وأنشر كل ما يرد علي منهم في ذلك ولا تتسع هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وإنما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيهما بعض الناس بسوءنية وبعضهم باختلاس وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تصديق للكاذبين الذين يشتمون عنا الا باطيل حتى زعموا اننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني اني أطالب كل مسلم بان يكون مجتهدا مثل الأئمة رضوان الله عليهم ! وربما تطرف من يستبيح الكذب لأرضاء هواه فزعم اني أطعن في الأئمة المجتهدين ! . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة انه لا يطالب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل ان هذا من طلب المحال لقصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تفرغهم له . ومن فهم اني أعني هنا بالترغيب في الاهتمام بالكتاب والسنة فهو مخطيء . فانما أعني به ان وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويمتد روح الدين في نفوسهم ، وأطالب المشتغلين بالعلم ان يعنوا بفهمها ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ لدرس كتب المذاهب كعص طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى يراد بها فهم كل قول بدليله لا ان يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب !! . وهذا ما أعنيه بالأصلاح الديني وملخصه ان يعنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وفهم كلام الأئمة بدليله وان يبذلوا جهدهم بإرشاد العامة بهما كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الأئمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : اني لم أنكر زيارة القبور وإنما أنكر دائما ما يكون عند زيارتهما من

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الأئمة  
المجتهدين ، وأقول ان حب الصالحين والاولياء المقربين من الاحياء والميتين انما  
ينفع ويكون وسيلة الى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله  
وتقواه بترك المعاصي والعمل الصالح مع الايمان الصحيح والا كان غرورا . ومن  
الغرور الذي يمنعه الاسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطالب إلا من الله واعتقاد انهم  
يستجيبون لمن دعاهم وان لهم سلطة غيبية وراء الأسباب والسنة الالهية ينفعون بها  
ويضررون ، ويضطرون ويمنعون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وان سميت توسلا  
فان الاسماء لا تغير الحقائق

وعما يتعلق بهذه المسألة بحث الكرامات وانني لم أنكر جواز الكرامات ولا  
وقوعها ولكن بينت انها لا تكون مخالفة لسنة الله تعالى في خلقه بتغيير او تبديل او  
تحويل لان الله تعالى أخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول . وانها لا تكون معتادة  
كأنها صنعة بيد الولي بل قال في الفتوحات انها لا تتكرر فان المكرر يكون معتادا لا  
خارقا للمادة وغير ذلك من الاغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل .  
وحدثت عوام الأئمة من الدجالين المحتالين الذين يدخلون عليها التليس من هذا  
الباب . فن أراد أن يقف على التفصيل في ذلك ، فليراجع المجلد الثاني والمجلد  
السادس من المنارج ففيها بضع عشرة مقالة مطوية في الكرامات . ومن يدعي ان  
شيئا من كلامنا الجليل هنا والمفصل هناك مخالف للشرع فله ان يكتب الينا دعواه  
مؤيدة بالدليل لننشرها له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا

## باب المراسلة والمناظرة

### ﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارع الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده

الله وسدد مسعاها

السلام عليكم وبعد فقد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى  
حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العماني من اجمال رحلتكم الى سورية  
فتمنيتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا  
على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس  
وشعور من تبيينهم للتعاون على البر والتقوى والتعاوض ماديا واديا والسعي في  
عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفيدة ان يكون وعظيهم وتعليمهم مؤسسا على  
الكتاب وما صحح من السنة فقها وعقائد وادابا فلقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية  
قوله تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد ابغتم  
تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة  
والجماعة ولا يستقله الا جاهل او حاسد فنشكركم على تلك الهمة والحزم السيد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم لم تتعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الان اماما احلم  
عليه في مجلدات المنار فع الاسف انني الى الان ما رأيت من المنار عددا للسبب الذي كان  
حائلا في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جلية من  
الاجمال المسطور في الاتحاد العماني وقد اكدتم على اهل العلم ان يكتبوا لكم ما ظهر لهم فانكم  
طوقتم اعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ما هو مسطور  
هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كالم الانصاف والرجوع الى الحق الذي  
يتبين لكم فنقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير  
او تبديل او تحويل لان الله تعالى اخبر بأن سننه لا تبدل ولا تتحول » هذا لفظكم تفنونا

قوله تعالى ( فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ) تفسير هذه الآية ونحوها بعدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كليا ورأيت في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبياؤه ومن قضاهم ، وخذ لانه لاعدائه ومن الاله ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسيره فتح القدير تحت هذه الآية مانصه « فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاوابن أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبديل سنة الله التي سنها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم و يضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بهموم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرها من عجائب قدرة الله كمنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان نقول نزوعا بالآية اعتباراً بهموم اللفظ عموما لا ينقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجني ما كتبه صاحب الحمية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » بعد اشارته الى حديث « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا



بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السائرون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقهم وقد قضى بان تلك سننه ولن نجد لسنة الله تبديلا . اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوفاً توسيع الطرق على الراجع من جهة العامة فسد الذريعة من اصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقاً للعادة باذن الله وسبوازه ما يعمل من البسح في زيارة الاولياء والتفوق في الاعتقاد . وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفرائيني والتشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة بما انكراها وانما قالوا لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرطان لا تتوالى وتترادف ترادفاً يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكاناً وسنة ، لا في عوارضها وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فأمالوا المسألة فان خطرهما كبير والماديون والطبيعيون بالمرصاد فإذا سمعوا علماء الملة يقولون بفسد خرق العادة فيا بشراهم يبنون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهبهم انزال الخالق جل جلاله عن التصرف في العالم استثناء بالطبيعة أعادنا الله واياكم من الضلال والله تعالى التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالأسنانة

( المنار ) إنما لا نقول بأن ما يبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقم بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني مجسلة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إيجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأساً لأننا أحلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس بيان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق ( المارج ١٢ ) ( ١١٥ ) ( المجلد الحادي عشر )

وفي عدد كبير من علماء الدنيا اياها شبهات على الدين ومنفردات عنه ففسي أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمرادنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مغيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢١م انصه (ص ١٧)

« أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؟ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها انها كما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت نقلاً متواتراً اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحراً لجهلهم بالتفرقة بينها وبين تلك الشعوذات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فعلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصنوعة من انكار المنكرين » واعتراض الواهين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا « اه من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد ( ص ٥٥ م ٦ ) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن الكون وكونها عامة في ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون روايات الآحاد تفيد الظن . والرابعة في كون العجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الأمم ووجوب تمحيص النقول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلاً للاظهار ، أو خداعاً للأبصار أو الافكار ، » وهذا نص السادسة :

« قد كشف العلم أسباباً لا أمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع

لا تتناس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن ان يؤتل اليه ، فهو الذي يصح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجوه ؛ حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم بينا ذلك والفرض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولذلك قلنا في المسألة العاشرة ( ص ٥٩ م ٦ ) مانصه :

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، ( أي كما يعتقد منكر و الخوارق الآن ) فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور بطلانها ، كلا إن تحقق ( تأمل ) فلا يبعد ان يكون محققه مظهرا لحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الأعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الثرية كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وارادتهم كما شاؤوا وكيفما شاؤوا ، وإنما كانوا يتبرؤن من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجاهدة من قومهم والخاص في طلب آيات لا يعرف مثلها عن البشر في اعالم السبيية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي المعنونة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه ( ألم يأتكم نبا الدين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والدين من بعدهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب » قالت رسلهم اني الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويومئركم الى أجل مسمى ، قالوا ان أتمم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين » قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يئن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) فهذه سنة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

٩١٦ صدق الانبياء - علم توقفه على الخوارق المعجزة والكرامة ( المارح ١١م١٢ )

الى الله بالينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيترا من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فينضع المستند لقبول ذلك، ويemand الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى ( وما نرسل بالآيات الا تخويفا )

«فاذا فرضنا ان العلم أظهر سبباً مقولاً لآيات موسى عليه السلام قبل بنا في ذلك أنها كانت تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللائق بأمثلهم في بلادهم وجفوتهم ؟

« نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم ، ولا سند متواتر على صحة كتابهم ، أولئك الذين يعتقدون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت لمحمد ( عليه افضل الصلاة والسلام ) العجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة .!! قاله العلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسية وتكوين الأمم وترتيبها من رجل أمي تربي يتما في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونها تأييداً لها ، وبرهاناً على صدقه قطعياً ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها ، أه ومنه يعلم اخوتنا صاحب الرسالة مرمانا في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ومحاكاة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف بعهذ ان يكون كلامنا حجة لهم ؟ ولا يحسبن اننا نصور شبهاً لم ترد علينا كما فعل كثير من علمائنا كالرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثير الحديث فيها . وهاك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦٦١) :

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إخفاؤها خوفاً للفتنة ، وزاد بعضهم كالتقديري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وإنما تكون فيما دون ذلك كشفاء مريض ومكاشفة خلافاً لقول المشهور : ما جزأ أن يكون معجزة انبي جاز أن يكون

(المنار ج ١١م ١٢) المعجزات . عدم مخالفتها السنن . صدى حادثة الشام بتونس ١٧٩

كرامة لولي . وتقاتل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ما وقع ولا يقع بالفعل » اه

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد وبينا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لا تخالف سنن الله تعالى فوادعه سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهدت في زمن ظهورها ونطبق به الكتاب المعصوم وهذا الذي اوردناه هنا يكفي لتفصيل ما رآه اخونا الكريم صاحب الرسالة في مقالنا التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فحسب ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجمال فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون ويتأبون ، ولكنهم لا ينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ، وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا الخطير أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

## صدى حادثة الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصاحين وقد سألتنا نشره في المنار واننا ننشره اجابة لسؤاله مع الشكر له ولاولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد

لله شكرا على ما بجاك ممن أراد بك كيدا؟ فهنيئا للعلم والحكمة ، بما أسبغ الله عليهما  
من النعمة ،

ولقد رأيت المصطفين الاخير ، من نابتة هذه الديار ، فرحين بما آتاهم الله من  
فضله ، وافاض عليهم من طوله ، اذ حفظ زعيم هذه الامة ، الداعي الى سبيل ربه  
بالموعظة الحسنة والحكمة ،

واني لأذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من  
عمر بن قيس ، وأحب ان يذكر ذلك اسرى الالهام «حيثا كانوا» ممن يرون هذه  
الحادثة اثرأ من آثار تخرج الدين عليك ، وانتظاره الفرص للانتقام منك ! كلا والله ،  
انك لمن أحب الناس اليه ، واكرمهم عليه ، ولو تمثل لهم بشرا لرأوه يحمد الله حمداً  
كثيرا ، ويشكره بكرة واصيلا ، على ان الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجاتك  
الارتقا ، وصيتك الا اشتهارا ، ولكنهم يفهمون الشرف مقلوبا ، والمجد معكوسا .  
فيا لله والدين والانسانية ، وطلاب الاصلاح من نباء الجمعية البشرية ، من هؤلاء  
الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويلقبون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون ، ويحسبون  
انهم على شيء ، ألا انهم هم الكاذبون .

وانا نشكر المنار الزاهر فضله في تبديد حزبهم ، وتمزيق شملهم ، والاجهاز على  
مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى ، وازداد ايماننا  
بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا  
وايا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله  
الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ،  
كذلك يضرب الله الامثال )

والله يحفظك لحماية دينه والدعوة الى سبيله ، والسلام .

## الانقلاب العثماني

# الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بطبعة المنار في كتاب مستقل (١)

وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وعني رفقا:

## الدين الحق والحرية

( وشاورهم في الامر )  
( وامرهم شورى بينهم )  
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي ،  
الى نهايات أيام السلطان عبد الحميد العاقل الابي ، — دولة حربية مجتهد شادت بناء  
عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والغلب ، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت  
من الدول ذوات البأس الاثني يتي غضبين ، وتخطب مودتهم ، فأضحت في  
الفتوحات ، واسترسلت في الغزوات ، وقلبا كانت ترجع من غزوة الاو بنود الفلج  
تفتق فوق رأسها ، ورايات الظفر تقابل في أيدي رجالها السكاة صفا وفرا ، فزو  
مكانها ، وتناول بيانها ، واتسع ملكها ، حتى تطلعت في أحشاء أوربا ، بعد أن  
استعرفت على آسيا الصغرى وجزء كبير من إفريقيا .

(١) بلغت صفحاته ١٨٢ باقسط الصببر وهو يباع بثلاثة قروش مجيئة في

مكتبة المنار بمصر وطرابلس

كانت سرية الخطى في هذه السبيل فسادت وشادت ، و بنت على اطلال الدولة السلجوقية دولة عظيمة قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسمونها العصور الظلمة الا بقوة المراسي ، وثبات الجاش ، والنشوء بين سليل السيوف ، ومزاحف الصفوف .

أخذ بضدها ففتح القسطنطينية وكان تها صالحا فاناف بها على الخناج ، وتوقل بها سني المراتب ، ناهيك بملك القسطنطينية اذا كان خيرا عادلا ، وما زالت تندرج في منازل العظمة ، ومواطن السؤدد ، حتى كانت أيام السلطان سليمان القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقفت عند متهى القاي ، وهو صاحب الفضل في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على تقاليد محفونة ، لا غناء بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسمها وكان اهل اولي الامر وجهلهم وموسمهم الرعية سوء العذاب مساعدا على نماء الضعف ، وسريانه في جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمد الثاني ذلك الحب للاصلاح ، والدولة على شفا جوف هار ينذرهما بالاضمحلال والقناء ، الفاها وقد فقدت تلك القوة التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بسهم في العلم الذي أصبح السلاح القاطع واهوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، تقوم منادها بما في وسعه ، واصلح فاسدها بما في طوره ، وما يذكر له بالثناء عليه تنكيه بالانكشارية الذين كانت ومام الملك في يدمم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة واضعافها ثم تولى الملك السلطان محمد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات خارجية ، تصف الرجاء في إقالتها من عثرتها ، وانهاضها من كبوتها ، بله ارجاعها الى سابق عزمها ، وسالف مجدها ، فأخذ بضمها ، وحدد للحكومة وظائفها ، وبين الرعية حقوقها ، ويكفي فخرا انه هو الواضع لخط و كلخانة المعروف لم يكده عبد المجيد يورارى في رسمه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي زين له حب الشهوات ، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكت قتل سلفه ، ويصدخ رأب سابقه ، وكان عوننا له على هذا التخريب وزيره محمود نديم باشا ، حبيب ( اخاتيف ) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ قايه ومناصده



ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوماً ، ولم يكد يستقر على السرير حتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزينوا له ان يسير على سنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان منحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكذبهم بتحقق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد وإهاتهم في غيابة السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور !!!

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة ، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » فطفقوا يرضون المخلوق بما يسخط الخالق ، واقترعوا ضروبا من الظلم ، وأفانين من الارهاق والتضييق ، كانوا يصلون بها على الأمة صيال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات الخالب ، وامتد بهم الافساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، ففتنوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قبل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحيق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكلا برجاله شر تنكيل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بأمتهم قد اجتمعوا أمرهم سراً وانشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلها تنديد بالحال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الثبان في الاستانة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثمانى عشرة سنة ، ثم نمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخيار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والنصر المبين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

راق في سبيل ذلك نقطة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الانقلاب لم تصل أمة إلى ساحله الا بعد خوضها في بحر لجي من الدم ، لم تكن دهشة الامة العثمانية واعجابها بهذا الانقلاب بأكثر من دهشة سائر الامم الأخرى ، فقد تجاوزت صيحات ( نيازي ) و ( أنور ) بلاد الدولة العلية الى مدن أوربا وغيرها ، فالتفتت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يخطر لها ببال ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الانقلاب الذي لم يع- التاريخ في صدره له ضربا ، حائرين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السياسي ، والاديب الألمني ، صديقنا محمد روجي بك الخالدي ، عضوا لقدس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جلية في هذا الموضوع ، أماط فيها اللثام عن الأسباب المجهولة ، والحقائق المخدرة ، وقد بحث فيها بحثا فلسفيا في أصل الاستبداد ونشوءه ، وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليدها الموروثة ونظاماتها المكتسبة ، وشيوع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الأمر فيها ، مما أدى بها الى شر حالة ، وكان سببا في قيام الأحرار ومطالبتهم بالأصلاح ، وأفاض القول في شؤون الأحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها ليصلوا الى مقاصدهم ، مع تراجم لمشهور بهم .

جال المؤلف في ذلك جولة المورخ الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردها أن الانقلاب هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقته ، فكان ما كتبه جديراً بأن يكون رائدا لمن يأنس في نفسه شغفا الى استكناه تلك الغوامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارىء ليس شغوقا بذلك ؟

نشرت الرسالة في مجلة ( المنار ) فكانت موضع استحسان العلماء العقلاء ، والكتاب الأبيناء ، وكان بدالي ان استأذن مؤلفها في طبعا على حدة لتكون كتابا مستقلا تلزم مطالعته ، وتسهل مراجعته ، فكتبت اليه راغبا في ذلك ، فرجع القول مليا بالطلب ، ساعحا بتفويض ما لا تسلم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما اذا كان كوهلنا لم يُتَح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أرفها اليوم الى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعا صحيحا ، رجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويوقفوا على أسباب ذلك الانقلاب العجيب . وخلقى بأهل هذا

القطر الذين شغفوا بالدستور وقد ضلوا طريقه، ولم يهتدوا إلى بابه، أن يمتحنوا في معانيها  
ويتبينوا مواهبها، عسى أن يتأسوا بأولئك الأحرار، ويكونوا من خير المختارين لهم  
في هذه الديار

القاهرة في مطلع ذي القعدة سنة ۱۳۲۶

حسين وصفي رضا

## التقریظ والانتقاد

حالت كثرة المواد في أجزاء المجلة الأخيرة دون التنويه بالكتب التي  
أهديت إليها، وذكر المجلات والجرائد التي صدرت في هذه الفترة، ولما كان هذا  
الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهديت إليها فيها تلك المطبوعات رأينا أن نتوه بها  
على سبيل الاختصار، وربما تعود إلى الكلام على ما يستدعي منها الكلام في السنة  
التالية عشرة :

### ﴿ الكتب ﴾

#### تاريخ مشروع السكة المجازة

ألفه صديقنا الشيخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية الشهيرة  
في ثلاث لغات : الأوردية والعربية والانكليزية وهو تاريخ مفصل لهذا المشروع الجليل

#### انعام الوفاة

مؤلفه الشيخ محمد الخضري المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وهو يحتوي  
على سيرة انظار الراشدين وقد جعله مؤلفه قسین : قسماً سماه عصر اتحاد الكلمة  
وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظامات الأمة الإسلامية في ذلك الحين،  
وقسماً سماه عصر الفتن وهو ما كان في أيام الخليفتين عثمان وعلي (رض)

والكتاب يقع في ۲۳۶ صفحة بالقطع الصغير ويباع بخمسة قروش في

جميع المكتبات

تاريخ اسلاميت

مؤلفه الدكتور . ر . دوزي الهولاندي أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن  
اعضاء الجامع العلميتي أوروبا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور  
عبد الله بك جودت منشي . مجلة « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

التبج السلوك

ألفه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس للملك الناصر  
صلاح الدين يوسف وقد طبع على فقة أحمد زكي افندي أبو شادي ومحمد رشدي  
افندي الخبير بالمحاكم الاهلية وهو يطلب منها وصفحاته ١٤٠ بقطع المار

تأويل مختلف الحديث

هذا الكتاب من فرائس الكتب وضعه الإمام ابن قتيبة الدينوري من أهل  
أقرن الثالث « في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا  
عليها والاختلاف والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المشابهة أو  
المشكلة بأدي الرأي » وقد طلبه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد ان صححه  
على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الأكمي عالم العراق ونسخة مصححة  
بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشهير وحسب الكتاب فقه ان يكون مصححاً بقلم هذين  
العالمين ، ويطلب من طابعه بمصر

نادر القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الثعالبي صاحب قيمة الدهر وقته الافة وهو من كتب  
الأدب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الثعالبي من الأدباء؟ والكتاب  
يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعاً نظيفاً على ورق جيد ويطلب من طابعه احمد زكي  
افندي ابو شادي بمصر

الدولة السليمانية قبل الدستور وبعده

تأليف صديقنا سليمان افندي البستاني المصنف في مجلس البحوثان عن ولاية بيروت  
والكتاب يحتوي على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومرثياته، وهو مطبوع

## ( المارح ١٢ م ١١ ) الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ٩٢٥

طبعا نظيفا على اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمانه ١٢ قرشا صاغا وهويباغ في جميع المكتبات ويطلب من اسعد افندي البستاني بشارع صندوق الدين بمصر

### تركيا الجديدة

مؤلفه جميل افندي معلوف من مشهوري كتاب السوريين في امر يكا وقد قسمه الى ستة كتب : ( ١ ) اسباب الانحطاط في الشرق ، ( ٢ ) تفرج الشرقيين ، ( ٣ ) التعليم ، ( ٤ ) القانون الاساسي ، ( ٥ ) الديانة السياسية ، ( ٦ ) ابقاء أم فناء . وختمه بفصل في حقوق الانسان وملاحظات متفرقة .

### عفة الاولاد

كتاب صغير يحتوي على نصائح وعظات يجدر بالثابثة أن تعني بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالعربية سليم افندي خوري « بقلم سكرتير مالي السودان » وهو يطلب منه

### جواهر الحكماء

هو مجموع رسالتين إحداهما لابن المقفع والآخرى للحافظ ابن عبد البر الاندلسي جمعهما في كتاب واحد عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ويطلب منه وثمانه ثمانية قروش .

## ﴿ الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ﴾

### ديوان احمد نسيم

احمد افندي نسيم من شعراء مصر المشهورين وقد جمع شعره في كتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبعا نظيفا على ورق صقيل

### ديوان الحمريات

نظم هذا الديوان السيد محمد الحسن الحموي وهو يحتوي على موضوعات شتى وكثير من المقاطيع وقد طبع بالقطع الصغير وصفحاته ٢٠٨ ويطلب من ناظمه بحلوان

### رسالة المطور

ترتيب محمد توفيق افندي عطار الدمشقي نزيل الاساتنة وهي رسالة في علم الفرائض سهلة العبارة حسنة الترتيب

تاريخ الحرمين وبيت المقدس

كراسة لأحمد حافظ افندي هدايه وتطلب منه بطنطا

المباديء النحوية

رسالة في النحو مختصرة سهلة للشيخ مصطفى بكري الاسيوطي « مدرس اللغة

العربية بالمدارس الحرة »

فتح القيوم

وهي ختمة مقدمة ابن آجروم للسيد محمد بن سودة من علماء فاس

في سبيل الدستور الفارسي

كراسة تحتوي على خطب وكلمات جمعها حسين افندي ابراهيم الايراني نزيل مصر

يوم الحساب

هو الجزء الاول من مجلة حدائق الظاهر لصاحبها أحمد زكي افندي أبوشادي

ومحمود افندي عباسي وثمنه ٣ قروش

ربة الجبال

قصة ترجمها باللغة العربية اسكندر افندي خوري وتباع بستة قروش في

المكتبة الشرقية

### ﴿ المجلات والجرائد ﴾

The Near East. الشرق الادنى

مجلة انكليزية مصورة تبحث في شؤون الشرق الادنى خاصة ، وتطبع على  
أجود ورق ، وتنشر صوراً للبلاد الشرقية ورجالها ومجالسها وغير ذلك في غاية الاتقان ،  
وموضوعها سياسي مالي أدبي ، وهي تصدر في لندرة وثمن الجزء منها نصف شلن ، ولم  
يكتب عليها اسم صاحبها أو أصحابها

الجنس اللطيف

مجلة «أدبية اجتماعية لصاحبها ومحررتها ملكة سهد» تصدر في مصر مرة في الشهر

بالتنين وثلاثين صفحة وطبعا في غاية الجودة، وورقها صقيل وموضوعها جليل، تطلق بالشبان والشباب التوفرعلى مطالعتها، وقيمة اشتراكها أربعون قرشا صاغا في السنة

#### بيان الحق

مجلة تركية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتنتشر أفكار الجمعية العلمية الإسلامية، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الأسبوع، وقيمة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صاغا عثمانيا وثمان النسخة قرش ونصف

#### المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير إليها في (ص ٦٣٦ م ١١) وهي كما كان ينتظر من منشئها صديقنا جرجي افندي بني وأخيه صموئيل افندي، فهي تدل على علم وبصيرة واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٨٤ صفحة وقيمة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و ١٧ في الخارج

#### روضة المطرف

« مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة » في بيروت لمديرها محمد علي بك القباي ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن افندي سلام من علماء بيروت. جاءنا الجزء الأول منها منذ شهرين وهو يصدر بصورة السلطان ١١ وقيمة اشتراكها وبالان في بيروت و ١٢ فرنكا في خارجها

#### المعتد

« مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية » تصدر في بيروت مرتين في الشهر بالتقطع الصغير، لمنشئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقيمة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و ١٥ فرنكات في خارجها

#### الاممال اليدوية للسيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتها فاسيلا وأختها وقيمة اشتراكها ستون قرشا صاغا في مصر

#### الترانس

« مجلة علمية أدبية مدرسية تصويرية » تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية ظهرها أحمد افندي فائق وقيمة اشتراكها ٢٥ قرشا صاغا

الجامعة المصرية

مجلة نصف شهرية مصورة تنشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لأصحابها  
محمد افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيضي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها  
من قرش في مصر لغير طلبة الجامعة

الدرسة

« مجلة علمية أدبية تاريخية يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب،  
تصدر في الشهر مرة بأثنين وثلاثين منحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشا في مصر

فرعون

مجلة تبحث في شؤون القبط الملي وتصدر في الشهر مرتين لديرها توفيق افندي  
هييب واشتراكها ٢٠ قرشا في مصر

صحيفة

مجلة أوردية تصدر في حيدرآباد الدكن ( الهند ) لمنشئها مولوي محمد أكبر  
علي مستند مجلس المعارف بمكة

ابوقته

جريدة اصلاحية اسبوعية تنشر الجدل في قالب الهزل، يصدرها في تونس السيد  
الهاشمي اخذ الكتاب المشهورين، وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

الحكيم

جريدة اسبوعية « حرة تبحث في كل شيء » يصدرها في كوردوبا (الارجنتين)  
عزيز افندي حكيم ولها عناية خاصة بالابحاث الفلسفية

شمس العدالة

جريدة اسبوعية « سياسية فنية ادبية » أنشأها فريق من الكتاب بالغة العربية  
في الاسكندرية، وقد سموا في هذه الايام « شمس الحقائق » وقيمة اشتراكها البرة عثمانية  
في السنة



الاتحاد العثماني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » يصدرها في مدينة بيروت صديقنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهورى أرباب صناعة القلم، وهي من مثليات الجرائد الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلية الحق

جريدة عربية تصدر في الأستانة ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رياسة تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في مصر والبلاد الخارجة وأربعة ريالات في الأستانة

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الهى وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا

الحجاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سررنا باناشائها سرورا عظيما لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

الطلبة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشا في مصر

الرائف

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » مديرها ومحررها حكمت بك شريف من مشهورى الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريلان في طرابلس و١٥ فرنكا في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » منشؤها ومديرها صديقنا محمد افندي كردعلي (المنار ج ١٢) (١١٧) (المجلد الحادي عشر)

الكاتب المشهور، والمقتبس من الجرائد الممتازة بتجري الصدق والتزام النصيح،  
والبعد عن سخيف القول ورذيلة التملق، وهي تصدر في دمشق الشام وقيمة اشتراكها  
اربعة ريالات ثمة و٢٥ فرنكا في الخارج

المحرسة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحرسة من الجرائد القديمة التي  
ابطلت منذ زمن فأعاد إصدارها في مصر الياس افندي زيادة، وعهد في رئاسة تحريرها  
الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني من مشهور علماء سورية، وقيمة اشتراكها ثمة  
وخمسون قرشا صاغيا في السنة

## بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِسْلَامِ

جواب مجلس المبعوثان (\*)

﴿ عن خطاب السلطان ﴾

في افتتاح مجلس المبعوثان

يا صاحب الشوكة :

ان ادوار الفتور التي حدثت على أثر ادوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور  
القوائل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي أشد تأثيرا في التخريب  
من جهة أخرى - كانت نتيجة استياء جميع العناصر العثمانية، وكان من ذلك ان والدكم  
المعظم قد وضع خط ( كلخانه الهمايوني ) الضامن للحقوق الشخصية، والقاضي بالمساواة  
بين جميع العناصر العثمانية المختلفة، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة  
جديدة ملائمة للحال المصرية

(\*) نشرنا في (ص ٨٧٩) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس  
المبعوثان، وانا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه

يبد انه لا كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وحياتها بصورة واضحة ثابتة  
وكان من الضروري - صيانة هذه الضمانات - تبديل شكل الحكومة القديم وقبول الاصول  
الديموقراطية المستندة على حكم الامة الاصلي - صدرت في زمن جلوسكم السعيد ارادتكم  
السنية بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس النواب إجابة لأمال خواص  
الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة  
على ان طريقة الشورى هي اصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات  
التي تباير هذا الشكل المشروع نأتجة عن تغلب البطل على الحق والاستبداد على  
العدل بصورة موقفة

ثم انه مع تصريح جلالكم في الخط السلطاني بان استعداد الامة وأهليتها في  
ذلك الحين مسلم بهما ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع موافقا لذلك الاستعداد  
قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشا كل وهمية متناقضة جعلوا بها مستقبل قوة  
هذه الامة العظيمة عرضة للخطر مدعين انها غير أهل لصورة ولا شكل من الاشكال  
التي عينها (القانون الاساسي) وعليه تفرق مجلس الامة أيدي سبا !!!  
ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالكم بالشكالات الوهمية التي أحدثوها  
لم يكفوا بالتمذي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها  
بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد ادمنة الامة لهذا القانون  
فحسنوا لجلالاتكم إرجاء تنفيذه مستغنيين بقوة ادراك الامة :

ولكن نشكر الله فان الامة وجماعن المساعي التي بذطا من نيط بهم نشر العلم  
والمطارف في سبيل تعطيل الادمنة وتعطية الصيون قد ادركت بحسب استعدادها  
التطوري وقابليتها الطييمية ان هذه الحال ستؤول الى الاقراض وانها إن لم تنل حقوقها  
السياسية فلا تستطيع ان تحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالاتكم  
الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحقق بالدولة  
الذي لم يستر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ، ففرقم ما ينتج للدولة  
والمملكة بسبب الطمشان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال ، فأصدرتم

الأمر السلطاني القاضي بالدعوة الى افتتاح مجلس الأمة واعادة الانتخاب موافقة  
لاحكام القانون الاساسي بالرغم من آراء المخالفين لفتحها ، ولذلك فان الأمة تشكر  
جلالتكم هذا الشعور الذي كان سببا لا تقاذ الدولة العثمانية من اقراض محقق وسوقها  
الى طريق الترتي والسعادة

ولو انكم تغلبتم قبلاً على خداع أو باب الطيات لكنت الاراضي الفائرة الموجودة  
في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ،  
ولكننا في ارتقاء وعلاء بدل التذني والأخطاط ، ولما كانت الشريعة القليلة التي  
استفادت من الاستبداد فتحت في قلب الأمة جرحاً كاد يصير قرحاً ، ولكن كان  
الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكنها الدولة العثمانية استقرت  
في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن مديد

ان الأمة العثمانية تشارك جلالتكم في الامس الذي أظهرتموه بسبب اعلان  
امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك الى املاكها ، وهما الولاياتان  
التي كانت تديرهما وقتنا بمرجب ميثاق دولي ، لان الأمة العثمانية كانت في دور  
اقتلابها السعيد تقطع الطرق السياسية بصورة سلمية ، وتربي صميم الآمال لتكون مظهراً  
لموازرة الدول المتعددة وأهلاً لانطافها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سينات الماضي المديد  
ستبدل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة لخلقها ، وسيقوم  
بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحرز ثقة الأمة والمسئول امام مجلسها النيابي  
ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية  
وجميع الدول ، وان الأمة التي أحدثت في الدولة هذا الانقلاب السلمي الداخلي  
ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موعودة للسلم

وان آمالنا معقودة بان دولتنا ستترقي بفضل خطتها السلمية الى الدرجة التي  
تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيئة الدولية ، وانها ستكون جديرة بالاستفادة من  
الحقوق الدولية على وجهها ، كما انها ستكون مرعية الجانب أهلاً لمحبة الدول كافة ،

وانا نتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الحاضرة على وجه حسن بموازرة الدول  
المعظمة التي ثبتت لها خططنا السلمية وبنيتنا السلمية.

ان مجلسنا سينذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية،  
وسيكون رقباصادقا على الواردات، وسيطرا غيرا على الصادرات، وسيمنع بته إعطاء  
درهم واحد من الخزانة على غير وجهه، كما انه سيمنع أيضا اخذ بارة واحدة من افراد الامة  
يغير وجه مشروع، مقتحما في هذه السبيل كل المصاعب التي سيلاقها في امر ضبط  
الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمية التي انتجها الاسراف والتبذير في  
الماضي بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الامة، حتى يتسنى لدولتنا ان تكتسب لقب  
دولة مقتصدة تدير امورها على القواعد المالية وترفع عنها لقب دولة سفينة مبدرة !!  
واننا نرى من الامور الهامة الواجبة بذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهة  
العناصر المختلفة المولفة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة مجراها  
والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع أنحاء المملكة  
واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزويد  
الوسائل العقلية وفتح الطرق والمعار لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية  
حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضروريات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا  
الجغرافي، ولتسنى لنا بهما المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا المقيدة، لا للتعدي  
على حقوق الغير

ولهذه الامور الحيوية المذكورة سينذل الجهد تدقيق التقارير التي قدمت من  
الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب  
احكام القانون الاساسي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نوكد لجلالتكم بان عزم  
الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت راسخ لا تزغعه اية قوة مهما عظمت،  
كما اننا نعرض لجلالتكم ما خالج افئدتنا من الابتهاج والسرور بروية شخصكم الكريم  
ماثلاً امام نواب الامة مما جاء دليلاً على رفع الحواجز والحوائل بينكم وبين الامة

ان قلبنا لا يشعر بغير محبة الأمة والوطن ، وكل آماننا الاشتغال بخير الملك  
والامة ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والاتحاد ، وغايتنا الحق والعدل ، وقد عاهدنا  
ثلاثين مليوناً من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا نخاف في القيام بهد وكالتغير  
توبيخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فالله يعينه ويؤيده

\* \* \*

## جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذاناً مصغية وقلوباً واعية لذلك الخطاب الذي  
فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين  
انقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزال بزوال تلك  
البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ،  
وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مقبوطاً بروية  
سلطانة وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه  
الدستور فلنا الشرف ان نرفع لجلالتكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السار  
والحكومة الشورية تقوم على هذا الأسس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس  
هناك ضامن لتثبيت السلطة العليا وتنزيها عن التبعية الا حفظ ذلك الاساس المتين  
لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره  
وهو الاشارة الى حفظ القانون الاساسي بالميثاق البات ، وانا نقابل ذلك بالحمد  
والثناء الجميل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهمة والمساعي لانجاح  
المداورات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنة والهرسك والبلغار  
— ذلك كله — من مهات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد بقيام الوزارة  
خير قيام بمهامها ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد

نحن في حاجة عظيمة الى الثقة بنا ولا يتم لنا ذلك الا بنجاح حقيقي في النظام الاداري والعسكري، ويعوزنا بذل المساعي العظيمة لنحفظموازره الحكومات وتكون لنا مدينة تصحيحه ثابتة

ان المساواة بين الافراد والعدل بين افراد الامة وجماعتها وتعليم الشعب وتثقيبه حسب حاجات الزمان على نمط الشعوب المتقدمة والاعتماد المالي الصحيح وضمان حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من الامور الضرورية التي لا تقبل التسويف والتأجيل

وان نقفا كلها موضوعة في مجلس الامة ( المبعوثان ) وآماننا بمساعيهم الحكيمة محققة ، وسنرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا وتسهل بلوغ الاماني المشار اليها ، وبذلك يكون للامة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألا تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان والبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تسير البلاد بسبيل التقدم والنجاح ، ولا ريب عندنا بان مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستضم إلى هذه المساعي ، وحينئذ ننال السعادة التامة التي نطلبها ، وهي ذلك الغرض الذي يري اليه المصلحون من ابناء الوطن

وانا نتمنى عريضتنا هذه بتكرار الشكر لجلالتكم لتعديكم وعزمكم الاكيد على حفظ شكل الحكومة الشورية ، ونؤكد لجلالتكم ان مجلس الاعيان يسند جهده في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يري حفظه من اقدس الواجبات وانا نعرض لجلالتكم بان مجلس الاعيان يقوم بخوكم ونحو الامة بكل مايجب عليه من الإخلاص التام

## رحلة صاحب المنار

﴿ في سوريا ﴾

٣

دمشق الشام

عدت في ٢٣ رمضان الى بيروت وفاء بوغدي لأصدقائي والوالي فأقت فيها أربعة أيام كنت ألهي في كل يوم منها درسا دينيا بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الأخير استبدلت بالدروس خطبة سياسية في حظيرة الموقع العسكري إجابة لطلب الكثيرين

وفي جميعة الخميس ٢٧ منه ركبنا القطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار رديء ، الدرجة الأولى منه دون الدرجة الثانية من القطار الذي بين رياق وحمص ، فبلغ بنا محطة دمشق قبيل المغرب فإذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك العظم وجمهور ممن نعرف ومن لم نعرف من المحيين العلماء والوجهاء ، نخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الأستاذ الأكبر بركة الوقت بقية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والأستاذ العامل المجد الذي يقتل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النفع بهما وعملهما

نزلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجهاء ، فرأينا من أديبهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعتنا منهم منذ الليلة الأولى أخباراً سيئة عن جمعية الإخاء العربي التي أسست في الأستانة فقال بعضهم انها أسست بإيعاز من السلطان لتكون عضدا له وبعونا على جمعية الأتحاد والترقي ، وقال آخرون انها ضد الترك ، وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية ، وهو ينم الترك ويدعو الناس الى العصية الجنسية العربية وينفر من جمعية الأتحاد والترقي ، وقد كروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمودون بعض



افرادها يحترقون وجهاء البلد ويفطرون في رمضان جهرا وان هذا مما يهد السبيل  
لندره المطران ويجعل سائسه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمعه من أكثر من واحد وكنت أئين لهم ولغيرهم ان تغير  
العرب من الترك مفسدة من أضر المفسد واننا في أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك  
والإخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أخرج إليهم منهم الينا  
فن يسي الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدونا ولهم فان كان سعيه لهواه فهو شر  
الشياطين وان كان سعيه لغيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب في صدور ذلك  
من بني المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لا ينسوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكوا على غيرهم  
بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في التربية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم  
والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة في إحياء الدولة وليقدروا على  
ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم  
اذا غلب في المستقبل حزب صباح الدين افندي ابن أخت السلطان على غيره من  
الاحزاب التي ينتظر ان تتكون في الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون  
كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم  
المركزية ( Décentralisation ) ويرى بعض علماء السياسة انه لا بد في المستقبل  
من استقلال كل جنس بنفسه ويروى هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في  
المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدنية ذلك  
العصر الذي سيكون أرقى من عصرنا هذا — وان قرب — وغير أهل لمشاركة سائر  
الأمم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف  
تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون ( لا قدر الله ) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرتقية  
في العلوم والاعمال ؟ ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟ وكيف تكون سيرته  
فيها ؟ يجب علينا ان نفكر في حالنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان  
نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ما قبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الاساس  
(المنار ج ١٢) (١١٨) (المجلد الحادي عشر)

الذي نبني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر  
العثمانية مادامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها وان نكون الآن من أشد  
الاعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات، ورقباء على  
الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديموقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان  
على الاصول الدستورية

هذاما كنت أبته من الافكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب  
العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف  
على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد  
الفقراء بغير أجره وتعليم أولاد الاغنياء بالاجرة . ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى  
حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستغني بها عن الرحلة . وهذا  
ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها .  
وكيف لا ينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذي كان هو الأثر  
العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عربية تأسست فيها فدمره عصر الظلم  
والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لا ينقصه الا ما كان فيه أولاً من  
زينة الفسيفساء التي يعجز عنها حتى الافرنج من أهل هذا العصر، ثم انني رأيت معظم  
أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كبيت عبدالرحمن  
باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلامها جاهها ومنزلة فقد  
تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فلم يقع نظري على شيء فيها من غير صنع  
الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهربية النحاسية التي فيها هي من  
صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسيج والحفر والبناء والنجارة وغير ذلك  
وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إلي بعض الفضلاء أن أقرأ درسا في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت  
وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي ومواقفتهم لرغبي  
واستحسنتم ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة فقبل ان هذا هو الوقت الذي يتخم

( المارچ ۱۲م ۱۹ ) درس صاحب المنار الأول بالأموي . حثه على العلوم المصرية ۱۳۹۹

في المدرسون الرسميون دورسهم فيرونك في مزاجها لم فيقتل عليهم فالأولى ان يكون دورسك بعد العصر فوافقهم على ذلك . وقد صلينا الجمعة في الجامع الأموي ووجدنا ان نسمع فيه خطبة تناسب في صحتها المنوى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خطاب رجاؤنا فسدنا ما ملته اسماعنا من عهد الخدائفة وهو مدح رمضان وتقرير العامة بمحدث العقق فيه الذي بنا في المنار من قبل ما قبل في وضعه . وشهدنا بعد الصلاة دورس المدرسين فجلسنا زهاء ثلث ساعة في دورس الكزبري الذي حضره الوالي والمشير حسب العادة المتبعة وخلق كثير . ووقفنا هنيهة على دورس رجل يقال له الشيخ صالح التونسي يحضره زهاء ۱۵ أو ۲۰ رجلا ثم على دورس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيدھا بالضبط الصحيح ويورد في معناها كل ما قاله بعض العلماء في شرحها أو جله وينقل من المسألة الى ما يناسبها من غير تلثم ولا مكث

#### دورسنا الاول في الاموي

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة الفريضة تلا بعض القراء آيات من الكتاب العزيز فجعلنا موضوع الدورس واستطردت منها الى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تنبيه الأذهان الى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لنعلم هل هي منطبقة علينا أم لا . . . . . وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدهم الى ما فيه سعادة الدارين ويعدم بذلك جزاء على نصره والقيام بحقوقه وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرتقي بها الاجماع البشري وتعزز بها الأمة ويرفع شأن الدولة الأ وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . ومما قلته وكررت : اني أرفع صوتي قائلاً أننا لا تقوم لنا قائمة إلا بالأخذ بهذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فإنا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونصل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتميز دولتنا وأن نصل السكك الحديدية وغيرها من الأمور التي ترقى مدنيتنا ونحفظ ثروتنا

## ٩٤٠ فوائد العلوم العصرية - الجمع بينها وبين علوم الدين ( المراجع ١٢ ١١٣ )

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ، إن علماءنا السابقين الذين كانوا يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الآلهيات بحثا يخالف أصول الدين وقواعده ، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مبانة لتلك النظريات ونافضة لها لأن أساسها التجربة والاختبار والعقل فمن فروعها علم الكهر باء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلا ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ، ومنه علم البخار الذي تسيرون به قطارات السكة الحجازية من بلدكم إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن أن يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستخدم لحفظ الدين ورفعة شأن أهله فكل من يصدُّ المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقة هذا العلم وفائده وإما عدو غاشي للمسلمين

ثم بينت لهم ان الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر لا عسر ولا حرج فيه وانه يمكن للمسلمين ان يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون العصرية التي نوهت بفائدتها اذا احسنوا التربية الدينية وأصلحوا طرق التعليم وان ذلك انما يكون بانشاء المدارس الاهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق القيام الا الجمعيات فالذي يجب ان يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تنشر التعليم في جميع طبقات الامة وذكرت لهم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوعا للعارف والمدنية فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكنني ان آتين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الامة وتعتز الدولة ان شئتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كبير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا علي بعد الدرس بالتحية والثناء واظهار الاعجاب بالدرس والدعاء بان ينفع الله بي وبه والوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا العظم وعلي باشا الامير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبدته وأخروا علي بان أعيده في اليوم الثاني

درسنا الثاني في الأموي والعادة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الأول في ليثهم تلك وأنه على غير ما يهتدون في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والأستناد على آي القرآن — وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغب الناس بعضهم بعضاً في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني ونفقل الا وقد تحلق الناس في مكان الدرس الأول ( تحت القبة ) وصاريلز ويزحم بعضهم بعضاً فلما اتسعت مساحة القاعدين طفق الناس يتحلقون حولهم وقوفاً ثم ازدحموا فصاروا كالقاعدين على غير نظام حتى صاروا يقدرون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن إسماعهم إلا بالعود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسي الذي يقرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثه في الإسلام فصعدت اليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله والثناء عليه والصلاة والسلام على البشير النذير جزاه الله عنا أفضل ماجازى نبيا عن أمته كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الإسلام عاماً لجميع البشر موافقاً لمصالحهم في كل زمان ومكان وبيان إمكان الجمع بين هدايته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلحت طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس اهتدائنا بالإسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فنهتدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الإسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لأحياء الإسلام في زمن قليل لا تحتاج فيه إلى مدارس هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقهاء وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المنقطعين لتحصيلها وهؤلاء المنقطعون عشر

مشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماءنا للتعليم العام في هذه القرون الأخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وههنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد؟ فقال بعضهم مئتا ألف أو يزيدون فقلت هل يوجد فيهم ألفا عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة؟ قيل ولألف . فقلت اذا كان هذا مبلغ تعليم الدين في مدينة تعد من أعظم أمصار الاسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين؟

ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعميم تعليم العقائد فقلت ما معناه : ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والملتدعة عن العقائد الاسلامية والاحتجاج على حقيتها وقد افترض أولئك الفلاسفة والملتدعة الذين عني المتكلمون باقامة الحجج عليهم! وظهر بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلها وحدثت لفلاسفة هذا العصر ومقلداتهم شبهات جديدة تولدت من الفلاسفة الجديدة يجب أن يُعنى متكلمو هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شي منها العامة المسلمين ولاتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العالية الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبني على فرض خلاف المطلوب قد يكون أهمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وإنما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليقة واسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته العظيمة وعلمه الواسع وتفردته بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان ( وذكرونا بعض الآيات في ذلك )

لماذا نقول للمسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك اولم يكن للعالم إله للزم الدور أو التسلسل وكل منهما باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — فثبت نقيضه وهو ان للعالم إلهها — ثم نحاول ان نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانها وما أصعبه مر كباوأبعده مطلباً! وقد رأينا كثيرين من المتصدرين لتدريس علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون

ان الأيمان بوجود واجب جل شأنه عام في البشر بأديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل النطق فأكثر علماء أوروبا وفلاسفتها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين ارتقت وثيقتهم كالبراهمة والبوذية حتى اليوم ومشركي العرب في زمن البعثة . ومن شد من البشر فأكثر وجود الباري تعالى لشبهه آثارها في نفسه تقاليد دينه أو نظريات فكره الضيقة فهو لا يمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في النظرة البشرية فقد قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين ينكرون وجود الله تعالى قلوبون في مجموع البشر فهم مرضى الأرواح - أو قال العقول - من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والعقل عرض بطراً على بعض الناس كمرض البدن ، فمرض الجسد معها كثر لا يعد هو الأصل في المزاج وكذلك مرض العقل والروح لا يعد في الأصل وأن كثر المرضى به قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجود الله تعالى ويقولون ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بعلمه وقدرته واراادته ويعظمونه ويقدمونه وقالوا خطأ الكفار في غير وحدانية الألوهية والربوبية من مسائل الإلهيات . فأما وحدانية الألوهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه ، وأما وحدانية الربوبية فهي اتخاذ بعض البشر شارعين يشعرون للناس من الدين ما لم يأذن به الله . وقد بين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم فقال في بيان عقائد مشركي العرب ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن نحن العزيز العظيم ) وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم ( قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ) سيقولون لله قل أفلا تدرون \* قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم \* سيقولون لله قل أفلا تتقون \* قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون \* سيقولون الله قل فأنسى تسحرون \* ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا ذهب كل إله بما خلق \* ولولا بضيم على بعض سبحان الله عما يصفون ) فقد اثبت لهم الأيمان بوجود الله وأنه هو الخالق الذي يده ملكوت كل شيء وقال فيهم مع ذلك ( وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ) فما هو شركهم هو ما يتة في آيات أخرى كقوله عز وجل ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إليه فزنى ان الله يحكم بينهم فياهم فيه يختلفون ، ان الله

لا يهدي من هو كاذب كفار) وقوله سبحانه (و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قل اتقون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في أهل الكتاب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد روي في الصحيح ان عدي بن حاتم اسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال لاني صلى الله عليه وسلم انهم لا يعبدونهم فقال ما سئله: اليس يجلون لم ويجرمون عليهم فيبغونهم؟ قال نعم قال فذاك . فهذا وما قبله هو الذي قن به الوثنيون والذي طرأ على أهل الكتاب وقد بينه القرآن الكريم تبينا قلت كل هذا تميدا لبيان ما يجب اتباعه من تقين المسلمين عتاند دينهم على طريقه القرآن المثلى وأردت ان أشرع في المقصد فاذا أنا رجل مغربي قد اخترق جمهور الواقفين حتى انتهى الى دائرة القاعدين وصاح يا اخواننا المسلمين اسمعوا لي كلمتين وشرع في الكلام فاضطرب الناس وكثر اللغط وقام كثير من القاعدين فرغبت اليهم في السكوت والاستماع له . فاما احدي كلمته فكانت في مشروعية زيارة القبور والتوسل بالصالحين الميتين الى الله تعالى ليقربوهم اليه ! ويقضوا حوائجهم هذه واعتقاد كرامات الاولياء ، والتحذير من ينكرون ذلك ويضلون به الناس كما فعلت الوهابية ، ثم ذكر ما هو شائع بين الناس من فتنة الوهابية ومحاربة السلطان وأمير مصر لهم . وأما الكلمة الثانية فهي وجوب تقليد الائمة المجتهدين في الدين والثناء عليهم وكون العمل بما في كتب الله هو عين العمل بالكتاب والسنة . وكان يقول ما مثاله : يا اخواننا هل الذي يتوسل الى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يجب الصالحين ويعظمهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يعظم الأئمة ويعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله ؟ !!!

فلما أتم كلامه قلت أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ من حضر في اثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ وانني كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم اني لم أتعرض له هذه المسائل بنفي ولا بإثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصدت اليه في هذا التدريس ووعدت به أسس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين



بأسلوب سهل وزمن قليل يعث فيهم روح الدين ولا يشغلهم عما هم في اشد الحاجة اليه من أمر الدنيا وقد أشرت فيما قلت الى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن الحكيم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام في تقين الدين لا طريقة المتكلمين وقد سبقتني الى ذلك حجة الاسلام الفزالي فقال بمثل ما قلته في كتابه ( الجلام العوام عن علم الكلام ) وغيره ، فصرح بأن كتب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفين ، لا لإفادتها وتقريرها لعامة المسامعين ، وان طريقة القرآن هي التي يجب الاعتماد عليها في التعليم ، وكل ما قلته تمهيد لبيان ذلك بعبارة محكمة قريبة من الأذهان . وما خطر في بالي أن أحشر في درسي شيئاً من هذه المسائل التي قطع بها الرجل علي كلامي قبل ان أصل الى المقصد منه . وكأني بأناس يقولون الكذب ويتجرمون عليّ ويأخذون من كلامه تهما يلصقونها بي فحسبي ان يعلم هذا الجمهور العظيم الذي سمع كلامي عني ويسمعوا مني بأنني ما أنكرت ولا أنكر زيارة القبور لاجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد في حديث الأذن بها بعد النهي عنها وانني أزورها بالفعل ، وأحب الصالحين ولا أنكر ما لهم من الكرامة عند الله تعالى فان من لا يحب الصالحين يكون أشقى الاشقياء ، وأعظم الأئمة المجتهدين واعتقد انهم كانوا على هدى واخلاص في خدمة الدين وان من التوفيق والسعادة اتباعهم في الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسي الشيخ عبد القادر الخطيب وأراد ان يتكلم فأنزله عثمان بك العظم عن الكرسي وصدّه عن التكلم ووقف عليه وقال ما معناه : أيها الاخوات انه لا ينبغي للعوام الخوض فيما يختلف فيه العلماء فانصرفوا الى شأنكم ومن كان من العلماء يريد مناظرة الاستاذ في هذه المسائل أو غيرها فليفضل بعد العشاء الى منزلي . ثم نزل وقال لي تفضل فنزلت ومشينا معا فمشي معنا جمهور عظيم من الحاضرين وسمعت بعض من بجاني يقولون ما معناه لا تخف ولا تحزن فلا قيمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه و بعضهم يقول هلمّ واسرع . وكان اللفظ والضوضاء على أشدهما حتى خرجنا من باب صحن المسجد وحينئذ رغب اليّ الشيخ أديب تقي الدين ان أدخل داره وهي بقرب المسجد

للاستراحة وردّ الزيارة ( فقد كان زارني في دار عثمان بك ) فأجته الى ذلك فلما دخلت داره طفق يقبل رأسي ويثني علي ويطري درسي ويهون علي ما جرى ويحلف الايمان بانني ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشيء . ففجبت من ذلك كله لاني لم أكن أعد ما جرى في الجامع من قطع الدرس علي أمراً عظيماً ولا مصاباً يرمي عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من هف الناس وعنايتهم بنسلي هو عدم تمودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الاقتيات . وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل على ما فعل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظنّنة فانه هو الرجل الذي ذكرت اني رأيتة يقرأ درساً لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهادي الصيادي أرسله الى دمشق ليثب دسائسه فيها

قيل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبد الرحمن باشا اليوسف لاننا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك ييكاشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجة لأن ما حصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لأجل اطلاق الشيخ صالح علي ما فهمنا وبعد صلاة العشاء في بيت عبد الرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك ولما عاد عثمان بك أخبرني بانهم أخرجوا الشيخ صالحاً من الحبس وان فتنة عظيمة أثرت في الشام فحمل ألوف من الناس السلاح واحتشدوا في الاسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأجيت ان تختم الدرس وتخرج ولا تطيل في الرد على الشيخ صالح . قلت له ما هو سبب ذلك فان ما حصل في الجامع لا يصح ان يكون سبباً لحمل السلاح ولا للفتن لانه لا يزيد على اساءة رجل

بقطعه الدرس عليّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبية تنتقم لي ان أحببت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري أن ذلك الرجل عصبية قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تنصر له ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انتصار يطلب انتصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح ؟ قال اني علمت من حال بعض الحاضرين في الدرس ان هناك فتنة مدبرة يراد إيقاعها في الجامع بأدنى مناسبة أو بخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس لأشيخ صالح عصبية ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفنهم الى المطالبة باطلاقه لهم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تيسر لهم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم ويؤذي من لا يستحق الايذاء ولا حاجة الى شرحها ولكن أقول بالأجمال إنها تتعلق بانتخاب المبعوثين . ولا أكنم عنك انه لا يكاد يوجد أحد في الشام يخرج من بيته بغير سلاح . قلت اذا ليس في الشام حرية شخصية تحميها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقيم في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقيم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله . فهذا ما دار بيني وبينه في الليل ثم نمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولاحظت النهار سافرت من الشام قاصدا رفاق

اجتمعت في قطار سكة الحديد ببعض أدباء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتنة الظاهرة والفتن الباطنة ، منهم شابان ذكبان من محبي الإصلاح والعلوم العصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكراني أسماء شيان آخرين على مشربهما وقالوا انهم يكتمون ميلهم ورأيهم ولا يحبون ان يعرف شيء عنهم . ثم اجتمعت ببعض باشوات الشام في بعلبك فحدثني بما يعلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو ممن حضر الاجتماع عند الوالي ليسان . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فعلت من ذلك ومما سمعته في حمص وقراته من المكتوبات التي بعثها من الشام الى حمص وغيرها جميع ما كان من المكائد والفتن وهذا يجعل ما وصل اليّ :

## أسباب فتنة دمشق

الأصل في ذلك كله امتعاض بعض الوجهاء أصحاب النفوذ من أسعد بك وسليم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكباشي » من أركان الحرب والدكتور حيدر وكلهم من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وكرهتهم لهذه الجمعية لأنها جعلت لهم منزلة ونفوذا في الشام يعاون نفوذ أولئك الوجهاء المتميزين الذين يرون أنهم سادات الشام وأنه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصورا عليهم ومحصورا فيهم وخصوصا بهم . قهرتهم جمعية الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتجروا على الوقوف في وجهها ومناجزتها جهرا فتر بصوا بها الدوائر حتى إذا ما جاء زمن انتخاب المبعوثين ورأوا من ذكرنا من أعضائها يشتغلون بأمره عميل صبرهم ولجأوا إلى الكيد وجراهم عليه ندره بك المطران الذي جاء الشام ليرشح نفسه للانتخاب ويستعين عليه بمن يستميلهم إلى جمعية الأخاء العربي فإنه كان يهون على الناس أمر جمعية الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن جمعية الأتراك والتدلي ، أي التي تفرق بين الترك والعرب وتصرر الاستبداد وتخذل الدستور . فاندفع أولئك الوجهاء إلى الفتنة بقوة وهمة وبشوا دسائسهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه حتى دخلت طائفة منهم الجماع الأموي مدججة بالسلاح للتنكيل ببعض المشايخ المدرسين لأنه ختم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيح مبعوث ولكنه كان يقول لمن يطلب منه الختم أننا نطلب بهذه العريضة إبطال رقص النساء في بعض الملاهي ! ! . ووقعت فتن ومشاعب أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب بعض الناس كما قيل لنا ولا نحب ان نخوض في ذلك

ولكن موقفي الفتن ومثيري الشغب لم يكن لهم سبيل للنيل من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فيما جرى إلا بالكلام كقولهم انهم علة اختلال الأمن وحدث الاضطراب في البلد « رميتي بدائها وانسلت » وانهم يريدون إبطال الدين بتجريتهم الناس على الفطر في نهار رمضان علنا وباحتقارهم لوجهاء البلد وعلمائه ! ! ! هذا ما كانت عليه دمشق عند قدومي إليها كانت تتمخض بالفتن التي يدبر أمرها رجال لا يزيد عددهم على عدد الذين دبروا أمر الصحيفة من قریش وكان

أشدهم افسادا أحد الباشوات الذي يرى انه بظنة يتنه يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها . واستعانوا على كيدهم ببعض أصحاب العمام الجاهلين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي رياسة دينية علموا انها لا تلبث ان تمحى وتزول في عهد حكومة العدل والشورى

وآتي هؤلاء الكائنون تحت قبة الجامع الأموي أيمن الناس انهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يحبوا فيه دينهم علما وعملا واخلاقا وآدابا ، وان يرقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفر الامم ثروة وأعلها جنابا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد وهجوا بالثناء عليه ، فقالوا ان هذا السيل الأتي يأتي على ما بيننا من صروح الآمال ، ويجرف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الاتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب براه عذبا فراتا ، بظني غليلا ويحيي مواتا ، فيجب ان نبادر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان تروى منه القلوب والافكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا على الناس الثاني فلولوا وهم يعتذرون ، فقالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فما لهذا الامر الا رجل يشتري ما يراد منه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والاعمال ، وما ذلك الاداعية ابن صياد الدجال ، المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي بطبعكم فيما يترفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالتعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الايام ، فلما لبى الشيخ صالح داعية أبي المهدي دعوتهم ، وقبل صلحتهم ، أو عزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصيل ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القيل والقال ، وقد علم هذا كثير ممن كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي الواقفين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء على وتسليتهم اياي كما تقدم لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يفتقون عند ذلك الحد ، وان الخيبة في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثبرا لفتنتهم وزأني اعوانهم قد أدلوا اليه يوسوسون له ويمدون في الغي ثم لا يقصرون ، فظن ان

حبسه يسد باب الفتنة فحبسه فطاروا بذلك فرحاً، وفتح لهم به باب جديد أقرب الى مقصدهم لأنهم يصلون منه الى الأيقاع بعدوهم أسعد بك نفسه وجمعيته بلا وسيلة ولا واسطة، فأنفذوا أناساً الى المساجد يستغيثون المسلمين ويستفرونهم لاعانة الدين وحماية علمائه من ظلم جمعية الأتحاد والترقي والحكومة الجديدة! فصاح اولئك المنفذون صيحتهم بعد صلاة التراويح، فأقبل الناس يتساءلون: أي خطب دهي الاسلام وأي بلا نزل بالعلماء؟ ويحييهم خطباء الفتنة إن فلانا العالم الفاضل دافع عن الدين فقبض عليه أسعد بك وزوجه في السجن فاذا لم نبادر الى اتقاده بقوة الشعب فان هذه الحكومة تقضي على جميع العلماء وتمحو دين الاسلام من الشام!! ويقال انهم أنفذوا اناساً آخرين يقولون مثل ذلك في الاسواق وأعطوا كل واحد منهم «بشلكا» (١) فاجتمع الناس من كل فج حتى صاروا يعدون بالألوف وصاروا ينادون: ليسقط أسعد بك لتسقط جمعية الأتحاد والترقي - وبلغني انهم قالوا أيضا ليسقط القانون الاساسي وليعش الوالي! (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الاساسي فكان دعاؤهم في ضلال) ولولا ان تواري أسعد بك تقضوا عليه كما قبل وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وافن رأيه، ما لا ينتظر أكثر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله، فانه لما رأى الجوع قد حشرت، وزمرة الوجهاء قد حضرت، وعظمت عليه الامر وأرجفت، ورجفت في قلبه الراجحة، وتلبها الرادفة، ففتح لمكرهم، وخضع لامرهم، وأمر بأن يوثنى بالشينخ صالح فجي به، وطاف بالناس في مركبته (مركبة الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجنود ما يكفي لهم الفتنة الاهلية بل لاعلان الاحكام العرفية، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم، لاستقرت هبة الحكومة في النفوس منذ ذلك اليوم، لا أقول في دمشق وحدها، بل في الولايات السورية كلها، فعلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة اني لم أكن مقصودا بالايذاء الذاتي، ولا موءاخداً علي قول زل به في الدرس الثاني لسائي، (لا تني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولا نوهت بجمعية الأتحاد!) وإنما كثر في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس؟ فكان كل مسؤل يجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعلبك وحمص انه نام وجل في الجامع الأموي فأنكر

(١) البشلك ضرب من تقود الدولة العثمانية يزيد عن نصف فرنك قليلا

## ( الملتوج ١٢م ١١ ) فجع مثيري فتنة دمشق - أسباب عداوتهم لصاحب المنار ( ١٥٩ )

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء ١٠ ولكن الذي لفته دعاة الفتنة للأكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وانكر زيارة القبور والتوسل بها . وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وعلو ابلس ومصر والاسنانة وقد علمت انه كذب وبهتان نال محرري الفتنة من أسعد بك ما أرادوا وانتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضمف جمعية الاتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك جل ما كانوا يبتغون في نفس الشام فكان من المعقول مع هذا أن يسكتوا عني لاني لم أكن الغرض الذي يرمون سبهم اليه ، وانما عرضت بينهم وبينه فرموني لانه تحي فصل سبهم اليه وحده ، فما هو السبب ياترى في استمرار عداوتهم لي ومكاتبه الجرائد بسني وثلي ؟ يظهر لي ان لذلك أسبابا : منها أن الشر داعية الشر وان الرجل الخبيث اذا حاول شرا قسم له كما يجب تضري نفسه بالشر فاذا ظلم انسانا بالاهانة والتسخير مثلا فذل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على اهانته وتسخيره له استلذا اذا بذلك وتبعجا ، ومنها انه اعتم هذه الفرصة رجل من ادعياء العلم حاقد علي فزع نفسه في حمة هذه الفتنة وطلق يكتب ويستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد ترفعت عن نشر ما بثوابه اليها من السخف فلم تقبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتقهرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الاصلاح . ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أرباب الهائم فكتب له رسالة في الرد على المنار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها ما زاد فرد عليه المنار يومئذ ودا صر بها صرح فيه باسمه ففضح جهله وجهل من كتب له ( ١ ) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله ، واعانه عليها نفر من أقتاله ، ولي هنا استدراثة وهو ان أكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد اسندت البغي والمدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاطلاق لاستخفاء المعتدين منهم وذلك ناسهل في التمييز أدى الى خلاف ما يريد الكاتبون فبني عليه حكم فاسد خفي عن الاكثرين فساده خلفاء المراد من العبارة التي اخذ منها . أعني انه صار يقال ان أهل الشام ناصبوا صاحب المنار العدا وآذوه بالكلام وإن أهل بيروت اتصروا له وأهانوا

( ١ ) راجع مقالات طهارة الاعطار ذات الكحول ( ص ٨٢١ و ٨٢٢م ٤ )

أهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافلهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من اهل الشام كلمة شاذة عن النزاهة والأدب بل يسمع من كل من لقيه منهم أرق الكلام واعذبه وألطف عبارات الترحيب والثناء وإنما تصدى لقطع درسه ولرباهم العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبو باعدهم لانهم يعدونه من جواسيس الشيخ أبي الهندي والدعاة له وشاب آخر من طلاب العلم اراد أن يسأل عن شيء سوءال مشهور مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريد من ذلك . واما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم آفأ فهم لا يتجاوزون جمع القلة على اني لم اكن غرضهم وإنما عرضت أمام غرضهم كما تقدم . على اني لو بقيت في دمشق لعمدوا لا يذاني بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يؤخذ من هذا ان اهل الشام فصلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجهاء المحيين للمنار الذين كانوا يقرؤنه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب الي بعد ان عدت الى طرابلس كتابا قال فيه « واني لخمجول وايم الله من فضيلتكم ومقابلتي اياكم بدار هيمان بك تلك المقابلة لكن ربنا علم بائي لم أحضر تلك الليلة لتقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفا عليكم وحفظاً لكرامتكم من سفهاء العامة المتزيين بزين العلم والعلم بعيد عنهم بعد السماء عن الارض قبرى ان الواحد منهم يظن أنه اذا كبر العامة وطول الذقن ووسع أكتاف الجبة وركب البقلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن تحت القبة ولا حبة — انه صار عالماً ومع هذا كله اقول اني لست على يقين من طعن رجل معين من اهل الشام في ذلك الحاقد الذي اشرت اليه آفأ ، فاهل الشام ليسوا خصما لي ولا لاهل بيروت وليس اهل بيروت خصما لهم

وجملة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من اهل الشام نفر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة يندر في الجملة وانه لم يتصد أحد من علماءهم للرد علي في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرا نفسه مينا اسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يعلمون اني اخطأت فلماذا سكتوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب الي مينا خطأي ان كنت اخطأت . سأله ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد الصمائي وأسأله هو وسائر علماء الشام ذلك



بطان النار وأنا أنشر لهم ما يكتبون في النار واذعن له إن كان حقا وأبين ما عندي فيه إن كان خطأ . وهذه هي حجتى عليهم فإذا هم سكتوا عن هذا اليانف فهم لا يخرجون عن أحد أمرين : إما أنه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئا مخالفا للشريعة وهذا كاف لتكذيب أولئك المذاعين الذين خاضوا في الأثم ، وإما أنهم يكتبون الحق وهم يطمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والاحاديث من وعيد الكاتمين

(تنبيه) - سقط اسم السيد (حسين وصفي رضا) من ذيل مقالة التقاريف وهو إذا هو الكاتب لها

(تصحيح) وقعت اغلاط في الجزئين ١١ و ١٢ وهذا بيانها فتصحيح بالقلم :

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠٢	١٩	لوصفهم	فوصفهم	٨٧١	١٢	قال	قال له
٨٠٣	٢	المعتدين	المعتدين	٨٧٢	٦	ولا يراعي	ولا يجوز ان يراعي
٨٠٥	١٧	تزرع	تزرع	٨٧٥	٢٥	وسبعون	وتسعون
٨٠٨	٢٤	في وعيد	من وعيد	٨٨٣	٥	هذا المنبادر	هذا هو المنبادر
٨١٠	٧	له	إلى	٨٨٣	١٤	تتقوى	تتقوى
٨١٢	٢٢	يستوي	تستوي	٨٨٤	١٥	دخلت	دخلت
٨١٥	٦	الذين	وهم الذين	٨٨٥	٢٥	وقالتوا	قاتلوا
٨٣٦	١١	كان	لها	٨٨٦	١٥	فأهرا	فأهرا
٨٣٧	١٢	حال	مال	٨٨٦	١٦	الواجب	لوجب
٨٦٤	١٦	دونها	دونها	٨٨٧	١١	قالوا وفي	قالوا الواوفي
٨٦٤	٢٤	الحرب	من الحرب	٨٨٨	١٦	ويدل على	ويدل أيضا على
٨٦٥	١٩	عدد قليل	عدد غير قليل	٨٩٢	٢٢	البشرى أو	البشرى
٨٦٧	٩	التي فرضها	التي لا يفرضها	٨٩٦	١٥	فألحق	فألحق
٨٦٩	١٤	تهدم	تقوم	٨٩٧	٢١	يكتب بعد كلمة: ومجم	هذه الفترة ( بينه وبين القول الاول )
٨٧٠	١٢	أو انا	وانا	٩١٣	٢٩	بها فكان	بها ثم جعلنا هاذيلا لها ، فكان
٨٧٠	١٤	من	في	٩١٥	٨	لحقيقة	لحقيقة
٨٧١	١٤	منه	مناحي	٩١٥	٩	العالية التي تصل	العالية التي تصل

## خاتمة السنة الحادية عشرة

بحمد الله وشكره نطم السنة الحادية عشرة من سني المنار ، فهي وله الشكر  
الاعنى ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نهدنا فأتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ،  
فكان تلك السنين العشر ، غير مسبوقة من العمر ، وكان هذه السنة الأولى من  
العقد الثاني للمجلة ، هي اللؤلؤة الأولى من العقد الأول لها والمنة ، كيف لا وهي  
سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ، فبرى  
القارىء هذا المجلد من المنار طائفا باخبار الدستور العثماني ، وبمجلس المبعوثان والقانون  
الاساسي ، وأسباب ما حدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب  
الاحتفال ، وذكور سياحة صاحب المنار في البلاد السورية ، وبعض ما ألقاه فيها من الدروس  
والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم المنار أو صاحب المنار يعد من  
اكبر الاخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار . وسلم في فاتحة السنة  
القابلة ، بتاريخ المنار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات التي تقدمت  
في فواتح بعض السنوات ، ونشر فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في  
الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستعدين لشربه ، اذ كانت  
الاخطار تواب من يطالع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين  
والجامدين ، والنصفين والحاسدين ،

ما انتقد على المنار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه انتقد على المنار شي لم  
ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه علي ما  
كتبته في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بمطاء الرجال بمصر من انكار  
نصب التماثيل الموتى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من اني طغنت في اهل  
طرابلس فيما كتبه عن سياحتي

نصب التماثيل للموتى

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الاستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة  
تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المنفضة  
اليها . ويرى المتقد ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا  
تثبيتاً للذين دعوا المصريين الى الاكتاب لنصب تماثيل لمصطفى كامل لما كان  
بيتي وبينه من اختلاف السياسي . ويرى هو ان اقامة تماثيل لمصطفى كامل وتغييره  
بما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية . هذا مجمل ما كتبه المتقد كما أتذكر .  
فاما ما ذكر من حكمة تحريم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المنار قبل نشر رحلة  
الاستاذ الامام ( بلرم صقلية ) بسنين . ولو تأمل المتقد ذلك الرد الذي نبى عليه  
انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفاً مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم او علمه  
لا ينقض شيئاً مما كتبناه وكذلك ما كتبه الاستاذ الامام في رحلته لا ينقض قولنا بل  
يؤيده ، فقد صرح بأن المتي لا يمتي بجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقاً

وهنا يبين للمتقد وامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله  
الاستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما نشره من ذلك في المنار إنما يقصد به بيان  
حكم الاسلام وموافقته لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تسكوا به ودفع الشبهات  
التي ترد على أحكامه دون جعله مذهبا يقلدنا الناس فيه ، الا من ظهر له الدليل على  
شيء فأخذ به لا اعتقاده أنه هو الحق ، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبعين  
للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم  
اليه . فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحريم التصوير ونصب التماثيل يقتضي  
إباحة نصب تماثيل لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المتقدم مقتداً ذلك  
فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله بإحتمال شرعاً ؟  
كلا . إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الانفراد بما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن  
دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون اكان  
ما وافق هواهم حلالاً أم حراماً !

المسلمون قسماً: الأول المقلدون للفقهاء وهم السواد الأعظم وتهاجم المذاهب الأربعة وهؤلاء، محرمون نصب التماثيل، أفليس من امنهاهم ان يدعوا دعوة عامة لعمل محرم عندهم؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بخصوص نفسه، وليس له ان يفتات على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظها في الاحاديث الصحيحة، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكم، ولكن له ان يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه وينظر المنكر عليه فان اقتضت دعوته الجمهور عمل بها وانما نحتج على المتقد بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فقول :

ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترف المتقد بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه وبعض محرري اللواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يطري نفسه بذلك، فلما لم يلق غلوهم قدداً ولا اعتراضاً جعلوه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبعهم على ذلك بعض الشعراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكفاء بموازن العروض، وتبع هؤلاء من يتبعهم عادة فلم يمض على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثل ديني خيالي غريب، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة، وانه ظهر له في طفولته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على «باحثة بالبادية» التي اقترحت بناء مدفن لعظام الرجال بمصر. أفرأيت من غلا حزه فيه هذا الغلو، وجملوه في هذا الأفق الخيالي من الغلو، أيستغرب اقتتان العامة بتمثاله في بلاد تلمس فيها البركات، ودفع المضار وقضاء الحاجات، من نمل الكلثني وباب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من الجمادات وكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة وبعض الآبار العتيقة!!

لا أرى وجهاً في ذلك التعليل لنصب تماثيل لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والخوارق، وأنشأ بعض الشعراء يخلع على هذه الصورة من

## ( المارح ١١٢م ١١ ) خاتمة السنة الحادية عشرة . انتقاد جريدة طرابلس ٩٥٧

حل الخيالات الوهمية والخرافية ما تجود به أقلامهم وناهيك بجود الشعراء في الكلام ، ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطلب منها الحاجات ، فقد الدين هذا الباب سداً محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ صورة ولا تمثالا لاجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على الصور والرسوم التي يستعان بها على العلوم كالطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء ( Physiologie ) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها الألفاظ من لم يكن رآها معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فإن احالة الكثير من كتب اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فإذا قيل : النسر طائر معروف والعقاب طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وان هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك قول الغوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكام على حفظ الأمن وتربية المحرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي كان يقول الأستاذ الامام ان الاسلام يجعل عن تحريمها وأذكر اني ناظرت بعض علماء طرابلس فيها قبل هجري الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير فوافقني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد صحيحة لا يجرمها الشرع

### انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من النصفين ما كتبه عن طرابلس فقالوا انه بيان صحيح لحالها واعتذار عماري به أهلها من اللوم والذم لذنوبها شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن تلك الكتابة ساءت نفرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أثروا من الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتموا من الكاتب بهيبج أهل طرابلس عليه وإيهاهم انه أهانهم أجمعين ! وبقني انهم كانوا يطوفون على الأدياء ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المارو وعدت جريدة طرابلس بأن تنشر ما يرد عليها من الرد !

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة الناشر عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذر عن الناشر بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما انتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسموا في الجرائد هكذا الا بقصد الذم والإيقاع . وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . فقلت لكننا نقلناه لترده وتقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . فقلت وماذا يقولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك اقتراه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبه عن الجمعية الخيرية العثمانية . قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبه أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم . وإن ما كتبه عنها هو أقل ما سمعته وبلغني ان جمعية الأتحاد والترقي ترى ان هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكتابتي هذه وأنا من أنصار جمعية الأتحاد تصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تلتظينا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الأتحاد والترقي في الاستانة .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ان ما كتبه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ما قدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . فقلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة أكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فاذا كانت عبارة الناشر تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة العبارات في جهة التل واقبته على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالنسبة وسأراجع الناشر

ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في المعلوم والتجارة وانه كتب في الناشر بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تعود سوريا كما تعودته مصر . قلت انه قد صحیح

## (الخارج ١١م ١٢) خاتمة السنة الحادية عشرة. اختصار جملة الصلاة على النبي ٩٥

والغرض منه صحيح وهو ان يتنبه أهل بلدنا الى ما يجب عليهم لتدارك ما أصابهم في  
في الايام الماضية . وان ما كتبه الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض  
ولا بد ان نعوّد قوما على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي  
لا يكتب فيها الا المدح والاطراء ، لأجل الاستمالة والاسترضاء ، أو الذم والمهجة ، لأجل  
التشفي أو الايذاء ، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ،  
وارد على من أساء الظن فيهم ، فماذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد  
عليهم ، وبيان تقصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ وهل تكون الصحف مفيدة  
الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ما أتذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في  
العدد الآتي من طرابلس لتتصل من نشر ما يريد نشره المتقدمون ؟ فاتفقنا على ان  
يكتب اني بينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دفاعا  
عنهم خلافا لما فهم بعض الناس وانني سأبين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد  
كتب هو ذلك ونحن يننا هنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجريا على سنتنا من نشر  
ما ينتقد علينا

### اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم »  
بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما  
ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة « رضي الله عنه » كلما ذكر  
الاستاذ الامام والصواب الذي يراه القارئون للمنار اننا لانذكر كلمة « رضي الله عنه » عند  
ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ،  
وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا  
ما تذكر غير مختصرة . والاختصار يوفر شيئا من وقت الكاتب ومن الورق فيسمع من  
الفوائد أكثر مما يسهه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها العهد في كتب  
المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والامانة وكانوا يختصرون الجملة هكذا « صلّم »

٩٦ خاتمة السنة الحادية عشرة . دعوة النار الى انتقاده . الاشتراك (المنارح ١٢م ١١)

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفاً منها فاستحسنتم ان  
استبدل بها حرف (ص) . ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلم) حرفي «ع» بمعنى  
عليه السلام كما يختصرون جملة «رحمه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه»  
بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فهم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف  
يفهم منها المراد لما اختلف العقلاء في العمل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في  
بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لاختزال الخطط لأجل  
تقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من الفوائد وهي خاصة بمن يتصفون  
لذلك كحرفي الجرائد

دعوة النار الى الانتقاد عليه

انا ندهو في هذه الخاتمة الى مثل ما دعونا اليه في فائحة هذا المجلد من الانتقاد  
على المنار ولكننا لا تقبل قدما مبنيا على ما يتقوله بعض الناس على المنار ، ولا قدما يخرج  
فيه المتقد عن موضوع ما ينتقده من فقره ، وإنما يقبل الانتقاد على فقرة تقبل بنصها  
من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطاها

طلب الاشتراك وقيمه

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها فاننا لم نزلها وان كانت جميع الاشياء ازدادت  
فلاء في هذا القطر . ولكن امرنا عالما بنينا اليه ولا يزال الناس يدهلون عنه ذلك اننا صرحنا  
مرارا بأن المنار لا يبعث به الا لمن يبعث بالقيمة سلفا ، وانا لا نقص من قيمة  
اشتراك شيئا لأحدهما ومع ذلك فان الناس لا يزالون يسألوننا ذلك ، فنحن نكرر  
القول هنا كما كررناه مرارا بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقا

هذا وانا نختتم هذا المجلد بمثل ما افتتحناه به من ذكر الله والشاء عليه عز وجل  
ونسأل الله ان يلهمنا الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن  
ثبهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشئ المنار ومحرره

محمد وشيد رضا الحسيني